مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية

علمية محكمة فصلية

صنعاء العدد (٥٠) ٢٠٢٣م رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء ١٠-٢١/١٩٩٣م

الرقم الدولي: ISSN – 2219-2239

هيئة تحرير مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
رئيس هئية التحرير
أ.م.د. عبدالملك محمد عيسى
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مدير التحرير
أ.د. محمود أحمد قاسم الشعبي
أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية
نائب مدير التحرير
أ.م.د. حسين أحمد الورد
استاذ اللغة الفرنسية المشارك
سكرتارية التحرير والتصميم والإشراف
أ. اروى يحيى الخطابي
المراجع اللغوي
أ.م.د. أحمد صالح غازي

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالرحمن عبدالله عبد ربه
أستاذ اللغة الانجليزية

أ.د. إبراهيم محمد الصلوي
أستاذ اللغات السامية

أ.د. علي سيف سعيد
أستاذ الآثار الإسلامية

أ.د. عبدالله علي الفضلي
أستاذ المكتبات وعلم المعلومات

أ.د. محمد احمد مياس
أستاذ الجغرافيا والجيوانفرماتك

أ.م.د. إبراهيم أحمد المطاع
أستاذ الآثار الإسلامية المشارك

أ.م.د أمة الملك إسماعيل الثور
أستاذ التاريخ الحديث
والمعاصرالمشارك

أ.م.د سكينة أحمد هاشم
أستاذ الخدمة الاجتماعية المشارك

أ.م.د. عبدالله يحيى الحوثي
أستاذ البلاغة المشارك

أ.م.د. احمد احمد العرامي
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر
المشارك

الافتتاحية

على نهجنا المعتاد تسير خطواتنا بثقة تامة تعتمد على مانرغبه –للمجلة في كل أعدادها –من حصافة منهجية ودقتة علمية تحافظ على مستوها المعهود منذ نشأتها قبل حوالي خمسين عاماً .

فهذا هو العدد خمسون وقد اتخذ لنفسه منهج سالفيه من الأعداد، محافظاً على ماتميزت به المجلة من سمعة طيبة وصيت متميز، حرصنا على عدم التنازل عنه وحافظنا على خصائصه التي عرفها عنها وفيها القارئ منذ أول عدد وحتى اليوم، وعلى طريقة إخراج الدوريات والمجلات المتخصصه المحكّمة حرصنا في هذا العدد على اتباع ضوابط وتعليمات تتصف بها المجلة منذ أن رأت النور العلمي الكبير بكل ماتقتضي به مناهج البحث العلمي وطرق النشر الاكاديمي المتعارف علية في العالم في مؤسساته البحثية والعلمية دون أي استثناء صغر أم كبر. وهنا نقف لنشير إلى أن هذا العدد يضم العديد من البحوث والدراسات المحكّمة المخصصة لأغراض الترقيات إلى درجة أستاذ مشارك ودرجة أستاذ، يضاف إلى ذلك استكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراة، وبذلك فإن العدد يحتوي على بحوث ودراسات في مختلف العلوم الإنسانية من باحثين أكاديميين في جامعات يمنية وعربية من مثل جامعات صنعاء، وعدن، وعمران، والحديدة، وقد تمت الإشارة الى ذلك في هامش الصفحة الأولى تحت اسم كل باحث، وهي كلها بلا شك جامعات لها مكانتها المرموقة بين كبار المؤسسات العلمية، وقد بلغ عدد البحوث التي سيضمها هذا العدد ثمانية بحوث (٨) تم التأكد من سلامتها العلمية والمنهجية في محتوى كل بحث بما في ذلك خلو كل بحث من القرصنة الإلكترونية وعدم انتهاك الحقوق الفكرية لأي باحث آخر، كما حرصنا على التأكد من سلامة الأمانة العلمية واستيفائها عن طريق تحكيم كل البحوث بشكل سري.

ولم نغفل أهمية التأكد من صلاحية كل بحث منهجياً وفنياً بما في ذلك المراجعة اللغوية مع مراعاة أهمية تطبيق ضوابط النشر الجديده وتعليمتها، وقبل أن ننهي هذا المفتتح نود أن ننبه إلى إن كل عمل بحثي ورد في هذا العدد يتحمل مسئولية ما تضمنه من أراء وأفكار من قام بإعداده وإنجازه علمياً وموضوعياً ومنهجياً ومحتواً، وبالقدر نفسه نشير إلى أن كل ما تضمنته هذه الأبحاث من وجهات نظر لا تمثل سوى أراء اصحابها ومن ثم فلم ولن تتحمل المجلة أية مسئولية قد تترتب عليها نتائج تلك الوجهات والأراء. وصحة الاقتباسات وأمانة النقل المنهجية.

والله الموفق،،،

مدير التحرير **رئيس هئية التحرير**

أ.د. محمود احمد قاسم الشعبي **أ.م.د/ عبدالملك محمد عيسى**

قائمة المحتويات

م	الموضوع	المؤلف	صفحة
١	تعظيم الله وأثره الإيجابي في صلاح الأسرة في ضوء القرآن الكريم	د. عبدالحق غانم سيف سالم	٦
٢	الدلالة المُوَلَّدَة (دراسة تطبيقيَّة على معجم المنجد للمعلوف)	د. أيمن بن عبدالرحمن بن محمد الغامدي	٣٦
	البحوثات المقدمة من طلبة الدكتوراة		
٣	الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي: (ت:١٠٢٦هـ) ومنهجه في تفسير (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد).	أ. عبدالجليل مهيوب فاضل الفقيه	٧٢
٤	أدوات الاستشراق العلمية والثقافية في استهداف الإسلام	أ.حواء يحي علي العمير	١٠٦
٥	تخريج أحاديث شفاء الأوام في أحكام الحلال والحرام كتاب أدب القاضي العلامة عبد العزيز بن محمد بن النعمان الضمدي المتوفي سنة ١٠٧٨هـ.دراسة وتحقيق	أ.محمد يحيى أحمد عبدالله القاضي	١٥٢
٦	المسائل التي انفردت بها الزيدية الهادوية في باب الطهارة	أ.عبد الجليل عبدالله أحمد هزبر	١٨٩
٧	خروج المرأة من بيتها بين المشروع والممنوع– دراسة فقهية مقارنة	أ. أسماء محمد علي المخلافي	٢٠٩
٨	أقوال وآراء القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس المتوفي سنة ١٠٦١هـ في كتاب الجنائز من كتابه تكميل شرح الأزهار المنتزع من الغيث المدرار في فقه الأئمة الأطهار	أ. جميل غالب أحمد اللأحجي	٢٣٧
٩	شرح شمائل النبي ﷺ لمصلح الدين اللّارِي (باب خضاب رسول الله ﷺ) دراسة وتحقيق	أ. أميرة أحمد محسن عطيفة	٢٦٨
١٠	نماذج مختارة من تفسيري: ابن عطية والبيضاوي في علوم القرآن من خلال سورة هود – دراسة مقارن	أ.حسن حسين لطف الله البكولي	٢٩٤
١١	نقل الحديث بغير السماع –دراسة حديثية –الوجادة نموذجاً–	أ. عبد السلام حزام مسعد اللهبي	٣٣١

تعظيم الله وأثره الإيجابي في صلاح الأسرة في ضوء القرآن الكريم

(glorification God and its positive impact in family life through Holy Qura'n)

د. عبدالحق غانم سيف سالم [١]

الملخص:

هذا البحث: (تعظيم الله وأثره الإيجابي في صلاح الأسرة في ضوء القرآن الكريم)، يُقصد منه استهداف صلاح الحياة الأسرية بهدايات القرآن الكريم، وذلك ببيان الطريق القويم لإنشاء وإيجاد أسرة صالحة وذات فاعلية وإيجابية، وفي هذا الإطار يرمي البحث إلى: بيان أثر تعظيم الله في تكوين الأسرة الصالحة، وعلاج المشكلات الأسرية، وصلاح العلاقات الأسرية والمجتمعية، ولتحقيق ذلك اعتمد البحث المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي، وقد خلص إلى نتائج عديدة، منها: أن تعظيم الله يعني أن يعظِّم الإنسانُ ربَّه في نفسه تعظيما يرتكز على المعرفة المؤدية إلى إجلال الله ومهابته وحبه، فيكون ذلك باعثا على حُسن الأعمال ودوام المراقبة، وهو شعور قائم على الإيمان، ولم ترد لفظة الأسرة في القرآن، والأسرة في مفهومها المباشر يراد بها: العائلة الواحدة، (الرجل وزوجته وأولاده). والنجاح والصلاح الأسري مترابط الأسس، وأساس المشكلات الأسرية: الانحراف عن مقتضيات تعظيم الله تعالى تسليما وتطبيقا، وأصل علاج المشكلات الأسرية: هو التزام مقتضيات تعظيم الله تعالى والعمل بموجبها في شؤون الحياة الأسرية.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، تعظيم الله، العلاقات، الزواج، صلاح الأسرة.

١) استاذ التفسير وعلوم القران المشارك ،كلية التربية والعلوم التطبيقية ، ارحب –جامعة صنعاء–

Abstract:

This research (glorification God and its positive impact in family life through Holy Qura'n) .It is intended to target the goodness of family live with guidance of Holy Qura'n by showing the right way to create and create a good , effective and positive family . In this context , the research aims to : explanation the effect of glorifying God in forming a good family , and treating of family problems and goodness family and community relations to achieve this , the research depend on the descriptive approach based on deduction and induction , and it included to many results , that glorifying God means that a person glorifying his Lord within himself , based on knowledge that leads to the glory majesty and love of God .This is incentive for good deeds and constant monitoring. It is a feeling based on faith . The word family is not mentioned in Qura'n , and the family in direct concept , means family : One family (man, his wife and his children) . Family success and righteousness are interdepended .The basis of family problems are adherence to the requirements of glorifying God Almighty and working According to them in affairs of family life

Key words : Family , glorifying God , relationships , marriage . goodness family.

المقدمة:

إن التربية القرآنية تعتمد على ربط أمور الحياة وشؤونها والأمر والنهي فيها بتعظيم الله تعالى والترهيب من جنابه وبناء مهابته في النفوس، وهي بذلك تسعى إلى ترسيخ هذا التعظيم في النفوس ليكونَ منطلقا للصلاح والإصلاح في الحياة، وكثرة تطرق القرآن لذلك تؤكد أهمية هذا الأمر ومركزيته في منهج التربية القرآنية المعتمدة في إصلاح الحياة كلها، وفي ذلك دلالة كلية على ضرورة اعتماد تلك المنهجية في التربية والإصلاح عموما وعلى نجاعة اعتمادها أيضا، ومن هنا تأتي أهمية التطرق لهذا الموضوع بالبحث والدراسة في ظل تشعب سبل الحياة ومشكلاتها من أجل استخلاص هدايات القرآن الكريم في التأصيل والتطبيق في شؤون الحياة.

الدراسات السابقة: موضوع الأسرة مطروق في العصر الحديث، إلا أن تناوله يجيء من جوانب غير التي تناولها هذا البحث، ثم إن تناوله جاء في إطار تأليف كتب مرجعية عامة، وقد وقفت على كتاب بعنوان: تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» لمؤلفه: أحمد بن عثمان المزيد، طبع: مدار الوطن للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م، تناول هذا الكتاب موضوع تعظيم الله بوجه عام، وكان هدفه هو: ترسيخ العبودية في حياة المسلم، ثم إظهار أنَّ تعظيمَ اللهِ عز وجل هو أعظمُ وسيلةٍ توصلُ إلى سعادةِ الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ بل إلى سعادةِ البشريةِ، وقد ذكر أثر تعظيم الله في الحياة الأسرية بصورة مقتضبة جدا، في نقاط محددة من غير شرح ولا استدلال ولا بيان، ولا شك أن منهجه ومقصده يختلف عما قصدتُ إليه من هذا البحث، والكتاب مفيد في باب تعظيم الله عموما.

مشكلة البحث: القضية الأساس التي يعالجها البحث هي: صلاح الحياة الأسرية عموما، من خلال بيان المنهجية القويمة في إنشاء أسرة صالحة، فاعلة وإيجابية، وعلاج مشكلاتها البشرية الطبيعية، وتأطير مسار علاقاتها في ضوء تعظيم الله تعالى، في ظل ازدياد المشكلات الأسرية في المجتمعات المعاصرة، كالتفكك والسلبية وسوء العلاقات الاجتماعية.

أسئلة البحث:

يمكن إجمال مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم تعظيم الله؟ وما مفهوم الأسرة؟

٢. ما مقتضيات تعظيم الله تعالى في إنشاء وتكوين أسرة صالحة ؟

٣. ما أثر تعظيم الله علاج المشكلات الأسرية.؟

٤. ما أثر تعظيم الله في بناء علاقات أسرية صالحة؟

أهمية البحث:

بناء على الكلام السابق فإن البحث في تعظيم الله وآثاره في الحياة عموما وفي جانب الأسرة خصوصا من خلال القرآن الكريم يعد جزءا من ضرورات التنظير لصلاح الحياة العامة؛ فهو يصب في بيان موجبات الصلاح العامة والخاصة المؤكَّدة الناشئة عن منهج القرآن الذي ذكر الله عنه أنه يهدي للتي هي أقوم، فهو طريق هداية مؤكدة على المستوى العام والخاص على السواء، كما أن صلاح الأسرة هو صلاح للمجتمع والأمة، باعتبار أن الأسرة هي اللبنة الأساس في بناء المجتمع.

وانطلاقا من ذلك فقد جعلت هذا البحث بعنوان: تعظيم الله وأثره الإيجابي في صلاح الأسرة، في ضوء القرآن الكريم.

أهداف البحث: البحث يرمي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان مفهوم تعظيم الله تعالى ومفهوم الأسرة.

٢. بيان مقتضيات تعظيم الله في إنشاء وتكوين الأسرة الصالحة في ضوء القرآن.

٣. توضيح أثر تعظيم الله في علاج المشكلات الأسرية المعاصرة في ضوء القرآن.

٤. بيان أثر تعظيم الله في صلاح العلاقات الأسرية والمجتمعية في ضوء القرآن.

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي، في ضوء مقاصد التشريع العام وتشريعات الأسرة في القرآن الكريم، والبحث ذو طبيعة مختصرة، لا يشمل كلَّ الشواهد القرآنية في المعنى الواحد، ولكنه يتطرق إلى الجوانب التي تعالج الموضوع، من غير إخلال.

خطة البحث: تم تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة وفيها: الدراسات السابقة ومشكلة البحث وأهمية البحث وأهدافه ومنهجيته وخطته.

المبحث الأول: مفاهيم البحث (تعظيم الله، الأسرة).

المبحث الثاني: مقتضيات تعظيم الله في إنشاء وتكوين الأسرة الصالحة في ضوء القرآن.

المبحث الثالث: أثر تعظيم الله في علاج مشكلات الحياة الأسرية في ضوء القرآن.

المبحث الرابع: أثر تعظيم الله في بناء العلاقات الأسرية الصالحة في ضوء القرآن.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج وتوصيات البحث.

المبحث الأول: مفاهيم البحث (تعظيم الله، الأسرة)

أولا: مفهوم تعظيم الله تعالى:

ـ التعظيم في اللغة، هو: التبجيل والتفخيم، يقال: أَعْظَمَ الأَمْرَ وعَظَّمَه تعظيما: فَخَّمه. والتَّعْظيمُ: التَّبْجيلُ،(١) وفيه معنى الجسامة والضخامة الحسية أو المعنوية قدرًا أو أثرًا.(٢)

. وتعظيم الله في الاصطلاح، هو: أن يكون اللهُ ذا عَظمةٍ فِي النفوس، وعَظمته لَا تُكَيَّفُ وَلَا تُحدُّ وَلَا تُمَثَّل بِشَيْءٍ.(٣) ويظهر ذلك التعظيم في الاعتقادات والأقوال والأفعال.

واسم الله العظيم يتضمن جملة من الصفات تكون فيها العظمة ولا يختص بصفة بعينها.(٤) وانطلاقا من هذه المعاني، فإن مفهوم تعظيم الله يقصد به:

أن يعظِّم الإنسانُ ربَّه في نفسه تعظيما يرتكز على المعرفة به، فيمتلئ قلبُه من إجلال الله ومهابته وحبه، ويكون ذلك باعثا على حُسن الأعمال ودوام المراقبة في كل الأحوال،(٥).

وتعظيم الله هو أساس التوحيد والإيمان، فقد دعا الله إليه فقال:{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً..} نوح:١٣، ١٤. فمضمون هذه الآية "هو استفهام، صورته صورة السؤال عن أمر ثبت لهم في حال انتفاء رجائهم توقير الله، والمقصود أنه لا عذر لهم في عدم توقيره"،(٦) وفيه حث على الإيمان،(٧) ويؤيده دمج هذه الدعوة بلفت الأنظار إلى بعض شواهد العظمة، من الأطوار الخلقية.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ج. ١٢، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣، ص. ٤٠٩، ٤١١، والزبيدي، محمد بن محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، ج.١٧، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ، ط٢. ص. ٤٨٧.

(٢) جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ج. ٣، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م، ط١. ص. ١٤٨٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج. ١٢، ص ٤٠٩، ٤١١، والزبيدي، تاج العروس، ج. ١٧، ص. ٤٨٧.

(٤) انظر: جبريل، حياة محمد، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، ج . ١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط ١. ص. ٢٩٤.

(٥) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج. ٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٦م، ط٣. ص. ٦٥، ٤٦٣، والمزيد، أحمد بن عثمان، تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد»، مدار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م، ط١. ص. ٤٠.

(٦) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج. ٢٩، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ، د ط. ص. ١٩٩.

(٧) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ، ج. ٢٩، ص.٢٠٠.

وغيرها.[١] ومثل هذه الدعوة أيضا جاءت في قوله:{مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}[٢] فهي دعوة يتضمنها النعيُ عليهم عدمَ إدراكهم تلك العظمة بما يلمسونه من شواهد ودلالات.[٣] وأشار القرآن أيضا إلى أن تعظيم الله تعالى أمر تقتضيه الفطرة البشرية، كما في قوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} النساء:١. فالناس لا تسأل لقضاء الحوائج ودفع الغوائل إلا بمعظَّم عندهم.[٤] وتعليقُ الاتقاءِ بالاسمِ الجليلِ (الله) لمزيد التأكيدِ والمبالغةِ في الحمل على الامتثال بتربية المهابةِ وإدخالِ الروعة في النفوس الناتج عن استشعار العظَمة.[٥] ولقد أمر الله رسوله بإظهار تعظيمه تعالى، فقال: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} المدثر:٣، ومعناه: عظِّم ربك قولا وعملا واعتقادا، وهذا العموم في المعنى يؤيده نزول الآية أول أمر الدعوة بمكة، وفي تقديم هذا الأمر على غيره في السورة إيماء إلى أَن المقصود الأَول مِن الأَمر بالقيام أَن يكبر ربه ويعظمه وينزهه.[٦]

ويمكن القول إن تعظيم الله تعالى يتضمن نوعين من الأعمال: أعمال قلبية باطنة، وأعمال جوارح ظاهرة، فالأعمال الباطنة هي: معرفة الله تعالى والعلم به، والخوف والرجاء، والإجلال والمحبة، والأعمال الظاهرة تختزل في: العمل الصالح على ضوء منهج الله.

فهذه الأمور مجتمعةً يتجلى فيها تعظيم الله تعالى ظاهرا وباطنا، وهذا في مستوى الإجمال، وأما في مستوى التفصيل فيمكن القول: إن تعظيم الله يتجلى من خلال الأمور الآتية:

١. الإيمان بأركان الإيمان، فهو أول مقتضيات تعظيم الله، بل هو أساس تعظيم الله،[٧].

(١) انظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج. ٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ، ط١. ص. ٣٢٣. وحوى، سعيد، الأساس في التفسير، ج. ١١، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٤هـ، ط ٦. ص. ٦١٥٥.

(٢)الحج:٧٤.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد شمس الدين، ج. ٥، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ، ط١. ص. ٣٩٧.

(٤) انظر: الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (الخواطر)، ج. ٤، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، د ط. ص. ١٩٩١.

(٥) انظر: العمادي، محمد بن محمد مصطفى أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج. ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د ت. د ط. ص. ١٣٨.

(٦) انظر: ابن عطية، عبد الحق غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام ، محمد، ج. ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ط١. ص. ٣٩٢.

(٧) انظر: الرازي، محمد بن عمر، فخر الدين، مفاتيح الغيب، ج. ١٦،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ط١. ص. ٩٥، ومجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج. ١٠، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) ط١. ص. ١٦٥٤.

٢. إحسان العبادة بمفهومها الشامل، بحيث تقترن شعائر العبادة بروحها،[١].

٣. تعظيم شعائر الله وشرائعه، يقول تعالى:{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ}الحج:٣٠، ويقول:{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}الحج:٣٢، فالشعائر والحرمات يراد بها معالم الأمر والنهي والتكاليف الربانية عموما، وتعظيمها بالطاعة والامتثال، وهو تعظيم لله تعالى.[٢]

٤. تعظيم ما عظم الله، فذلك تعظيم له سبحانه، وأدلة ذلك كثيرة في القرآن.

٥. ذكر الله والثناء عليه، تعظيما له سبحانه.[٣]

٦. الالتزام بضوابط تعظيم الله، ويمكن القول: إن هناك ضابطين منهجيين أساسين في هذا الباب، هما:

أ. أن يكون التعظيم بما يليق بالله وبما شرعه سبحانه، قولا أو فعلا.

ب. أن لا يكون التعظيم سببا في قطع ما أمر الله بوصْلِه وفعله.[٤]

تعبير القرآن عن تعظيم الله:

قد يعبّر عنه القرآن بما يدل على هذه المعاني السابقة مجتمعة أو على بعضها، فالسياقات القرآنية تنوعت في الدلالة على مقصد التعظيم: إما بذكر اسم الله (العظيم) أو الصفات الدالة عليه، وإما بذكر آياته وآلائه، وإما بالأمر بتعظيمه سبحانه أو الحث عليه، وإما بالتحذير من قوة الله وعقابه، وإما بالأمر بطاعته وتقواه والخوف منه، وإما بالحث على التحقق برجائه، ونحو ذلك مما يقصد به جعل تعظيم الله وراء الاستجابة لشرائعه والعمل بمنهجه، وهذا ينسحب على جوانب الحياة كلها، والحياة الأسرية في المقام الأول من ذلك.

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة، المغرب، ١٩٩٧م، ط١. ص. ٢٢٨.

(٢) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج. ٢، ص. ١٤٦، وأبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، ج. ٩، دار الفكر العربي. د ت، د ط. ص. ٤٩٧٨. والشعراوي، تفسير الشعراوي، ج. ١٦، ص. ٩٧٩٧ وغيرها.

(٣) انظر: المزيد، تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد»، ص. ٢٦.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج. ٢، ص. ٣٧٩.

ثانياً: مفهوم الأسرة:

. الأُسْرة في اللغة: مأخوذة من (أَسَر)، والهمزة والسين والراء أصل واحد، وقياسٌ مطرّد، معناه الحبس والإمساك،[١] وفيه معنى الشدة والقوة والمَنعة ولذلك تطلق كلمة (أُسْرة) على الدرع الحصينة.[٢]

. والأسرة في الاصطلاح: عُرِّفَت بما يتوافق مع المعنى اللغوي، فقيل: الأُسْرَةُ مِن الرَّجُل: الرَّهطُ الأَدْنَوْنَ وَعَشِيرَتُه؛ لأَنَّه يتقوَّى بهم، أو هم: أَقاربُ الرَّجل مِن قِبَلِ أَبِيه.[٣] وهذا التعريف يراعي معنى الرابطة، ولكنه يخرج من مسمى الأسرة: الزوجة والبنات، وهو تعريف يوافق معنى العشيرة: فالعشيرة تدخل فيها القبيلة ومن يقرب إلى الشخص.[٤] وعليه فهذا التعريف غير جامع ولا مانع.

وفي المعاجم الحديثة عرّفوا الأسرة بأوسع من ذلك فقالوا: هي عشيرة الرجل وَالجمَاعَة يربطها أَمر مُشْتَرك.[٥] ولكن هذا التعريف أيضا وافق المعاجم القديمة، وزاد عليها معنى آخر.

وفي العُرف المعاصر يطلق لفظ الأسرة على الرجل ومن يعولهم، قال في الموسوعة الفقهية الكويتية: لفظ الأُسرة لم يَرِد ذكره في القرآن الكريم، وكذلك لم يستعمله الفقهاء في عباراتهم – فيما نعلم–، والمتعارف عليه الآن إطلاق لفظ (الأُسرة) على الرجل ومن يعولهم من زوجهِ وأصوله وفروعه.[٦]

وباعتبار أن الأصول ليسوا ممن تتكون منهم الأسرة ابتداءً، فالأسرة هنا يراد بها: الرجل وزوجته وأولاده. وفي هذا الإطار الأسري المحدد سيكون هذا البحث.

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، ج. ١، اتحاد الكتاب العرب،٢٠٠٢ م، د ط. ص. ١١٦.

(٢) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج. ٦، ص. ٢٢، ٢٣.

(٣) المرجع السابق، ج. ٦، ص. ٢٣.

(٤) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج. ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط١. ص. ٢٦٢.

(٥) انظر: أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر. دمشق، سورية، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م، ط١. ص. ٢٠، عمر، أحمد مختار عبدالحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج. ١، عالم الكتب، ٢٠٠٨ م، ط١. ص. ٩١.

(٦) الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٤، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مطابع دار الصفوة، مصر، دار السلاسل، الكويت، الوزارة، ١٤٢٧ هـ، ط٢. ص٢٢٣.

المبحث الثاني: مقتضيات تعظيم الله في إنشاء وتكوين الأسرة الصالحة في ضوء القرآن

تعظيم الله تعالى كموجب لصلاح الأسرة يبدأ منذ لحظة إنشائها وتكوينها، فالقرآن الكريم بَيّن ضرورة تعظيم الله وأثره في صلاح الأسرة في كل أحوالها ومراحلها، ولذلك ينبغي استصحاب ذلك التعظيم لله في كل مراحل وأحوال الأسرة، لأنه الأساس الذي يبنى عليه صلاح أمرها، وفي هذا المبحث سأبيّن أثر تعظيم الله في مرحلة إنشاء الأسرة وتكوينها، من خلال هدايات القرآن الكريم، وقد أشار القرآن إلى أن تعظيم الله في هذه المرحلة يتجلى من خلال السلوكات التي يقتضيها ذلك التعظيم، ويتبين ذلك من خلال ربط أهداف الزواج وتكوين الأسرة، كما في النقاط الآتية:

١. تعظيم الله يقتضي تلبية داعي الفطرة بطريق صحيح، وهو الزواج الذي لا تتكون أسرة صالحة إلا من خلاله، وفي سورة النساء بعد ما ذكرت المحرمات في النكاح وذكرت بعض صور النكاح الصالحة جاء عقب ذلك بيان أن الله يريد ذلك السبيل ويرتضيه للنكاح ليسلك بعباده سبيل التوبة والعفة والصلاح، قال تعالى: {يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً} النساء:٢٦، ٢٧، هذا التعقيب المطلق على ما قبله يبين أن الله يريد سبيل الزواج الصحيح دائما لتزكو النفوس وتطهر القلوب وتصلح الأحوال؛ فهو سبيل الفطرة الذي يقتضيه علم الله وحكمته، فتعظيم الله هنا هو باتباع منهجه وهديه، وهو سبيل صلاح عام، وسبيل النجاح في تكوين أسرة صالحة، (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما)، أي: باتباع داعية الشهوة الحيوانية،[1] فالميل عن السبيل السوي فساد، ولا يمكن أن يتم من خلاله إنشاء أسرة صالحة.

٢. تعظيم الله يقتضي إصلاح المقصد والنية من الزواج، والشرعُ قد بيّن أن مقصد الزواج هو: إعفاف النفس وحفظ النوع الإنساني، وأدلة ذلك متكاثرة، ومنها قوله تعالى:{وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} النساء:٢٤، ففي هذه الآية يوجب الله أَن يكون الغرض من الزواج:

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)،ج ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، د ط. ص. ٣١.

الإحصان والعفة،[١] كما يبينه قوله: {فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} النساء:٢٥، فالإحصان هنا هو الزواج على الصحيح.[٢] ومما يدل على مقصد الإعفاف في الزواج قوله تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}النور٣٢ أُردفت أوامر العفاف بالإرشاد إلى ما يعين عليه، والمعنى: لا يحملكم تحقق صلاحهم على إهمال إنكاحهم لأنكم آمنون من وقوعهم في الزنى، بل عليكم أن تزوجوهم رفقا بهم ودفعا لمشقة العنت عنهم، فيفيد أنهم إن لم يكونوا صالحين كان تزويجهم آكد أمرا، وهذا من دلالة الفحوى، فيشمل غير الصالحين (غير الأعفّاء والعفائف)،[٣] أي ليستعفُّوا جميعا بالزواج وتصلح بذلك حياتهم، وانظر كيف ربط الله هذا الزواج بعظمته، فقال: {إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، فالله غني ذو سعة، ولا حد لقدرته وعلمه، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفق الحكمة والمصلحة،[٤] وفي هذا أيضا تنبيه إلى أنهم ينبغي أن يستحضروا عظمة الله في هذا الحال، فذلك يحملهم على الزواج ابتغاء الإعفاف والصلاح.

وفي الزواج كذلك: مقصد حفظ النوع والتكاثر في الزواج، ويدل عليه قوله تعالى: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} الشورى:١١، فقوله (يذْرَؤُكُمْ فِيهِ)، يعني: يكثركم بهذا التدبير، وهو الزواج فيحصل التناسل،[٥] والتناسل حفظ للنوع، وهو أمر مرتبط بعظمة الله تعالى؛ فالآية هذه في سياق الاستدلال لعظمة الله وقدرته، وفي قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)، دلالة على ذلك، فمعناه: ليس مثله شيء في شأن من الشؤون، التي من جملتها هذا التدبير البديع،[٦] وفيه تنبيه إلى استحضار تعظيم الله في هذا الحال ليكون أساسا ترتكز عليه هذه المقاصد.

(١) انظر: مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط – مجمع البحوث، ج. ٢، ص. ١٠٢٠.

(٢) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج. ٢، ص. ٣٩.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج. ١٨، ص. ٢١٥، ٢١٦.

(٤) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج. ١٨، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨ هـ، ط٢. ص. ٢٣٢.

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج. ٢٥، ص. ٤٥، وحوى، الأساس في التفسير ، ج.٩، ص. ٥٠٧٤.

(٦) العمادي، إرشاد العقل السليم، ج. ٨، ص. ٢٥، وحوى، الأساس في التفسير، ج. ٨، ص. ٤٢٦٦.

٣. تعظيم الله يقتضي تقديم صلاح الدين على أي دواع أخرى في الاختيار للنكاح، ومما يبين هذا: أن الله حرم التزوج بالمشركين والكفار، فقال تعالى: {وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} البقرة:٢٢١، وذلك أن العلاقة الزوجية من شأنها أن تربط بين الزوجين بروابط روحية ونفسية وعقلية، وقيام تلك الروابط بين مؤمن ومشركة، أو مشرك أو كافر ومؤمنة، لا تتم غالبا، إلا بفساد أحدهما وتأثير أحدهما في الآخر، ولا نأمن على المسلم أو المسلمة، فلذلك وجب قطع الطريق على هذه العلاقة لتأكد مفاسدها"[1] وطاعة الله في هذا دليل تعظيمه والإيمان به، وفيه صلاح الأسرة واستقرارها.

٤. تعظيم الله يقتضي ممارسة وسائل مشروعة للتوصل إلى الزواج، ومن ذلك: الخِطبة والتعارف بطرق سليمة، غير خارجة عن مقتضى الآداب والأخلاق، كما يبينه قوله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ} البقرة: ٢٣٥، فهذه الآداب وغيرها مما يطلبها الله في وسائل الوصول إلى الزواج، وقد شدد على من يخالف ذلك، فكان التعقيب بالتخويف من الله العظيم، بقوله: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}. ومن هذا الباب: تعظيم الله من خلال التزام نهيه عن الاعتداء على حق الغير في الزواج، فلا يصح خطبة على خطبة إلا بعد فسخها، ولا يصح الخطبة والعزم على النكاح وقت العدة احتراما للحقوق والروابط، ولا يصح الإكراه على الزواج، وأدلة هذا كثيرة، وكلها مرتبطة بتعظيم الله من جهة: التحذير من مجاوزة حدوده، والتخويف من انتقامه، واستثارة الإيمان والتقوى في النفوس للتحفيز إلى التزام ما يوجب الصلاح والنجاح.

٥. تعظيم الله يقتضي القيام بأمور إجرائية من قبل أولياء الفتى والفتاة المقدمين على الزواج، ومن ذلك: ترخيص المهور، وعدم المبالغة في إجراءات الزواج، والأسوة في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد

(١) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج. ٢، ص. ٧٢٣، ٧٢٤، والخطيب، عبدالكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، ج. ١، دار الفكر العربي – القاهرة. د. ت، د ط. ص. ٢٥٠.

تزوج وزوج بناته بأيسر المهور، وحث على توخي التيسير في المهور في مواقف عديدة،[١].

فهذه التشريعات وغيرها يتبين من خلالها مدى ارتباط تعظيم الله بالأسرة حال إنشائها وتكوينها، ويتضح أن تعظيم الله في هذه المرحلة له تأثير عميق في النجاح على مستويات ثلاثة:

– الأول: تكوين وإنشاء أسرة صالحة، وذلك أن تنفيذ أوامر الله واتباع منهجه ينعكس على السلامة والنجاح في إنشاء الأسرة وتكوينها، بخلاف أي سبيل آخر لا يرتكز على تعظيم الله ومراقبته.

– الثاني: الحياة الأسرية بعد الزواج، فتعظيم الله في مرحلة الإنشاء يكون سببا للتوفيق والصلاح في المراحل الأسرية القادمة، لأن الإنسان يكون قد أسس بسلامة هذه المرحلة لصلاح المراحل القادمة، وفي هذا الإطار يمكن لنا أن نفهم قوله تعالى: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حفِظَ اللّهُ} النساء:٣٤؛ ففيه حث على اختيار الصالحات، ومعنى الصالحة هنا: النافعة المستقيمة في خلقها ودينها، فهي صالحة في نفسها وزوجيتها،[٢] وصلاحها في الخلق والدين هو أساس صلاحها في الحياة الزوجية، ويؤيد هذا أنه أتى بوصف (قانتات) والقانتات: المطيعات لله، وقدم القنوت هنا وإن لم يكن من سياق الكلام للدلالة على تلازم خوفهن الله وحفظ حق أزواجهن.[٣] وفي ذلك إشارة لأثر تعظيم الله في صلاح المرأة في الإطار الأسري.

– الثالث: استمرار صلاح الحياة الأسرية؛ وذلك لأن تعظيم الله موجب لتلبية دعوته إلى الجنة والمغفرة وإرادة سبيل التوبة الذي ذكرته الآيات السابقة في البقرة والنساء، وهذا المقصد يكون دافعا لعمل ما يوجب تحصيله والتزام سبل المحافظة عليه دائما حتى الوصول إلى الجنة والمغفرة في الآخرة، فتصلح جرّاءَ ذلك الحياة الأسرية الواقعة في ذلك الامتداد من لدن الإنشاء حتى الوصول إلى الغاية المقصودة.

(١) انظر: مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ص. ١٠٤٠، رقم: ١٤٢٥.

(٢) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج . ٣، ص . ١٦٦٨، ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط – مجمع البحوث، ج . ٢، ص . ٨٠٧، وقد قيل إن الخبر هنا بمعنى الأمر، أي: ليكنَّ صالحات. انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج .٥، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، ط٢. ص . ١٧٠، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج . ٥، ص . ٤٠، ورأي: أن الوصفية هنا أقوى لأن قوله: قانتات حافظات خبر للصالحات وليس عطفا عليها. انظر: الدرويش، محي الدين أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، ج . ٢، دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ١٤١٥هـ، ط ٤. ص . ٢٠٨.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج . ٥، ص . ٤٠.

المبحث الثالث: أثر تعظيم الله في علاج مشكلات الحياة الأسرية في ضوء القرآن

ذكر القرآن جوانب من أحوال بعض الأسر إيجابا وسلبا، وبيّن تعدد المشكلات الأسرية وتنوعها، وأوضح أنواعا منها لا تختلف باختلاف الزمان والإنسان، وبيّن سبل معالجتها، ومن تلك المشكلات: النشوز والتنافر بين الزوجين، والطلاق، والتفكك الأسري وقطع الأرحام، وعقوق الوالدين، وسوء الأخلاق والسلوكيات، وفساد العلاقات الاجتماعية، وغيرها.

وفي سبيل معالجة تلك المشكلات يتبين أن المعالجة لها مستويان:

– الأول: القيام بما يمكِّن من تفادي المشكلات قبل وقوعها أو يقلل من مخاطرها. وهذا يمكن تسميته (إجراءات وقائية).

– والثاني: القيام بعلاج المشكلات بعد حصولها، أو باحتوائها إذا لم يتم علاجها كليا.

ويتضح أن معرفة أسباب المشكلات هي بداية علاجها، ولذلك نجد القرآن الكريم يبرز أسباب المشكلات ويوضح سبل العلاج من خلالها، وبالنظر في أسباب المشكلات الأسرية التي أوضحها القرآن الكريم يمكن إجمالها في ثلاثة جوانب، – بحسب رأي الباحث–، كالآتي:

– الجانب الأول: ما يرتبط بالممارسات الخاطئة، بقصد أو بدون قصد، ومنها: الإخلال بمبادئ إنشاء الأسرة وتكوينها، وهضم الحقوق وعدم العدل، وعدم التقيد بحدود الله، والسعي بالفتنة، والكفر واختلاف الدين، وفيما ذكرته سابقا في المبحث الثاني دلالة على هذا.

– الجانب الثاني: ما يرتبط بالقدَر في الأغلب، ومنها: عدم الإنجاب من الزوجين أو أحدهما، والمرض، والفقر والحاجة، واليُتْم، فقد يكون سببا في مشاكل الأيتام في صغرهم، والسحر ونحوه، فهو قدَرٌ بالنسبة للمضرور.

– الجانب الثالث: ما يرتبط بالتربية والطباع النفسية، ومنه: الحسد، مثلما كان من أولاد يعقوب ليوسف وأخيه، ومثلما كان من قابيل لهابيل، ومنه: الطمع والأثرة، مثلما وقع من الأخ الذي حمله الطمع والظلم على السعي للاستحواذ على نعجة أخيه، كما هو في سورة (ص).[1]

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج. ٢٣، ص. ٢٣٥، والشعراوي، تفسير الشعراوي، ج. ١٣، ص. ٧٨٨٤.

هذه الجوانب تشير إلى أهم الأسباب التي تؤدي إلى حدوث مشاكل أسرية – في نظري–، وتقف عوائق في طريق نجاح الأسرة في رسالتها الإيجابية في الحياة.

ولا شك أن لكل جانب من هذه الأسباب طريقة في المعالجة، ويمكن أن نعرض ذلك في مستويين:

– المستوى الأول: علاج إجمالي: فعلاج الجانب الأول (الممارسات الخاطئة) يكمن في: التوعية المستمرة، والتحفيز للسلوكات الصحيحة، وعمل المقاربات المنهجية والقانونية في حل المشكلات، وعلاج الجانب الثاني من الأسباب التي يغلب عليها القدَر يكمن في الإيمانيات التي أساسها الرجوع إلى الله والرضاء بقضائه وقدره، من خلال إشاعة الأفكار الإيمانية والعقائد السليمة ومحاربة الأفعال والعقائد الفاسدة، وفي جانب التربية والطباع النفسية، يكمن العلاج في التربية المنهجية والمؤسسية منذ الطفولة، وتوسيع البيئات الصالحة، وبذل الجهد في البلاغ المبين لمسالك الأخلاق الإسلامية الإيجابية، وإيجاد مناهج تربوية تؤهل لمواجهة مثل تلك المشكلات.

والمقصود هو أن اتباع منهج القرآن في المعالجات يضمن حصول استقرار في الحياة الأسرية، ويضمن قدرا من السعادة والانسجام والصلاح، بحيث تنعدم تلك المشكلات، أو تقل وتضعف، أو على الأقل يمكن التعايش الإيجابي مع ما لا يمكن إزالة أسبابه منها.

وعند النظر في هدايات القرآن الكريم لعلاج تلك المشكلات ندرك أنه يقرر أن تعظيم الله هو الأساس الأعظم لصلاح البشرية وعلاج مشاكلها على المستويات المتعددة:

ففي العموم يقول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} الأعراف: ٩٦.. ويقول: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} النحل:١١٢، أي إن الإيمان والتقوى مسلك فاعل في صلاح الأحوال المشار إليها في الآيتين.

وأما على مستوى الصلاح الفردي فيقرر القرآن أن تعظيم الله هو السر في صلاح النفس وتطهيرها من كل أمراضها.[1]

(١) انظر: حوى، الأساس في التفسير، ج. ١١، ص. ٦٦٠٧.

وبالنظر إلى خصوص معالجات وحلول مشكلات الأسرة في القرآن نجد أن تعظيم الله يرتبط بالأحوال الأسرية ارتباطا مبدئيا ثابتا، ليدل على إحداثه الأثر الإيجابي الفاعل في صلاح الأسرة، ويمكن تجلية ذلك من خلال عرضه في صورتين تتضمنان أفرادا عديدة، وبيان ذلك كالآتي:

– **الصورة الأولى**: التناول العام في القرآن لارتباط صلاح الأسرة بتعظيم الله تعالى، وأنه له الأثر البالغ في علاج مشاكلها، ومن هذا ما في قوله تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} الأنفال:٢٨، فالفتنة هنا تأتي بمعنى: الابتلاء وبمعنى الدفع إلى الانحراف عن منهج الهدى والانشغال عن طاعة الله.(١) ومن الفتنة: استشراء الفساد في الأسرة وضياعها، بسبب اتخاذ معالجات تراعي الصلاح الدنيوي فقط ولا تراعي تعظيم الله تعالى.(٢) وقد بينت الآية سبب النجاة من هذه الفتنة والخلاص من آثارها السيئة والضامن لحصول النجاح والصلاح والوقاية من الانحراف، في قوله: {وأن الله عنده أجر عظيم}، فقد عقّب بهذا لتذكير المؤمنين بما يعينهم على اتقاء فتنة المال والولد، وهو استحضار عظمة الله وإيثار ما عنده على ما سواه،(٣) وبهذا يحدث الصلاح والفلاح.

ثم في سياق الآية يقول تعالى بعدها: {يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} الأنفال: ٢٩، والتقوى هي وجه التعظيم، إذ هي معنىً جامع للتعظيم في هذا المقام،(٤) ومعنى هذه الآية: أنه إذا اتقى الإنسان ربه بتعظيمه واتباع رضوانه والاجتهاد في صلاح أسرته فإنه يجتهد للتحقق بمعرفة سنن الله في الإنسان والمجتَمع، ويحصل له جرّاء ذلك التوفيق وملَكة الفرقان التي بها يفرق بين ما ينبغي فعله وما يجب تركه،(٥) وهذا هو باب طريق الصلاح عموما.

ويزيد القرآن بيانا للمخرَج من فتنة الأسرة في إطار تعظيم الله تعالى فيقول:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ

(١) انظر: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج ٤، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٢ هـ، ط١. ص ت ٢٩٤.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير، ج ٩، ص ٢٣٨.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ج ٩، ص ٥٣٧.

(٤) انظر: السايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م، د ط. ص ٥٠٢، وطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ١٥، دار نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٨م، ط١. ص ٤١٢.

(٥) رضا، تفسير المنار، ج ٩، ص ٥٣٨، والمراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ج ٩، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ١٣٦٥ هـ، ط١. ص ت ١٩٦.

أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} التغابن:١٤، إلى نهاية السورة، والآيات تبين أنه قد تحدث مشكلات في الأسرة، مثل الخصومة والعقوق والجفاء والانحراف عن الهدى..الخ، وكل معصية يرتكبها الإنسان وكل خير يحرمه بسبب الأهل والولد، هي مظاهر مشكلات تدخل في مفهوم (العداوة) التي يذكرها قوله (عدوا لكم)، لأنها تشبه فعل العدو.[1] والقرآن أرشد إلى طريق التعامل معها عموما، وبحسب ما يفهم من الآيات فإن التعامل مع هذه الفتن يكون وفق منهج يحوي النقاط الآتية:

١. التذكُّر دائما أن الأسرة هي محط ابتلاء وفتنة، وأن ما عند الله أعظم مما في الدنيا، وهذا ما أشار إليه قوله: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} التغابن: ١٥، وهذا أيضا يقتضي اتخاذ تدابير دائمة، وقائية وعلاجية، كما يقتضي التعرف على أسس التعامل الأسري وفق معارف ضرورية يتم في ضوئها إعداد زَكَيْ الأسرة (الزوج والزوجة) في برامج ومناهج مناسبة قبل الزواج مثلا.

٢. مقاومة هذه الفتن وعدم الاستسلام لموجباتها، وبذل كامل الجهد في ذلك، كما في قوله: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا}[2]، ومن وجوه هذه المقاومة، الاستمرار في تقوية جوانب الخير والصلاح، كما في قوله:{وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا}، وهذا فيه معنى توسيع دوائر الخير مقابل دوائر الشر.

٣. التعاطي الإيجابي مع هذه الأحوال، والحذر عند إيقاع عقوبات عليها، فليس علاجها تنفيذ العقوبات فقط، بل قد يكون التغاضي والعفو والصفح علاجا أيضا، كما يبينه قوله: {فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} التغابن:١٤، فالحذر هو المطلوب الأقوى في هذا الموقف ولذلك أمر به وحظ على المسامحة في العقوبة، لأن الحذر يقتضي تعاملا خاصا يجمع ولا يفرق، ويقلل فرص الفتنة ولا يزيدها، وفي الجملة تنبيه على إمكان إعادة تأهيل الفاسد ومحاصرة الفساد والتقليل منه وعدم اليأس من الإصلاح.

٤. استحضار عظمة الله في ظل هذه المشكلات، فالتعظيم ينبغي أن يكون دافعا لامتثال هذه الأوامر

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج.١٨، ص ١٤٠، ورضا، تفسير المنار، ج.١٠، ص ١١٦. ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط ، مجمع البحوث، ج ١٠، ص.١٤٥٣.

(٢) التغابن: ١٦

والتصرفات الإيجابية، ثم إن تعظيم الله عند وقوع أي مشكلة يسهّلها ويفتح طرق حلها، وهو ما تشير له الآيات بوضوح، خصوصا قوله تعالى معقبا على الموضوع: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} التغابن:١٨، فهو يقتضي تعظيم الله بمراقبته والخوف منه في كل تلك التصرفات والمعاملات السابقة لهذا التعقيب،(١) ويكون تعظيم الله سبيلا للصلاح والإصلاح في الأسرة.

وفي هذا الاتجاه دعا القرآن أفراد الأسرة إلى أن يكون تعظيم الله هو دافعهم إلى السلوك الصالح في حياتهم، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} التحريم:٦، فالآية تتكلم عن أسرة مكتملة، ينبغي أن تتوقى ما يوجب الهلاك، والوقاية هنا تعني إصلاح النفس والأهل بالتربية والتوجيه والتقويم، والعمل المتواصل لإيجاد الحياة الصالحة.(٢) ولهذه الصورة أدلة كثيرة في القرآن نكتفي منها بما ذكرنا.

– **الصورة الثانية**: التناول الخاص في القرآن، ببيان أن تعظيم الله أساسٌ لحل كل مشكلة على حِدة، من جهة أنه ينبغي أن يكون تعظيم الله دافعا مبدئيا للصلاح والإصلاح، ومن جهة أنه ينبغي أن يكون أساسا لمعالجة المشكلات أيضا، والبيان القرآني في هذا يأتي إما تعقيبا عموميا على حيثيات المشكلة، وإما بيانا سياقيا محددا في اتجاه محدد، مما يدل على ضرورة أن يكون تعظيم الله هو محور تلك المعالجات، سواء من أفراد الأسرة، أو من المتدخِّلين بالحلول والمعالجات من خارجها.

ومن هذه الصورة ما ذكرتُه سابقا في أثر تعظيم الله في إنشاء الأسرة وتكوينها، ومنها أيضا: ما ذكره القرآن من مشكلات أسرية وبيّن أن تعظيم الله هو أساس معالجتها وحلها، وإليك بعض أمثلة تلك المشكلات وتصور معالجتها في القرآن باختصار:

١. مشكلة النشوز: فقد أرشد القرآن إلى أن تعظيم الله هو الإطار الذي ينبغي أن يكتنف حلّها، يقول تعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً} النساء: ٣٤، فالحل يتدرج في إطار تعظيم الله تعالى، الذي ذُيلت الآية بالتذكير به (إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً)، أي: من أراد أن يعلو على غيره بما أوتي من قدرة ليتذكر عظمة

(١) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج. ٨، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م. د ط. ص. ٢٠٧.

(٢) انظر: الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، ج. ٦، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، ط١. ص. ٢٦٥.

الله وأنه أعلى منه وأكبر،[١] وبالتالي فتعظيم الله إذا حصل هنا سهُل الحل والعلاج.

وفي نشوز الرجل يقول تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} النساء :١٢٨، فالإحسان في المعاملة واتقاء الخلاف أو اتقاء معصية الله مظهران لتعظيم الله في الاستجابة لما أرشد إليه، وقوله: (فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)، فيه ترغيب وتحذير يبعث على العدل والإحسان، ومعرفة أن الله خبير بخفايا الأعمال والتصرفات يوحي بعظمة الله التي ينبغي أن تكون دافعا لقبول الصلح.

٢. عند اشتداد الخلاف والشقاق بين الزوجين، يبرز تعظيم الله أساسا ضروريا في معالجته، كما في قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً} النساء: ٣٥، ففي تذييل الآية بقوله: (إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً) وعيد للزوجين وللحكمين يحمل على سلوك طريق الحق، اتباعا لأمر الله وتحققا بتعظيمه.[٢]

٣. في قضية الطلاق، ينبغي أن يكون تعظيم الله حاضرا أيضا لضمان الاستقامة على العدل والحق حال الاستمرار في الحياة الزوجية أو انقطاعها، يقول تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ. إلى قوله. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} البقرة:٢٣١، وفي قوله: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أبلغ وعيد وتخويف من الله إذا خولفت أوامره ونواهيه، وفيه إرشاد إلى التحقق بتعظيم الله تعالى من خلال السلوك الصالح الذي يرتضيه الله، فالتعظيم هو الدافع إلى الرضا بالحلول التي شرعها الله.

ولما كان الخوف من المستقبل ونحوه قد يحمل الزوجين أو أحدهما على الظلم والتعدي حال الطلاق، فقد ذكّر القرآن الزوجين بأن تعظيمهما لله تعالى موجب لصلاح أحوالهما حتى فيما بعد الطلاق، يقول تعالى: {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعاً حَكِيماً} النساء:١٣٠.

ففي هذا تنبيه من الله لخلقه عند موضع الرهبة من الفراق أن يفزعوا إليه سبحانه، فهو عظيم يملك الأشياء

(١) الجزائري، جابر موسى عبدالقادر، أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج. ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ط. ٥. ص. ٤٧٤.

(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج. ١٠، ص. ٧٥.

كلها،[١] يغني كل واحد من فضله الواسع، فينبغي أن يقدره الزوجان حق قدره ولا يؤسسان لمشكلات تلحق الطلاق والفراق.

وفي سورة الطلاق ربطت قضايا الطلاق بتعظيم الله بوضوح، في سياق السورة كلها، ففيها الكثير مما يشير لعظمة الله، من أول قوله: (واتقوا الله ربكم) الطلاق:١. إلى أن عقب في نهاية السورة ببيان عظمة الله، بقوله: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} الطلاق: ١٢. وهذه الآية واضحة في بيان عظمة الله وقدرته.

وذِكر تعظيم الله تعالى في ثنايا السورة فيه: تأكيد وجوب تقوى الله وحرمة تعدي حدوده،[٢] وإبراز ضمانات تنفيذ شرائعه في علاج قضايا الطلاق وغيرها من قضايا الأسرة،[٣] وليتبين أن مقتضى هذه العظمة هو الدفع إلى تنفيذ تشريعاته وعدم تعدي حدوده، في شؤون الأسرة خاصة أو في عموم الحياة.

٤. وفي قضية اللعان نجد أن حلها مرتكز على تعظيم الله وإجلاله كذلك، من خلال شهادة المتلاعنين، التي تثير خوف الله في النفوس، ومن خلال الإجراءات التي تتخذ عند تنفيذ الحكم ومن مخاطبة المتلاعنين بما يثير فيهم تعظيم الله تعالى، ليكون حافزا لتوخي الحق وعدم الظلم،[٤] ولئلا يكون اللعان سببا لمشاكل أخرى.

٥. وفي قضية الظهار، يتخلل الآيات لفت النظر إلى تعظيم الله في امتثال الحكم، {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها..، ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا} المجادلة: ١. ٥.

٦. وفي سورة التحريم: يتبين مدى أهمية تعظيم الله في حل المشكلات الأسرية، فمطلع السورة يتحدث عما وقع بين النبي ﷺ ونسائه من مشكلة أسرية، وترشد الآيات إلى أن تعظيم الله هو الذي يُعوَّل عليه في حل مثل هكذا قضايا: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، إلى قوله: {وصالح المؤمنين} التحريم: ١، ٥، ففي

(١) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، ج. ٣، ص. ٣٣٧.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج. ٢٨، ص. ٣٣٩.

(٣) حوى، الأساس في التفسير، ج. ١٠، ص. ٥٩٨١، ودروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، ج. ٨، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. ١٣٨٣ هـ، د ط. ص. ٣٣٣.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج. ٦، ص. ١٣.

هذا الموقف الأسري إرشاد إلى اتباع أمر الله والاستناد إلى تعظيمه، فيكون ذلك دافعا إلى الحق والقسط وعدم التعدي والظلم من أطراف المشكلة كلهم.

٧. وتعظيم الله هو مناط صلاح ما بين الأولاد، وما بين أفراد الأسرة جميعا، حيث إنه يؤدي إلى توخي العدل وقيامه بينهم، وقد جاء نظام الميراث في القرآن معززا لصلاح الأسرة بما أحاطه الله به من التركيز على تعظيم الله من خلال التأكيد على وجوب تلقي أحكامه بالقبول والاتباع، فأحكام الميراث كلها أسندها العلي الحكيم لنفسه، فابتدأ آياتها بوصية منه بقوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} النساء:١١، وختمها بأن الميراث كله وصية الله تعالى وأنه من حدود الله التي ينبغي تعظيمها، فقال تعَالى: {وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} النساء:١٢- ١٤،[١] ويؤكد هذه المعاني حديث النُّعْمَان بنَ بَشِيرٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيﷺ قال لوالده وقد أعطاه ما لم يعط إخوته: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعدِلُوا بَيْنَ أَولاَدِكُمْ».[٢]

٨. وفي قصة هابيل وقابيل نجد أن تعظيم الله هو الذي أخذ على يد هابيل فلم يبسطها إلى قابيل بالسوء، كما قال تعالى: {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} المائدة: ٢٨، ولو كان ذلك التعظيم موجودا في نفس قابيل لما بادر لقتل أخيه، ولقد حاول هابيل أن يستحث تعظيم الله في نفس أخيه –كما بينت الآيات– مما يشير إلى أن تعظيم الله يمكن أن يذيب الحقد والحسد من النفوس، ولكن دواعي الفجور عند قابيل كانت أشد من دواعي الخشية، وهذا ربما له أسبابه، وليس هنا محل ذكرها.

٩. وإخوة يوسف عليه السلام كان دواؤهم أن يعظموا الله تعالى، فيفارقوا طبيعة الأنانية التي **يزينها** الشيطان، وتجلّى هذا عندما سلموا أمرهم لله، فقالوا: {تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ}

(١) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج. ٤، ص. ٢٠٠٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، (صحيح البخاري) الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ج. ٣، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ط١. ص. ١٥٨، رقم: ٢٥٨٧.

يوسف:٩١، وعندما عظموا حق أبيهم الذي هو من تعظيم الله، فقالوا: {يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} يوسف:٩٧، وقبل هذا كان يوسف قد أعطاهم درسا في ثمرة تعظيم الله، كما بينه قوله تعالى: {قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف:٩٠، فانظر كيف أن الذل لله والتسليم له وتعظيمه هو أساس صلاح الحال، والله لا يضيع أجر من يتقيه ويخافه.(١)

١٠. وفي قضية طاعة الوالدين عموما نجد أن البر بهما هو وصية الله للأولاد في أكثر من آية، وتلك الوصايا تضمنت تعظيم الله من جهتين: الأولى: من حيث إن وصية الله يجب أن تؤخذ في الاعتبار؛ فمصدرها الله الذي ينبغي تعظيمه وعدم التساهل في وصيته. والثانية: أن في تلك الوصايا تنبيها إلى أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه شديد العقاب، وفي هذا دافعٌ إلى مراقبة الله في التعامل بالبر والرحمة مع الوالدين.(٢)

وهكذا نجد أن حلول المشكلات الأسرية ترتبط بتعظيم الله، من خلال بيان مقتضى ذلك التعظيم في كل مشكلة، ووجه التعظيم مذكور بصور عديدة مناسبة لسياق كل مشكلة، كما قد تبيّن.

(١) انظر: ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، ج. ٢، القاهرة، ١٤١٩ هـ، د ط. ص. ٦٢٤ز (٢/ ٦٢٤) و الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج. ١١، ص. ٧٠٦٢.

(٢) انظر: السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ط ٣. ص. ١١٨ز

المبحث الرابع: أثر تعظيم الله في بناء العلاقات الأسرية الصالحة في ضوء القرآن

أولا: أثر تعظيم الله في صلاح العلاقات بين أفراد الأسرة:

تضمنت التشريعات الإسلامية قواعد عديدة لضبط العلاقات الاجتماعية، سواء على مستوى الأسرة أو على المستوى الاجتماعي العام، تتمثل تلك القواعد في الضوابط التشريعية والأخلاقية والسلوكية وغيرها...، وهذه الضوابط ضرورية لتسيير الحياة، ولكن الأهم من ذلك هو الالتزام بهذه الضوابط، وهو على المستوى الفردي والأسري آكَد؛ لأن هذا المستوى مما يصعب معرفة أبعاده أو اطلاع الناس عليه، ولذلك فإن القرآن يؤكد دائما في التشريعات الأسرية على مراقبة الله تعالى وتعظيمه وتقديم مرضاته قبل كل شيء، ليستحث الضمائر أولاً فتترسخ تلك الشرائع في النفوس قبل الواقع، وفي هذا الإطار أوضح القرآن جملة من الأسس التي تصلح بها العلاقات في الحياة الأسرية في ضوء تعظيم الله تعالى، منها الأسس الآتية:

١. قيام العلاقات الأسرية الإيجابية على أساسٍ من الدين الحق، ويتجلى ذلك في تقديم مقتضى الدين على هوى النفوس، وفي القرآن مواقف عديدة تبين أن الدين أساس مهم في صلاح العلاقات الأسرية، كما في قصة إبراهيم مع أبيه، وقصة نوح مع ابنه وزوجته الكافرين، وقصة لوط مع زوجته الكافرة كذلك، وكما في قوله تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا..} الأحقاف:١٧، فهذا الشخص علاقته بوالديه غير صالحة، والسبب هو أن دينه غير دينهم، وفي مقابل ذلك الولد الصالح في الآيات السابقة لهذه الآية في السورة، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"،[1] وهذا يعزز ضرورة صحة الدين والتدين لتأسيس حياة أسرية صالحة.

٢. تربية الأسرة على تعظيم الله والخوف منه في السر والعلن، وعلى صلاح العقيدة، وفي القرآن بيان أن ذلك هو أساس القيَم السلوكية الصالحة، كما في قوله تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} النساء:٣٦، ففي الآية جملة من الأمور مترابطة تؤدي إلى صلاح الحياة، فإذا أدى المرء حقوق الله وصحت عقيدته، صلحت أعماله، وقام بحقوق والديه، وصلُح البيت وحسُن حال

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج ٧، ص ٧، رقم: ٥٠٩٠

الأسرة.[١] وصلاح الأسرة هنا يتأتى من احترام الدين وتعظيم الله سبحانه، فذلك له تأثير مباشر في سلوك الفرد المسلم والمجتمع، وفي هذا الإطار يأتي قول الله تعالى: {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً} الإسراء:٢٥، حيث جاء في سياق الحديث عن أداء حقوق الأقارب، وفيه تنبيه إلى أهمية تعظيم الله فهو مطّلع على دخائل النفوس والنيات، وعليه فينبغي تعظيمه في التصرفات داخل الأسرة.[٢] ومنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ..}[٣]، وقد ذكرت مفهومه سابقا.

٣. رفع مستوى الوعي بقداسة العلاقات الأسرية، أسوة بأسلوب القرآن الكريم الذي احتفل بهذه العلاقة الإنسانية كثيرا ورفعها إلى مستوى وصلها بالله تعالى، كما يتضح من سياقات القرآن، في سورة البقرة والنساء والطلاق وغيرها. ولأن العلاقات الأسرية تبنى على القلوب، والقلوب لَا يطهرها إلا تقوى الله التي هي البلسم الشافي من الشح النفسي كله.[٤] وهذا يتأتى من خلال برامج مكثفة ومستمرة في التوعية والتربية.

٤- ضرورة التوازن في العلاقات الأسرية، فأفراد الأسرة في النهاية بشر لهم تطلعاتهم وهمومهم الشخصية، ويتأثرون بالمتغيرات، وفي هذا المنحى نجد الآيات الأخيرة من سورة التغابن تركز على تهذيب العاطفة وتوجيه العلاقات الأسرية الوجهة السليمة، على أساس من التوازن المستجيب لأمر الله وتعظيمه، حتى يتم تجاوز الفتن وتُحفظ الأسرة من الفساد، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} التغابن:١٤، إلى نهاية السورة، فالآيات تبين أن المشكلات قد تحدث في الأسرة، وتبين طريقة التعامل مع مثل هذه المشكلات، وقد ذكرتُ ذلك سابقا، وأضيف هنا أن هذه الآيات وجهت إلى ضرورة التوازن في العلاقات الأسرية، وأشارت إلى وسائل علاجية نافعة في بعض المشكلات أكثر من غيرها، مع ربط ذلك بالله تعالى: {عَالِمُ

(١) المراغي، تفسير المراغي ج. ٥، ص. ٣٥. وانظر: المزيد، تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» ص. ١٢٣.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ج ٥، ص. ٦٩. والناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج. ٣، ص.٣٨٧.

(٣) االتحريم:٦

(٤) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج. ٤، ص. ١٨٨٣.

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} التغابن:١٨، وفي هذا الجانب أيضا يحفل القرآن بمعاني الحرص على سلامة الأسرة وتأكيد المودة والإحسان والصبر والتسامح في المعاملة الأسرية، من ذلك قوله تعالى: {وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} النساء:١٩.

٥ـ قيام العلاقات الأسرية على حقائق الشرع السليمة والتزام حدود الله فيها، كالتزام العدل، والبعد عن تعاطي المؤثرات السلبية على الأسرة واستقرارها، كما يشير له قوله تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} الأحزاب: ٥، وقوله: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} الأنفال: ٧٥.

٦. وقوله: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ..،.. وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} البقرة: ٢٢٩، ٢٣٠، ومن هذا الجانب أيضا: ضبط العلاقات الخاصة، كما يشير له قوله تعالى: {فاعتزلوا النساء فِي المحيض} البقرة:٢٢٢، إلى ضبط العلاقة الجنسية بين الزوجين، ومن هذا أيضا: حماية الخصوصيات في الأسرة، كما في سورة النور، خاصة في الآيتين: ٣١، ٥٨، اللتان تتحدثان عن ضوابط الزينة والاستئذان، وكل ذلك من تعظيم حرمات الله التي تحمى وتصلح بها العلاقات الأُسَرية.(١)

ثانيا: أثر تعظيم الله في صلاح العلاقات الاجتماعية عموما:

المجتمع مكون من أسر، وعليه فإن صلاح الأُسَر ينعكس على صلاح المجتمع، هذا أولاً، ومن طبيعة الحياة أن تحدث مشكلات اجتماعية تؤثر على العلاقات سلبا، والإسلام يحرص على استمرار صلاح العلاقات الاجتماعية، ومن هنا فإن القرآن الكريم – في مواضع عديدة – أرشد إلى دعائم استمرار صلاح العلاقات الاجتماعية ودوامها، وبين أن ذلك مرتبط بتعظيم الله تعالى، فهو الأساس الذي تقوم عليه دعائم صلاح الحياة في كل المستويات، ومن هذا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} النساء:١، فهذه الآية تؤكد أن تعظيم الله وتعظيم حرماته هو الذي يمكن أن يؤسس لعلاقات صالحة بين أبناء المجتمع؛ حيث إن تعظيم الله يترتب عليه خضوع لأمره واجتناب لنهيه، ولقد جاء الأمر بالتقوى للناس جميعا بصورة مؤكدة تبين أن أول حلقة وصل بين الناس هي واحدية الرب، ثم

(١) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج. ٢، ص. ٩٧٨، ج.١٧، ص. ١٠٣٣٠.

وحدة أصلهم الإنساني، ثم اتفاقهم على تعظيمهما، وذلك ينبغي أن يكون مقتضيا لوحدة دوافعهم وغاياتهم، فتسير الإنسانية في طريقها الذي رسمه رب العالمين بمقتضى الفطرة، والتقوى في هذا المقام تعني: أن يتّقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم،[١] وبذلك صلاح أحوالهم كلها.

وينبغي استمرار هذه العلاقات على أساس تعظيم الله حتى مع العدو، كما يبينه قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} المائدة:٨، فأساس العلاقات الإنسانية العامة: العدالة، كمقتضىً للقيام بحق الله وتقواه وما يقرب منها.[٢]

وفي هذا الاتجاه يبين القرآن أن الثمار الإيجابية للعلاقات الاجتماعية ترتبط بتقوى الله ومخافته، في المستويات كلها، فيقول: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} المائدة:٢، وبهذا أيضا تتعزز الأخلاق الفاضلة وتنحسر السلوكات الفاسدة،[٣] وتحفظ الحقوق وتصان النفوس والأعراض والأموال.

وعند فساد العلاقات نجد القرآن يجعل تعظيمَ الله أساسا لإصلاح ذات البين، فيقول: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} الأنفال:١، فمساق الآية يبين أن تعظيم الله منطلقٌ لقبول أمره والحذر من مخالفته في كل حال،[٤] وهذا ما يؤكده قوله تعالى في نفس السياق: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً} الأنفال: ٢، فهذا الذكر أو التذكير بالله وآياته يراد به استثارة تعظيم لله في النفوس، وذلك له أكبر الأثر في انصلاح ذات البين وصلاحه.[٥]

وإذا كان تعظيم الله هو أساس الصلاح فإنه ينبغي أن يكون أيضا أساسا للإصلاح، فالمصلح الحق دافعه

(١) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج. ٣، ص. ١٥٧٤، ١٥٧٥، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج. ٢، ص. ٦٨١، باختصار وتصرف

(٢) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج. ٤، ص. ٢٠٦٢.

(٣) انظر: المزيد، تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» ص. ١٢٤.

(٤) انظر: العمادي، إرشاد العقل السليم، ج. ٤، ص. ٣.

(٥) انظر: المزيد، تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» ص. ١٢٤.

وضابط سعيه في الإصلاح هو تعظيم الله، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} الحجرات:١٠، والمعنى: فأصلحوا بينهما، وليكن رائدكم في هذا الإصلاح وفي كل أموركم تقوى اللَّه وخشيته والخوف منه.[١] ومما يؤكد ضرورة رعاية تعظيم الله في الإصلاح: التنبيهُ إلى أن أعمال البر والإصلاح ينبغي أن لا تخرج عن إطار تعظيم الله، يقول تعالى: {وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} البقرة:٢٢٤، فمن المعنى الظاهر لهذه الآية: التنبيه إلى أن يراعي الإنسان عظمة الله تعالى فلا يكثر الحلف به في كل أمر[٢] والحكمة في الأمر بتقليل الحَلف بالله تعالى: أنّ كثرة الحلف بالله في كل شأن تنافي تعظيمه سبحانه. [٣]

ومن هنا ندرك أن القرآن جعل صلاح العلاقات الأسرية والاجتماعية وحل مشاكلها كلها مرتكزة على تعظيم الله تعالى، بما يكفل الاستقرار الأسري والتقليل من الآثار السلبية للمشكلات.

(١) الزحيلي، التفسير المنير، ج. ٢٦، ص. ٢٣٩.

(٢) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج. ١، ص. ٣٠٠.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج. ٢، ص. ١٢٩.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

أولا – النتائج:

١. تعظيم الله هو: أن يعظِّم الإنسانُ ربَّه في نفسه تعظيما يرتكز على المعرفة به، فيمتلئ قلبُه من إجلال الله ومهابته وحبه، ويكون ذلك باعثا على حُسن الأعمال ودوام المراقبة في كل الأحوال.

٢. تعظيم الله في الأساس هو شعور قلبي قائم على الإيمان.

٣. يعرض القرآن مبدأ تعظيم الله في إطار صلاح الحياة الأسرية، بصور عدة، منها: التذكير بعظمة الله من خلال أسمائه وصفاته والإشارة إلى قدرة الله وجبروته، والإشارات الكونية وبيان أسرار قدرته وملكوته، والتخويف من الله وبيان اطلاعه ورقابته على كل شيء، واستثارة كوامن التقوى وموجبات الإيمان والتحذير من تعدي حدود الله، والتوجيه إلى إيثار ما عند الله فهو صاحب الفضل، وغير ذلك من الصور.

٤. لم ترد لفظة الأسرة في القرآن، ولكنه جاء بما يدل عليها من الألفاظ.

٥. الأسرة في مفهومها المباشر في القرآن يراد بها: العائلة الواحدة، (الرجل وزوجته وأولاده).

٦. النجاح والصلاح الأسري مترابط الأسس، وتعظيم الله يقوم عليه النجاح في إنشاء الأسرة وتكوينها، والنجاح والصلاح في الحياة الأسرية عموما، بل في استمرار صلاح الحياة الأسرية دائما.

٧. أساس المشكلات الأسرية، عموما: الانحراف عن مقتضيات تعظيم الله تعالى تسليما وتطبيقا، وأصل علاج المشكلات الأسرية: هو التزام مقتضيات تعظيم الله تعالى والعمل بموجبها في شؤون الحياة الأسرية.

٨. من آثار تعظيم الله تعالى في الحياة الأسرية: أداء الحقوق والواجبات على الوجه المطلوب، على مستوى التدين والتعاملات الحياتية، والتربية على الأخلاق الكريمة والسلوك الإيجابي الفاعل والتطهر من المفاسد والسلبية، وقيام علاقات إيجابية بين أفراد الأسرة وبينهم وبين غيرهم.

٩. من آثار تعظيم الله في العلاقات الاجتماعية: غلبة الخير والصلاح والأمن وتقلص الشر والفساد والخوف، وحفظ النفوس والأعراض والأموال، وشيوع التكافل والتسامح والمحبة والأخلاق الفاضلة، وبالتالي قلة المشكلات وسهولة معالجتها، وتفرغ المجتمع للعمل والإنتاج، وتعزيز قوة المجتمع وانحسار مكامن ضعفه.

ثانيا – التوصيات:

. يوصي الباحث: بالبحث حول وسائل تنمية تعظيم الله في نفوس الناشئة والكبار.

. ويقترح على المؤسسات ذات العلاقة أن تقوم بعمل برامج عملية ونظرية تستهدف رعاية الأسرة وتنميتها نظريا وعمليا، وتكون تلك البرامج مرتكزة على تعظيم الله والخوف منه.

المصادر والمراجع

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٢ هـ، ط١.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة، المغرب، ١٩٩٧م، ط١.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م، ط٣.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ، د ط.
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ، د ط.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ط١.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب،٢٠٠٢ م، د ط.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ، ط١.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣.
- أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر. دمشق، ١٤٠٨ هـ ، ط١.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي. د ت، د ط.
- الأزهري، محمد أحمد، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط١.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (صحيح البخاري) الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ط١.
- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم

والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ط ٥.
- الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة. د. ت، د ط.
- الرازي، محمد بن عمر، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ط١.
- الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ، ط٢.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨ هـ، ط٢.
- السايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م، د ط.
- السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٨هـ، ط ٣.
- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، د ط.
- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م. د ط.
- العمادي، محمد بن محمد مصطفى أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د ت. د ط.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ، ط١.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، ط٢.
- المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م، ط١.
- المزيد، أحمد عثمان، تعظيم الله جل جلاله "تأملات وقصائد" مدار الوطن للنشر، الرياض، ، ١٤٣٢هـ، ط١.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مطابع دار الصفوة، مصر، دار السلاسل، الكويت، الوزارة، ١٤٢٧ هـ، ط٢.
- الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ ، ط١.
- جبريل، حياة محمد، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، عمادة البحث العلمي بالجامعة

الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط ١.

- جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م، ط١.
- حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٤هـ، ط ٦.
- دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. ١٣٨٣ هـ، د ط.
- درويش، محي الدين أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص، سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ١٤١٥هـ، ط ٤.
- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، د ط.
- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٨م، ط١.
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨ م، ط١.
- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) ط١.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الدلالة المُوَلَّدَة (دراسة تطبيقيَّة على معجم المنجد للمعلوف)

د. أيمن بن عبدالرحمن بن محمد الغامدي[١]

الملخص:

ما زلنا نرى أنَّ اللغة المولدة تحتاج إلى دراسة شاملة مستقلَّة لكل مولَّد على أي مستوى من المستويات اللُّغَوِيَّة، تختص هذه الدراسة به وحده، محاولة رصد البدايات الأولى له، لكنهم قد اهتموا بالكلمات المولَّدة ضمن اهتمامهم بمعاجم اللغة العربية الحديثة، ولم يجدوا دافعًا لهذا النوع من الدراسات المتخصصة إلى حد كبير إذا قوبلت بالمعاجم اللفظية العامة؛ إذ إنَّ الأخيرة أوسع المصادر اللغوية انتشارًا بين طلاب العلم، وفي المدارس، وأعمها نفعًا، ولاهتمامي بمثل هذه الدراسات المتخصصة في اللغة العربية آثرت أنْ يكون بحثي في الدلالة المُوَلَّدة في عربية اليوم، فوقع اختياري لمعجم حديث عُني صاحبه بالمولَّد عناية كبيرة، بل يُعدُّ من أكثرهم ذكرًا للمُوَلَّد، واهتمامًا به، وهذا المعجم هو (المنجد في اللُّغَة)، للمؤلف لويس المعلوف، فالمطَّلع فيه يجد في كل صفحة من صفحاته الكثير من المُوَلَّد في اللفظ، أو في المعنى، أو فيهما معًا فآثرته على غيره، فاهتممت بدراسة الدلالة المُوَلَّدَة دراسة تطبيقيَّة في (المنجد في اللُّغَة)، ومن الله العون، وعليه التكلان.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، العَامِّيَّة، المُوَلَّدة، المنجد، الاقتراض.

(١) وزارة العدل ، المملكة العربية السعودية

Abstract:

Still, the evolved language needs a comprehensive and independent study for each evolved lexeme at any of the linguistic levels. The main aim of the present study is to observe the first beginnings of such gradual evolution since the lexicographers of modern Arabic dictionaries are not interested but in the evolved linguistic items. Nor do they find a motive for such specialized studies to a large extent if compared with general dictionaries of vocabulary. The latter are the most widely spread linguistic sources among scholars and learners .

The study focuses on the evolved significant meaning in the Arabic language at present. A modern dictionary whose author is concerned with that gradual change in language structure is chosen: Luwīs Macluf's Al-Munjid fī al-lughah. Each page has a lot of evolved items —a word, or meaning, or both. The study then tackles the evolved meanings semantically and practically .

Keywords: semantic, colloquial, evolution, al-Munjid, borrowing**.**

المقدمة

إنَّ الحمد الله، نحمده أنْ أنزل القرآن الكريم باللغة العربية، وجعله هاديًا للناس، وجعل آياته بينات، فحفظ بفضله العربية، وجعلها خالدة بخلود القرآن، والصلاة والسلام على البشير النذير، صلَّى الله عليه ما تدفَّقت مياه الأنهار، وما فاح شذا الأزهار، وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد: فإنَّ لغتنا العربية لغة حيوية، مرتبطة بالمجتمع رقيًّا، وانحطاطاً، فهذا هو حالها، وتاريخها يشهد بذلك، واحتكاك اللغات يؤدي حتمًا إلى تداخلها، وأيّ لغة متقدّمة متطوّرة مادامت تحتك بغيرها لا تتوقّف عند ثروتها اللغوية الأصلية، فهي كما تؤثِّر في غيرها تتأثر هي بغيرها، ولغتنا العربية ليست بعيدة عن هذا القانون (التأثّر والتأثير)، لما فيها من خصائص قوة، أهمها: خاصية التوليد، فبها يكثر رصيدها الكلامي والدلالي، وكان من أهم ميزات التوليد أنه دائمًا يعمل على مراعاة أصولها، وقوانينها في بنائها الصرفي وبذلك يمكِّنها من البقاء و الاستمرار، ويحفظ سهولة ألفاظها، واطراد أوزانها، والعربية –وإن حافظت قدر المستطاع على ذلك عبر تاريخها–نظرًا لاحتكاك العربية اليوم احتكاكًا مباشرًا بحضارة أوروبا في كل شؤون الحياة، وفي كثير من الصناعات المادية خاصة في عصر العولمة الجامحة الذي نعيشه اليوم، فلم يمكن أن تحافظ على الموروث عن أسلافنا، فقد ظهر قالب جديد من التوليد مع ألفاظ الحضارة الجديدة، خاصة الألفاظ الدالّة على المصطلحات العلمية، أو الفنيّة، هذا القالب يجعل الكلمات المولدة تخالف أصول العربية، ومن هنا تبدو أهمية موضوع البحث، فإنَّ التّوليد في لغة الحاضر ليس كسابق عهده عند المتقدمين من علمائنا، فهو لا يراعي قانون كلماتها، ولا أوزانها، ولا نظام بناء حروفها، ومما يؤسف له أنَّ هذا المولد تسرَّبَ إلى لغة الحديث وشاع على الألسنة، وفي لغة الكتابة أخذ مكانه منها، الأمر الذي ينبغي أن يدفع بالأبحاث اللغوية اليوم إلى أن تتجه لهذا النوع من المولَّد، للوقوف ضد هذا الغزو اللغوي، والتجرد للدفاع عن لغتنا سليمة نقية، فهذا الخطر يداهم اللغة العربية اليوم، ولا نسلِّم بالتوليد بأنه استحداث أوزان، وكلمات جديدة، لها أصول عربية، أو مقيسة على العربية، بل لابد أنْ يرتبط هذا الجديد بالصّيغ الصرفية، ويخضع لأنواع الاشتقاق فهذا هو المولد الذي نرتضيه، وهكذا أطلق علماء العربية لفظ المولَّد على المحدَث من كلام الناس.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن الدلالة اللُّغَوِيَّة المُوَلَّدَة لكلٍّ من:

– الألفاظ المستجدة، مثل المصطلحات العلمية، أو الكلمات المنقولة من لغة أخرى إلى العربية.

– الألفاظ التي حدث لها تطور دلالي؛ فتغيرت دلالتها القديمة، وأصبحت تدل على معانٍ جديدة، وذلك من خلال معجم (المنجد في اللغة) للويس المعلوف.

أسباب اختيار البحث

ترجع أسباب اختيار معجم (المنجد في اللغة) إلى أسباب عدة، أهمها:

– تقديم المعجم بطريقة سهلة؛ إذ هو مقدم لطلاب المدارس، ودارسي اللغة العربية؛ فلا يستطردُ في شرح الكلمات، إنما يعرضها بإيجاز مع توضيح المعنى، وكذلك الاستعانة بالصور الكثيرة التي تعين الطلاب على فهم المراد، وتبسيط المعنى.

– اهتمام المؤلف باللغة المولدة، والكلمات العامية السائدة على ألسنة الناس، والكلمات الأجنبية في اللغة الحية المستعملة.

– نسبة المؤلف للكلمة المولدة إلى أصلها الذي انتقلت منه، مستعينًا بمعرفته بكثيرٍ من اللغات الأجنبية.

– شهرة المؤلف؛ إذ إنه أحد الرهبان اليسوعيين، الذين عرف عنهم الاهتمام بلغة القرآن، والتعرف إلى رؤية علماء النصارى عن كل لفظة عربية يتعلق فهمها بمراد القرآن الكريم وبلغته العربية، ورؤيته حول القضايا المعجمية، وهل أثرث فيه إيديولوجيته (النصرانية) أم إنه كان موضوعيًا في تناوله للمعاني الإسلامية التي تبدو أنها من الألفاظ العربية، والذي بدا للباحث أنه يجب على القارئ ألا يسلم بكل ما ورد في دراسات غير المسلمين عن لغة الإسلام، ويجب أن نتعقب نتائجها، ونتفرسها، ونصوبها بما يتناسب مع تعاليم ديننا الحنيف.

مشكلة البحث:

من أهم مشكلات البحث أن لويس المعلوف نجد ما كتبه عن اللغة المولدة يمثلها في أيامه، –ولد سنة (١٢٨٤هـ) وتوفي: ١٣٦٥هـ= ١٩٤٦م)– ونحن اليوم في بداية القرن الحادي والعشرين فقد لاحظت أنَّ

بعضًا مما ذكره المعلوف قد تطور، وبعضها قد مات، وبعضها لا يمكننا التثبت منه، لأنها كانت لغة الفترة التي عاشها، وأيضا بعض المولد كان يختلف من بلد إلى بلد من بلدان العالم العربي، ومن المشكلات أيضًا أنَّ المصطلحات التي تخص الكنيسة ليس لها تعريف ثابت في اللغة، لكننا نأخذها عنه من قبيل المسلمات، ولا نملك الرد عليه من خلال ما كتبه؛ لأنها مصطلحات ليست من تراث العربية الفصحى.

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج الوصفي الذي يعتمد على تحليل كلمات البحث، ووصف الصورة النطقية التي عليها، ثم حاولت تفسير أسباب التطور، وعوامله في الكلمة، ومعرفة ما إذا كانت الدلالة في اللفظ، أو في المعنى أو فيهما معًا، وبيان أصالة الكلمة المولدة اللفظ أو المعنى في العربية، أو أنها مقترضة من لغات أخرى، ولا مانع من الركون إلى المنهج التاريخي متى احتاجت الظاهرة لذلك.

حدود البحث:

الدلالة في البحث هي الدلالة المولدة من خلال معجم المنجد في اللغة، وذلك بدراسة نماذج تطبيقية منه تشمل الدلالة اللفظية، والدلالة المعنوية، وفيهما معًا، ومما ينبغي أن أشير إليه هنا أنني لن أستوفي كل ما جاء من الدلالة المولدة في معجم المنجد؛ لأنها أكثر من أن يحاط بها في بحث كهذا، فهي تحتاج إلى دراسة أوسع وأشمل ليتمكن الباحث من الحكم لصالح المعلوف أو عليه، ومن ثم ستكون النتائج على قدر النماذج المدروسة في البحث، وهذه مشكلة عامة تقابل الأبحاث التي تتناول ظاهرة تتصف بالعموم فيأخذها من خلال نماذج محددة، لكن سأحاول استقراء كثيرٍ من النماذج التي وردت في المعجم.

الدراسات السابقة:

ثمة دراساتٌ كثيرة اهتمت بالكلمة المولدة في اللغة العربية، منها –على سبيل المثال–:

– أ.د.عبدالرازق بن فرَّاج الصاعدي: مفهوم المولد في اللغة وصناعة المعجم، مجمع اللغة العربية الافتراضي، الشبكة العنكبوتية، ديسمبر، ٢٠١٧م.

– مرزوقة: الألفاظ المولدة في المعجم الوسيط (دراسة وصفية تحليلية)، كلية العلوم الإنسانية والثقافية، الجامعة الإسلامية الحكومية مالانج، ٢٠٠٨م.

– أما فيما يخص معجم (المنجد في اللغة) للويس المعلوف، فلم يجد الباحث دراسةً عُنيت بالتوليد

الدلالي في هذا المعجم محل البحث.

– إلا إنَّ هناك دراسات عُنيت بالجهود اللغوية للآباء اليسوعيين – الذين منهم (لويس المعلوف)، ومنهجية معجمه، وهي–بحسب اطلاع الباحث:

– محمد طبراني: منهج معجم المنجد في اللغة والأعلام للويس معلوف؛ دراسة في ترتيب المداخل، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا، ٢٠٢١م.

– أسماء فتحي السيد كشك: البحث اللغوي عند الآباء اليسوعيين، دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٢١م.

تقسيم البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس فنية، ففي المقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع ودوافعه، وأهم مشكلاته، ومنهجي فيه، وفي التمهيد ذكرت تعريف الدلالة المولدة، وبينت أنَّ أكثر ما يكون التوليد فيه الجانب الدلالي، والجانب الصرفي، وأما في المبحث الأول: كان الكلام عن (معجم المنجد في اللغة)، وعن مؤلفه (لويس المعلوف)، وبينت ما اختص به الكتاب من الاهتمام باللغة المولدة بصورة واضحة، وما تميز مؤلفه من بين علماء المعاجم المحدثين، وبينت مدى اهتمامه بالدلالة المولدة كثيرًا، وإن لم يعرفها، وفي المبحث الثاني: كانت الدراسة التطبيقية للكلمات المولدة، فقد اخترت نماذج من المعجم متنوعة الأبواب، والدلالة المولدة، لأتمكن من خلالها الوقوف على الدلالة المولدة، وإن كنت أطالب بدراسة هذا المعجم دراسة واسعة تشمل دلالة الكلمات الواردة فيه، فإنها تحتاج إلى دراسة تأصيلية، ثم تناولت في خاتمة البحث أهم النتائج التي أرشدتني إليها الدراسة، ثم في النهاية ذيَّلتُ البحث بأهم الفهارس، وفي نهاية الدراسة أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، فإنه ولي ذلك، والقادر عليه، وهو نعم المعين، ومنه تعالى السداد، والصواب والإعانة.

التمهيد:

العربية المعاصرة قيض الله لها في بداية النهضة الحديثة رجالًا من نصارى أمتنا العربية، ومن أشدِّ أنصار الرهبانية، قد كرَّسوا جُلَّ حياتهم وعلمهم لدراسة العربية وخدمتها، فقدموا لها دراساتٍ جليلةً في كل مجالاتها، خاصَّة في مجال صناعة المعجم، فأسهموا بذلك في حفظ لغة القرآن الكريم ولغته، وعملوا على نشر الوعي العربي اللُّغَوِي بثقافاته على نطاق واسع، بدون نظر للعقيدة، ومن هؤلاء: ناصف اليازجي؛ كان يحفظ القرآن الكريم آية بعد آية، وهو عالم نصرانيٌّ، وأيضًا: بطرس البستاني، ولقبه: "المعلم بطرس" وهو أيضًا نصرانيٌّ تعلَّم عدداً من اللغات كالسُّرْيانية واللاتينية والإيطالية، وكان موسوعيًّا، فقد ترجم وألَّف في العديد من الأعمال، فهؤلاء –وغيرهم كثير– اهتموا باللُّغَة العربيَّة وعلومها، وكان من أهم أهدافهم: الحفاظ على الهُوية العربيَّة، وإحياء كلماتها أمام الكلمات الدخيلة، وحلُّ مشكلات المعجم العربي القديم وما فيه من اضطراب، والاستفادة من التقدم الأوربي في صناعة المعجم، وكان الهدف الأولى عندهم والأهم هو النص صراحة على المُوَلَّد والعامِّي الذي كَثُرَ في لغة العصر الحديث، ومن أجل هذه الأهداف كان الاهتمام بالمعجم بالغًا، وكانت صناعة المعجم العربي في مقام مميز.

ومن خصائص العربية المميزة قابليتها لتوليد كلمات جديدة كلما احتاج المجتمع لذلك، فالتوليد هو اختراع كلمات على نسج العربية، وأوزانها، ومن حروفها، وهذا كله بفضل القياس، وللعربية في توليد ألفاظها خصوصيات، وضوابط، لعل من أهمها أنه لابد من مراعاة الأصول النّحوية والصرفية في بناء كلماتها، وحاجة المتكلّمين تقتضي هذا التوليد، وإلاَّ أصيبت اللّغة بالجمود والجفاف، وعدم القدرة على مواكبة ركب الحضارة الإنسانية، ومستجدّاته في كلّ الميادين، والأصل أنْ يجري قياس المولد من الكلام على المنقول الوارد في كلام العرب، ويسمّى القياس الاستعمالي، يقول الأنباري: (القياس حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه)[1] يريد هنا بغير المنقول: كلامنا المستحدث الذي نحاكي به كلام العرب، ويريد بالمنقول: الكلام العربي الفصيح، ومثال ذلك: أننا نقول: صِحافة وطِباعة بكسر الفاء فيها على قياس قول العرب: تِجارة، وزِراعة.

(١) ينظر: ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولُمَعُ الأدلة في أصول النحو، ص: ٩٥– ٩٦.

فكلمة التوليد تأتي بمعنى التحديث، أو مطلق تغيير، ففي المزهر عن ثعلب في أماليه أنَّه "سُئِل عن التغيير: فقال هو كلُّ شيء مولد".(١) وأكَّد هذا الأزهري بقوله: "وإنما سمي المولد من الكلام مولدا إذا استحدثوه، ولم يكن من كلامهم فيما مضى"(٢) ثم يقول السيوطي معقبا على قول ثعلب السابق: "وهذا ضابط حسن يقتضي: أن كلَّ لفظ كان عربيَّ الأصل، ثم غيرته العامة بِهَمْزٍ أو تَرْكه، أو تسكينٍ أو تحريك أو نحو ذلك مولد، وهذا يجتمع منه شيء كثير".(٣) ويقال: "عربيَّةٌ مَوَلَّدَةٌ، ورجلٌ مَوَلَّدٌ، إذا كان عربيًّا غيرَ محض"(٤) فاللفظ المولد هو كل ما أحدث في اللغة بعد عصور الاحتجاج، أو "كل ما نقله المتأخرون من الكلام الأعجمي، وما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، من مثل كلمة (نحرير) قديما، وكلمة (العُجَّة) حديثا طعام يتخذ من البيض، وهو مُوَلَّد(٥). والمُوَلَّد يعني الكلام غير الأصيل في العربية، إذ يقول الزمخشري، ت: ٥٢٨ هـ: "ومن المجاز كلام مولد ليس من أصل لغتهم"(٦). ويقصد به الكلام الذي يشبه كلام ذلك الصنف من الناس ذوي الأصل غير العربي، ومن ثم أطلق على طبقة من الشعراء حملا على هذا المدلول لفظ المولدين وإنما سموهم بذلك لحدوثهم وقرب زمانهم(٧).

واللفظ المولد قد يكون لّفظاً عربياً، له أصل في العربية الفصحى، والذي حدث أنْ تطور معناه عن ذي قبل، غاية ما هناك حدث له تطور دلالي أيا كان سببه، تخلى عن دلالته القديمة، وأصبح يدل على دلالة جديدة في العربية، وقد يكون اللفظ المولد جديدًا ولا يوجد له أصل في اللغة الفصحى، استحدث لدلالة جديدة، وغالبا ما يكون مصطلحا علميا، أو مخترعا من مخترعات العصر العلمية، فهو مولد في الوضع، وفي الدلالة، وسمّي مولّدا لحدوثه، وقرب زمانه، كما أنّه سمّي مُحْدثا لحضور عنصر الزمان في مسألة التوليد

(١) ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج٢٤٨/١، وسلامة، شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، رسالة ماجستير –كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ٢٠١٢ م، ص٣١٤.

(٢) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ١٢٦/١٤، والنص في اللسان، ج٤٦٩/٣، والزبيدي، تاج العروس، ج٣٢٩/٩.

(٣) ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ٢٤٨/١، وسلامة، النص في شرحي أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، ص٣١٤.

(٤) ينظر: الزبيدي، تاج اللغة وصحاح العربية، ج٥٥٤/٢.

(٥) ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١/ ٣٠٤– ٣٠٥، وخليل، المولد في العربية، ص٥٤، ووسائل توليد الألفاظ في اللّغة العربية، ص١٥.

(٦) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ج٥٢٧/٢.

(٧) ينظر: خليل، المولد في العربية، ص١٥٦، وعكاشة، الدلالة اللّفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص٩٢.

اللّغوي؛ فأيّ لفظ تمّ استحداثه، يسمّى مولّدًا.[١]

والدلالة المولدة هي تلك الدلالة المستحدثة حديثاً، صاحبت لفظاً عربياً، والذي حدث أنَّ الكلمة تخلت عن معناها القديم الذي كان لها من قبل، ثم حدث تطور في دلالته بسبب من أسباب تطور الدلالة [٢] أو أنها دلالة جديدة جاءت مع لفظ جديد مستحدث، وهذان النوعان من الدلالة المولدة يكثران في معجم (المنجد في اللغة)، فقد كان كثير الاعتناء باللغة المولدة.

هذا، وللتوليد طرق متعددة منها: ما يكون عن طريق اشتقاقها من أصل عربي، مثل: اشتقاق الكلمة المولدة من كلمة عربية فصيحة، لكن لم يستخدمها العربي قبل ذلك، مثل: كلمة "فِسْقِيَة" تطلق في لغتنا على الحوض المصنوع من الرخام، ونحوه، ويكون مستديراً غالبا، فاللفظة عربية، ولكن كلمة "فسقية" ذات الدلالة السابقة مولدة، والدلالة مولدة.[٣]

ومن التوليد ما يكون عن طريق التعريب: كأن ينقل المولدون إلى اللغة العربية كلمة لغة أعجمية، لم يكن يعرفها أهل اللغة العربية من قبل، فهي معربة، لكنهم يخصونها باسم (مولدة)، للتفرقة بينها وبين الكلمات التي عَرَّبَها العرب أنفسهم[٤]؛ مثل كلمة (ماهية) يراد بها الشهرية أو المرتب الشهري، وهي كلمة منسوبة إلى (ماه) ومعناها بالفارسية: شهر.[٥]

ومن التوليد ما يكون عن طريق أحد علوم البلاغة، كالتشبيه، وغيره، مثل: كلمة (قطائف) عرفها العرب في نوع معين من النسيج يتصف بأنه مخمل[٦] فأطلقها المولدون على نوع معين من الخبز يشبه القطيفة في خمله ولينه، ويصنع منه نوع معين من الحلوى.[٧]

ومن التوليد ما يكون عن طريق التغيير في بنية الكلمة، وهو كثير، وواقع في اللغة قديمًا وحديثًا.

(١) ينظر: عكاشة، الدلالة اللّفظية، ص٩٢. بتصرف

(٢) ينظر: فندريس، التطور اللغوي في الدلالة، وأسبابه: اللغة، ص٣٤٨.

(٣) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ف س ق، ص٧٣٩، والنجار، طرق توليد الثروة اللفظية، ص٩٧.

(٤) ينظر: النجار، طرق توليد الثروة اللفظية، ص٩٧.

(٥) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، باب الميم، ج٢/٩٠٥.

(٦) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج٢/٨٠٠.

(٧) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج٢/٨٠٠.

ومعرفة الدلالة المولدة تتم بطُرق، منها: التتبُّع اللُّغَوِي التاريخي من خلال بحوث خاصَّة، أو النص من قِبَل لُغَويِّين، أو تتبُّعه في المعجمات، والدلالة المُوَلَّدَة إمَّا للفظ له أصل عربيٌّ، مثل: الخُوذة، والقيافة، والكَمَر، والمِنَصَّة، وإمَّا للفظة مُحْدَثة مخترعة مثل: المسدَّس، والأُوْزنيك، فيكون اللفظ والدلالة مولَّدَينِ معًا، ونخلص إلى أنَّ المولد يطلق على اللفظ الذي يختلف عما استعمله العرب، وأكثر ما يكون التوليد في الدلالة والبنية الصرفية، يقول الدكتور عبد الحميد الأقطش: "المتأمل في تقاطع العربية مع التاريخ، يلمح بذور حركة توليدية لغوية، قد لازمت العربية منذ القدم؛ وقد كانت قبل الإسلام حركة بطيئة، تقوم على الاجتهاد الفردي، ودونما استناد إلى أسس نظرية محددة المعالم، ثم إنها بمجيء الإسلام فصاعداً قد اكتسبت عوامل قوة وقدرة، ... لكنها في مجملها تنضوي في مظهرين وهما: التوليد الدلالي، والتوليد الصرفي".[١]

فالأساس في التوليد الدلالي هو خلق معان جديدة، من متون لغوية موجودة أصلاً، بطرق مثل: المجاز، أو الاستعارة، أو الكناية؛ فتنتقل بموجب ذلك دلالاتُ المفردات من مجال دلالي إلى آخر، أو تُضَيَّق دلالاتها، أو تُعَمَّم، أو تنتقل من المحسوس إلى المجرد، أو العكس.[٢]

والأساس في التوليد الصرفي هو: حرية إبداعية في تفعيل النظام الشكلي، المستكن في اللغة ذاتها، بما يؤدي إلى ظهور مفردات جديدة، مستقلة بأبنية صرفية خاصة، ودلالات خاصة أيضا. ويكون ذلك في العربية بطرق مثل: الاشتقاق، والنحت، والتركيب، والاختزال، والقلب المكاني، والإتباع الإيقاعي، فضلاً عمّا يتولد في اللغة من مفردات من جراء مبدأ المماثلة والمخالفة، أو من جراء الاقتراض اللغوي من (المعرّب أو الدخيل).[٣]

(١) ينظر: الأقطش، بتصرف مقال له بعنوان التوليد اللغوي على وزن فَعْلَنَة، في الاستعمال العربي المعاصر، ص٥٢، مجلة الآداب، جامعة منتوري، الجزائر، العدد السابع، ٢٠٠٤ م. طليعة التفكير اللغوي العربي إلى نهاية صدر الإسلام"، ص١٨٦.

(٢) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، بيروت، دار الغرب، ص: ٤٨، والنصراوي، الجاحظ معجمياً، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٨ م، ص١٠٢.

(٣) ينظر: التوليد اللغوي على وزن (فَعْلَنَة)، ص: ٥٣، وابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٨، والنصراوي، الجاحظ معجمياً، ص١٠٢.

المبحث الأول: التعريف بمؤلِّفِ المعجم، والمعجم، والدلالة المولدة:

أولًا: (مؤلِّفُ معجم المنجد في اللُّغَة):

مؤلفه هو راهب نصراني، وأحد أهم النصارى الذين أسهموا في خدمة اللغة العربيَّة، هو: "لويس بن نقولا ضاهر نجم المعلوف اليسوعي ولد سنة ١٢٨٤هـ = ١٨٦٧م في زحلة بلبنان، وهو راهب يسوعي لبناني، وأديبٌ لُغَويٌّ، وأحد الآباء اليسوعيين، سمَّاه أبوه ضاهرًا، ثمَّ حُوِّل بالرَّهبانيَّة إلى لويس، وأمُّه هي مريم إبراهيم فرح، نشأ في أسرة كريمة نابهة الذِّكر، عاف أباطيل الحياة، وكان في سعة من العيش، وبسطة في الجاه، أقبل على علوم اللُّغَة والأدب، وتعلَّم في الكليَّة اليسوعيَّة ببيروت، ونال شهادتها بعد ست سنوات، ثمَّ رحل إلى أوروبا ثلاث مرَّات لاستكمال دراسته العليا، وكان عارفًا بعدَّة لغات: العربيَّة والإنكليزيَّة والفرنسيَّة واللاتينيَّة واليونانيَّة والسُّرْيانيَّة والعبرانيَّة، ولقد طالع كثيرًا من الكتب العربيَّة والأجنبيَّة، وعُهد إليه بتدريس العربيَّة في الجامعة اليسوعيَّة في بيروت، ومن آثاره: المنجد في اللُّغَة، وتاريخ آداب اللُّغَة العربيَّة، وتاريخ حوادث الشام ولبنان من سنة ١٧٨٢م إلى سنة ١٨٤١م، كما نشر كتاب السياسة لابن سينا.[(١)] وقد نال لويس معلوف وسام الشَّرف للاستحقاق اللُّبنانيِّ، وسطعت مآثره العلميَّة والتعليميَّة في أقطار المشرق، ويعد معجم "المنجد في اللُّغَة" أهمها على الإطلاق، وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٨م، وظلَّ يواصل عطاءه إلى أنْ تُوفي ببيروت في عام: ١٣٦٥هـ= ١٩٤٦م[(٢)]

ثانيًا: (معجم المنجد في اللُّغَة):

يعدُّ هذا المعجم أحد أكثر المعجمات العربيَّة الحديثة شهرةً، وتوزيعًا وانتشارًا، حيث صدرتْ له إحدى وأربعون طبعة، وما زال ينتشر، ويطبع إلى يومنا هذا، حتى اشتهر بين طلاب العلم، ودارسيه بجودته وسهولة استعماله، ورُخْص ثَمَنه، ودَعْمه بوسائل الإيضاح المختلفة، طُبِعَ معجم المنجد في بيروت، ويُعَدُّ مَرجعًا مُهمًّا لطلاب المرحلتين: الإعدادية، والثانوية، وتسميته بهذا الاسم تسمية متعمدة، ومقصودة، فكلمة "مُنجِد" اسم فاعل من أَنجد الرباعيّ بمعنى أعان، واستعان، والمُنجِد يعني: المعين الذي يُلتجأُ إليه

(١) ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط/٥؛ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م ، ٢٤٧/٥.

(٢) ينظر: محفوظ، عبلة، ومعلوف، لويس: توليد الألفاظ الأوروبيّة وخصائص بنائها في المنجد للأب لويس معلوف، رسالة الماجستير في كلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري تيزي، ٢٠١٥م، ص: ٢١.

للمعونة والمساعدة، ومِنْ هذا المعنى استعار الأب لويس معلوف اسْمَ مُعْجَمِهِ اللُّغَوِيّ: المُنْجِد" قال المعلوف عن سبب تسميته بهذا الاسم: "وقد سمّيناه المنجد وأملنا فيه أنْ يجد فيه المتأدب والكاتب عونًا حسنًا ونُجْدة وافية في البحث والتنقيب".(١)

الهدف من المعجم

كان لويس يستهدف من معجمه إخراج معجم يقتدي بالمعجمات الأوربية، حتى فيما تستهدفه من التيسير على الطلاب، وتنويع المعلومات، وتجديد الثروة اللُّغَوِيَّة بالحديث والمتجدد والمتطور منها، والتسهيل عليهم في استيعاب معاني الألفاظ الصّعبة والغريبة والـمُوَلَّدَة مصحوبًا بالصور الموضحة للكلمات.(٢) ويهدف إلى جانب تربوي آخر يقوم على حذف ألفاظ السُّوء، والألفاظ البذيئة، قال عن ذلك في مقدمته: "وقد أغفلنا ذكر ما يمس حرمة الآداب من الكلمات البذيئَة التي لا يضر جهلها، وقلَّما أفاد علمها"(٣)، علاوةً على تلبية حاجة المدارس اليسوعية والطوائف النصرانية بشرح ما يتعلق بالكتاب المقدس في العهدين القديم والحديث، مما أدى إلى كثرة المصطلحات الخاصَّة بالأديان في معجمه ما عدا الإسلام، ويهدف إلى جانب ثالث هو: أن يكون المعجم ملبيًا لحاجة أدباء اللُّغَة العربيَّة وأئِمّتها العاملين على إعلاء شأنها، وإدناء قطوفها، ليس بالمخلّ المعوز، ولا بالطويل المملّ المعجز، عرفت به المعجمات المدرسية في اللغات الأجنبية من إحكام الوضوح والدلالة.

منهج المنجد:

١- حاول المعلوف في هذا المعجم أن يذكر الألفاظ الأكثر استخدامًا، والألفاظ والمصطلحات الجديدة، وكذا تراجم للأعلام، ومن أهم وسائله في توضيح المعاني الاعتماد على إيراد صور لكل ما تدل عليه الكلمة، وقد أخذ المعلوف معظم مادَّة المنجد من معاجم حديثة، ولم ينس المعاجم القديمة فقد أخذ من "محيط المحيط" للبستاني، ثم كثيرا ما كان يعَوِّلُ بعد ذلك على معجم تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي، ومن غيره ممن تقدَّمَ الزبيدي من أصحاب المعاجم، وكان يرجع إلى السابقين في توثيق المادة

(١) ينظر: معلوف، لويس: المنجد في اللُّغَة والأدب والعلوم، ط/٢، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت، مقدمة الطبعة الأولى.

(٢) ينظر: هلال، عبد الغفار حامد: مناهج البحث في اللسانيات وعلم المعجم، القاهرة: دار الكتاب الحديثة، ١٩١٠م ، ص: ٨٣٨-٨٣٩.

(٣) ينظر: معلوف، المنجد في اللُّغَة والأدب والعلوم، مقدمة الطبعة الأولى.

اللغوية، وشرحها، لأنَّ المحدثين لم يستخدموا كل مواد اللغة العربية، ومن ثم لم يجد بدا من الرجوع إليهم، لكنه في المنهج لابد من أن يعتمد المنهج السائد عند المحدثين، إذ هو الأسهل، فقد سار على نظام محيط المحيط، وهو نظام الألف باء مع مراعة الثاني في الكلمة الثلاثية، والثالث في الكلمة الرباعية، وهكذا، ثم أضاف إلى هذا المنهج ما استفاده من المعجمات الأجنبية، وما زال يضيف إليه كل ما يزيل إبهامه، ويزيح غموضه حتى وُصِفَ المعجم إجمالًا بأنه من أحسن المعجمات الحديثة تنظيمًا وتوضيحًا للألفاظ، وأنه أكثرها حظاً في الطباعةً، والانتشار، فمنذ تأليفه وطلَّاب المِدارس في كل البلاد يقبلون عليه، فهو معجم -كما وصفه المعلوف- ليس بالمخِلِّ المعْوِز، ولا بالطَّويل المِمِلّ، أخرجته مطبعة الآباء اليسوعيين الكاثوليكية في بيروت، وما زال توزيعه من أعمال المكتبة الشرقية في بيروت.(١)

وينقسم هذا المنجد قسمين واضحين، الأول في اللُّغَة، والثاني في أعلام اللُّغَة والأدب والعلوم، والقسم الثاني كان لويس راغبًا في إلحاقه بالمعجم، ومشغولا به، غير أنَّ ضيقَ وقتِه لم يسعفه في ذلك بسبب مرضه، فاستأذنه الأب فردينان توتل اليسوعي في عمل ذلك فأذن له، فبدأ فردينان توتل العمل فيه في حياة لويس، ولما تُوفي لويس أكمله فردينان توتل، ومن ثم صدر المعجم ملحقًا بآخره القسم الثَّاني، وبهذا القسم ضم أعلام الشَّرق والغرب، ومن محسنات المعجم أنَّ المعلوف زيَّنَه بالصُّور واللَّوحات والخرائط، والناظر في المعجم يجد في المعجم دون عناء بصمة يسوعية مسيحية، والرؤيا يسوعية مسيحية، والتنفيذ يسوعي، وأصبح من السهل أن نقول: إنَّ معجم المنجد دليل على شغف الرهبان اليسوعيين المسيحين في تلك الفترة بالحضارة العربيَّة، ودليل على فلسفتهم التربوية في المدارس والجامعات، فالمنجد يُعدُّ أحد إسهاماتهم الكبيرة في الحقل الأدبي واللُّغَوِيّ والثقافة عامة، كما أنَّه تاريخ وجودهم، وعملهم في لبنان خاصَّة، وفي الشرق عامة(٢)، يقول لويس في توضيح المنهج: "فإذا كانت الكلمة مجرّدة فاطلبها في باب أول حرف منها، وإن كانت مزيدة أو فيها حرف مقلوب عن آخر فجرّدها، أو ردّها إلى الأصل، ثم

(١) ينظر: محفوظ، ومعلوف، توليد الألفاظ الأوربية وخصائص بنائها في المنجد، ص: ٢، والمعجمات العربيَّة، ص: ١٢٨.

(٢) ينظر: معلوف، لويس: منهج معجم المنجد في اللُّغَة والأعلام، دراسة في ترتيب المداخل، جاكرتا، كلية الدارسات الإسلامية والعربيَّة، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، ٢٠٢١م، ص: ٣٣-٣٤.

اطلبها في باب الحرف الأول من حروفها الأصلية"[١]، وبهذا فإن منهجه لا ينفك عن منهج الأقدمين في رعايتهم لأصل المادة، وتنظيم معجماتهم وفق حروفها، رغم اتصاله بمعجمات الأوربيين واستفادته منها[٢]، وكان يبدأ بذكر الفعل، ويُعين مُضارعه، ويحُرك عينه، ثم يذكر مصادره، فمزيداته ومصادرها، ثم الأسماء المشتقة منه؛ فإذا لم يكن للمادة فعل اكتفى بذكر أصلها، وينتقل مباشرة إلى الاسم.[٣]

٢-كان يزيد قدرًا كبيرًا من المواد اللُّغَوِيَّة في كل طبعة للمعجم عن سابقتها، فهذا مما يحسب للمعلوف[٤]، إذ يقول في مقدمة الطبعة الخامسة: "وها نحن الآن بعد ذلك العمل الشَّاق الطويل نزُف إلى طُلَّابِ اللُّغَة العربيَّة الشّريفة، وإلى أدبائها الكرام هذا الطبعة الخامسة مهذبة مصحّحة مكملة، تربو صفحات متنها على ما كانت في الطبعة الأولى زهاء ثلاثمائة وخمسين صفحة".[٥]

٣-وكذلك اصطلح المؤلف على استخدام عدد من الرموز للكلمات التي لا بد أنْ يتكرر ذكرها في أكثر صفحات الكتاب تحاشيًا للاتساع، وهو ما تعارف في المعجمات الأجنبية الحديثة.[٦]

مآخذ على المعجم:

رغم الإيجابيات التي ذكرناها لمعجم (المنجد في اللُّغَة)، فإنَّ عليه مآخذ كثيرة، وترجع أهم المآخذ إلى أخطاء علمية وتاريخية معتمَّدة في كثير من الأحيان أوردها فيه، والطعن في تاريخ المسلمين، قد تخفى على الناشئة تقلل من قيمته، وقد تنبه لهذه الأخطاء طائفة من العلماء والباحثين، ومن هذه المآخذ:

١- التعصب الديني لديه، وهذا يظهر بجلاء عند ذكره أماكن العبادات، يهتم بالأماكن المسيحية أكثر من غيرها، وبالأعلام والمصطلحات النصرانية.

٢- لم يصف القرآن في معجمه بأنه القرآن "الكريم، أو "المجيد" في حين أطلق على كتاب اليهود

(١) المنجد في اللُّغَة والأدب والعلوم، المقدمة، ص: أ من المقدمة. وعلي، عبد الكريم محمد، المعجمات العربيَّة، ط٢؛ الجزائر الرديني، عين مليلة: دار الهدى، د.ت، ص: ١٢٨-١٢٩.

(٢) ينظر: عبد الكريم، المعجمات العربيَّة، ص: ١٢٨،١٢٩.

(٣) ينظر: سقال، ديزيره: نشأة المعاجم العربيَّة، ط/١؛ بيروت: دار الصداقة العربيَّة، ١٩٩٥م، ص: ٦٥.

(٤) ينظر: هلال، مناهج البحث في اللسانيات وعلم المعجم، ص: ٨٤٠.

(٥) ينظر: معلوف، المنجد في اللُّغَة والأدب والعلوم، المقدمة. وهلال، مناهج البحث في اللسانيات وعلم المعجم، ص: ٨٤٠.

(٦) ينظر: معلوف، مقدمة المنجد في كل طبعاته.

والنصارى "الكتاب المقدس، أو الأسفار المقدسة".[١]

٢- في كثير من الأحيان لا ينقل النّص القرآني من مصدره، بل يعبث به، فيحذف منه، أو يزيد عليه، أو يقدّم فيه أو يؤخّر، أو يغيّر ضميرًا، من ذلك مثلًا: عند ذكر قوله تعالى "{خُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفًا} من غير واو في أول الجملة، وأيضًا عند ذكر قوله تعالى: "الله" {بديع السّماوات والأرض} بزيادة لفظ الجلالة "الله"، ومما يعاب عليه عدم دقّة كثير من المعلومات والحقائق المتعلقة بالإسلام والمسلمين وعقائدهم ومقدساتهم ورجالاتهم، فمثلًا يقول: "وعندما تصل إلى مادة "بسمل" هي عند النصارى بسم الأب، وروح القدس، وعند المسلمين: بسم الله الرحمن الرحيم".[٢] وأيضا نجده يفسّر لفظة القرآن بطريقة غريبة، بقول: "القرآن. مص. الكتاب الذي يعتقد المسلمون أنَّه أُنزل على نبيّهم"[٣]. فقوله: (يعتقد المسلمون) يوحي بالتشكيك في ذلك، وبالتالي يتطرق الشكُّ في نزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- وقوع الخلاف في اسم المعجم ففي عام ١٩٥٦ م أُلحق به آلاف الأمثال والأقوال السائرة عند العرب فصار عنوانه: (المنجد في الآداب والفنون والعلوم)، ثم غُيّر عنوانه إلى (المنجد في اللغة والأعلام).

٤- أحيانا يذكر بعضا من الألفاظ الأجنبية والعَامِّيَّة في المعجم بدون الإشارة إلى أصولها ومواردها ومواطن استعمالها، مما يوهم الناشئ أو المتعلم بأنها ألفاظ عربيَّة سليمة.[٤]

٥-خرج المعلوف في (المنجد) عن سنن الاعتدال العلمي، فأقحم رأيه في قضايا دينية كبيرة كانت مثار جدل بين الدارسين، مما أدى إلى الإعراض عنه، والقضاء على الكثير من حسناته، ومن هذه القضايا التي عُدَّتْ مثالب وقع فيها المعلوف عند كتابته، بقصد أو من دون قصد: محاولة تجنب ذكر المسلمين، وكتابهم القرآن الكريم، وكل ما له علاقة بالإسلام، فقد سبق أن ذكرت أنَّه فسَّر لفظة (الكتاب) بأنها: (مص. ما يكتب فيه)، والكتاب على الإطلاق: هو كل كتاب يُعتقد أنه منزل، وأهلُ الكتاب: هم الذين لهم كتابٌ منزل، أم الكتاب: أصله، أو الفاتحة منه، وأيضًا لم يتطرق إلى أنَّ كلمة المصحف أصبحتْ علمًا على

(١) ينظر: معلوف، المنجد، ص: ٣٦.

(٢) ينظر: معلوف، المنجد، ص: ٣٦.

(٣) ينظر: معلوف، المنجد، ص: ٦٥١.

(٤) ينظر هذه المآخذ، والأخطاء: محفوظ، ومعلوف: توليد الألفاظ الأوروبيّة وخصائص بنائها في المنجد للأب لويس معلوف، ص: ٢٩.

الصحف المجموع فيها القرآن الكريم[١] وكان عليه أنْ يذكر أن الكتاب هو القرآن الكريم، وأنَّ أم الكتاب هي سورة الفاتحة، وقد تَنَبَّه لهذه الأخطاء بعضٌ من العلماء والباحثين الذين اعتنوا بالمنجد خاصَّة، وببيان ما فيه من ضلال وأخطاء، وحصرها، والتنبيه على خطره على طلاب العربيَّة المسلمين، وجمع بعض العلماء كل ذلك، أذكر منهم:

١- العلامة عبد الله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب الذي نشر سلسلة من المقالات في مجلة (دعوة الحق) المغربية انتقد فيها اثنتين وسبعين وستمائة مادة من المنجد.

٢- الأستاذ منير العمادي صدرت له ثلاث مقالات في مجلة مجمع اللُّغَة العربيَّة، ومجلة المعرفة بدمشق كلها في نقد معجم المنجد.

٣- الأستاذ سعيد الأفغاني رئيس قسم اللُّغَة العربيَّة بدمشق الذي أصدر تقريرًا عن أضرار "المنجد الأبجدي" وقدمه إلى رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيّن فيه بعض عوراته، ومثالبه بأسلوب واضح، وكلام مركز مبين.

٤- الأستاذ عبد الستار فرج السيد نشر مقالَينِ في مجلة العربيّ بيّن فيهما بعض نواقص "المنجد"، وما فيه من عورات ومثالب، وكان مما قال: "والمنجد في الأعلام المطبوع عام ١٩٦٩م ما هو إلا صورة للمنجد في الأدب والعلوم، ولكنها صورة فيها أحيانًا بترٌ، وقبح، أو مسخ كريه، أو صياغات أدَّت إلى خلل واضطراب".[٢]

٥- ومن أهم الأخطاء في (المنجد) أنَّ العلامة الشيخ إبراهيم القطان في كتابه النفيس (عثرات المنجد) تتبع تحريفاته وأغلاطه حتى بلغت صفحات هذا الكتاب نيّفًا وخمسين وستمائة صفحة، وكثيرًا ما يشير في تصحيح الألفاظ اللُّغَوِيَّة إلى معجم (المنجد) لما وجد فيه من أخطاء كثيرة، فكان ينبه حتى يعلم القارئ أنَّ لويس المعلوف لم يراجع الكتب العربيَّة مطلقًا، ومن ذلك المنجد اللُّغَوِي.[٣]

(١) ينظر: معلوف، المنجد، ص: ٧١٢.

(٢) ينظر: الزيبق، محمد شريف: أرشيف ملتقى أهل الحديث، تحْريفاتُ اليَسُوعيِّين لكُتُب التراث، المكتبة الشاملة، ص٤١٠.

(٣) ينظر: معلوف، المنجد، ص: ٢٥٦.والرد في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، المكتبة الشاملة، ٢٧/٤٠٨-٤٠٩.

٦-الدكتور إبراهيم عوض له كتاب عنوانه: (النزعة النصرانية في قاموس المنجد)، ذكر فيه نماذج من الأثر الواضح للنصرانية في المادة العلمية لقاموس (المنجد).

ثالثا: الدلالة المولدة في المنجد:

سبق أنْ ذكرت تعريف الدلالة المولدة، فلا داعي للإعادة هنا، لكن حديثنا عن الدلالة المُوَلَّدَة من خلال معجم المنجد في اللُّغَة، سواء أكانت دلالة جديدة قد طرأت على كلمة عربيَّة فصيحة، قد حدث لها تطور، أم كانت دلالة مُوَلَّدة جاءت مع كلمة مستحدثة لم تكن مستعملة من قبل، كمصطلحات العلوم الحديثة، وأسماء المخترعات الجديدة، وسيتضح الأمر من خلال بحثي هذا، وذلك من خلال النماذج التي أوردتها فيه، لأنني لن أقوم بحصر كل دلالة مُوَلَّدة وردت فيه أيًّا كان طريقها، وإنَّما أكتفي بالتدليل على ورود هذا النوع من الدلالة الجديدة في اللُّغَة الحيَّة المستعملة على الألسنة، وأنَّ المعلوف عُنِيَ به في معجمه "المنجد" كثيرًا، نقول: عني بهما كثيرا المعلوف في معجمه، عناية فائقة، وذلك من خلال ثلاثة أنواع من الدلالة، هي:

الدلالة المولدة اللفظية، والدلالة المولدة المعنوية، والدلالة المولدة فيهما معاً، ومعجم المنجد مليء بالكثير من هذه الأنواع الثلاثة، وسيكتفي البحث بذكر نماذج في كل منها، وأكثر هذه الثلاثة النوع الثالث، فوجود المولَّد-لفظًا ومعنى- في اللُّغَة العربيَّة اليوم دليل على أنَّ مرحلة جديدة من تاريخ العربيَّة قد بدأت، وتارة يكون المعنى جديدًا ولفظه كذلك، وتارة يكون المعنى متطورًا عن المعنى الأصلي واللفظ كما هو، ولكن تطور معناه، وبحثي مقتصر على الدلالة المُوَلَّدَة حديثًا، والتي لم تعرفها العربيَّة من قبل.

ومن خلال قراءتي في معجم المنجد، وجدت الدلالة: إمَّا للفظ عربيّ البناء أُعطِيَ معنًى يختلف عما كان العرب يعرفونه مثل كلمات: الجريدة، المجلة، السيارة، الطيارة، ونحو ذلك، وإمَّا أن تكون الدلالة جديدة جاءت مع لفظها الجديد، فاللفظ والمعنى مما استجدا في الحياة المتغيرة تبعاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، فهذا كله يؤثّر في اللُّغَة واستعمالاتها[(١)].

وبقي أن يكون اللفظ مولداً جديداً فقط، ويكون معناه قديما فصيحاً، ويكون اللفظ المولد هذا مرادفاً

(١) ينظر: خليل، حلمي: المُوَلَّد في العربيَّة، بيروت: دار النهضة العربيَّة للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، ص: ١٦٨.

للاسم القديم، وهذا كثير في العربية، فالتوليد للفظ، من ذلك كلمة (**البرواز**) **الحديثة**، قال المعلوف عنها: ما يحيط بالشيء فيمسكه، أو يحسنه، كبرواز الصورة، والمرآة، عربيُّه: إطار، (فارسية)".[(١)] والكلمة بالدلالة السابقة من المُوَلَّد حديثًا لفظًا، والمعنى قديم، ومرادف (البرواز) كلمة (إطار)، وقد تلقى هذه الكلمة المولدة رواجًا وتلقى حماسا من المتكلمين فتنسى الكلمة القديمة التى كانت مرتبطة بالدلالة القديمة، وكما حدث لكلمة (البريد) كانت قديما تطلق على المسافة التى بين السكتين ينقل عليهما البغل، وعلق بالذهن الدلالة الجديدة، وهي ارتباطه بالرسائل المرسلة، وكذلك كلمة (القاطرة) كانت قديماً تطلق على النوق في القافلة التي تسير في الصحراء، وقد لا تلقى الكلمة المولدة رواجاً فلا يكتب لها الانتشار، كما حدث لكلمة (الهاتف) التى يفضل الناس استعمال كلمة (التليفون) الدخيلة عليها، بل واشتقوا منها فعلاً فقالوا: (تلفن) ولم يمكن أنْ يشتقوا فعل من (الهاتف) للدلالة على الكلام فى التليفون، فى حين نجد كلمة برقية المولدة هزمت الدخيلة (تلغراف) فى الاستعمال اللغوى، إذ أقبل الناس عليها يستعملونها، ويشتقون منها فعلا هو (أبرق)، وسبب ذلك قبول المجتمع للكلمة، وانتشارها على ألسنتهم، أو رفضهم لها، وكل مولد قبِلَته الجماعة أصبح من اللغة، ويستعمل، "وخيرًا فعل واضعوا "المعجم الوسيط" حين لم يعترفوا بانقطاع سلامة اللغة العربية عند عصر معين، ولا مكان معين، وأثبتوا "في متن المعجم ما دعت الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولدة، أو المحدثة، أو المعربة، أو الدخيلة التي أقرها المجمع، وارتضاها الأدباء فتحركت بها ألسنتهم وجرت بها أقلامهم".[(٢)]

وعلى الرغم من اعتراف النحاة بفصاحة المولد إلا أنهم لم يحتجوا به، فقد اعترفوا بمعانيه دون صيغة، وبهذا أخرجوا تلك الثروة الجديدة من الالفاظ من دائرة اهتماماتهم وسموها بالمولدة، ومن الجدير بالذكر هنا أنْ نذكر أنَّ المعلوف في (المنجد في اللُّغَة) كان مهتمًّا باللُّغَة المستعملة بالفعل، وكأنه ينقل اللُّغَة من أفواه الناطقين أينما كانوا، وكان في الغالب مختصرًا في شرحه معاني الكلمات بعبارات مقتضبة، ولم يشرحها شرحًا وافيًا، ومع عنايته بذكر المُوَلَّد من الكلمات أو المعاني لم يذكر لنا سبب توليدها، وإذا كانت الكلمة غير عربية نجده يُنبِّهُ على لغتها الأصلية التي تنتمي إليها، وتكون أيضا مولدة،

(١) ينظر: معلوف، المنجد (ب ر و)، ص: ٣٦.

(٢) ينظر: عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص: ٣٠٠.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقيَّة للدلالة المولدة في معجم المنجد:

النماذج التي سأذكرها في الدراسة مما ورد في (معجم المنجد في اللُّغَة) تشمل: ما كان الدلالة فيه مولدَّةً، واللفظ عربيا فصيحاً، فهو من قبيل الدلالة المولدة فقط، وتشمل أيضا: ما كان لفظها مولدا والدلالة مولدة، فهو من قبيل المولد لفظا ودلالة، ، ومن المولد أيضا الاسم الذي انتقل من لغة أخرى غير العربية، وشاع على الألسنة كشيوع ألفاظها، وهذا سيدرس مع الدلالة اللفظية المولدة حديثا، أي النوع الأول، وإليك الأمثلة لكلٍ:

أولا: الدلالة المولدة واللفظ عربي:

أحيانا يحتفظ اللفظ بصيغته العربية الفصيحة لكنه اكتسب معنى جديدًا، هنا نعتبر الدلالة مولدة، وقد وردت أمثلة عدة في معجم (المنجد) من هذا النوع، من ذلك:

١-الجريدة: قال المعلوف: الجريدة ج جرائد: الصحيفة يكتب عليها، وهي بهذا المعنى مُوَلَّدة، نشرة تنشر بأوقات معلومة الأخبار، والحوادث السياسية، والتِّجَارية، وما شاكلها".[(١)] نلاحظ من النص السابق أنَّ دلالة الجريدة على "نشرة بأوقات معلومة للأخبار، والحوادث السياسية، والتجارية، وما شاكلها هي دلالة مُوَلَّدة، وأيضًا دلالة الجريدة على ما يعرف اليوم بصحيفة الأخبار والأحداث المهمة، تنشر يوميًّا، هي دلالة مُوَلَّدة، ويقابل الجريدة في الفصحى في هذه الدلالة لفظ "الديوان"[(٢)] جاء في المغرب في ترتيب المعرب: " الديوان: الجريدة من: دَوَّنَ الكتبَ إذا جمعها لأنها قِطَعٌ من القراطيس مجموعةٌ"[(٣)]

(١) ينظر: معلوف، المنجد، ج ر د، ص: ٨٦، ورضا، معجم متن اللُّغَة، ٥٠٤/١.

(٢) ينظر: المطرزي، ناصر الدين: المُعَرَّب في ترتيب المعرَّب، تح: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، ط/١، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، ١٩٧٩م، ٢٩٩/١.

(٣) ينظر: المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، ٢٩٩/١، والسيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ط/١، تح: الدكتور: محمد إبراهيم عبادة، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م، ١٥٨/١.

ولم أجد الدلالة السابقة للكلمة في معجماتنا القديمة، فالجريدة عند الخليل: "سَعْفَةٌ رَطْبَةٌ جُرِّدَ عنها خُوصُها كما يُقشَر[١] الوَرَقُ عن القضيبِ، والجريدة طائفةٌ من الجُنْد".[٢]

مما سبق يتبين أن دلالة الكلمة على ورق تكتب فيه مصالح الدولة، وعلى صحيفة الحوادث والأخبار تنشر أجزاء موقوتة دلالات مُوَلَّدة، فالجريدة بمعنى ورقة يكتب فيها، ثم تنشر، وتعلن للناس دلالة مُوَلَّدة.

٢-التِّرْمُس: بتشديد التاء المكسورة، وضم الميم قال عنها المعلوف: زجاجة مغلَّقة بغلاف معدني تحفظ حرارة السوائل التي توضع فيها (يونانية)".[٣]

كلمة التِّرْمُس بهذا الضبط، وهذا المعنى الدلالة مُوَلَّدة لم تعرفها العربيَّة من قبل، ولكن الكلمة عربيَّة فصيحة، ولها معنى آخر، وبضبط آخر، جاء في العين: "التُّرمُسُ: -بضم التاء وتشديدها وضم الميم- شجر له حبٌّ مُضَلَّع مُحزّز، وبه سُمِّي الجُمان: ترامس".[٤] والكلمة بالدلالة القديمة مازالت على ألسنة الناس اليوم بكسر التاء، والميم (التِّرْمِس) كما ينطقها أهل مصر، يكسرون التاء، ويكسرون الميم اتباعًا لها، ورفضها المجمع اللُّغَوِي القاهري؛ لأنها لم ترد في المعجمات بهذا الضبط لهذه الدلالة، والصواب: (التُّرْمُس)، بضمهما معًا، فقد وردت الكلمة في المعجمات بضم التاء والميم على وزن "بُنْدُق"[٥]؛ وهو شجرة لها حب مفلطح مرٌّ، يؤكل بعد نقعه، وهذه الكلمة من المعربات المصرية القديمة، وقيل: الترمس الجرجر المصري، وهو من القطاني، وقيل: هي يونانية، وللكلمة دلالة أخرى مُوَلَّدة، هي دلالتها على زجاجة تحتفظ فيها الأشياء بدرجة حرارتها، وضبطها: (التِرْمُس) بكسر التاء، وضم الميم، ولهذا التغيير عدَّتْ الدلالة دلالة مُوَلَّدَة.

(١) في الأصل: يقشأ، والصواب ما أثبته، لأنه المناسب للسياق، ولأنني لم أجد في معجمات العربيَّة مادة :(قشأ).

(٢) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد العين، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية، طبع في الكويت: مطابع الرسالة، ١٩٨٠م، العين، ٦/ ٧٧، وينظر: ابن سيده، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، القاهرة: البابي الحلبي، ١٩٥٨م، ٢٦٥/٣، والأنباري، أبي بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، ط/١، تح: الدكتور/ حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م، ١٧١/٢.

(٣) ينظر: معلوف، المنجد، ترم، ص: ٦١، ورضا، متن اللُّغَة، ت ر م، ٣٩٥/١، وقارن بـ: ف. عبد الرحيم: معجم الدخيل في اللُّغَة العربيَّة الحديثة ولهجاتها، ط/١، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م، ص: ٨٠، ومصطفى، المعجم الوسيط، ٨٤/١.

(٤) ينظر: الفراهيدي، معجم العين، رمس، ٣٤١/٧، والأزهري، تهذيب اللُّغَة، رمس، ١٠٨/١٣.

(٥) ينظر: عمر، معجم الصواب اللُّغَوِيّ دليل المثقف العربيّ، ٢٢٤/١.

٢- **البسط**: قال المعلوف في بسط قال: البسط: "العمليات الجبرية من ضرب، وجمع، وغيرهما، واختصر الكميات فيها".[١] وهذه الدلالة مُوَلَّدة، والكلمة عربيَّة فصيحة، لأنَّ كلمة البسط تستعمل هنا في علم الحساب بمعنى العدد الأعلى في الكسر الاعتيادي، وهذا المعنى في علم الحساب معنى مولد، وأصلها من كلمة بَسَطَ، وهي كلمة عربية فصيحة، جاءت في الفصيح، وهذا المعنى الجديد للفظ لحقه في لغتنا، من أجل ذلك تكون الدلالة فيه مولدة.

٤-بِـرِنْس: قال المعلوف: " بِـرِنْس م بِرِنسس: أمير، لقب يلقب به كل عضو من الأُسَرِ المالكة (فرنسية)".[٢] الكلمة بكسر الباء الموحدة، والراء المعجمة مع سكون النون، وهي عربيَّة فصيحة، ووردت في الاستعمال العربي لمعنى آخر، وبضبط آخر هو ضم الباء والنون معًا، وسكون الراء بينهما هكذا: "بُرْنُس" ومعناه كما في العين: "كلّ ثوب رأسه منه مُلْتَزِق به، دُرّاعةً كانَ أو ممطرًا أو جُبّة"[٣] أي: رداء ذو كُمَّين يتَّصل به غطاء للرأس يُلبس بعد الاسْتِحمام، كما أنَّ لها ضبطًا ثانيًا هو "البُرُنُّس" بثلاث ضمات مع تشديد النون، ومعناه: قَلنسُوة طويلة، كان النُسَّاكُ يلبسونها في صدر الإسلام، وقد تَبَرْنَسَ الرجل، إذا لبِسَه".[٤] فهو بهذا الضبط مختص بالنساك في صدر الإسلام كانوا يلبسونه، وقريب من المعنى السابق، فهو غطاء فوق الرأس لفئة النساك، وفي النهاية: "وَهُوَ مِنَ البِرْس- بِكَسْرِ الْبَاءِ- القُطْن، وَالنُّونُ زائدة، وقيل إنه غير عربيّ".[٥] لكنَّ المعنى الذي أورده المنجد جديد للكلمة، فأخذت الكلمة ضبطًا آخر هو: بِرِنْس بكسر الباء والراء، ويقال له أيضًا: بِرِنسس، وهو لقب يلقَّب به كل عضو من الأسَرِ المالكة، وهي كما ذكر المعلوف فرنسية، ومن ثم كانت هذه الدلالة مُوَلَّدَة.

٥- السيارة: هي إحدى وسائل السف للأماكن البعيدة، ويقال لها: أتُوموبيل، وأكثر العامة يقول: أتُمْبِيل، هي السيارة، ثم تطور النطق من السيارة إلى العربية، وكلمة "عربية" كانت قاصرة على العربية التي

(١) ينظر: معلوف، المنجد (ب س ط)، ص: ٣٨.

(٢) ينظر: معلوف، المنجد برنس، ص: ٣٦.

(٣) ينظر: الفراهيدي، العين، برنس، ٣٤٣/٧.

(٤) ينظر: الجوهري، لإسماعيل بن حماد، تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٩٥٦م، ٩٠٨/٣.

(٥) ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م، ١٢٢/١، والزَّبيدي، تاج العروس، ٤٤٨/١٥.

كانت تدفع باليد، أو تجرها الخيل، ثم اتسع معناها فصارت تشمل "السيارة" الآلية كذلك، وهذا من تعميم المعنى، واتساعه، وأصلها كانت تطلق على القافلة.

٦- جَبا: بالفتح كلمة تستعمل في المطاعم والمقاهي في بعض البلاد العربية بمعنى أن يدفع أحد الزبائن حساب المجموعة. ومنه تجَبَّى بمعنى أعطاه مجّانًا. يقولون: «إنك لا تتجبَّى عليَّ، إنما تعطيني حقِّي»، تركي، أصل معناه «مجانًا»، ومنه بمعنى الطفيلي، والكلمة قديمة في اللغة العربية فقد ذكرها الزبيدي في التاج، قال في مادة «جبى»: ويقال في الهبة من غير عوض «جبا» وهي عامية، وكذا قولهم: «جبَّاه تجبيةً» إذا أعطاه[١].

٧- الطيارة: مركبة تسبح في الفضاء بأجنحة مصنوعة "مولدة"[٢] والطيارة كلمة عربية تطلق على كل ما يطير في الهواء، كالحمام، والنحل، روى السيوطي عن النخعي قال: "من لعب بالحمام الطيارة، لم يمت حتى يذوق ألم الفقر"[٣] ثم تطورت دلالتها، وأصبحت تطلق على الطيارة (الطائرة) التي تنقل المسافرين إلى أماكن بعيدة، وهي دلالة مولدة.

٨- الشكارة: قال المعلوف: "الشكارة: ما يزرعه الخولي لنفسه في قطعة صغيرة من أرض المالك (عامّيَّة) ما يربيه الخباز في فرنه والأولاد في بيوتهم من القز ويجمعون ورق التوت لإطعامه (عامّيَّة)".[٤]

وردت كلمة الشكارة بدون التاء في معجمات اللُّغَة، وغلبت بالتاء على بقعة الأرض الصغيرة تزرع للأجير، والشِّكارُ، بدون تاء، أحيانا بمعنى: فروجُ النساء واحدها: شَكْرٌ.[٥] وبمعنى الاجتزاء بالقليل، يقول ابن فارس: "حَقِيقَةَ الشُّكْرِ الرِّضَا بِالْيَسِيرِ، يَقُولُونَ: فَرَسٌ شَكُورٌ، إِذَا كَفَاهُ لِسِمَنِهِ الْعَلَفُ الْقَلِيلُ."[٦] وهذا

(١) ينظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة، ص: ٩٠.

(٢) ينظر: متن اللغة، ٦٤٦/٣

(٣) ينظر: طوق الحمامة، السيوطي، ص: ٤.

(٤) ينظر: معلوف، المنجد (ش ك ر)، ص: ٣٩٨، وقارن بـ: رضا، أحمد: معجم متن اللُّغَة، موسوعة لغوية حديثة، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨م، ٣٥٥/٣، ودوزي: تكملة المعاجم العربيَّة، ترجمة: الدكتور/ محمد سليم النعيمي، بغداد، ١٩٧٨م، ٣٣٩/٦.

(٥) ينظر: الأزهري: تهذيب اللُّغَة، تح: عبد السلام هارون وآخرين، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٢/١٠، وابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط/٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ، ٤٢٤/٤.

(٦) ابن فارس، أحمد: مقاييس اللُّغَة، تح: عبد السلام هارون، ط/١، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩م، ٢٠٧/٣.

المعنى يسمح باشتقاق لفظ الشكارة لمعنى الشيء القليل، والبقعة الصغيرة من الأرض تزرع للأجير، فهي قليل من الأرض الكثيرة أو الواسعة، وهذا هو ما أشار إليه المعلوف بقوله: ما يزرعه الخولي لنفسه في قطعة صغيرة من أرض المالك، أما الشكارة بالتاء لم يشر إليها أصحاب المعاجم، فيهي مولدة لمعنى مولد، ولها دلالة أخرى هي كما جاء في معجم الوسيط أنَّها أطلقت على "كيس من قماش، أو ورق متين، محدد الوزن، يعبأ فيه الإسمنت، ونحوه".[١]

إذن كلمة الشكارة لها ثلاث دلالات مولدة أورد المعلوف اثنتين هما: "ما يزرعه الخولي لنفسه في قطعة صغيرة من أرض المالك". قال عنها: (عامّيَّة)، والثانية: "ما يربيه الخباز في فرنه والأولاد في بيوتهم من القز ويجمعون ورق التوت لإطعامه"، والثالثة ما أوردها الوسيط: "كيس من قماش، أو ورق متين، محدد الوزن، يعبأ فيه الإسمنت، ونحوه"[٢]، وعلى هذا فاللفظ بالتاء وبهذه المعاني ليس معروفًا في المشتقات العربيَّة من المادة، فاللفظ والمعنى جديدان على العربيَّة، ومن هنا نستطيع القول بأن هذا اللفظ لهذه الدلالات من قبيل المُوَلَّد لفظًا ودلالةً.

٩–درب التبانة: قال المعلوف: "المجرَّة، وهي من كلام العامَّة"[٣] كلمة دَرْب، وجمعها دروب: يطلقها أهل الأندلس على البيوت، وهي مضايق جبال البرينة حيث يمر الناس من إسبانيا إلى فرنسا".[٤] والتبَّانة بتشديد الباء المفتوحة هي المجرة من النجوم والكواكب في السماء[٥] ويعرف بـ "دُرَيْب التبانة، أو دَرْب، والمجَرَّة هي المجموعة الكبيرة من النُّجوم، بالإضافة إلى غازات وغبار، تتراءى من الأرض كوشاح أبيض يعترض السَّماء، ويقال لها نهر المجرَّة، وتسمِّيها العامَّة: "درب التَّبَّانة"[٦]

(١) ينظر: مصطفى، إبراهيم وآخرين: المعجم الوسيط، مجمع اللُّغَة العربيَّة بالقاهرة، الإسكندرية: دار الدعوة، ٤٩٠/١.

(٢) ينظر: مصطفى، إبراهيم وآخرين: المعجم الوسيط، مجمع اللُّغَة العربيَّة بالقاهرة، الإسكندرية: دار الدعوة، ٤٩٠/١.

(٣) ينظر: معلوف، المنجد (ت ب ن)، ص: ٥٩.

(٤) ينظر: دُوزِي، تكملة المعاجم العربيَّة، ص: ٣١١/٤.

(٥) ينظر: همبرت، ص: ٦١، بوشر، ومحيط المحيط.

(٦) ينظر: عمر: معجم اللُّغَة العربيَّة المعاصرة، ٣٦٣/١.

وهذا الاستعمال مُوَلَّد الدلالة، لم يعرف في اللُّغَة الفصحى، وإنْ كانت كلمة التبانة عربيَّة[١]، ولها ضبط، ومعنى مختلف عمَّا تدل عليه اليوم، ونلاحظ أنها أصبحت تدل على معنى جديد، أعنى دلالتها على المجرة الخاصَّة بالنجوم والكواكب، وهي دلالة مُوَلَّدَة.

١٠–الهامش: قال المعلوف: الهامش...حاشية الكتاب"[٢] كلمة الهامش تستخدم عند المحدَثين، وتطلق على ما يكون من تعليق كتابي، أو اعتراضي، أو تأكيدي، ويكون في أسفل صفحات الكتب، وهو ما يعرف بحاشية الكتاب، ويكون مرتبطًا بما في أعلى الصفحات، ونظرًا لحداثتها لم يتعرض لها أحدٌ من القدماء، بل تناولها المحدَثون، جاء في المعجم الوسيط: " الهامش: حاشية الكتاب... محدثة".[٣]

وتُسَمَّى الهوامش باسم آخر هو: "الحواشي"، جمع الحاشية، وفيها تكون الملحوظات، توضع في شكل مصغر أسفل الصفحة، وتستخدم لإعطاء معلومة أكثر استفاضة، أو تفصيلًا عن إيرادها في متن النص، وتشرح الحواشي أحيانًا كلمة أو فكرة يمكن أن تسبب التباسًا للقارئ بسهولة، لكنها في الغالب تأتي لمجرد ذكر المصدر أو المرجع الذي اعتمد عليه المؤلف، وتساعد الحواشي على جعل الجمل قصيرة وخالية من الحقائق الزائدة".[٤] وفي التاج: "والهامش: حاشية الكتاب، قال الصاغاني: يقال: كتب على هامشه، وعلى الهامش، وعلى الطرة، وهو مولَّد".[٥]

فالهامِش: هو الجزء الخالي من الكتابة حول النص في الكتاب المطبوع أو المخطوط، ويسمح بإضافةٍ، أو

(١) جاء في اللسان: "التَّبَانةُ: الطِّبانةُ والفِطْنة والذَّكاءُ، وتَبِنَ لَهُ تَبَنًا وتَبانةً وتَبانِيَةً: طَبِنَ، وَقِيلَ: التَّبانةُ فِي الشَّرِّ، والطِّبَانةُ فِي الْخَيْرِ". ينظر: ابن منظور: لسان العرب، تبن، ٧١/١٣، الهروي، أحمد بن محمد: الغريبين في القرآن والحديث، تح: أحمد فريد المزيدي، ط/١، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز – ١٩٩٩م، ٢٤٩/١، و ابن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، ٣٦٤/١، والأزهري، تهذيب اللُّغة (ت ب ن)، ٢١٥/١٤، وابن سيده، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، القاهرة: البابي الحلبي، ١٩٥٨م، (ت ب ن)، ٥٠٣/٩.

(٢) ينظر: معلوف، المنجد، (هـ م ش)، ص:٧٨٣.

(٣) ينظر: مصطفى، المعجم الوسيط، ٩٩٤/٢، وينظر طبيعة الهوامش، وما يتعلق بها: القلقشندي، أحمد بن عليّ: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، إشراف وزارة الثقافة المصرية، ٢٥٣/٧، وما بعدها.

(٤) ينظر: مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م ، ص: ١.

(٥) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ت، ٤٦٦/١٧، والصغاني، الحسن بن محمد: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، المحقق: مجموعة من المحققين، راجعه د. محمد مهدي علام، السنة، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٩م، ٥٢٧/٣.

تعليق على أصل الكتاب، ويكون خارجًا عنه، أو بمعزل منه(١). والمعنى المحوري لمادة (هـ م ش) يدور حول معنى السرعة في عمل الشيء، يقول ابن فارس: "الْهَاءُ وَالْمِيمُ وَالشِّينُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى سُرْعَةِ عَمَلٍ أَوْ كَلَامٍ"(٢). وهذا المعنى يصح أن يُشتق منه الهامش بمعنى ما يكون من تعليقٍ كتابي، أو اعتراضي، أو تأكيدي، ويكون في أسفل صفحات الكتب، وهو ما يعرف بحاشية الكتاب، ويكون مرتبطًا بما في أعلى الصفحات، وذلك لتحقق معنى السرعة فيه، فهو تسجيل سريع لما يعرض للقارئ من أفكار وتعليقات على ما في صلب الكتاب، وغالبًا ما تكون بسيطة لا تحتاج إلى وقت طويل لتسجيلها أسفل النص، ولفظ الهامش بهذه الدلالة لم يكن ضمن مشتقات المادة المعروفة لها في القديم، ولذا عُدَّت هذه الدلالة من قبيل المؤلَّد.

ثانياً: اللفظ المولد واللفظ المنقول من لغة أخرى، (الدلالة المولدة واللفظ مولد):

ويشمل: ما كان اللفظ مولداً عربياً، وله دلالة أخرى، وأصبح يدل على دلالة ثانية حديثة، و: ما كان اللفظ فيه أعجمياً، والدلالة فيه مولدة، فهما قسم واحد، وهذا ما أراه، وأمثلة هذا النوع كثيرة، سنذكر أمثلة متنوعة لها:

١– الترانزيت: ذكرها المعلوف أنَّها بمعنى "أن يسمح للبضائع بأن تمر في مدينة، أو في أرض دولة من دون أنْ تدفع رسوم الدخول. (لاتينية)"(٣) هذه الكلمة لا تعرفها العربيَّة، وليست من مفرداتها، ولكنها كلمة محدثة لدلالة جديدة طرأت على الحياة ما كان يعرفها القدماء، ففي معجم الدخيل: " تِرانزيت: بكسر التاء، وسكون النون وصول المسافر إلى مطارٍ ما ليواصل سفره إلى مطار آخر، لا لدخول البلد، عربية: "العبور"، وسمى المسافر: المسافر العابر".(٤) كلمة العبور هي الكلمة العربية التي تدل على معنى الترانزيت، فكلمة " تَرانْزيت" إذن تُستعمل في أمرين هما: مرور البضاعة من دولة إلى أخرى، عبر أحد المرافئ مع إعفائها من رسوم الدخول "تجارة– بضاعة بطريق التَّرانْزيت"، والثاني: توقف الأفراد لفترة وجيزة

(١) ينظر: عمر، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، ٢٣٦٥/٣.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، ٦٦/٦.

(٣) ينظر: معلوف، المنجد، ت ر ن، ص: ٦١.

(٤) ينظر: عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللُّغة العربيَّة الحديثة ولهجاتها، ص: ٧٨.

في أثناء العبور أو المرور من دولة إلى أخرى في الترانزيت بالمطار، أو في صالة المطار بعد أنْ تهبط بهم الطائرة، فيُسَمَّى الانتظار بالترانزيت.(١) وهي دلالة مُوَلَّدة، ولفظها مولَّد.

٢– الجبخانة، قال المعلوف: "(الجبخانة)، (اع) المسْلَحة، أي مخزن مواد الحرب من بارود وقنابل الخ المواد المذكورة تركية".(٢) كلمة الجبخانة مولدة أعجمية، وقد أشار أحمد تيمور إلى أنَّ الجبرتي كان يستعملها كثيرا، ويرادفها الْمَسْلَحة(٣) وكان لمحمد علي باشا مبنى سماه: الجبخانة ، وهي تعتبر من الآثار القليلة الموجودة في العالم من ذلك النوع، وكانت تستخدم كمخزن للسلاح بعدما انفجر مخزن السلاح الذي يقع فى القلعة لمرتين، وكلمة جبخانة تركية، وتنطق فيها هكذا" (طوبخانة)، بمعنى عتاد، أو ذخيرة، وقيل: هي في التركية: (جبهخانة)، وتطلق أيضا على الموضع الذي يحفظ فيه العتاد الحربي، وقيل: (جبخانة) هي مركب، وهو من مصطلح البحرية يحفظ فيه البارود، وعرفت في ريف مصر باسم (عربخانة) لتخزين كل ما يتعلق بالفلاحين، وربما تستخدم سكناً.

٣– الجلكى، قال عنها المعلوف: نوع من السمك الغضروفي يشبه الحنكليس لا دم له، يؤكل لحمه وعظمه معاً، ثم قال: "أعجميه"(٤). سمك الجلَّكي ذو جسم طويل، ويعتبره العلماء من الحيوانات التي ليس لها عمود الفقري، أي ليس لها هيكل عظمي، ويتكون من نسيج مطاطي يُسمّى الغضروف، وجلدها أملس لامع، عديم القشور، وللجلكي زعانف فوق ظهره وليس على جانبيه، والفم مستدير، وليس به فكوك، ولكن لديه المقدرة على الامتصاص بقوة، (٥) والكلمة ليست عربية، ولم ترد في معاجمها، فهي مولدة حديثة فلفظها مولد، ودلالتها مولدة.

٤– الدامجانة، قال المعلوف: "الدامجانة: زجاجة كبيرة واسعة الجوف ضيقة العنق مغطاة بقش، نسج

(١) ينظر: عمر، معجم اللُّغَة العربيَّة المعاصرة، ٢٨٧/١.

(٢) ينظر: معجم المنجد، ص: ٧٧.

(٣) ينظر: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، ١٥/٣، المعجم الوسيط، ١٠٤/١، وتكملة المعاجم العربية، ٢/ ١٣٤.

(٤) ينظر: معجم المنجد، ص: ٩٨، والحنكليس نوع من السمك، يعرف بالكهربائي، واستمد الحنكليس الكهربائي تسميته من وجود الأعضاء الكهربائية الضخمة التي تشغل أربعة أخماس طوله وتُولِّد شحنة كهربائية تصل حتى ٦٠٠ فولط. ويوجد القطب الموجب لهذه الأعضاء في الناحية الأمامية للجسم، أما القطب السالب فهو في الناحية الخلفية منه، الموسوعة العربية، مقال بعنوان: الكهربائي (الحنكليس .) لمعدَّى خليف، المجلد: المجلد السادس عشر، ص: ٤٥٣، وتكملة المعاجم العربية، ١٥٠/٦.

(٥) ينظر: موسوعتي، مقال في الشبكة العنكبوتية –النت

على ظاهرها، إيطالية".[١] كلمة دامجانة: لفظ إيطالي، معناه نصفيّة الماء، وقيل فارسية، ومعنى دامجانة هي من زجاج بين القنينة والبرميل، وقيل: هي زجاجة كبيرة واسعة الجوف، ضيقة العنق، والكلمة ليس عربية، فهي مولدة لفظا ومعنى.

٥– الكبُّوت: قال المعلوف: "الكبُّوت: رداء واسع من جوخ يُلْبَس في الشتاء للاستدفاء، أطلق عليه المعاصرون لفظة مِعْطَف (فرنسية)" وقيل: إيطالية، وقيل: كلمة إسبانية تسلَّلت إلى لهجة عرب الأندلس، ولهجة المغاربة، وجمعت على: كبابيت، وهي تعني: معطف بلا كُمَّين، وقيل معناه: معطف مُقلْنَس، أو معطف عسكري، أو قُبَّعة نسوية، ويرادفه من العربي البرنس، أو كل ثوب رأسه منه دُرَّاعة كان أو جبَّة أو ممطرًا، ويشبهه في عصرنا البالطو[٢]

ولم أعثر على الكلمة في اللُّغَة الفصحى بالدلالة التي ذكرها المعلوف في المعجمات التي بين يديَّ، ونقول: إنَّ "الكبوت" كلمة مُوَلَّدة دخيلة من لغة أخرى، وكانت تنطق: كبود في الفرنسية، وفي التركية: قبوط، أو قابوت، وهو المعطف الشتوي الكبير، ويشبهه في عصرنا البالطو، ومن هنا نستطيع القول بأنَّ هذا اللفظ من قبيل المُوَلَّد لفظًا ودلالةً، وذلك لأنه لفظ لم تعرفه العربيَّة القديمة، وإنما هو لفظ اقترض من لغة أخرى للدلالة على معنى: الثوب الغليظ الذي يلبس فوق الثياب، والدلالة مُوَلَّدة أيضًا، فكلاهما استحدث على العربيَّة، ولذا عُدَّ من قبيل المُوَلَّد لفظًا ودلالةً.

٦– دينامو: قال المعلوف: "دينامو آلة تحول الطاقة الديناميكية إلى طاقة كهربائية يونانية" (٣) . كلمة الدينامو ليس أصل في العربية، وإنما هي من المولد حديثا، والمنقول إلى العربية من لغة أخرى، وهو آلة تُحوِّل الطَّاقة الميكانيكيَّة إلى طاقة كهربائيَّة، فتنوسيت الطاقة الميكانيكية، وأصبح (الدِينامو) هو المولّد الكهربائي، ويقال له (دينمو) بدون ألف، ومن المجاز يقال: رَجُل دينامو: أي رجل نشيط في عمله

(١) ينظر: معجم المنجد، ص: ٢٢٤.

(٢) ينظر: معلوف، المنجد، ك ب ت، ص: ٦٦٩، والدسوقي، محمد علي: تهذيب الألفاظ العَامِّيَّة، القاهرة: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٣م، ٢/ ٢٦٨، ودهمان، محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط/١، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٠م ، ص: ١٢١. رضا، متن اللُّغَة، ٩/٥. دوزي: المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧١م، ٣٠٦ –٣٠٧، والجرجي، عبدالرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة: بولاق، ١٨٧٩م، ٣/ ٣٠٥.

(٣) ينظر: معجم المنجد، ص: ٢٣١.

كالدينامو في تحويله الطاقة الميكانيكية إلى كهربية، وهي كلمة مولدة معربة من الانكليزية، أو الفرنسية بنفس النطق العربي له، والدلالة مولدة.(١)

٧- دبلوماسي: قال المعلوف: "الدبلوماسي هو الذي يعهد إليه في منصب ممثل سياسي لدى إحدى الدول يونانية".(٢) الدبلوماسي شخص تعينه دولة مَّا كمبعوث لها لدى دولة أخرى لتمثيلها ومتابعة شؤونها في المجالات المختلفة، أو تمثيلها في منظمات دولية، وأصبح يمارس الدبلوماسية كمهنة رسمية، سواء بصفة دائمة بحكم مركزه أو وظيفته، أو بصفة مؤقتة بحكم تكليفه بمهمة خاصة تدخل في نطاق الأعمال الدبلوماسية، ويتمتع هذا الشخص بحصانة دبلوماسية، ويعرف بالمبعوث السياسي، وكلمة دِبْلوماسِيّ مفرد، ويعرف أيضا بالسَّفير أو القنصل ونحوِهما، ويشترط فيه أنْ يكون لبِقاً بارِعاً في التعامل مع الآخرين، ذا فنّ ممارسة العلاقات الدَّوليّة، مثل التّفاوض أو إبرام المعاهدات والاتّفاقات.(٣)

٨- الديناميت: قال عنه المعلوف: "مادة متفجرة من النطرون والنيتروكليسيرين ودقيق الصوان يونانية ومعناها قوة شديدة".(٤)

كلمة (الديناميت) هو نوع من المتفجرات قائم على سائل النتروجليسرين، ويستخدم تراب المشطورات، وهو (التراب الدياتومي) كمادة ماصة في صناعته، وقد اخترع الديناميت الكيميائي والمهندس السويدي ألفريد نوبل في مدينة جيزتاخت بألمانيا وحصل على براءة اختراعه في عام ١٨٦٧ م، وقد كان نوبل قد صاغ اسم اختراعه من الكلمة الإغريقية القديمة δύναμις دينامس، وهي تعني «القوة»، ويصنف الديناميت أنه متفجر قاصم، مما يعني أنَّ قوة التفجير تأتي من التصعيق، ويستخدم الديناميت أساسا في صناعات التعدين والبناء والهدم وفي استخراج الحجارة.(٥)

٩- الطقس: قال المعلوف: "الطقس ج طقوس: الطريقة، وغلب على الطريقة الدينية، فهو بمعنى النظام،

(١) ينظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ١٠٩.

(٢) ينظر: معجم المنجد، ص: ٢٠٦.

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ٧٢٣/١.

(٤) ينظر: معجم المنجد، ص: ٢٣١.

(٥) ينظر: الموسوعة الحرة، مقال عن الديناميت، الشبكة العنكبوتية، على موقع واي باك مشين، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٢١٢.

والترتيب، وإقامة الشواعر، وعند العامَّة: حالة الجوّ وما يعرض عليها من التغيير (يونانية)".[١]

كلمة (الطقس) بالدلالة السابقة سواء الدلالة على الطريقة الدينية، بمعنى النظام، والترتيب، وإقامة الشواعر، أو دلالتها عند العامَّة على حالة الجو، وما يعرض عليها من التغيير، دلالة مُوَلَّدة؛ لأنَّ المعجمات العربيَّة القديمة لم تتعرض لكلمة: (الطقس)، بهذا المعني، فهي محدثة لفظًا ومعنًى، جاء في معجم الصواب اللُّغَوِي في نحو قولنا: (تَحَسَّنَ الطَّقس)، يراها مرفوضة، والسبب: لأنها لم ترد بهذا المعنى في المعجمات القديمة، المعنى: حالة الجو، الصواب والرتبة: (تحسَّن الجوّ) فصيحة، فاللفظ لم يكن في العربيَّة، والدلالة مُوَلَّدة، وإطلاقها عند العامة على حالة الجوّ، وما يعرض له من التغيير طول فصول العام دلالة مُوَلَّدة أيضًا.

١٠- البقلاوى: قال المعلوف في بقل: "البقلاوى نوع من الحلواء معروف، (تركية)"[٢]، كلمة البقلاوى بالألف أو البَقلاَوَة بالتاء المربوطة ليست عربية، ولا تعرفها معاجم اللغة القديمة، وأكثر المعاجم الحديثة أهملتها، وهي بالتركية: Baklava، هِي مُعَجَّنَات مُحلاة تَتكون من طَبَقات رقيقة من العجين، وتُحشى بالمكسرات كالجوز والفستق الحلبي، وتُحلى بسكب القطر أو العسل عليها، ويجعلها ذلك أكثر تماسكاً، والتسمية العربية جاءت مُشتقة من أصلها التركي، ومن الممكن أن تكون مشتقة من كلمة بايلاو من اللغة المنغولية والتي تعني الربط واللف[٣]، وهذه الكلمة بالدلالة السابقة من المُوَلَّد حديثًا لفظًا ومعنًى.

١١- البنزين: قال المعلوف: "البنزين زيت سريع الاشتعال سريع التبخر، يستخرج من زيت النِّفْط، ويستعمل لوقود السيارات وغيرها، ولتنظيف الثياب (فرنسية)"[٤]، و(البنزين) سائل طيّار سريع الاشتعال، ويستعمل وقودًا لتشغيل المحرِّكات، وهو مذيب جيّد للزّيوت والدِّهون، أقلّ كثافة من (الكيروسين) ويعدّ البنزين عصب الصناعات في العصر الحديث[٥] وقال صاحب معجم الدخيل "قد تكون الحقيقة أغرب

(١) ينظر: معلوف، المنجد (ط ق س)، ص: ٤٦٨، ورضا، متن اللُّغة (ط ق س)، ٦١٨/٣.

(٢) ينظر: معلوف، المنجد (ب ق ل)، ص: ٤٥.

(٣) ينظر: جريدة السياحي الجزائرية، الحلويات التقليدية، مؤرشف من الأصل في ٢٨ أكتوبر ٢٠١٧ الشبكة العنكبوتية النت

(٤) ينظر: معلوف، المنجد (ب ن ز)، ص: ٥٠.

(٥) ينظر: متن اللغة، ٣٥٠/١، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٤٨/١، والمعجم الوسيط، ٧١/١.

من الخيال، إنّ «البنزين» كلمة عربية أصلها: (لُبان جاوي)، وقد حرفت هذه الكلمة، ثم توالت عليها تحريفات في اللفظ وتغييرات في المعنى حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، فهذه بضاعتها ردت إلينا محرفة اللفظ مغيرة المعنى"[١] وهذا كلام لم يقل به أحد، ولم يبين لنا كيفية تحريفها إلى أن وصلت إلى كلمة (بنزين)، أما قول العامة لها بنزيم، فهذا من باب التبادل الصوتي بين الحرفين الأغنين، وهذه الكلمة للدلالة السابقة من المُوَلَّد حديثًا لفظًا ومعنًى.

١٢- التياترو: في مادة (تيت) قال : "التياترو: الممثل، المسرح، (إيطالية)"[٢] . كلمة التياترو هي باللهجة التونسية مرادفة لكلمة المسرح [٣] وأصلها من الإيطالية: Il teatro، أي: المسرح، وهو فضاء للإنتاج الفني والمسرحي، ثم تطورت دلالته من المسرح إلى مكان واسع للعبة البهلوان، وهي لعب اشتهر به البهلوان في التياترو فقط، ولعبة التياترو: من اللعب المستحدثة في العهد الأخير، وفيه شكل بهلوان يلعب على الحبال وغير ذلك، (٤) وهذه الكلمة بالدلالة السابقة من المُوَلَّد حديثًا لفظًا ودلالةً.

١٣- الكردينال: قال عنها: ج كرادلة: رتبة كنيسية عليا (لاتينية)".[٥] الكاردينال هو مركز رسمي لأسقف مسؤول في الكنيسة الكاثوليكية ، وهو عضو كلية الكرادلة ، ويأتي في المركز تحت البابا، ويتم تعيين الكرادلة من قِبل البابا، وهم صحابة البابا، ومستشاروه وَلَهُم الْحق فِي انتخابه من بَينهم.[٦] ولم ترد الكلمة في اللغة القديمة، بل وجدت مصاحبة لدلالتها التي عليها حديثا، فهي من المُوَلَّد حديثًا لفظًا ومعنًى.

وبعد:

فما ذكرناه من أمثلة يكفي، وما ذكرته إلا لأؤكد به على غلبة الكلمة المولدة بدلالتها على الاستعمال الفصيح العام، وذلك لشيوعها، وتقبل العامة لها، وجريانها على ألسنة الكتاب، والمتعلمين، وفي كتاباتهم، وللإعلام المرئي دور كبير في ترسيخ مثل هذا المولد على الألسنة، وانتشاره على مستوى عام.

(١) ينظر: ف. عبدالرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ص: ٦٧.

(٢) ينظر: معلوف، المنجد، ص: ٦٧.

(٣) ينظر: هيكل، أحمد عبد المقصود، تطور الأدب الحديث في مصر، نشر: دار المعارف، ط: السادسة ١٩٩٤ م، ص: ٨٣.

(٤) ينظر: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، ٢٢٧/٣.

(٥) ينظر: معلوف، المنجد (ك ر ز)، ص: ٦٨٠.

(٦) ينظر: المعجم الوسيط، ٧٨٢/٢.

الخاتمة:

حمدًا لك اللهم، لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وصلِّ اللهم وسلمْ على نبينا محمد أفضل من أُرسلَ إلى البشرية وخير من نطق بالعربية وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فبعد هذا التَّطْوَاف مع موضوع البحث (الدلالةُ المُوَلَّدَةُ دراسةٌ تطبيقيَّةٌ على معجمِ المنجدِ للمعلوفِ) يجدر بي أن ألخِّصَ أهم نتائجه، وهي:

١- اللغة العربية لغة عالمية، تخضع لقانون التطور الذي يشمل كل حي، وبالتالي المولد واقع فيها لا محالة، ولا سبيل لمنعه، أو إيقافه، لكن ينبغي أن نحول دون كثرته على الألسنة، وذلك باتباع عدة أمور، منها: عدم اعتناء أدوات النشر المسموعة والمرئية بهذا المولَّد بحجة أنه واضح ومفهوم؛ ومنها: عدم التعرض له في المحاضرات، والنقاشات العلمية، ومن باب أولى في الكتابات المقروءة كالمجلات، والصحف، والجرائد.

٢- لاحظنا أنَّ الكلمات المستحدثة المولدة فيها تناسق صوتي، وصرفي، وجاءت موافقة للقواعد العامة للغة الفصيحة، فلم نجد فيها تنافر في تركيب أصواتها، ولا في أغلب أبنيتها الصرفية، اللهم إلا ما كان من لغة أجنبية؛ كالبقسماط، والكاردينال، وأمثالهما.

٣- لم ينقطع التواصل اللُّغَوِي للعربيَّة وأبنائها في كل زمان ومكان، لقوتها وكثرة خصائصها، بدليل احتوائها لكل مُوَلَّد جديد بلفظه ومعناه، واعتبار أنَّ كل مستعمل بالفعل لغة يجب الاهتمام بها.

٤- هذا المُوَلَّد الذي دعت الضرورة إلى إدخاله من ألفاظ مُوَلَّدة أو محدثة أو معربة أو دخيلة أقرتها المجامع اللُّغَوِيَّة، وارتضاها الأدباء وجرت بها أقلامهم يكون عربيًّا، وكان من أهم القرارات: فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق، وارتجال، وقياس يشمل ما قيس من قبل وما لم يقس، وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان، والاعتداد بالألفاظ المُوَلَّدَة اليوم.

٥- كنا نتمنى أن يعنى المحدثون من اللغويين بالمولد على أنه من اللغة، ويدرس دراسة شاملة من كل مستوى من مستويات اللغة، ولو تم ذلك لتمكنا من وضع النتائج والقواعد التي تحول دون طغيانه على اللغة الفصحى وكلماتها.

٦-على المسلمين ألاَّ يأمنوا إلاَّ لمنْ تبع دينهم كما قال الله-سبحانه - في قرآنه، وعلينا -نحن الباحثين- تجاه اليقظة العلمية التي بلغت الذروة على أيدي غير المسلمين، ألاَّ نسلم بما قدموه لنا في دراساتهم، بل ينبغي أنْ نتعقب نتائجها، ونتفرسها، ونصوبها.

ومن أهم توصيات البحث:

١- ينبغي الاهتمام بالمعجم العربي العصري الذي يتطلب أن يواكب النهضة المعاصرة، ويفي بمتطلباتها، ويُعين الباحثين، ولا يستهلك وقتًا طويلًا عند الرجوع إليه، ويشتمل على جميع الألفاظ المستعملة، ويعتمد منهجًا دقيقًا في إيراد المعاني مراعيا تطورها، أو وقت ظهورها، وفي أي عصر كان.

٢- المولد أصبح لغة، وله وجود فعلي، فنأمل أن يكون للكلمات المتطورة، أو المستحدثة في كل عصر من عصور اللُّغَة، أو المنقولة إلى العربية سجل جامع لها، كالذي يتم إنجازه من دراسات معجمية لدواوين بعض الشعراء في أقسام اللُّغَة العربيَّة بجامعاتنا في رسالتي الماجستير، أو الدكتوراه، وشيئًا فشيئًا سيأخذ المولد شكل الدراسة التاريخية

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- إشكالية الواقع والتحولات الجديدة، في الرواية العربيَّة، دراسة وعي بمجادلة الواقع ومتغيراته، وتِقْنِيَّات البنية، – دراسة –من منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب، ١٩٩٩م.
- مجلة «الزهور» المصرية، أسسها: أَنْطُون الجُمَيِّل والشيخ أمين تقي الدين، بيروت: دار صادر، تصويرًا عن: مطبعة المعارف بشارع الفجالة – مصر، صدرت سنة ١٩١٠م.
- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت.
- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، القاهرة: البابي الحلبي، ١٩٥٨م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط/٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.
- ابن فارس، أحمد: مقاييس اللُّغَة، تح: عبد السلام هارون، ط/١، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩م.
- أبو سكين، عبد الحميد محمد: المعاجم العربيَّة مدارسها ومناهجها، ط/٢، الفاروق الحرفية للطباعة والنشر، ١٩٧١م.
- الأزهري: تهذيب اللُّغَة، تح: عبد السلام هارون وآخرين، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الأنباري، أبي بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، ط/١، تح: الدكتور/ حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م.
- أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ط/٥؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريَّة، ١٩٨٤م.
- بالمر، فرانك: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة: الدكتور/ خالد جمعة، ط/١، الكويت: مكتبة دار العروبة، ١٩٩٧م.
- بشر، كمال محمد: دراسات في علم اللُّغَة، ط/١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣م.
- الجبرتي، عبدالرحمن: عجائب الآثار في التراجِم والأخبار، القاهرة: بولاق، ١٨٧٩م.
- جرمان، كلود، ولوبلان، ريمون: علم الدلالة، ترجمة: للدكتورة/ نور الهدى لوشن، دمشق: دار الفاضل، ١٩٩٤م.
- الجوهري، لإسماعيل بن حماد، تاج اللُّغَة وصحاح العربيَّة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٩٥٦م.
- حجازي، محمود فهمي: مدخل إلى علم اللُّغَة، للدكتور/ القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م.
- خليل، حلمي: المُوَلَّد في العربيَّة، بيروت: دار النهضة العربيَّة للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

- الدسوقي، محمد علي: تهذيب الألفاظ العَامِّيَّة، القاهرة: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٣م.
- دهمان، محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط/١، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٠م.
- دوزي: المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: الدكتور/ أكرم فاضل، بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧١م.
- دوزي، رينهارت بيتر آن: تكملة المعاجم العربيَّة، ترجمة: الدكتور/ محمد سليم النعيمي، بغداد، ١٩٧٨م.
- ديورَانت، وِل، ديورَانت، ويليام جيمس: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، بيروت: دار الجيل، تونس: المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٨م.
- رضا، أحمد: معجم متن اللُّغَة، موسوعة لغوية حديثة، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨م.
- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد: تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط/٥؛ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.
- الزيبق، محمد شريف: أرشيف ملتقى أهل الحديث، تحْريفاتُ اليَسُوعيَّين لكتُب التراث، المكتبة الشاملة.
- زيدان، جرجي: اللُّغَة العربيَّة كائن حي، القاهرة: مؤسسة هنداوي، د.ت.
- السامرائي، إبراهيم: فقه اللُّغَة المقارن، ط/٤؛ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- السعران، محمود: علم اللُّغَة مقدمة للقارئ العربي، ط/٢، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.
- سقال، ديزيره: نشأة المعاجم العربيَّة، ط/١؛ بيروت: دار الصداقة العربيَّة، ١٩٩٥م.
- سلامة، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق: شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، رسالة ماجستير –كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ٢٠١٢ م.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ط/١، تح: الدكتور: محمد إبراهيم عبادة، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م.
- الصغاني، الحسن بن محمد: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، المحقق: مجموعة من المحققين، راجعه د. محمد مهدي علام، السنة، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٩م.
- عبد الرحيم، منتصر أمين: المعجمية العربية – قضايا وآفاق، دار كنوز المعرفة العلمية السلسلة: المعرفة اللسانية، ٢٠١٤م.
- عبد الرحيم، ف: معجم الدخيل في اللُّغَة العربيَّة الحديثة ولهجاتها، ط/١، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م.
- عبد الكريم، محمد علي: المعجمات العربيَّة، ط/٢، الجزائر الرديني، عين مليلة: دار الهدى، د.ت.
- عبدالرحمن، عفيف: من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، الأردن: وزارة التعليم العالي، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) بتاريخ: ٢٠١٦/١٢/٤م.

– العفاني، سيد بن حسين: وَا مُحَمَّدَاهُ {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}، ط/١، القاهرة: دار العفاني للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
– عمر، أحمد مختار: معجم الصواب اللُّغَوِي (دليل المثقف العربي)، ط/١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م.
– عمر، أحمد مختار: معجم اللُّغَة العربيَّة المعاصرة، ط/١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م.
– عوض، إبراهيم: النزعة النصرانية في قاموس المنجد، الطائف، السعودية: دار الفاروق، ١٩٩١م.
– الفراهيدي، الخليل بن أحمد العين، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية، طبع في الكويت: مطابع الرسالة، ١٩٨٠م.
– الفهري، عبد القادر الفاسي: المعجم العربي (نماذج تحليلية جديدة)، ط/٢، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٩م.
– القلقشندي، أحمد بن عليّ: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، إشراف وزارة الثقافة المصرية.
– المبارك، محمد: فقه اللُّغَة وخصائص العربيَّة، بيروت: دار الفكر – ١٩٧٢م.
– مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
– محفوظ، عبلة، ومعلوف، لويس: توليد الألفاظ الأوروبيّة وخصائص بنائها في المنجد للأب لويس معلوف، رسالة الماجستير في كلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري تيزي، ٢٠١٥م.
– مصطفى، إبراهيم وآخرين: المعجم الوسيط، مجمع اللُّغَة العربيَّة بالقاهرة، الإسكندرية: دار الدعوة.
– المطرزي، ناصر الدين: المغرَّب في ترتيب المعرَّب، تح: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، ط/١، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، ١٩٧٩م.
– معلوف، لويس: المنجد في اللُّغَة والأدب والعلوم، ط/٢، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت.
– معلوف، لويس: منهج معجم المنجد في اللُّغَة والأعلام، دراسة في ترتيب المداخل، جاكرتا، كلية الدارسات الإسلامية والعربيَّة، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، ٢٠٢١م.
– معلوف، لويس، والبعلبكي، منير: موسوعة المورد، موسوعة شبكة المعرفة الريفية، مؤرشف من الأصل في ٢٤ مايو ٢٠٢٠، كانون الأول ٢٠١٢م.
– الهروي، أحمد بن محمد: الغريبين في القرآن والحديث، تح: أحمد فريد المزيدي، ط/١، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز – ١٩٩٩م.
– هلال، عبد الغفار حامد: مناهج البحث في اللسانيات وعلم المعجم، القاهرة: دار الكتاب الحديثة، ١٩١٠م.
– وافي، علي عبد الواحد: فقه اللُّغَة، ط/٦؛ القاهرة: دار نهضة مصر.

– يعقوب شيخو، لرزق الله بن يوسف بن عبد المسيح: تاريخ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، ط/٣، بيروت: دار المشرق.

– يونس، محمد محمد: وصف اللُّغَة العربيَّة دلاليًّا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية "دراسة حول المعنى وظلال المعنى"، ليبيا: منشورات جامعة الفاتح، ١٩٩٣م.

الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي: (ت:١٠٢٦هـ) ومنهجه في تفسير (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد).

أ. عبدالجليل مهيوب فاضل الفقيه[1]

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي (ت: ١٠٢٦هـ): وبيان منهجه في تفسيره (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد)، وأهمية هذا الكتاب، ومصادره، والذي يعتبر واحداً من المصادر المهمة في علم التفسير، وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي عند التعريف بالإمام الناصر لدين الله المؤيدي (ت:١٠٢٦هـ)، كما استخدم الباحث المنهج الوصفي عند عرض منهج المؤلف، وأسلوبه في الكتاب. وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج منها: أن المؤلف الناصر لدين الله المؤيدي مفسر وفقيه ومحقق عظيم العلم، وجليل القدر، وله مكانة عالية بين العلماء المفسرين، وأنه سار بمنهجه على أحسن طرق التفسير بالمأثور، والرأي المحمود، وأن الكتاب احتوى على مادة علمية قيمة في مجال التفسير وعلوم القرآن، واللغة وعلومها والفقه وأصوله.

الكلمات المفتاحية: الحسن المؤيدي، التفسير بالمأثور، بالرأي، منهج

Abstract:

This research aims to introduce Imam Al-Nasir Li-Din Allah Al-Hassan bin Ali bin Dawood Al-Mu'aydi (d. 1026 AH): and to explain his method in his interpretation of "The Sure Covenant, the Exegesis of the Glorious Qur'an extracted from the statement and abstraction", the importance of this book, and its sources, which is considered one of the important sources in The science of interpretation, and the researcher used the historical inductive method when introducing, and the researcher used the descriptive approach when presenting the author's approach and style in the book. One of the most prominent results reached by the researcher: that the author Al-Mu'ayyad is an interpreter, jurist, and investigator of great knowledge, and venerable fate, and he has a high position among the scholars of the interpreters, and that he followed his approach on the best methods of interpretation according to the aforementioned, and the praised opinion, and that the book contained valuable scientific material In the field of interpretation , the Qur'an and its sciences, the language and its sciences and jurisprudence and its origins.

(١) طالب دكتوراة، قسم الدراسات الاسلامية، كلية الآداب والعلوم الانسانية – جامعة صنعاء.

المقـدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، حمداً يوافي نعمه التي أنعم بها علينا، حمداً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، شهادة أحقق بها الإيمان وأثقل بها الميزان، وأعتز بها في الدارين، وصلى الله على سيدنا محمد نور شمس العرفان ومهبط أسرار القرآن، وعلى آله الاطهار، وصحابته الاخيار. وبعد:

فقد أنزل الله القرآن الكريم على رسوله محمد ﷺ ليبلغه للناس، فقام بتبليغه على أكمل وجه، ففهمه الصحابة الكرام بسليقتهم وطبيعتهم العربية إلا النزر اليسير منه، فكانوا يرجعون إلى رسول ﷺفيما أشكل عليهم، فيفسره لهم ويبين لهم المراد امتثالاً لأمر الله له ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] فكان رسول اللهﷺ المفسر الأول للقرآن الكريم. ثمَّ تبعه الصحابة الكرام من بعده وانتهجوا نهجه، وساروا على الطريق المستقيم، مع اختلاف افهامهم للمراد من الآيات القرآنية، كل حسب قدراته العقلية، في الفهم والاستنباط، فظهرت مدارس تفسيرية، وتعددت مناهجها، وذلك محاولة منهم لبيان مراد الله تعالى من كلامه، فمنهم من اهتم بتفسير القرآن بالمأثور، ومنهم من اهتم بالتفسير بالرأي، ومنهم من جمع بين المدرستين وهذه المدارس منها ما كان بمكة على يد عبدالله بن عباس –رضي الله عنهم– ومنها ما كان بالمدينة على يد الصحابي الجليل أُبي بن كعب، ومنها ما كان بالعراق على يد عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه–.

ولأنّ القرآن الكريم فيه العلم والحكمة، والهدى والنور، وأنّه مستودع المعارف كلها، فقد أقبل عليه العلماء ينهلون من منهله العذب، ومع ظهور هذه المدارس –المختلفة في التفسير– كان لكل مفسر منهجية مستقلة بذاتها وطريقة عُرف بها. وسنتعرف في هذا البحث على منهجية الإمام الناصر لدين الله المؤيدي في تفسيره المسميّ بـ (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد).

والله الموفق.

أهمية الدراسة العلمية:

تكمن أهمية الدراسة في:

- كونه يتعلق بألفاظ القرآن الكريم، وبيان معانيه.
- أن مؤلف الكتاب من كبار علماء الزيدية في زمانه، وتولى حكم اليمن فترة من الزمن، ويعتبر تفسيره من أجمل التفاسير الزيدية.
- أن مؤلف الكتاب كان متبحراً فِي عُلُوم عديدة كالنحو وَالصرْف والمنطق والمعاني وَالْبَيَان والأصول وَالتَّفْسِير وَالْفِقْه والْحَدِيث، كما وصفته كتب التراجم.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عدة منها.

١) الإسهام في نشر التراث الإسلامي، وإظهار مصنف جديد يضاف إلى المكتبة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم.

٢) الحصول على فرصة الوقوف على أهم مصادر التفاسير الزيدية للتوثيق والمقارنة والترجيح.

٣) حفظ تراث الأمة من الاندثار.

أهداف الدراسة:

١) التعريف بالإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي المتوفى عام ١٠٢٦هـ كشخصية علمية خدمت كتاب الله سبحانه وتعالى من خلال تفسيره هذا.

٢) إبراز منهج المؤلف الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي في كتابه.

٣) بيان أهمية ومزايا كتاب (العهد الاكيد تفسير القرآن المجيد).

منهج البحث:

المنهج الوصفي: وذلك عند عرض منهج المؤلف، وأسلوبه في الكتاب

المنهج التاريخي: وذلك عند التعريف بالمؤلف وسيرته وتتبع ذلك في كتب التراجم والطبقات.

الدارسات السابقة:

من خلال البحث المستفيض في قواعد الرسائل العلمية التي وقفت عليها، وكذلك في الشبكة العنكبوتية، لم

أقف على دراسة وتحقيق لهذا المخطوط.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة كما يلي:

المقدمة: وقد احتوت على أهمية الدراسة، وأسباب الاختيار، والأهداف، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي.

المبحث الثاني: منهج الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي في تفسيره.

المبحث الثالث: التعريف بالكتاب وبيان مزياه والمآخذ عليه.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

هو الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي للحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الهدوي، الإمام الناصر للحق[١].

المطلب الثاني: مذهبه وعقيدته:

نشأ الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي على ما نشأ عليه آباؤه حيث كانت عقيدته هي عقيدة الزيدية المتشربة بآراء المعتزلة إلا أنه لم يخض في مسألة الأسماء والصفات واستدل على عقيدته بما يلي:

أولا : اعتقاده بأن أفعال العباد مخلوقة من قبل أنفسهم فقد قال عند تفسيره للآية الكريمة:

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢]

حيث قال المؤلف: "أي مُحدِثٌ لكل شيء ما خلا أفعال العباد فإنّها منهم أحدثوها"[٢]

ثانياً: في مسألة أن القرآن مخلوق حيث قال المؤلف عند تفسيره للآية الكريمة:

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ [الزخرف: ٣] حيث قال: خلقناه، وأحدثناه بلغة العرب، لأنّ من التنزيل ما هو بغيرها، وهو جواب القسم، وفيه دلالة على أنّه مخلوق، لأنّ الجعل بمعنى الخلق[٣] .

ثالثاً: في مسألة الاستواء على العرش:

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ [السجدة: ٤]حيث قال: أي: استولى أو قصد إلى خلقه، أو تشبيهاً بالملك الذي استوى على سريره[٤].

(١) ينظر: الشهاري، إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية الكبرى، تح:: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي، صنعاء (٣١١/١)، الشوكاني، محمد علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٤٨م: (٢٠٤/١).

(٢) ينظر: المؤيدي، الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داؤود المؤيدي، العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد، مخطوط: [٣٢٠/و].

(٣) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد: [٣٣٤/و].

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد: [٢٦٧/و].

المطلب الثالث: نشأته، وشيوخه، وتلاميذه:

نشأ الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي بصعدة[١]، نشأة علمية، فقد قرأ كثيرا من كتب الأئمة الأطهار مثل قراءة كتاب الفقه (البحر الزخار)[٢]، وتتلمذ على أيديهم ومن العلماء الذين تتلمذ على أيديهم وأخذ عنهم:

١- الفقيه العلامة شرف الدين صلاح بن يحيى قيس[٣] قرأ عليه الرسالة الشمسية، و عدة من كتب الفروع والحديث في مدينة السودة[٤] وقرأ أيضاً على جماعة من علمائها[٥].

٢- السيد العالم الهادي بن أحمد الوشلي[٦]فقرأ عليه في الأصوليين أصول الدين، وأصول الفقه و(الكشاف) وغير ذلك من الكتب [٧]، وكان هذا في منطقة الشرف[٨]، ثم رجع إلى صعدة، وبرز في كل فن وصار يضرب به المثل، وكانت محفوظاته من مطالعته أكثر من مسموعاته[٩].

٣- السيد جمال الدين علي بن الناصر الحسيني[١٠] أخذ عنه في علم المنطق

٤- السيد المطهر بن محمد بن تاج الدين[١]، أخذ عنه علم العربية وأسمع عليه[٢] (الكشاف)[٣].

(١) صعدة: إحدى محافظات الجمهورية اليمنية، وتقع شمال غرب العاصمة صنعاء، وتبعد عنها حوالي(٢٤٢كم٢)، ينظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ابراهيم أحمد المقحفي، دار الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء- اليمن المقحفي: (٩٠٧/١).

(٢) مؤلفه: المهدي لدين الله، أحمد بن يحيى بن المرتضى بن المفضل الحسني، (ت:٨٤٠هـ). وهو مطبوع في دار الحكمة اليمانية- صنعاء- اليمن.

(٣) صلاح بن يحيى قيس الشظبي، كان من أعلام القرن العاشر، وتوفي في هذا القرن، أجازه الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين إجازة عامة سنة(٩٥٩هـ)، من تلاميذه الإمام الحسن بن علي بن داود والسيد محمد المفتي، والقاضي اليعفري. ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٥٣٠/١).

(٤) بفتح السين وسكون الواو، مديرية من أعمال محافظة عمران، تقع في غربي جبل عيال يزيد. ينظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية: (٨٢٦/١).

(٥) ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٣١١/١).

(٦) الهادي بن محمد بن الهادي الوشلي النعيمي الشرقي، من أعلام القرن العاشر الهجري، وتوفي في هذا القرن، عالم في العريمة، من طلابه: السيد: صلاح بن أحمد الوزير، وعبد الله بن المهلا، والإمام الحسن بن داود. ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (١١٨٨/٢).

(٧) ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٣١١/١)، الشوكاني ، البدر الطالع: (٢٠٤/١).

(٨) سلسلة جبلية في الشمال الغربي من مدينة حجة، تشمل المحابشة، والشاهل، والقفل، وكحلان الشرف، والمفتاح وأسلم، وهي حصون منيعة، ومعدل ارتفاعها ٢٥٠٠ متر من سطح البحر. ينظر : المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية: (٨٦٠/١).

(٩) ينظر : الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٣١١/١)، الشوكاني ، البدر الطالع: (٢٠٤/١)

(١٠) جمال الدين علي بن الناصر الحسيني، عالم عارف قدم من الجبل والديلم إلى اليمن وأقام في السودة. ينظر: الأكوع، اسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر- بيروت: (٩٨٧/٢).

تلاميـذه:

كـان الإمـام الحسـن بـن علـي بـن داود قبلـة العلمـاء والمتعلمـين مـن وقتـه، ومقصـودهم، ومحـط رحالهم، ارتحل إليه العلماء من الأقطار الشاسعة، وأخذوا عنه العلوم النافعة[٤]، ومنهم:

١. علـي بـن صـلاح العبـالي (ت: ١٠١٩هـ). قـال ولـده الحسـين: مولـده سـنة ثمـانين وتسـعمائة، وعده من جملة تلامذة الإمام الحسن بن علي بن داود[٥].

٢. الطيـب بـن داود بـن المهـدي (ت:١٠٢٤هـ)، عـالم كبـير، محقـق في الأصـولين، اللغـة، قـال في مشجر الجلال: قرأ على الإمام الحسن بن علي بن داود وكان يعرف بـ: سيبويه زمانه[٦].

٣. الإمـام المنصـور بـالله القاسـم بـن محمـد الرشـيد، (ت:١٠٢٩هـ) قـال في الطبقـات: لازم الإمـام الحسن بن علي بن داود وقرأ عليه[٧].

٤. عـامر بـن محمـد الصـباحي (ت:١٠٤٧هـ) عـالم، فقيـه، محقـق في الأصـول، والفـروع، قـال في الطبقـات ومطلـع البـدور أنـه: لقـي الإمـام الحسـن بـن علـي بـن داود، وصـحبه، وسمـع عليـه الجـزء الأول من أحكام البحر الزخار[٨].

٥. السيد إبراهيم بن مهدي الجحافي[٩][١]

(١) المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي، عالم، فاضل، ومحقق، وأديب، من كبار علماء عصره، اشتهر بحسن ودماثة أخلاقه، توفي سنة(٩٨٣هـ)، ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٢٣/٣).

(٢) تفسير الإمام جار الله الزمخشري المسمى" الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمؤلفه: العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) وهو كتاب مطبوع، طبعة دار احياء التراث العربي، وتح: عبدالرزاق المهدي، وطبعة دار الكتاب العربي- بيروت.

(٣) ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٢٣/٣).

(٤) ينظر: المهلا، الحسن بن ناصر، مطمح الآمال، تح: عبدالله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ط١: (ص٢٧٧).

(٥) ينظر: ابن أبي الرجال، مطلع البدور: (٢٦٣/٣).

(٦) ينظر: الجلال، صلاح بن محمد بن الجلال، مشجر الجلال: (ص١٢١).

(٧) ينظر: يحي بن الحسين بن القاسم،(ت: ١١٠٠هـ)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي- القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨، (٧٦٥/١)، الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٨٦٤/٢).

(٨) ينظر: ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، مطلع البدور ومجمع البحور، تح: عبد الرقيب مطهر، مركز أهل البيت- صعدة: (٢٠/٣)، الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٥٤٦/٢)، زبارة، محمد بن محمد بن يحي، تأريخ الأئمة الزيدية حتى العصر الحديث، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة: (١٢٥/١).

(٩) ينظر : ابن أبي الرجال، مطلع البدور: (١٩٩/١)، الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٣١٢/١).

المطلب الرابع: مكانته، وثناء العلماء عليه، ومؤلفاته:

قال عنه الإمام إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله[٢] (ت:١١٥٢هـ)، كان حليف العبادة، والورع، والزهد، والانقطاع إلى العلم، والتحلي به، والتوزيع لأوقاته في سائر الأعمال الصالحات، وكان حسن الخلق، وجيد الرأي، وثبات القلب، مع التواضع والأدب، وقال عنه أيضاً: هو الإمام الأسير، والعلم النحرير[٣]، كان بحراً لا يساحل، طار صيته في الآفاق، وظهر علمه ظهور الشمس في الإشراق، وفاز من العلوم بالقدح المعلى في قدر عشر سنين، وقال عنه الإمام الشوكاني[٤]: رأيت سيرته في مجلد وصفه مؤلفها بالتبحر في علوم عديدة كالنحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والأصول، والتفسير، والفقه، والحديث، ورأيت له رسائل تدل على بلاغته، وقوة تصرفه، وله أخبار حسان أستوفاها مؤلف سيرته فمن رام الاطلاع عليها فليقف على السيرة المذكورة ليعرف مقدار هذا الإمام، وسعة دائرته في المعارف العلمية[٥].

مؤلفاته: للإمام الناصر الحسن بن علي عدد من المؤلفات في الأصول والفقه واللغة وسنذكر بعض هذه المؤلفات:

١- كتاب أسنى العقائد في أشرف المطالب وأزلف المقاصد (جمعه مصنف سيرته أحمد بن شايف اللوزي) منه خمس نسخ خطية في مكتبة الأوقاف رقم (٨٥، ٧٦٧، ٤١٩)، ومجاميع (٤١، ٩١)، وثلاث نسخ في الغربية برقم (١١) علم الكلام،

وفي مجموعي (٢٥٤، ٢٣٩) أخرى مصورة مكتبة الأخ عبد الله الحوثي[٦].

---

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) هو: الإمام إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد الحسني، اليمني، الشهاري. عالم، حافظ، مسند، ذو فهم صادق، واطلاع باهر، من أشهر مؤلفاته: طبقات الزيدية الكبرى، إجازة في الحديث والدرر المضيئة المستخرجة من أحاديث أئمة الزيدية المروية عن سيد البرية. ينظر: الوجيه، اعلام المؤلفين الزيدية: (٥٩/١).

(٣) النحرير هو: الفَطِن، العالِمُ الحاذق في علمه. ينظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨ م: (٣/ ٢١٧٧).

(٤) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وغيرها. (ت: ١٢٥٠هـ) ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين: (٣٩٨/٦).

(٥) ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٣١٢/١-٣١٣)، الشوكاني، البدر الطالع: (٢٠٤/١)، زبارة، تأريخ الأئمة الزيدية: (١٢٢/١).

(٦) ومن المؤلفات التي ذكرها عبدالسلام الوجيه: شرح الموشح للحبيصي، في النحو (التحف ص:١٤٩، ط، مؤلفات الزيدية)، رسالة دعوته العامة (ضمن سيرته المخطوطة) وقد حققت

٢- جواب الحسن على مسائل في أوقات الصلاة وغيرها، (خ) في مجموع (٥٧) من ورقة ١٢ -٣٨ بمكتبة الأوقاف.

٣- الفتاوى التي جمعها عنه أحمد بن شائع الدعامي

٤- رسائله وإجاباته ومكاتباته (مخطوط)

٥- الانتصار إلى هداية الأفكار [١]

ضمن كتاب السيرة الذاتية للإمام الناصر الحسن بن علي بن داود، تأليف: أحمد بن شايع الدعامي، تح: فاضل محسن الشرفي، ينظر: الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية: (٣٣٥/١).

(١) الجنداري، أحمد بن عبد الله الجنداري، (ت:١٣٣٧هـ)، الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، (د.ط)، (د.ت): (٤٢٢/١)، الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية : (٣٣٥/١)

المطلب الخامس: دعوته ووفاته:

دعوته:

دعا الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤدي إلى نفسه (سنة ٩٨٤هـ) في نصف شهر رمضان، فاجتمعت إليه الزيدية، وأجابوا دعوته وبايعوه في بلاد صعده، وخرج منها بجيش إلى الهجر أسفل بلاد الأهنوم [١]، سنة (٩٨٦هـ) ونفذت أوامره، ونواهيه في جميع اليمن، واستمرت له الخطبة من الجميع، وقد اشتعلت الأرض ناراً بقيامه على الأتراك[٢].ودخل في طاعته بعض أولاد الإمام شرف الدين[٣]، وأسر عبد الله بن المطهر[٤]، وأودعه السجن، ثم توجه بجند واسع لأخذ بلاد همدان[٥] ففتح أكثرها، وأخرج الأتراك من صنعاء وأميرهم سنان[٦]، فما زالت الحرب بينهما سجالاً ، ثم لم تزل البلاد تذهب من يد الامام حتى لم يبق إلا بقية، فجهز الأتراك جيشاً عظيماً الى بلاد الأهنوم، فافتتحوها في (سنة٩٩٣هـ) وحاصروا الإمام الحسن في محل يقال له الصاب[٧]، فدعا إلى السلم فأجاب[٨].

وخرج إلى القائد العثماني سنان وقبض عليه، وكان ذلك في نصف شهر رمضان من تلك السنة ثم دخل به سنان إلى صنعاء فوصل به إلى الباشا حسن[٩] فسجنه، وقد كان أسر أولاد المطهر بن شرف الدين[١]

(١) ينظر: الشوكاني، البدر الطالع: (١/ ٢٠٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي الهادوي ولد (سنة ٨٧٧هـ) كان شيخ وعالم وإمام جليل من مشائخه: عبدالله بن الحاج الشظبي، وعبد الله الناظري من تصانيفه (الأثمار) من طلابه الريقي، ويحيى بن الحسين (ت: ٥٦٠هـ). ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية: (ص: ١٢٣٢، ١٢٤٣).

(٤) أحد الأمراء من أولاد المطهر كان رجلاً شجاعاً مقداماً وكان حاكماً لحصن (حقل) وبني حشيش والتابعة حالياً لمحافظة صنعاء، ينظر : الشرفي، اللآلئ المضيئة: (٣/ ٣٢٥).

(٥) مديرية همدان، احدى مديريات محافظة صنعاء، تقع بالغرب منها مباشرة، يبلغ مساحتها ٥٧٧كم٢، ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D9%85%D8%AF%D8%A7%D9%86_(%D9%85%D8%AF%D9%8A%D8%B1%D9%8A%D8%A9).

(٦) هو الأمير سنان الكيخيا قائد عسكري عثماني عمل في اليمن تحت إمرة حسن باشا الوزير، وكان كبير قادته ومستشاريه ثم أصبح والياً على اليمن من عام (١٦٠٤- ١٦٠٧م). اللوزي، أحمد بن شايع الدعامي، الأوضاع السياسية والإدارية في اليمن، تح: فاضل محسن الشرقي، مركز الشهيد الصماد للدراسات والبحوث، صنعاء، ط١، ٢٠٢١ م: (٥٩/١).

(٧) قرية من قرى الأهنوم بالغرب من مدينة عمران، وما زالت عامرة إلى اليوم. ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٣١٣/١).

(٨) ينظر: الشوكاني، البدر الطالع: (١/ ٢٠٤).

(٩) من أهم قادة الجيش العثماني الأول لليمن ودهاتهم، وأعيان وزراء السلطان مراد سليم عين والياً على اليمن في المرة الأولى، برتبته وزير (سنة ٩٧٤هـ) ثم عينه السلطان مراد والياً على =

لطف[٢] وعلي[٣] وغوث الدين[٤] وسجنهم مع الإمام، ووقف في الأسر في صنعاء سنة كاملة، وفي شهر شوال (سنة ٩٩٤هـ) أرسل الباشا بهم جميعاً إلى الروم وكان آخر العهد بهم، وأنزله السلطان بجزيرة (بذي قلة)[٥] بالقرب من القسطنطينية ثم حصل له القبول والمحبة من السلطان محمد وولده أحمد مالا يوصف ووصل إليه علماء تلك الجهة فراجعوه، ووجدوا عنده من العلم ما ليس في ظنهم، وتأكدت له عندهم العقيدة الصحيحة والمودة الصريحة ولم يزل في الحبس حتى توفي[٦].

وفاته: توفي الإمام الناصر الحسن بن علي بن داود المؤيدي في الروم محبوساً يوم الخميس ثالث عشر من جماد الأولى ست وعشرين وألف، وقيل: في ذي العقدة (سنة ١٠٢٥هـ)[٧].

ولبث في الحبس احد وعشرين سنة رحمه الله تعالى.[٨]

اليمن (سنة ٩٨٨هـ). المحبي، ، محمد أمين فضل الله محب الدين الحموي الأصل، الدمشقي (ت: ١١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر بيروت: (٢/ ٧٤).

(١) المطهر بن شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي بن المرتضى قائد جيوش والده ورجل الحرب والعلم تولى الأمر بعد والده (سنة ٩٦٥هـ) ولد (سنة: ٩٠٨هـ) ومات (سنة: ٩٨٠هـ) بمدينة ثلا وقبر فيها، ينظر: الشوكاني، البدر الطالع: (٣٠٩/٢)، الفضل، محمد بن يحيى بهرم، عبدالكريم الفضيل، ابتسام البرق شرح منظومة القصص الحق، مؤسسة غمضان، اليمن، صنعاء ، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م، مقدمة المحقق ص:٢٢.

(٢) لطف بن المطهر بن الإمام شرف الدين: حاكم حصن ذي مرمر، وتصنف بلال الشرف، اعتقله الأتراك وسجن بصنعاء (سنة:٩٩٣هـ) ثم رحل الى القسطنطينية قسراً (سنة:٩٩٤هـ) وتوفي بسجن (بذي قلة) (سنة:١٠١٠هـ)، ينظر: يحي بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني: (٧٤٦/١).

(٣) علي بن المطهر بن الإمام شرف الدين: حاكم ثلا ومسورة، اعتقله الأتراك مع إخوانه لطف الله وغوث الدين (سنة: ٩٩٣هـ) وسجن بصنعاء ثم رحلوا قسراً إلى القسطنيطينة (سنة:٩٩٤هـ) وتوفي فيها بسجن (بذي قلة) (سنة: ١٠١١هـ). ينظر: يحي بن الحسين، غاية الأماني: (٧٦٥/١)

(٤) غوث الدين بن المطهر بن الإمام شرف الدين: حاكم حصن عفار وبلادها اعتقله الأتراك وسجونه في صنعاء (سنة: ٩٩٣هـ) ورحل قسراً إلى القسطنطينية (سنة ٩٩٤هـ) وتوفي بها (سنة: ٩٩٦هـ) بسجن بذي قلة. ينظر: المرجع السابق.

(٥) بذي قلة: وتعني الأبراج السبعة ويطلق على قلعه بيزنطية ضمن أسوار ساحل بحر مرمرة، وتقع في جزيرة بحرية في استنبول اتخذها الأتراك محبساً زمن الدولة العثمانية، وسجنا شهيراً لكبار معارضيهم ايام سلاطين الدولة العثمانية، ينظر: العزواي، عباس، موسوعة العراق بين احتلالين، (د.ط)، (د.ت): (٤٥/٥).

(٦) ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: ص٣١٣، وما بعدها.

(٧) ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٣١٤/١)، زبارة، تاريخ الأئمة الزيدية: (١٢٢/١)، ينظر: المؤيدي، مجد الدين بن محمد بن منصور، التحف شرح الزلف، مكتبة بدر- صنعاء، ط١٤١٧،٣هـ/ ١٩٩٧م: (ص:٣٢٠)

(٨) ينظر: الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى: (٣١٤/١).

المبحث الثاني : منهج الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي في تفسيره.

لقد تنوعت أساليب المفسرين في تفاسيرهم، وذلك حسب مدارس التفسير المختلفة، فنجد أنّ منهم من فسَّر القرآن بالمأثور، ومنهم من فسَّر القرآن بالرأي وفق الشروط التي وضعها العلماء، ومنهم من جمع بين المدرستين، والأخير هو اختيار الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي في تفسيره (العهد الأكيد) . وسأوضخ ذلك بعون الله مع ذكر بعض الأمثلة من تفسيره على كل نوع.

أولاً: منهجه في التفسير بالمأثور[(١)].

برز هذا النوع من التفسير في كتاب المؤلف بصورة واضحة يمكننا حصرها في النقاط الآتية:

١. **تفسيره للقرآن بالقرآن،** يقصد بتفسير القرآن بالقرآن: تفسير آيات القرآن بآيات أخر توضح معناها، واعتبره علماء التفسير بأنه أعلى أنواع التفسير وأكثرها بيانا وإيضاحاً للمعنى وذلك لأنّ الله عزَّ وجلَّ أدرى بمراده من خلقه، جاء في البرهان: "أحسن طريق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمِل في مكان فقد فُصِّل في موضع آخر وما اختصر في مكان فإنه قد بُسط في آخر"[(٢)]، وقد تعرض الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي لهذا النوع من التفسير، حيث نجده يستشهد على تفسير آية بآية أخرى، وفيما يلي أستعرض أمثلة من ذلك:

- عند تفسيره قوله تعالى في سورة النمل [٦٦]: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ أي: تتابع وتلاحق، ومنه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا ﴾ [الأعراف: ٣٨]، والمعنى: تكامل علمهم بالبعث يوم القيامة[(٣)].

٢. **تفسيره القرآن بالسنة:**

لقد كان النبي ﷺ هو المفسر الأوَّل لكتاب الله عز وجل، فقد نقلت لنا كتب السير أنَّه ﷺ أبان للصحابة الكرام ما أشكل عليهم من فهم القرآن وأوضح لهم المقصود من الآيات المنزلات عليه، فحفظ عنه

(١) التفسير بالمأثور: هو الذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسُّنَّة، أو بما رُوِي عن الصحابة، أو بما قاله كبار التابعين. ينظر: القطان، مناع بن خليل القطان، (ت: ١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن،: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣/ (١/ ٣٥٨).

(٢) ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١: (١٧٥/٢).

(٣) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط [٢٥٢/و]

الصحابة الكرام بعد استيعابه وتطبيقه، فنقلوه لمن بعدهم من جيل التابعين رضوان الله عليهم، فنقلوا لنا سفرا من ذلك النبع الصافي[١]، والإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي كان حريصاً على ذكر هذا النوع من التفسير في مؤلفه، ومن أمثلة ذلك:

- عند تفسيره قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿مُقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ أي دعوا على أنفسهم هنالك بالويل والثبور، والهلاك، وعنه- ﷺ- "أول ما يُكسى إبليس يوم القيامة حلة من نار ويُسار به وبذريته حتى يقعوا على النار فيقول واثبوراه وينادون كذلك فيقول الله لهم: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾"[٢].

٣. تفسيره القرآن بآثار الصحابة والتابعين:

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أكثر فهما للقرآن الكريم وذلك يرجع لأسباب منها:

- أن رسول الله ﷺ كان يفسر لهم ما أشكل عليهم(٣).
- بعض صحابة رسول الله ﷺ عاشوا في كنفه كعبد الله بن عباس(٤) وعلي بن أبي طالب[٥] وأنس بن

(١) الفقيه، عبدالجليل مهيوب، حاشية الشرواني، رسالة ماجستير، جامعة إب، إشراف الدكتور جمال ياسين،٢٠٢٠م: (٨٤).

(٢) ينظر: المؤيدي، العهد الاكيد مخطوط: [٢٣٨/و]

(٣) ينظر: الذهبي، محمد السيد حسين، (ت: ١٣٩٨هـ)، التفسير والمفسرون،: مكتبة وهبة، القاهرة: (١/٦- ٣١).

(٤) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول ﷺ، حبر هذه الأمة، صحِب النبي ﷺ نحو من ثلاثين شهراً، قرأ على أُبَي بن كعب، وزيد، وقرأ عليه مجاهد، وسعيد بن جبير دعا له رسول الله -ﷺ -أن يُفقهه في الدين....(ت: ٦٨هـ). ينظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،ط١: (٢٩١/٣)، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: (١٢١/٤-١٢٢).

(٥) هو: أمير المؤمنين، وابن عم خاتم النبيين: علي بْن أَبِي طالب، واسم أَبِي طالب: عَبْد مناف بْن عَبْد المطلب بْن هاشم بْن عَبْد مناف، يكنى: أبا الحَسَن، وأبا تراب، وأمه فاطمة بنت أسد بْن هاشم بْن عَبْد مناف، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، وعلي أول من صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم من بني هاشم، وشهد المشاهد معه، وجاهد بين يديه، ومناقبه أشهر من أن تذكر، وفضائله أكثر من أن تحصر، وكان ورود المدائن في طريقه لما قاتل الخوارج بالنهروان؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن تنتهوا يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلا امتحن الله قلبه بالإيمان يضرب أعناقكم؛ وأنتم مجفلون عنه إجفال النعم» فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله. قال: "لا" . قال له عمر: أنا هو يا رسول الله. قال: "لا، ولكنه خاصف النعل" . قال: وفي كف علي نعل يخصفها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- عن أنس قال: استبنئ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء. استشهد وله ثلاثا وستين سنة. ينظر: البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١: (١٤٥/١)، الذهب، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي،ط١: (٣٥٠/٢).

مالك[١] رضوان الله عليهم[٢].

- ما شهدوه من مراحل التنزيل الذي أسهم بلا شك في توضيح ما قد يستغلق على غيرهم[٣].
- دعاؤه ﷺ لبعضهم كدعائه لعبد الله بن عباس " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[٤]
- ما عرفوا به من فصاحة ألسنتهم وسلامة سليقتهم ولغتهم من دخن خلطة الأعاجم، الأمر الذي لم يحتاجوا معه إلى تفسير كل صغيرة وكبيرة في كتاب الله عز وجل[٥].
- ما جبلوا عليه من سرعة الاستجابة في تنفيذ أوامر الله عز وجل، الأمر الذي يلزم معه الفهم الصحيح للتنزيل[٦].

هذه هي أهم الأسباب التي توفرت للصحابة، ثم جاء بعدهم تلامذة نجباء، **ورجالٌ متبعين** لمنهجهم، مما جعل لتفسيرهم أهميته ووزنه المعتبر عند عامة المفسرين بالمأثور وقد لاحظنا هذا في تفسير الإمام الناصر لدين الله الحسن بن داود المؤيدي، حيث اهتم بذكر ما بلغه من تفسير الصحابة والتابعين للقرآن، وأكثر من نقل عنه هو الإمام علي –عليه السلام– وعبد الله بن عباس–رضي الله عنه، والإمام زيد–عليه السلام– ومن ذلك: عند تفسيره قوله تعالى في سورة لقمان[١٢]: ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ**﴾ وهي: النّبوّة، فقيل: كان نبياً، وهو لقمان بن باعورا،

قال جار الله[٧]: هو ابن أخت أيوب، أو ابن خالته، عاش ألف سنة، وأدرك داود، وعن ابن عباس كان

(١) هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، خادم رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– شهد معه بدراً ، ودعا له بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكرا، وابنتان، إحداهما: حفصة، والأخرى: أم عمرو، ومات وله من ولده، وولد ولده مائة وعشرون ولدا، وقيل: نحو مائة، اختلف في وقت وفاته، ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين، وقيل: كان عمره مائة سنة وثلاث سنين، وقيل: مائة سنة وعشر سنين، وقيل: مائة سنة وسبع سنين، وقيل: بضع وتسعون سنة. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: (٢٩٤/١).

(٢) ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت : ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط٣: (٣٢٢/٣).

(٣)ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون: (٧١/١)

(٤) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، مسند أحمد، تح: أحمد محمد شاكر(باب: مسند عبدالله ابن عباس) برقم:٢٣٩٧، دار الحديث – القاهرة، قال المحقق: إسناده صحيح، وقال شعيب الأرنؤوط: اسناده قوي على شرط مسلم. ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون: (٥٣/١)

(٥) ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، عبد الرحمن بن محمد ، (ت: ٨٠٨هـ)،تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت،ط٢: (٥٥٣/١).

(٦) ينظر: الفقيه، حاشية الشرواني: (٨٥)

(٧) هو: محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي، المفسر، النسابة، العلامة، كبير المعتزلة، كان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد، سافر إلى مكة =

راعياً عبد أسود رزقه الله العتق، ورضي قوله، فقص أمره في القرآن [١]

- وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾[٢] أي: أوحشها عند النفوس، وقيل: أقبحها، ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ أوّله زفير وآخره شهيق' قيل: أمر ابنه بالاقتصاد في المشي والمنطق مبالغة في تهجين رفع الصوت، وأنّه ليس بمحمود، وعن زيد بن علي[٣]: "شبّه الجهال من النّاس بالحمير، لأنّ أصواتهم في المنكرات وما لا فائدة فيه"[٤].

٤. موقفه من ذكر القراءات:

القراءات القرآنية عرفها الإمام الزركشي بأنها: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما[٥]، وعرفها صلاح الخالدي بأنها النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي ﷺ[٦]. وعرفها الإمام ابن الجزري[٧] بأنها: "

علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[٨]، وجاء في مناهل العرفان: "مذهب يذهب إليه

فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، من مصنفاته: الكشاف، أساس البلاغة..... (ت: ٥٣٨هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد محمد إبراهيم خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر: (١٦٨/٥)، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد أحمد عثمان قَايْماز، (ت : ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط٣: (١٥١/٢٠) =

(١) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد، مخطوط: [٢٦٥/ظ].

(٢) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد، مخطوط: [٢٦٥/ظ].

(٣) هو الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ، أبو الحسين المدني، ولد عام (٨٠هـ)، وفد على هشام بن عبد الملك فرأى منه جفوة فكان ذلك سبب خروجه وطلبه الخلافة، وخرج بالكوفة، كان يُدعى سيد الهاشميين، من أقواله المشهورة: «مَنْ أَحَبَّ الحَيَاةَ، ذَلَّ»، استشهد في الثاني من شهر صفر عام: (١٢٢هـ) وله مذهب اسلامي يعرف بالمذهب الزيدي. ينظر: الأصبهاني، علي الحسين محمد أحمد ، أبو الفرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تح: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت: (١٢٤/١).

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد، مخطوط: [٢٦٥/ظ]...

(٥) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١/ ٦٤٤).

(٦) ينظر: الخالدي، صلاح عبدالفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم- دمشق،ط١: (٦٤٥).

(٧) هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن) ورحل إلى مصر مرارا، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها، ومات فيها. من كتبه (النشر في القراءات العشر)، و (غاية النهاية في طبقات القراء. (ت:٨٣٣هـ). ينظر: كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، (ت: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت: (٢٩١/١١)، الزركلي، الأعلام: (٤٥/٧).

(٨) ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط١: (٩/١)

إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواءً كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"[١].

لقد اهتمّ الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي بذكر القراءات القرآنية وكان ينسبها إلى قارئها أحياناً، وأحيانا يذكرها دون أن ينسبها، وكان يوجه بعض القراءات، ومن أمثلة اهتمامه بذكر القراءات ما يلي:

- في تفسيره للآية الكريمة من سورة الشعراء: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ قال المؤلف: " أي: نزل بالقرآن من موضع اللوح المحفوظ جبريل عليه السلام، وسميّ روحا لأنّ تحيا به، وسميّ أمينا؛ لأنّ الله ائتمنه على الوحي، قرئ نزل مخففاً بالتخفيف، والروح فاعل مرفوع، وقرئ مشدداً والروح مفعول، والفاعل لله"[٢]

- وفي تفسيره لقوله تعالى في: ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[٣] قرأه الأكثر بفتح الهمزة على الاستفهام، وقرأ نافع بكسر الألف مع الوصل على وجه الخبر كأنّه قال اصطفى البنات على زعمكم[٤].

٥. موقفه من أسباب النزول:

لقد اعتنى المفسرون بأسباب النزول في كتبهم وأفردوا فيه تصانيف وذلك لما لهذا العلم من فوائد جمة منها: الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال فقد قال الواحدي[٥]:

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط٣: (١/ ٤١٢).

(٢) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد، مخطوط: [٢٤٦/ظ].

(٣) سورة الصافات

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد، مخطوط: [٣١٠/ظ].

(٥) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي صاحب التفاسير المشهورة؛ منها البسيط في تفسير القرآن الكريم، وكذلك الوسيط والوجيز وله أسباب النزول ، (ت: ٤٦٨هـ)، ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر: (٣/ ٣٠٣ – ٣٠٤)، السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢: (٥/ ٢٤٠).

لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها وقال ابن دقيق العيد[١]: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن[٢] وقال ابن تيميه[٣]: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[٤]، وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال وممن صنف في هذا المجال: علي بن المديني[٥] شيخ البخاري ومن أشهرها تصنيف الواحدي[٦]، ولذا اهتم الإمام الناصر لدين الله المؤيدي اهتماماً بليغاً بذكر أسباب النزول حيث أنه كان لا يدع آية فيها سبب نزول إلا وذكره ومن أمثلة ذلك:

- في تفسير قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ قال المؤلف: "أي: من قبل القرآن أو محمد، ﴿هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ أي: يصدقون، نزلت في عبدالله بن سلام[٧]، ومن آمن معه من اليهود وكانوا خمسة،

(١) هو: الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد علي وهب مطيع القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي والشافعي، صاحب التصانيف: ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بقرب ينبع من الحجاز، صنف "شرح العمدة" وكتاب "الإلمام"، (ت:٧٠٢هـ). ينظر: الذهبي، محمد أحمد عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، ط١،: (١٨١/١).

(٢) ينظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (ت: ٨٥٢هـ)، العجاب في بيان الأسباب، تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي: (٩٤/١)، الصالح، صبحي ، مباحث في علوم القرآن، ، دار العلم للملايين، ط٢٤: (١٣٠/١)، الحاجي، محمد عمر، موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، ، دار المكتبي – دمشق، ط١: (١/ ١٩٤).

(٣) أحمدُ بنُ عبد الحليم عبدِ السلام، ابن تيمية، الحرانيُّ، الدمشقيُّ، الحنبليُّ، إمام، فقيه، محدث، مفسر. من مؤلفاته: (السياسة الشرعية)، (الفتاوى)، وغيرها. (ت:٧٢٨هـ). ينظر: الزركلي: (١٤٤/١).

(٤) ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت: ٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان:(١/ ١٦).

(٥) هو: أبو الحسن على عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى، وكان عليّ من المبرزين في الحديث، سمع أباه، وحماد زيد، وسفيان عيينة، ويحيى القطان، وخلائق. روى عنه معاذ معاذ، وأحمد بن حنبل، والبخاري. (ت:٢٣٤هـ). ينظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت – (٢٥١/١).

(٦) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (٢٢/١)، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: (١٠٧/١)، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، دار الكتب العلمية بيروت:(٣/١)

(٧) هو: أبو يوسف عبد الله سلام الحارث، كان من بني قينقاع، يقال كان اسمه: الحصين فغيَّره النبي**صلى الله عليه وسلم**، أسلم أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، وقيل: تأخر إسلامه إلى سنة ثمان، روى عنه ابناه يوسف ومحمد، ومن الصحابة أنس بن مالك، (ت: ٤٣هـ). ينظر: القرطبي، يوسف بن عبد الله عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،ط١: (٩٢١/٣).

وقيل: نزلت في الذين قدموا مع جعفر[١] من نصارى الحبشة والشام وهم أربعون"[٢].

٦. موقفه من الإسرائيليات:

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، وهي كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما[٣].

لم يكن الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي مكثراً من نقل الإسرائيليات في تفسيره، ولم يهتم بذكر ذلك، ومن أمثلة ذلك:

- في تفسير قول الله تعالى في سورة ص: ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾ قال المؤلف: "أي: غالبني في خطبتها فغلبني حيث جاءني بخطاب وحجاج لم أقدر رده، ثم قال: " وهذا مثال داود مع أوريا، وقيل: كان في زمن داود من مات عن امرأة فأولياؤه أولى بها، فلما قتل يوريا خطب امرأته داود ولم تطب نفوس أولياء أوريا، وسكتوا لجلال داود فعوتب على ذلك".

لكنه فند هذا القول حيث قال: "وقيل: بل خطبها أوريا ثمّ خطبها داود على خطبة أوريا فآثره أهلها فهذا ذنبه لا ما يقوله بعضهم من أنه قدمه أمام التابوت وكان لا يحل لمن تقدمه أن يرجع حتى يفتح أو يقتل إذ لا يجوز على الأنبياء مثله".[٤] .

ثانياً: منهجه في التفسير بالرأي:

يعرف التفسير بالرأي بأنّه: "تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب، ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك، وهو قسمان محمود ومذموم فالمحمود ما كان موافقا لقصد المشرع الحكيم، والمذموم ما كان مخالفا لقصد الشارع الحكيم "[٥].

(١) هو: جعفر بن أبي طالب، يكنى أبا عَبْد الله، كان أشبه الناس خلقًا وخلقًا برسول ﷺ، وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة، وقدم منها على رسول الله ﷺ،حين فتح خيبر، فتلقاه النبي ﷺوأعتنقه وقال: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحًا، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟ وكان قدوم جعفر وأصحابه من أرض الحبشة في السنة السابعة من الهجرة، (ت:٨هـ). ينظر: القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٢٤٢/١).

(٢) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٥٦./و].

(٣) ينظر: أبو شهبة، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في التفسير، مكتبة السنة – مصر:(١٢/١) ، الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، القاهرة (١/ ١٣).

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد، مخطوط: [٣١١/ظ].

(٥) ينظر: البغا، مصطفى ديب ، محيي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق،ط٢: (١/ ٢٣٦)، معبد، محمد أحمد محمد ، (ت: =

ويمكن أن نقف على تفسير الإمام الحسن بن علي بن داؤود المودي بالرأي من خلال الآتي:

١. استشهاده في تفسيره للقرآن بأشعار العرب:

رغم أهمية الاستشهاد بالشعر فإنّ الإمام الناصر لدين لله الحسن بن علي بن داود المؤيد لم يكن يهتم بذكره في تفسيره، وربّما يرجع ذلك إلى اهتمامه بالمعنى العام المراد من الآية، حيث لم أجد في القسم الذي حققته أنه استشهد بأشعار العرب.

٢. استشهاده باللغة:

لقد اهتم الإمام الناصر لدين الله المؤيدي بالمعنى اللغوي، حيث كان يعمد إليه ثم يذكر المعنى المراد من الآية ومن أمثلة ذلك:

- تفسيره قوله تعالى في سورة الفرقان[٥٣]: ﴿ عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ أي: شديد العذوبة يفرت إلى الحلاوة، والفرات أعذب المياه "[١]

- عند تفسيره قوله تعالى في سورة الأحزاب[١٨]: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ قال المؤلف: "وهم المثبطون عن رسول الله -ﷺ- يقال: عاقه، وأعاقه وعوّقة إذا صرفه عن الوجه الذي يريده "[٢].

٣. النحو والإعراب:

للنحو أهمية عظيمة في تبيين معاني الألفاظ والمراد منها، لذا اهتم به الإمام الناصر لدين الله علي بن داود المؤيدي اهتماما بالغاً وكبيراً وذكر في تفسيره كثيراً من الآيات الوجوه الإعرابية، ومن أمثلة ذلك:

– في تفسير قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾[٣] أي: يعلم بالذين تعبدون من دونه من الأشياء، أو لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم عليه، وما: موصولة، ومن شيء: بيان، ويجوز أن تكون نافية، أي: يعلم أنّكم لا تدعون من دونه شيئاً يعتد به"[٤]

– وفي تفسيره قوله تعالى في سورة سبأ:﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ قال المؤلف وهو يورد القراءات ويقوم بتوجيهها: الرجز: سوء العذاب، والأليم: شديد الوقع، قرئ: «أليمٌ»

١٤٣٠هـ)، نفحات من علوم القرآن، دار السلام – القاهرة،ط٢: (١/ ١٣٧).

(١) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٤٠/ظ].

(٢) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٦٩/ظ].

(٣) سورة العنكبوت[٤٢]:

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٦٠/و].

بالرفع نعتاً للعذاب، وبالخفض نعتٌ للرجز"[١].

٤. اهتمامه بالعلوم البلاغية:

علم البلاغة علم مهم لمفسر القرآن الكريم إذ به يعرف الغرض الذي سيقت من أجله الآية القرآنية، لذا نجد الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي أهتم بذكر هذه الأمور في تفسيره لبعض الآيات، وسأذكر مثلا على بعض المسائل البلاغية التي ذكرها المؤلف في تفسيره، فمثلا:

أولاً: الكناية:

وهي: أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالطاهر[٢] أو هي: اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز[٣]

● ففي تفسيره قوله تعالي في سورة القصص[٣٥]: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي: سنعينك ونقويّك به، وأصله أنّ العضد قوام اليد، وبشدتها تقوى اليد، وهو كناية عن التقوية[٤].

ثانياً– المجاز:

– المجاز هو: كلمة أريد بها غيرُ ما وضعت له في وَضْع واضعها، لملاحظةٍ بين الثاني والأوّل، أو هو: اللَّفظ المستعمل في غير مَا وُضِع له في اصطلاحٍ التخاطب، على وجْهٍ يَصِحُّ ضمْن الأصول الفكرية واللّغويّة العامّة، بقرينة صارفة عن إرادة ما وُضِع له اللّفظ[٥].

(١) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٧٤/ظ].

(٢). ينظر: العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع ، (ت: ٦٥٤هـ)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، جنة إحياء التراث الإسلامي: (١٤٣/١).

(٣) ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين ، نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: (٣/ ٨٥).

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٥٥/و].

(٥) ينظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، (ت: ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة: (١/ ٣٥١)، الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، (ت: ١٤٢٥هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١: (٢/ ٢١٨)، البلاغة الواضحة، على الجارم ومصطفى أمين:(٨٧/١)

- في تفسيره قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ حيث أكدّ التشبيه في العبد بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي الأصم إذا قابل فربّما يفهم بالإشارة، ثمّ شببهم بالأعمى حيث ضلوا عن طريق الهدى وهو مجاز "[١].

ثالثاً– اللف والنشر:

وهي أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما على ما هو له[٢]، أو هو: ذكر متعدد مفصل أو مجمل، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين، اتكالا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال[٣]، ومن أمثلة ما ذكره المؤلف قوله عند تفسيره للآية الكريمة في سورة الروم [٢٣]:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ يحتمل أنّه من اللف والنشر، وتقديره: ومن آياته منامكم بالليل[٤]

رابعاً: التشبيه:

التشبيه هو: هو الدلالة على مشاركة شيءٍ لشيءٍ في معنىً من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرضٍ ما ولا يكون وجه الشبه فيه منتزعاً من متعدد [٥].

لقد كان المؤلف يعتني أحيانا بذكر التشبيهات، ومن أمثلة ذلك:

- عند تفسيره للآية الكريمة من سورة الفرقان[٤٧]: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس يغشى كل شخص كما يتغشى باللباس [٦].

(١) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٥١/و].

(٢) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط٢،١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م: (١/ ٤٢٥).

(٣) ينظر: الميداني، البلاغة العربية: (١٦٢/١)، المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»: (٣٣٠/١).

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٦٣/و].

(٥) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر: (٣/ ٥٠).

(٦) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٢٤/و].

خامساً: الاستعارة:

الاستعارة: جاء في كتاب البيان والتبيين بأنّها: تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقام مقامه[١]، وتستخدم في المنظوم والمنثور[٢]، أو هي: تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة[٣].

فعند تفسيره لقوله تعالى في سورة ياسين [٧١]: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أي مما تولينا إحداثه ولم يقدر عليه غيره، استعارة مِن يعمل باليد كما تقول: عملت هذا بيدي أي انفردت به[٤].

وفي تفسيره لقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ أي: عن اليمين والنصح، استعيرت اليمين للخير يقال: أتاه من اليمين أي: من قبل الخير وناحيته، واستعيرت للقوة والقهر أي كنتم تقهروننا بقدرتكم[٥].

(١) ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان، (ت: ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت: (١٤٢/١)، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد (ت: ٢٩٦هـ)، البديع في البديع، دار الجيل، ط١،(٢٢/١).

(٢) ينظر: ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، (ت: ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: (١٨٦/٦).

(٣) ينظر: الحلبي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: ٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط١: (١١٨/١).

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد: [٣٠٥/و].

(٥) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد: [٣٠٦/ظ].

المطلب الثاني: منهجه في تفسير آيات الأحكام:

الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي المؤيدي كما أنه كان مفسرا فهو أيضا كان فقيها أصولياً متمكنا من أدوات الفقه إلا أنه لم يعتن كثيرا بإيراد الأحكام الفقهية في القسم الذي حققته – إلا ما ندر– وقد يتناوله بإيجاز وبغير تعصب، فكان يذكر أقوال العلماء والأئمة المجتهدين وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

– في تفسيره قوله تعالى من سورة ص[٢٤]: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجداً، وعبّر بالركوع عن السجود لما فيهما من الانحناء والخضوع. قال أبو حنيفة[١] وهذا موضع سجود ، والشافعي[٢] لا."[٣]

– وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الزخرف[٣]: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حيث أثبت أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير العربية في الصلاة. فقال: وفيه دلالة على أنّه لو قرئ بالعجمية في الصلاة لم يجز[٤].

– وفي تفسيره قوله عز وجل في سورة الأحزاب[٦]: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ قال المؤلف مبيناً الحكم الشرعي: قيل: أمهاتهم في وجوب تعظيمهنّ، وتحريم نكاحهن، إذ يجوز نكاح بناتهن، وأخواتهن، ولا يجوز الظهور عليهن، ولا يرثن ولا يورثن[٥].

(١) هو: أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، ولد: سنة ثمانين، في حياة صغار الصحابة. ورأى: أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم. وروى عن: عطاء بن أبي رباح، وعن: الشعبي، حدث عنه: خلق كثير، ابراهيم بن طهمان – عالم خراسان – وأبيض بن الأغر بن الصباح المنقري، وأسباط بن محمد، (ت:١٥٠هـ). ينظر: الذهبي سير أعلام النبلاء: (٦/٣٩٠).

(٢) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه، وأخذ العلم ببلده عن: مسلم بن خالد الزنجي – مفتي مكة – وداود بن عبد الرحمن العطار، وعمه ؛ محمد بن علي بن شافع ، حدث عنه: الحميدي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل. له تصانيف منها (الأم– الرسالة) ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء: (١٠/٥).

(٣) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد: [٣١٢/و].

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد: [٣٣٤/و].

(٥) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد: [٢٦٨./ظ].

المطلب الثالث: منهج المؤلف في تناوله علوم القرآن:

أولا: اهتمامه بالناسخ والمنسوخ:

النسخ لغة: يدور المعنى اللغوي حول: النقل والإثبات، والتبديل والتحويل، والرفع والإزالة[١].

وفي الاصطلاح هو: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر، ولا يقع النسخ إلا في الأمر والنهى، ولو بلفظ الخبر، أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ، ومنه الوعد والوعيد[٢].

وعرفه صلاح الخالدي: بأنه وقْفُ العمل بِحُكْمٍ أَفَادَه نص شرعي سابق من القرآن أو من السنة، وإحلال حكم آخر محله أفاده نص شرعي آخر لاحق من الكتاب أو السنة، لِحكمة قصدها الشرع[٣].

وللناسخ والمنسوخ أهمية عظيمة في تفسير القرآن الكريم، ولا بُدَّ للمفسر من العلم بها والاطلاع عليها، حتى قال بعض الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ[٤]، ومرّ علي -رضي الله عنه- على قاضٍ فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا قال: هلكت وأهلكت[٥].

وقد اعتنى المؤلف بهذا القسم من علوم القرآن وذلك من خلال ذكره لدعوى النسخ عند تناوله للآيات التي فيها نسخ، ومن أمثلة ذلك:

في تفسيره قوله تعالى في ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾[٦] أي: ولكن ما فعلتموه إلى أوليائكم في الدين من المعروف جائز، وهو الوصية من الثلث، وقيل: أراد بالمعروف النصرة، وحفظ الحرمة لحق الإيمان، وهذا نسخٌ للتوريث بالهجرة [٧].

(١) ينظر: محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط٢: (٢٤٤/١).

(٢) ينظر: السدوسي، قتادة بن دعامة (ت: ١١٧هـ)، الناسخ والمنسوخ، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٣:(٥/١)، السايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، تح: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر: (١/ ٣٣)، الصابوني، محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، ط٣:(٩٠/١).

(٣) ينظر: الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان: (٦١٢/١).

(٤) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣ / ٦٦).

(٥) ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري، (ت: ٤٥٦هـ)، الناسخ والمنسوخ، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، لبنان،ط١: (٥/١).

(٦) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٦٨/ظ].

(٧) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٦٨/ظ].

وكذلك في تفسيره قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ أي أفتتوكل عليهم، وتجبرهم على الإسلام، أو وكيلاً لحفظهم عن اتباع الهوى، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ، وقيل: نسخت بآية السيف"[١]

ثانياً: اهتمامه بالمحكم والمتشابه:

إن القرآن كله محكم من حيث إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] وكله متشابه من حيث كونه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والإعجاز؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣][٢]، ومن هنا قيل: إن المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل: المحكم ما وضَحَ معناه والمتشابه نقيضه.

وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل أوجها[٣].

وقد ذكر المؤلف عند تفسيره الآية الكريمة من سورة الزمر[٥٥]: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ وهو القرآن، كله، وأراد بالأحسن ما يقتضي الوجوب، والندب كما تقدم، لا المباح، أو أراد المحكم لا المتشابه، والناسخ دون المنسوخ باتصال الوعيد[٤]، وعند تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾[٥] بيّن المؤلف نوع البغي فقال: هو الظلم والعدوان عموماً، وقيل: بغي الكفّار على المسلمين، وقيل: كفّار مكة على الذين آمنوا، وإخراجهم من ديارهم، وقيل: بغي المسلمين بعضهم على بعض، ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: يتناصرون ولا يستسلمون لمن ظلمهم، أوعده بالنّصر لأنّ الله مكّن المؤمنين فانتصروا منهم، واختلفوا هل هي منسوخة أو محكمة؟ الأصح محكمة.

(١) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٢٤/و].

(٢) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن: (٣/٣).

(٣) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن: (٤/٣).

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٣٢٠/و].

(٥) سورة الشورى[٣٩]

ثالثاً: العام والخاص:

العام: هو لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر، ومن صيغه(كل) مبتدأة نحو:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[١] وله ثلاثة أقسام: الباقي على عمومه، والعام المراد به الخصوص، والعام المخصوص[٢].

ومن أمثلة ما اعتنى به المؤلف ما ذكره في تفسير قوله تعالى من سورة الشعراء : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ﴾ على كذبهم وتمزيقهم أعراض النّاس، ﴿الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ أي الضّالون عن الحق، والمعنى باتباعهم أنّهم يميلون إلى قولهم، ويحبّونه، والشياطين، ثم قال المؤلف: والشعراء لفظ عموم، وقيل: أراد شعراء قريش الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ، ويحرضون على قتله كابن الزبعري[٣].

– وفي تفسيره لقوله تعالى في سورة النمل[٨٩]: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ من وفّى يوم القيامة بالحسنة، عامٌ في كل حسنة، وقيل: هي شهادة أن لا إلى إلاّ الله[٤]

ثالثاً: المطلق والمقيد: المطلق: هو الدال على الماهية بلا قيد وهو مع المقيد كالعام مع الخاص قال العلماء: متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيّد على تقييده لأنّ الله تعالى خاطبنا بلغة العرب[٥]

- ومن أمثلة اعتنائه لهذا النوع، نجده عند تفسيره للآية الكريمة ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾[٦] أي: من عدة تستوفون عددها، فأسقط العدة على المطلقة قيل الدخول لبراءة رحمها، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهن المتعة، وهي واجبة في حقّ من لم يسم لها، ومندوبة في حقّ من سمى، ومنهم من أوجبها مطلقاً لظاهر الآية مع النصف في المسماة"[٧].

(١) سورة [الرحمن: ٢٦]

(٢) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٥٠).

(٣) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٤٧/و].

(٤) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٥٢/و].

(٥) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ١٠١).

(٦) في سورة الأحزاب[٤٩]:

(٧) ينظر: المؤيدي، العهد الأكيد مخطوط: [٢٧٢/و].

المبحث الثالث: التعريف بالكتاب وبيان مزياه والمآخذ عليه

أولا: التعريف بالكتاب: إن الكتاب الذي بين أيدينا والموسوم بـ (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد) هو للإمام الحسن بن علي بن داؤود المؤيدي وأستدل على ذلك بما يلي:

١- لم أجد خلال اطلاعي في كتب التاريخ والتراجم أحداً نسب كتاب تفسير (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد) إلى غير العلامة الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي.

٢-توجد نسخة لهذا الكتاب في مكتبة الإمام زيد بن علي (اليمن) بعنوان (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد، باسم المؤلف: الحسن بن علي المؤيدي، وباسم الناسخ: محمد بن أحمد الحلمي.

٣-كتب في غلاف المخطوط اسم المؤلف الحسن بن علي بن داؤود المؤيدي وكذلك عنوان الكتاب: (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد).

٤-ذكر المؤرخون والذين ترجموا للإمام الحسن بن علي بن داؤود المؤيدي أنه كان عالماً مفسراً ولغوياً وفقيهاً.

ثانيا: مميزات الكتاب والمآخذ عليه:

١- مميزاته: لقد تميز منهج الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي في تفسيره (العهد الأكيد تفسير القرآن المجيد المنتزع من البيان والتجريد) بالبساطة والوضوح، ومن خلال اطلاعي على هذا الكتاب واستقرائي وتتبعي لما كتبه المصنف -رحمه الله- وجدته تميز بالآتي:

- أنه نوع من المصادر والمراجع التي نقل منها وكان ذلك واضحاً في تفسيره فنجده نقل من تفاسير كثيرة جدا وخاصة التفاسير القديمة التي اعتنت بالمأثور كتفسير الحسن البصري(ت:١١٠هـ) والسدي(ت:١٢٧هـ)، ومجاهد(ت:١٠٢هـ) ويحي بن سلام (ت:٢٠٠) وعكرمة(ت:١٠٣) وبن جرير الطبري(ت:٣١٠)، وتفسير القرآن للطبراني(ت:٣٦٠)، والوسيط للواحدي(ت:٤٦٨)، والكشف والبيان

للثعلبي (ت:٤٢٨)، والنكت والعيون للماوردي(ت:٤٥٠) وتأويلات أهل السنة للماوردي(ت: ٣٣٣هـ) وزاد المسير لابن الجوزي(ت:٥٩٨)، ومعالم التنزيل للبغوي(ت:٥١٦) والعز بن عبدالسلام(ت:٦٦٠) وغيرهم.

- وكذلك أخذ من تفاسير المعتزلة مثل (الكشاف للزمخشري(ت:٥٣٨)، والتهذيب للحاكم الجشمي(ت:٤٩١)، وتفسير أبو مسلم الأصفهاني(ت:٣٢٢) وأبو علي الجبائي(ت:٣٠٣) والقاضي عبد الجبار(ت:٤٢٥هـ) وغيرهم.

- كما كان جل اعتماده على تفاسير المذهب الزيدي منها (البيان للنجراني(ت: ٦٦٥ هـ)، و(تجريد الكشاف) لابن أبي القاسم(ت:٨٣٧هـ)، وتفسير (الثمرات اليانعة) ليوسف بن أحمد بن عثمان(ت:٨٣٢هـ) وغيرها.

- وعن تفاسير الشيعة مثل (مجمع البيان) للإمام الطبرسي(ت:٥٤٨هـ).

- وكذلك عن كتب علوم القرآن، ومن أمثلة ذلك (معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت:٣١١هـ) ، ومعاني القرآن للفراء،(ت:٢٠٧)، ومعاني القرآن للنحاس، (ت:٣٣٨).

- كان يفتتح تفسير السور بذكر المكي والمدني منها.

- وكان المؤلف يحرص على بيان عدد آيات كل سورة.

- وكان يذكر ما تيسر له من فضائل السور من خلال ذكر أجزاء الحديث المتعلق بفضائل السور.

- وكذلك أورد في تفسيره الكثير من القراءات القرآنية –الصحيحة والشاذة– وكان يبين ذلك ويقول وقرئ شاذا كذا.

- اعتنائه بذكر أسباب النزول في كل آية ورد فيها أسباب النزول

- وتعرض لمعظم المعاجم اللغوية مثل: (الصحاح للجوهري،(ت:٣٩٣هـ)، (وتهذيب اللغة للأزهري(ت: ٣٧٠هـ).

- كان يوضح الآيات الناسخة والمنسوخة من سور القرآن في بعض الآيات .

- كان يفسر جميع الآيات ولم يترك شيئاً.

- كان يقسم الآيات الى مقاطع ذات وحدة موضوعية.
- كان يشرح المفردات الغريبة في الآية، وربما ذكر اشتقاقها اللغوي.
- كان يذكر أحياناً ما تتضمنه الآية من أحكام فقهيه.
- وكان يذكر ما يتعلق بإعراب الآية اذا لزم ذلك لفهم المعنى.
- كان يجيد العزو للآيات التي تقدم تفسيرها حيث يقول: كما تقدم تفسيره واذا كان هنالك آية متأخرة أكثر تفصيلاً بقوله وسنوضحها في سورة كذا، وهذا يدلل على كثرة اطلاع الإمام وإلمامه بتفسيره.

٢- المآخذ عليه: إن عمل البشر مهما كان تميزه، وتفرده فإنه عمل بشر، ولا يخلوا من بعض العيوب فالكمال كله لله سبحانه وتعالى، لذا فإن هذا التفسير قد تميز بعدد من المميزات التي ذكرناها سابقاً ومع هذا فقد تضمن بعض المآخذ والملاحظات كما هي طبيعة العمل البشري الذي لا يخلوا من بعض النقص والخطأ، وسنذكر بعض هذه الملاحظات والمآخذ فيما يلي:

- كان يستشهد في تفسيره بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأغلب ذلك ما كان في الأحاديث التي يستفتح بها السور في تفسيره.
- كان – رحمه الله – لا يعزوا الأقوال لقائليها وخاصة ما وجدت ذلك في القراءات القرآنية الشاذة، فنجده يقول مثلاً: وقرئ شاذاً دون أن يعزوها لقارئها.
- عند ذكره – رحمه الله – أن لبعض المسائل عدة أقوال فيذكر بعضاً منها.
- أكثر المصنف من استعماله كلمة (قيل، رُوي) وهي صيغ تتضمن مجهول القائل والراوي.

الخاتمة والنتائج والتوصيات:

النتائج والتوصيات:

١. يعد الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي من أشهر علماء الزيدية.

٢. كان الإمام الناصر لدين الله عالما ملما بعلوم كثيرة منها النحو والفقه والبلاغة وعلم القراءات وقد اشتمل تفسيره على هذه العلوم.

٣. اهتم الناصر لدين الله بعلوم القرآن في تفسيره اهتماما بليغا كما أوضحنا سابقا في منهجه.

٤. احتوى الكتاب على مادة علمية قيمة، بحيث يُعد مرجعا في التفسير.

٥- إفراد رسائل مستقلة حول منهجية الإمام الناصر لدين الله المؤيدي .

٦- الاهتمام بالمخطوطات الإسلامية كونها كنزاً ثميناً.

المصادر والمراجع

١. ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، (ت:١٠٩٢هـ)، مطلع البدور ومجمع البحور، تح: عبد الرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية – اليمن – صعدة، ط١ ،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤.

٢. ابن الأثير، نصر الله بن محمد، (ت: ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

٣. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (ت: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

٤. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت: ٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م

٥. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (ت: ٨٥٢هـ)، العجاب في بيان الأسباب، تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، (د.ط)، (د.ت).

٦. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، الناسخ والمنسوخ، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان،ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٧. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند أحمد، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٨. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (توفى: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت،ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٩. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط٧، ١٩٩٤م.

١٠. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١٤٠٤،١ هـ.

١١. ابن فند، محمد بن علي بن يوسف، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، تح: عبدالسلام الوجيه وخالد قاسم مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٢. أبو شهبة، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في التفسير، مكتبة السنة – مصر، (د.ط)، ١٤٠٨هـ.

١٣. اسماعيل، محمد بكر، (ت: ١٤٢٦هـ)، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط١٤١٩،٢هـ-١٩٩٩م.

١٤. الأكوع، اسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله، دار الفكر، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٥. البغا، مصطفى ديب، محيي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب / دار العلوم

الانسانية – دمشق،ط٢، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٦. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، (ت: ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٣هـ.

١٧. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي،(ت: ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، (د.ط)، (د.ت).

١٨. الجلال، صلاح بن محمد، مشجر الجلال، مخطوط.

١٩. الحاجي، محمد عمر، موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، دار المكتبى – دمشق، ط١، ١٤٢٧ هـ –

٢٠. الحسني، أحمد بن يحيى بن المرتضى بن المفضل، (ت:٨٤٠هـ)، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، دار الحكمة اليمانية – صنعاء،ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

٢١. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم – دمشق،ط١٤٢٨،١ هـ

٢٢. الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان (ت: ٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.

٢٣. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (ت : ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢٤. الذهبي، محمد السيد حسين، (ت: ١٣٩٨هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٢٥. الذهبي، محمد حسين، (ت:١٣٩٨هـ)، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، القاهرة– مصر، (د.ط)، (د.ت).

٢٦. الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣.

٢٧. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله،(ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

٢٨. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبدالرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، (د.ط)، (د.ت).

٢٩. السايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، تح: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،٢٠٠٢م،(د.ت).

٣٠. السدوسي، قتادة بن دعامة (ت: ١١٧هـ)الناسخ والمنسوخ، ،تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة،ط٣، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٣١. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، (ت: ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٢. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت:٩١١)، لباب النقول في أسباب النزول، تح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، (د.ط).

٣٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين،(ت: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣٤. الشرفي، أحمد بن محمد،(ت:١٠٥٥)، اللآلئ المضيئة في أخبار الائمة الزيدية، مخطوط.

٣٥. الشهاري، إبراهيم القاسم،(ت:١١٥٢هـ)، طبقات الزيدية الكبرى، تح: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي، اليمن – صنعاء، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣٦. الشوكاني، محمد علي، (ت:١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، مصر – القاهرة، ط١، ١٣٤٨م

٣٧. الصابوني، محمد علي، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، ط٣، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٨. الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م.

٣٩. العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤هـ)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، جنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).

٤٠. العزاوي، عباس العزواي، موسوعة العراق بين احتلالين، (د.ط)، (د.ت).

٤١. الفقيه، عبدالجليل مهيوب، حاشية الشرواني، رسالة ماجستير، جامعة إب، إشراف جمال ياسين،٢٠٢٠م.

٤٢. القطان، مناع بن خليل: (ت: ١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٣. المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (ت: ١١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر - بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٤٤. المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، ط١، ٢٠٠٣ م

٤٥. معبد، محمد أحمد محمد، (ت: ١٤٣٠هـ)، نفحات من علوم القرآن، دار السلام – القاهرة،ط٢، ٢٠٠٥ م.

٤٦. المعتز بالله، عبد الله بن محمد ابن المتوكل ابن المعتصم، (ت: ٢٩٦هـ)، البديع في البديع، دار الجيل، ط١٤١٠،١هـ - ١٩٩٠م.

٤٧. المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء- اليمن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤٨. المهلا، الحسن بن ناصر، (ت:١١١١هـ)، مطمح الآمال، تح: عبدالله الحوثي، مؤسسة زيد الثقافية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤٩. المؤيدي، مجد الدين، التحف شرح الزلف، مكتبة بدر للطباعة والنشر،ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٥٠. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (ت: ١٤٢٥هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٥١. الوجيه، عبدالسلام بن عباس، اعلام المؤلفين الزيدية مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية،ط١،١٤٢٠هـ/

٥٢. بهران، محمد بن يحيى، (ت:٩٥٧هـ)، ابتسام البرق شرح منظومة القصص الحق، تح: عبدالكريم الفضيل. مؤسسة غمضان، اليمن، صنعاء ، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

٥٣. زبارة، محمد محمد يحي، تاريخ الأئمة الزيدية حتى العصر الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط).

٥٤. عمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥٥. يحي بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، (ت: ١١٠٠هـ)، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي- القاهرة، (د.ط)، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

أدوات الاستشراق العلمية والثقافية في استهداف الإسلام

Orientalism's scientific tools and cultural in targeting Islam

أ/حواء يحي علي العمير[١]

الملخص

تناول هذا البحث بعض أدوات الاستشراق العلمية والثقافية في استهداف الإسلام، حيث هدف البحث إلى عرض أبرز تلك الأدوات مع نماذج منها وكيف وظفها المستشرقون ونشطوا من خلالها، وكان تركيزهم على مجالات محددة كانت محط الطعن في الإسلام وانتقاص ما يتعلق به ويتصل به.

واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي؛ لأن طبيعة البحث تقتضيه، ومنه توصلت لنتائجه والتي تلخصت في كيفية اعتماد المستشرقين على بعض الأدوات العلمية والثقافية لاستهداف الإسلام، مثل الكتب الاستشراقية، والتعليم الجامعي والبحث العلمي، ومناهج التعليم الغربية، والمجلات والدوريات العلمية، والمجامع والمؤسسات العلمية، والندوات والمحاضرات والمراكز والمؤسسات العلمية، والفعاليات الثقافية والوسائل الإعلامية؛ وكانت أولوية الاستهداف الاستشراقي للإسلام والقرآن الكريم وشخص الرسول ﷺ وأحاديثه وسنته وسيرته والمسلمين وتاريخهم.

وأوصت الباحثة بإدخال الاستشراق في المناهج التعليمية للدراسات العليا مع مقرر عام للتعليم الجامعي، وأوصت الباحثين بمزيد من الأبحاث حول بعض الجزئيات المهمة المتعلقة بالاستشراق.

الكلمات الافتتاحية: الأدوات ـ الاستشراق ـ الاستهداف ـ الإسلام.

(١) طالبة، الدكتوراه، بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية الآداب – جامعة صنعاء

Abstract:

This research dealt with some of the scientific and cultural tools of Orientalism in targeting Islam, where the research aimed to present the most prominent of these tools with examples of them and how the Orientalists employed and became active through them, and their focus was on specific areas that were the object of challenge in Islam and the detraction of what is related to it and related to it. The researcher used the descriptive approach; Because the nature of the research requires it, and from it I reached its results, which were summarized in how orientalists depended on some scientific and cultural tools to target Islam, such as Oriental books, university education and scientific research, Western education curricula, scientific journals and periodicals, academies and scientific institutions, seminars, lectures, scientific centers and institutions, and events. cultural and media; The priority of Orientalist targeting of Islam, the Holy Qur'an, the person of the Messenger, his hadiths, his Sunnah, his biography, Muslims and their history. The researcher recommended the introduction of Orientalism in the educational curricula for postgraduate studies with a general course for university education, and the researchers recommended further research on some important aspects related to Orientalism.

Opening words: Tools - Orientalism - Targeting - Islam.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الله وآله الأخيار وصحابته الأبرار الطيبين.. وبعد:

فإن الاستشراق بمختلف مراحله التاريخية قد غلب عليه مناصبة الإسلام العداء واستهدافه، حيث إنه قد سخّر جميع أدواته لاستهداف الإسلام في غالب مخرجاتها، إلا القليل المحدود منها المتسم بالعلمية والموضوعية والإنصاف، وكما لا يخفى فإن هناك عشرات الدراسات المتنوعة بعموم ما يتعلق بالاستشراق نظرًا لسعة موضوعاته، بيد أن هذا لا يمنع من الوقوف على بعض الجزئيات المحددة، والتي قدر تكون متفرقة ومتناثرة بين ثنايا الدراسات والأبحاث العلمية وجمعها في بحث واحد كما هو بحثي هذا.

مشكلة البحث:

يتخفى الاستشراق المعاصر تحت واجهات عديدة يغلب عليها الطابع العلمي والثقافي والتعليمي والإعلامي، حيث يتم من خلالها استهداف الإسلام والمسلمين، حيث صار اليوم للمستشرقين أدوات كثيرة في دراساتهم ونشر أفكارهم والترويج لغاياتهم وتحقيق أهدافهم، ولأن الإسلام أساسٌ ومقصودٌ في دراساتهم ومجهوداتهم المتنوعة، فقد كان له النصيب الأوفر مما تضمنته أدوات المستشرقين المتنوعة، بغية استهدافه بالمزاعم والشبهات والمطاعن والقصور الانتقاص، فوظفوها توظيفًا خطيرًا ظاهره البحث العلمي والدراسة المنصفة، وباطنه الاستهداف الخبيث؛ وعليه فإن مشكلة البحث تتمحور حول التساؤل الرئيس الآتي: ما أبرز أدوات الاستشراق التي اتخذها المستشرقون واعتمدوا عليها في استهداف الإسلام؟

أسئلة البحث:

يتفرع عن سؤال مشكلة البحث الرئيس عدة أسئلة فرعية كما يأتي:

١. ما أبرز الأدوات التي اتخذها المستشرقون واعتمدوا عليها في استهدافهم للإسلام؟

٢. ما أبرز النتاج الاستشراقي المستهدف للإسلام؟

٣. ما أبرز مجالات الاستهداف الاستشراقي للإسلام؟

٤. ما أبرز المطاعن التي وجهها الاستشراق نحو الإسلام وما يتعلق به؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

١. المؤمل من هذا البحث العمل على تحديد أبرز أدوات الاستشراق التي ينشط من خلالها في استهدافه للإسلام، بغية تمييزها وإدراكها.

٢. يسعى هذا البحث لعرض مناشط غربية بمسميات علمية وثقافية بينما هي مناشط استشراقية تم تجهيزها وفق ذلك، أو أن استهداف الإسلام من أولى مهامها.

٣. هذا البحث يجمع بين متفرقٍ واسع ويُجملُ فيه وفق عناوين واضحةٍ ومحددة بدقةٍ تُسهّل على الباحث والقارئ الرجوع إليه وأخذ معلوماتٍ مجملةٍ منه بشكلٍ سريعٍ وسهل.

٤. يُمثّل هذا البحث أرضية خصبة للباحثين وطلاب الدراسات العليا للنهل منه واختيار بعض موضوعاته وجزئياته والكتابة فيها تفصيلًا.

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

١. عرض أبرز أدوات الاستشراق التي استخدمها المستشرقون في النيل من الإسلام.

٢. عرض معلومات مجملة عن مكونات كل أدوات الاستشراق الفاعلة المحددة في البحث.

٣. استعراض المجالات العامة التي اعتمدها الاستشراق في دراساته وفعالياته بغية استهدافه الإسلام.

٤. الوقوف على بعض شبهات الاستشراق ومطاعنه التي أثارها ضد الإسلام وما يتصل به.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية للبحث: تقتصر على عرض بعض أدوات الاستشراق وما يتفرع عنها، وبعض معالم الاستهداف الاستشراقي للإسلام.

الحدود الزمانية: خلال القرن العشرين الميلادي.

منهج البحث:

طبيعة البحث تستلزم استخدام المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي يُعرّف بأنه: "الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث"[(١)]، فهو منهجٌ يسعى إلى جمع الحقائق والبيانات عن الظاهرة محط الدراسة وتفسيرها وتحليلها واستنباط النتائج والدلالات المفيدة التي تؤدي إلى إصدار تعميمات بشأن موضوع الدراسة، كما أن المنهج الوصفي يسعى إلى جمع الحقائق والبيانات عن الظاهرة المدروسة وتفسيرها وتحليلها تحليلا شاملا واستخلاص النتائج والدلالات المفيد التي تؤدي إلى إصدار تعميمات بشأن الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها.

الدراسات السابقة.

مجمل الدراسات السابقة المتصلة بموضوع هذا البحث إما دراسات واسعة تشمل بعض مكونات هذا البحث دون غيرها، أو مفصلة لبعض مكوناته دون غيرها، أو مختلفة عن موضوعات هذا البحث في مضامينها، فضلًا عن عشرات المقالات المتنوعة التي قد لا يخلو بعضها من إشارات سريعة لبعض مضامين هذا البحث.

بيد أن الباحثة لم تقف على بحث مُلمٍ بمضامين هذا البحث كما وضعته الباحثة وفق خطته، ولعل أبرز ما وقفت عليه الباحثة من دراسات سابقة متفرقة جديرة بالإشارة تتمثل في الآتي:

الدراسة الأولى: وسائل الاستشراق،[(٢)]كتاب صغير في حوالي ٥٠ صفحة، تحدث مؤلفه فيه عن بعض وسائل الاستشراق، ويلتقي هذا الكتاب مع بحثي في الاتفاق على بعض وسائل الاستشراق، ويفترق عنه في أمور عديدة، منها عدم تطرق الكتاب للاستهداف الاستشراقي للإسلام، وبعض التفاصيل المتعلقة بوسائل الاستشراق وأدواته.

(١) العساف، صالح، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ، ص: ٢٠٦.

(٢) العساف، صالح، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ، ص: ٢٠٦.

الدراسة الثانية: افتراءات المستشرقين على الإسلام،[١] وهذا كتاب عام تطرق فيه مؤلفه لكثير من افتراءات المستشرقين بحق الإسلام بشكل تفصيلي، وهذا الكتاب يلتقي مع بحثي فقط في بعض جوانب الاستهداف الاستشراقي للإسلام كما هو المبحث الثاني دون المبحث الأول.

الدراسة الثالثة: أهداف الاستشراق ووسائله[٢]، تطرق فيه الباحث بإيجاز لأهداف الاستشراق، ثم عرّج على بعض وسائله، ويلتقي هذا البحث مع بحثي في تطرقه لبعض وسائل الاستشراق المحدودة التي تضمنها بحثي، بيد أنها وسائل محدودة، ولم يتطرق لكل الوسائل والأدوات المعاصرة التي أوردتها في بحثي وما تفرع عنها، لذا فإن الباحثة تزعم أنه ومع وجود دراسات سابقة تمس هذا الموضوع بشكل أو بآخر، بيد أن بحثها هذا – الذي هو في الأساس مستلٌ من رسالتها للدكتوراه التي تعمل عليها – قد حاولت فيه التميز والاختلاف عما سبق من دراسات وأبحاث، إذ جمعت فيه المتفرق، وأوجزت فيه المفصل، واجتهدت في توليفة مكونات هذا البحث ليكون أرضيةً خصبةً لأبحاثٍ أخرى يمكن أن ترتكز عليه.

خطة البحث:

المقدمة:

المبحث الأول: أدوات الاستشراق

المطلب الأول: الكتب الاستشراقية.

المطلب الثاني: التعليم الجامعي والبحث العلمي.

المطلب الثالث: المناهج الدراسية الغربية.

المطلب الرابع: المجلات والدوريات الاستشراقية ودائرة المعارف.

المطلب الخامس: الفعاليات الثقافية.

المطلب السادس: المجامع العلمية والمراكز والمؤسسات الغربية.

المطلب السابع: الوسائل الإعلامية.

(١) سعد آل حميد، بحث صادر عن قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، في ١٨ صفحة

(٢) سعد آل حميد، بحث صادر عن قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، في ١٨ صفحة

المبحث الثاني: الاستهداف الاستشراقي للإسلام

المطلب الأول: استهداف الإسلام كدين سماوي.

المطلب الثاني: استهداف القرآن الكريم.

المطلب الثالث: استهداف الرسول ﷺ.

المطلب الرابع: استهداف السنة والسيرة النبوية.

المطلب الخامس: تشويه التاريخ الإسلامي.

المطلب السادس: تشويه المسلمين.

الخاتمة، نتائج البحث، التوصيات، قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: أدوات الاستشراق

سعى المستشرقون ولا زالوا إلى تحقيق أهدافهم من خلال العديد من الأدوات الشائعة في مجتمعاتهم، وإن كان مجال عملهم في الاستشراق سيتطلب في بعض الأحيان استخدام وسائل وأساليب وأدوات تناسب مجال عملهم وتناسب أهدافهم ودوافعهم، حيث "لم يترك المستشرقون مجالا من مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا إلَّا تخصصوا فيها، ومنها التعليم الجامعي، وإنشاء المؤسسات العالمية لتوجيه التعليم والتثقيف، وعقد المؤتمرات والندوات ولقاءات التحاور، وإصدار المجلات ونشر المقالات وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر وتأليف الكتب ودس السموم الفكرية فيها بصورة خفية ومتدرجة، وإنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية، والعناية العظمى لإفساد المرأة المسلمة وتزيين الكتابة باللغة العامية"[(١)].

وفيما يلي تستعرض الباحثة بعض هذه الأدوات، لنرى مدى ما أسهمت في تنفيذ مآرب المستشرقين في بلاد العرب والمسلمين، مخلفة وراءها التدمير لعقائد كثير من المسلمين، والتشكيك في كل ما يمت للإسلام بصلة، وتشويه صورة الإسلام على المستويين العالمي والإقليمي؛ وذلك لصد الناس عنه، إضافة إلى نهب وسلب خيرات البلاد العربية والإسلامية، ومن هذه الأدوات:

المطلب الأول: الكتب الاستشراقية.

كان الكتاب ولا يزال هو الوسيلة الأقوى تأثيرًا، وحتى اليوم، الذي ازدحمت فيه وسائل المعرفة المتنوعة لا سيما مواقع التواصل الاجتماعي الكثيرة، سهلة التناول ميسورة المتابعة والاطلاع؛ والتي صارت وسيلة سريعة في نشر الكتب وتبادلها بنطاق أوسع وبأعداد كبيرة وبتكلفة يسيرة، حيث صار الكتاب الإلكتروني في متناول الجميع بكل يسر وسهولة.

وتعد الكتب الاستشراقية الأداة الأولى للمستشرقين التي أسهمت بشكل مباشر في ترسيخ ظاهرة الإسلاموفوبيا[(٢)] واستهداف الإسلام؛ حيث اعتمد المستشرقون بشكل واسع جدًا على الكتب والمؤلفات

(١) أبو النجا، فاطمة هدى ، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص ١٦٠.

(٢) إن مصطلح (الإسلاموفوبيا) مصطلحًا مركبًا من مصطلحين اثنين هما (الإسلام) و (فوبيا)، وهذا المصطلح المضلل فيه مزجًا متعمدًا بين مصطلحين متنافرين تنافرًا سياقيًا نابعًا من اختلاف الحقول الدلالية لهما (علم الدين/ علم النفس)، وتنافرًا عقديًا نابعًا من المرجعيات الروحية للإسلام وللدين بصفة عامة؛ ذلك أن مساعي الإنسان المتدين هو السعي إلى الارتواء الروحي والاطمئنان النفسي، فإذا كان الإسلاموفوبيا انعكاسيًا فإنه قد ناقض ذاته وصار خارج الإطار النفسي الذي يحقق السكينة المبتغاة لمعتنقيه ولبقية البشرية على حد سواء. لقد =

الخاصة بهم، التي استهدفوا بها الإسلام والقرآن والنبوة والحديث النبوي والحضارة والتاريخ الإسلامي، وكان إنتاجهم غزيرا شاملا متنوعا، أثروا به المكتبة الاستشراقية، ومما لا شك فيه أن ما يزيد عن حوالي ٩٠% من كتبهم تسير في الاتجاه السلبي ضد الإسلام.

ومنذ بداية حركة الاستشراق التي رافقت الأطماع الاستعمارية للعالم العربي والإسلامي؛ نشط المستشرقون في الكتابة والتأليف عن الإسلام، بروح متعصبة، ونفسية حاقدة، ومنهجية منحازة، وأطروحات متجنية، وفق معتقدات خاطئة، ونظرة قاصرة، ومقاصد جلية، بعيدًا عن الإنصاف والتجرد والموضوعية، لا سيما من أرباب الاستشراق وأساطينه الكبار.

وتعد المكتبة الاستشراقية من أضخم المكتبات في العالم، ولقد أنتج المستشرقون الألوف المؤلفة من الكتب والبحوث التي تضمنت الحديث عن جوانب الإسلام المختلفة ونواحيه المتشعبة، فتناولت العقيدة والشريعة، والسنة والتاريخ، والسيرة والفقه، والدعوة الإسلامية، واللغة العربية، والفرق والمذاهب، وغيرها من جوانب الثقافة والمعارف الإسلامية، وهذه الكتب – في أغلبها – *قد حوت تزويرًا للحقائق، وافتراءات* على الإسلام وهجومًا عليه، وانتقاصًا منه وتحقيرًا لمبادئه وتعاليمه، وازدراءً لأهله، بأساليب غاية في المكر *والخبث، منها ما يتسم بالوضوح، ومنها ما يتدثر بالالتواء ويكتنفه الخفاء*[(١)]، إن نشر الكتب والمجلات وكذا النشرات التي تتعرض للإسلام والمسلمين من جميع الجوانب العقدية والتشريعية والتاريخية ومن خلال السِيَر، وكذلك الأحوال الاجتماعية للأمة الإسلامية، من أهم المهمات لدى معاشر المستشرقين، على مختلف الأزمان وتعاقب العصور.

= ركّب مصطلح الإسلاموفوبيا تركيبًا مخادعًا مضللًا؛ إذ قد يفهم السامع أن المصطلح يعني كره الغربيين للإسلام، ولكنه قد يُفهم منه أيضًا أن الإسلام في حد ذاته دين مكروه. فالإسلاموفوبيا تعني ظاهريًا كُرْه الغربيين للإسلام وخوفهم منه، ولكنها تعني أيضًا أن (الإسلام هو فوبيا) أو (الإسلام بصفته فوبيا)، فحينما يقرأ الغربي هذه الكلمة (ISLAM) –وهي تُكتب بنفس الرسم في كل اللغات الغربية– فإن المدلول العقلي الذي يرتسم في ذهنه هو صورة مختزله عن الإسلام والمسلمين، أما مصطلح (Phobia) فجذوره إغريقية تعني الخوف بشكل عام، وتستعمل في المجال الطبي لتصف الحالات المرضية النفسية الناتجة عن الخوف المبالغ فيه، ولذلك فإن أغلب المصطلحات الغربية التي تضاف إليها لاحقة "فوبيا" تعني كره الشيء والخوف منه. ويتولد عن هذا الخوف حركات عنصرية تشيع موجات كُرْه للأجانب المقيمين في المجتمعات الغربية، وتعمل على إقصائهم عن الوظائف المهمة في الدولة وطردهم خارج البلاد. ينظر: صناعة الآخر؛ المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، المبروك الشبياني المنصوري، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١٤م، ص٢٤٥–٢٤٨.

(١) محمد، إسماعيل علي، المستشرقون وإصدار الكتب موقع الألوكة الإلكتروني، تاريخ الإضافة٢٠/١٠/٢٠١٦م، ١٠/٦/ ١٤٣٧هـ.

ففي المجال العقدي كتب المستشرق اليهودي المجري أجناتس جولد سيهر بعنوان: دراسات إسلامية، كما ألف في مذاهب التفسير الإسلامية، ونشر المستشرق دنكان بلاك ماكدونالد[١] كِتابًا بعنوان: تطور العقيدة الإسلامية، وقد انطلى على بعض المسلمين أنه كتاب علمي فقُرر تدريسه في أقسام الدراسات الإسلامية، وألف كولسون في التشريع الإسلامي، وصدر لهم مؤلفات كثيرة في مجال التاريخ الإسلامي، حتى عد بعضهم كتاب كارل بروكلمان[٢]: تاريخ الشعوب الإسلامية، من المراجع الأساسية في دراسة التاريخ الإسلامي، وهناك على سبيل المثال لا الحصر كتاب برنارد لويس تاريخ العرب عدّه بعض الأساتذة المتأثرين بالاستشراق من أهم الكتب في بابه، وقد تميزت كتابات المستشرقين في العصور الوسطى أو بدايات الاستشراق بالتعصب والحقد الشديد والكراهية للإسلام وإظهار هذه العواطف والاتجاهات بصراحة متناهية حتى ظهر منهم من كتب منتقدًا هذا الأسلوب ومن هؤلاء ما كتبه نورمان دانيال في كتابه (الإسلام والغرب) وما كتبه ريشتارد سوذرن في كتابه (صورة الإسلام والمسلمين في كتابات العصور الوسطى).

وظهرت في القرن العشرين كتابات عن الإسلام تظاهرت بأنها تجاوزت التعصب والحقد القديم ومنها ما كتبه توماس آرنولد في كتابه: الدعوة إلى الإسلام، وقد يكون هذا الكتاب قدم بعض العبارات والجمل المادحة للإسلام والمسلمين، ولكنه في حقيقته بعيد عن الموضوعية والمنهج العلمي[٣]. كما ظهرت كتابات مونتجمري وات حول الرسول ﷺ: محمد في مكة ومحمد في المدينة ومحمد رجل الدولة والسياسة، وغيرها من الكتب[٤].

أما أبرز الجهات الاستشراقية التي تنشر الكتب فأود في البداية أن أشير إلى أن الجامعات الغربية لها دور

(١) ماكدونلد، دانكن بلاك Duncan Black MacDonald 1863- 1943 هو مستشرق أميركي، ولد في جلاسجو وكان شديد التدين بالنصرانية، له عدة مؤلفات أهمها «تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام»، نيويورك، ١٩٠٣م، يعتبر، إلى جانب هرمان تسوتبرج، في طليعة من عني بكتاب «ألف ليلة وليلة»، فجمع منه نسخًا لا توجد عند غيره، ينظر: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٥٣٨.

(٢) بروكلمان، كارل (بالألمانية Carl Brockelmann).١٨٦٨ – ١٩٥٦، أكبر باحث عرفته الجامعات الاوروبية في النصف الأول من القرن العشرين في مجالات الدراسات السامية وتاريخ التراث العربي، موسوعة المستشرقين ص ٩٨-١٠٤.

(٣) توجد رسالة ماجستير انتقدت هذا الكتاب في كلية الدعوة بالمدينة المنورة يُشار لها تباعا.

(٤) ينظر دراسة نقدية لكتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف توماس ولكر آرنولد،، محمود حمزة عزوني، رسالة ماجستير من قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٤-١٤٠٥هـ.

نشر خاصة بها، ولعل من أشهر دُور النشر هذه على سبيل المثال، جامعة أكسفورد التي تطبع مئات الكتب كل عام حول العالم الإسلامي وقضاياه المختلفة، كما أن الجامعات الأوروبية والأمريكية لها دور نشر نشطة، تقوم بجهد يوازي إن لم يتفوق على نشاط دور النشر التجارية البحتة، (قارن بينها وبين دور النشر في الجامعات العربية والإسلامية- دور نشر للمجاملة وللتوزيع المحدود ولا تطبع دار النشر الجامعية أكثر من عشرة عناوين سنويًا).

ففي موقع دار جامعة أكسفورد للنشر مئات الكتب التي تهتم بالإسلام والعالم الإسلامي ومنها هذه الكتب، على سبيل المثال لا الحصر:

١- موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي الحديث، وتتكون من أربعة مجلدات تتألف من ١٨٤٠ صفحة، وتهتم بموضوعات لم تكن لتهتم بها الكتب حول الإسلام، ومن هذه الموضوعات: الإرهاب والتطرف وحقوق الإنسان ومكانة المرأة في العالم الإسلامي وفي الإسلام، وتزعم الموسوعة لنفسها أنها متخصصة وتقدم معلومات دقيقة وموثقة حول القضايا التي تتناولها.

٢- الكتب حول الإسلام والعالم العربي والشرق الأوسط من خلال شركة أمازون لتوزيع الكتب فيكفي أن تضع كلمة الإسلام أو العرب أو الشرق الأوسط لتمدك الشركة بسيل من الكتب وقد فتحت عنوان (إسلام) فوجدت ما يقارب من ثمانية آلاف وثمانمائة وأحد عشر كتاباً[(١)].

ويمكن الإشارة لنماذج مختارة من أبرز كتب *المستشرقين:*

- حياة محمد، تأليف سير وليام موير.
- الإسلام، تأليف ألفرد جيوم.
- الإسلام، ظهر بالفرنسية من تأليف هنري لامنس.
- تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي، ظهر بالألمانية، وترجم إلى العربية، من تأليف جولد زيهر.
- مصادر تاريخ القرآن – بالإنجليزية –، تأليف آرثر جيفري.
- التطورات المبكرة في الإسلام، بالإنجليزية، تأليف د. س مرجليوث.

(١) ينظر: عقيقي، المستشرقون ص ٣٣٧-٣٣٨.

- الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام، ظهر بالفرنسية من تأليف لوي ماسنيون.
- اليهودية في الإسلام، ظهر بالإنجليزية من تأليف إبراهام كاسن.
- مقدمة القرآن، بالإنجليزية من تأليف كينيث كراج.
- مقالة في الإسلام لجرجس سال.
- كتاب مصادر الإسلام لسنكلير تسدل.
- دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية، بالإنجليزية، تأليف فون جرونيباوم.
- كتاب ميزان الحق، للمستشرق الأمريكي الدكتور فاندر، والدكتور سنكلير تسدل.

ولقد عني بعض الباحثين بمحاولة إحصاء التراث الاستشراقي، أو ما كتبه المستشرقون في التراث العربي الشرقي عامة، وما كتبوه في الإسلاميات خاصة، ومع أنه قد ظهرت كتب كثيرة وأعداد من البحوث وفيرة بعد محاولاتهم تلك، فإنه قد صفا لهم الكثير، واستطاعوا أن يحصروا ويذكروا أعدادًا وفيرةً من عناوين وأسماء الكتابات الاستشراقية في الموضوعات الإسلامية وغيرها.

ومن هذه النماذج كتاب: موجز في أدب علوم الإسلام، للمستشرق الألماني الدكتور (جوستاف بفانموللر)، حيث أورد فيه مؤلفه عددًا كبيرًا من المراجع الغربية التي تناولت الإسلام في مختلف فروع ثقافته ومعارفه، وصنفها تصنيفا موضوعيا، مع عرض موجز لما يحتويه كل مرجع، وهو يتناول في دراسته ما كتب في الفترة من بداية القرن الثامن عشر إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين ١٩٢٣م، وقد ترجم بعض فصوله الدكتور محمود زقزوق، وجعلها في كتاب بعنوان: الإسلام في تصورات الغرب[١].

وكذلك كتاب (المستشرقون) لنجيب العقيقي في أجزائه الثلاثة، حيث عرض لمستشرقي كل بلد أوربي، وعند الحديث عن كل مستشرق يذكر آثاره وما خلفه من مؤلفات ودراسات، ثم خصص الفصل السابع والعشرين من كتابه لذكر أعمال المستشرقين العلمية المختصة بتراثنا عامة والإسلاميات خاصة، بلغات عديدة، وفي بلدان كثيرة، وعلى مدى أجيال متواصلة، سواء ما كان في مجال تحقيق المخطوطات ونشرها،

(١) عقيقي، المستشرقون، ص٧.

أم ما كان في مجال الدراسة والتصنيف[١].

المطلب الثاني: التعليم الجامعي والبحث العلمي: بدأت أقسام التعليم الجامعي ومراكز البحوث العلمية، تستقبل الطلاب من جميع أنحاء العالم بعد استقرار الاستشراق كفرع معرفي له أقسامه العلمية ومراكزه البحثية، فالأوروبيون الذين يدرسون هذه المجالات يتخصصون فيها لأهداف تخصهم، فقد جاء في تقرير سكاربورغ Scarbourgh وتقرير هايتر Hayter البريطانيين[٢]، ضرورة التحاق مندوب من الجهات التي تحتاج هذه التخصصات ابتداءً من وزارة المستعمرات (حين كانت موجودة) ووزارة الخارجية والاستخبارات والتجارة والاقتصاد والإذاعة البريطانية وغيرها من الجهات، أما الطلاب العرب والمسلمون فقد جاءوا في بعثات دراسية إما على حساب دولهم أو على حسابهم الخاص أو بمنح من الجامعات الغربية التي استهوتهم لأسباب منها السمعة العلمية العالية التي تتمتع بها هذه الجامعات في دول العالم الثالث (حتى وإن كان بعضها متواضع المستوى)، وثانيًا لرغبة الجامعات الغربية في الإفادة من هؤلاء الطلاب في مجال البحث العلمي، بالإضافة إلى الهدف الاستشراقي القديم من التأثير في طبقة من أبناء الأمة المسلمة من المتوقع أن تتسمْ منابر التوجيه وقيادة الرأي في بلادها، وقد يكون أحد هذه الأسباب المرونة التي تتمتع بها هذه الجامعات في مجال الدراسات العليا وبعدها عن التعقيدات والمشكلات والقيود التي يواجهها الطلاب في الجامعات العربية والإسلامية.

ولذلك أصبحت هذه الأقسام العلمية تعد بالآلاف في أنحاء أوروبا وأمريكا، ولما تخلص الأوروبيون والأمريكيون من مصطلح الاستشراق أصبحت أقسام الدراسات الشرق أوسطية أقسام دراسات المناطق هي التي يدرس فيها هؤلاء الطلاب، ولكن هذه الأقسام لم تعد كافية لدراسة كل ما يخص العالم الإسلامي والعربي فأضيف إليها الدراسة في أقسام الجامعة الأخرى مثل: علم الاجتماع، وعلم الإنسان، وعلم النفس، وقسم الاقتصاد والعلوم السياسية ومختلف العلوم التي يتم التنسيق بينها جميعًا من خلال معهد الشرق الأوسط كما في جامعة كولمبيا في نيويورك أو مركز دراسات الشرق الأوسط كما في جامعة

(١) ينظر: عقيقي، المستشرقون، الجزء ٣، ص ٣٩٤ – ٥٩٧.

(٢) تقريران قام بإعدادهما كلا من إيرل سكاربورو ووليام هايتر للحكومة البريطانية عام ١٩٤٧م، عن الدراسات الشرقية والسلافية والأوروبية الشرقية والأفريقية، وقد أُخِذ حيالهما عدد من التوصيات والقرارات، وللمزيد ينظر: مطبقاني، مازن، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، الرياض، دار إشبيليا، ١٤٢٠هـ –٢٠٠١م، ص ٥٨ وما بعدها.

كاليفورنيا بمدينة بيركلي.

وتعمل هذه الأقسام من خلال المواد الدراسية في تكوين عقلية الطالب وفهمه وإدراكه للقضايا التي تخص الإسلام والمسلمين، حيث إن طريقة التدريس والمراجع المقررة وتوجهات الأساتذة لها دور كبير في الدراسة الجامعية أو الدراسات العليا" وبخاصة في أمريكا حيث إن طالب الماجستير أو الدكتوراه يكلف بدراسة عدد محدد من الساعات"[(١)].

ومما لا شك فيه تأثر الطالب بأستاذه، سواءً في الفكر أو الأخلاق أو السلوك، وهذا ما حصل لكثير من أبناء العرب والمسلمين، ولذلك نجد التركيز في التراجم الإسلامية السؤال عن الشيوخ، ومهما كانت قوة العقيدة والإيمان لدى معظم الطلاب العرب والمسلمين، فإن بعضهم يتأثر بشيوخه من المستشرقين، وبخاصة أن بعض هؤلاء قد بلغوا درجة عالية من العلم والخبرة ومعرفة نفسية الطلاب العرب والمسلمين، وحتى يكون التأثير قويا، فقد سعى الفكر الاستشراقي إلى أن يتولى بعض الأساتذة في الجامعات الغربية وهم من القساوسة والرهبان وبعضهم من اليهود، تدريس الطلاب والتأثير فيهم بأسلوب غير مباشر، ولو بأن يُدخلوا أدنى درجة من الشك في قلوب هؤلاء الطلاب.

وبالإضافة إلى أقسام دراسات الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية (أوروبا وأمريكا) فإن الغرب حرص على فتح جامعات أوروبية وأمريكية في البلاد العربية والإسلامية، ومن أبرز هذه الجامعات الجامعة الأمريكية التي أصبح لها العديد من الفروع في القاهرة وفي بيروت وفي دبي وفي الشارقة وفي إسطنبول وغيرها، وقد قامت الجامعات الفرنسية بافتتاح معاهد لها في عدد من الدول العربية، كما أن لهولندا معهدا في مصر، وكذلك تقوم الحكومة الألمانية بافتتاح جامعة في مصر بعد أن كانت نواة هذه الجامعة قد أسست منذ سنوات، وقد ذكر خبر نشر في إحدى الصحف أن حجر الأساس لأول جامعة ألمانية سيوضع بتمويل من عدة جهات منها السفارة الألمانية في القاهرة (يعني الخارجية الألمانية) وجامعتين ألمانيتين بالتعاون مع الغرفة التجارية العربية الألمانية للتجارة والصناعة[(٢)].

والحقيقة أن الجامعات والتعليم العالي وسيلة مهمة جدا من أدوات الاستشراق، ونحن لا نتحدث عن الاستشراق في تخصصات معينة كالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والرياضيات، وإن كان يحدث فيها تأثير من براثن الاستشراق، ولكن الحديث ينصب على أقسام الدراسات الإسلامية والعربية والتاريخ

(١) ينظر: مطبقاني، مازن، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، ص ٥٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٣٤٠، ١١رجب ١٤٢٢هـ، ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١م.

والجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية وغيرها من الدراسات الأدبية والنظرية على وجه الخصوص، فالبعثات التي كانت قبل قرنين من الزمان، كان لها الأثر الفعال في تأثر المبتعثين بالمجتمع الغربي في عاداته وطباعه، وخصوصا في الاحتكاك بالأساتذة والمربين في أخلاقهم وسلوكهم وطباعهم، حيث ينتقل ذلك بشكل فوري إلى البحوث التي يكلفون بها في الدراسات العليا، ومن المسلم به أن الأمة والمجتمعات العربية والإسلامية، لا تبعث من أبنائها في الغالب إلا النبهاء والأذكياء، وعلى وجه الخصوص من حصلوا على تلك البعثات بجد واجتهاد وجدارة.

فمن التأثر حين يختار الطالب موضوع بحثه سواءً كان ذاتيًا ام موجهًا لوجهة معينة، فسيجد نفسه عندها أسيرا لذلك الموضوع حتى نهاية حياته العلمية وقل أن يتخلص من هذا الأسر، فيسهم الأستاذ المشرف في اختيار الموضوع وتوجيه الطالب للاهتمام بقضايا بعينها، ومن الأمثلة توجيه الطالب لاختيار كتاب الأغاني مثلًا ليكون مصدرًا لدراسة التاريخ الإسلامي أو المجتمع الإسلامي، وهو أمر خطير فكيف يكون كتاب مجون وخلاعة مصدرًا لدراسة تاريخ أمة هي أعظم الأمم على وجه الأرض.

ومن الطرائق التي يستخدمها الأساتذة في توجيه طلابهم للبحث فيها، تلك الموضوعات التي يريد الغربيون معرفة تفاصيلها الدقيقة وهم لا يستطيعون بحال الوصول إليها، فيكلفون طلابهم الذين يريدون الحصول على الدرجات العليا، كما أن مثل هذه الدراسة تتيح لهم الفرصة للعودة إلى بلادهم في رحلات علمية لجمع المادة العلمية وتقديم الاستمارات والاستبيانات وغيرها من وسائل جمع المادة العلمية التي يصعب على الأستاذ أو الجهات الخارجية الوصول إليها، وهذا بحد ذاته يعطي المستشرقين ما لا يستطيعون الحصول عليه مسبقا.

ومن الأمور المسلّم بها والتي لا يختلف عليها اثنان، أن المستهدف الأول من الحركة الفكرية الاستشراقية هم أبناء الأمة الإسلامية وشبابها الذين هم عمادها وقوامها، وأساس بنيانها، ممن دفعت بهم بلادهم للدراسة في المؤسسات الغربية، وهم الذين كانوا ولا يزالون أكثر الناس عرضة لحملات الفكر الاستشراقي المعادي للإسلام، يقول د. محمد فتح الله الزيادي: "وطلابنا الذين هم بحاجة إلى المؤسسات العلمية الغربية، لا يستطيعون مواجهة أساتذتهم من المستشرقين فيما يوردونه من تحريفات وأغلاط تاريخية ومنهجية، لأن ذلك يجر عليهم سخطا تكون نتيجته الحرمان من مواصلة التعليم أحيانا" (١).

المطلب الثالث: المناهج الدراسية الغربية: لعل المناهج الدراسية الأمريكية في مختلف المراحل التعليمية

(١) الزيادي، محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، كتاب إلكتروني، ص ٤٨.

هي الأكثر حضورًا في هذا المقام، حيث "يتم تناول ما يتعلق بالإسلام والحضارة الإسلامية في بعض صفوف الدراسة بمختلف المراحل التعليمية في المدارس"[١].

وبحكم الوضعية الخاصة للمدارس الحكومية في أمريكا، فإنها لا تقوم بتدريس مواد الدراسات الدينية مباشرة لطلابها، وإنما تقدم ما يتعلق بالدين–أي دين– ضمن مادتي الدراسات الاجتماعية والتاريخ، وفي إطار هاتين المادتين يُدَرّس الدين باعتباره ظاهرة مثله مثل الظواهر الاجتماعية الأخرى، وتتركز العناية دائمًا على الآثار المرئية للدين، أي تأثيراته في سلوك الأفراد والمجتمعات والانجازات الحضارية والتاريخية التي قامت على أساس ديني عبر التاريخ.

ومن هذا المنظور يتم تناول ما يتعلق بالإسلام والحضارة الإسلامية في بعض صفوف الدراسة بمختلف المراحل التعليمية في المدارس الأمريكية، ولا فرق في ذلك بين المدارس الخاصة والعامة، سواء أكانت تلك المدارس ذات طبيعة دينية كالمدارس الكاثوليكية أو اليهودية أو الإسلامية، أم لم تكن ذات طبيعية دينية كبعض المدارس الخاصة للطبقات الاجتماعية العليا.

وقد كتبت الأستاذة (سوزان دوغلاس) والأستاذ (روس دون) دراسة وجيزة في نحو عشرين صفحة عن تفسير الإسلام في المدارس الأمريكية، استعرضا فيها على وجه السرعة محتويات ستة كتب تعليمية تعرضت للإسلام وتم تدريسها للطلاب من الصف السادس إلى الصف الثاني عشر، وجاء في الدراسة أن تناول المدارس للإسلام أخذ يتنامى عامًا بعد عام، فمن نحو خمسة وعشرين عامًا خلت كان من الطبيعي والعادي جدًا أن يكمل الطالب تعليمه من دون أن يعرف شيئًا عن الإسلام، ولكن هذا الأمر قد أصبح متعذرًا في الوقت الحالي، إلا أن هذا التعليم جاء بطريقة معينة تتماشى مع سياسة الدولة في مبدأ الفصل بين الدين والدولة وبما لا يتعارض مع الدستور[٢].

وإذا كان الإسلام قد نال حظه من الدراسة فهو لم ينل حظه من العناية الخاصة باختيار المفردات

(١) أحمد، محمد وقيع الله، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة عرض ونقد، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ٦٩-٧٠.

(2) Susan L. Duglass, and Ross E. Dunn, "Interpreting Islam in American Schools", The Annals of the American Academy of Political and Social Sciences, P588, July 2003 PP. 52- 71.

الصحيحة الصالحة لتقديمه للطلاب، فوردت أخطاء عديدة في المناهج الدراسية مثل القول بأن الإسلام نسخة معدلة عن الديانتين اليهودية والنصرانية، وأسرفت هذه الكتب إسرافًا شديدًا في تعزيز ظاهرة استهداف الإسلام، وفي ترداد دعاوى انتشار الإسلام بالسيف، ومصادرته لحقوق المرأة واضطهاده لغير المسلمين، وفي الوقت نفسه ضربت هذه الكتب صفحًا عن ذكر إنجازات المسلمين العلمية والحضارية، وتأثير الحضارة الإسلامية في الدول الغربية، وكأنها كانت توحي بذلك لعقول الطلاب أن أوروبا وحدها هي منبع العبقرية العلمية والتقنية.

وفي دراسة منهجية شاملة عن (دور الكتب الدراسية المقررة في صنع تصورات الطلاب الأمريكيين عن الإسلام) أجراها الدكتور (إياد القزاز) ذكر فيها أنه بتحليل كل مفردات المواد الاجتماعية التي تشملها الكتب الدراسية في المرحلة، اتضح له أنه لا توجد مادة كانت عرضة للتحيز وسوء التفسير والتشويه، والتناول خارج السياق الموضوعي الصحيح، مع تعمد حذف الإيجابيات، وعدم التطرق لأي أثر حضاري عظيم، مثلما كان الإسلام عرضة لذلك[١].

ولا يقتصر الأمر على المناهج الأمريكية فقط بل إن للمدارس البريطانية تاريخًا طويلًا في تدريس قضايا تتعلق بالإسلام للطلاب في مراحل التعليم المختلفة، وليست هناك دراسة شاملة لتلك المناهج أفضل من الدراسة التحليلية التي تقدم بها الدكتور عبد المحسن سالم العقيلي، الأستاذ بجامعة الملك سعود، بعنوان: (كتاب التاريخ في المنهج البريطاني؛ محاولة في تحليل الخطاب التاريخي)، استخدم فيها الدكتور منهجية تحليل الخطاب، واستند إلى أفكار (ميشيل فوكو) التأسيسية عن السلطة المعرفية، وأخضع فيها مادة كتاب (عوالم العصور الوسطى) للتحليل والنقد الشامل، وانتهى إلى عدة نتائج مهمة منها:

- تجاهل المنهج لقيمة الدين الإسلامي، والانتقاص من إنجازات المسلمين الثقافية والحضارية.
- توافق محتويات المنهج مع الأسس العقدية والفلسفية والاجتماعية للمجتمع الأوروبي في محيطه العام.
- توافق محتويات المنهج مع الأسس العقدية والفلسفية والاجتماعية للمجتمع البريطاني في محيطه الخاص.

(١) ينظر: أحمد، محمد وقيع الله، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، ٦٩-٧٧.

– لم يشر المنهج إلى أي شكل من أشكال ثقافة الآخر الإسلامي، ووظف النص لرسم صورة مثالية أسطورية لقادة الحروب الصليبية.

– احتواء النص الدراسي على أسلوب الإيحاء ليودع في خواطر الطلاب أن المسلمين هم من تسببوا في إشعال تلك الحروب؛ وذلك بإصرارهم على منع النصارى من الحج إلى القدس وزيارة قبر المسيح.

وللمناهج الالمانية والفرنسية والبلجيكية والإسبانية والكندية والأسترالية حظ وافر في تعزيز ظاهرة استهداف الإسلام، فقد تولى عدد من الباحثين والناقدين دراسة هذه المناهج وتحليلها وعرضها ونقدها، وخلصوا إلى عدة نتائج منها:

– المسلم ذو طبيعة حربية بالضرورة، ولا يؤمن بحرية الدين والرأي التي تدين بها المجتمعات الغربية ولا تفرط فيها.

– تلفيق تعريف الإسلام، وذكر معلومات غير دقيقة تتعلق بأركان الإسلام الخمسة.

– انعدام المصداقية والدقة والوقوع في الخطأ والتحريف عند نقل النصوص الإسلامية خاصة ما يتعلق بالآيات القرآنية.

– قلة المعرفة بأوضاع الشعوب الإسلامية، والتركيز على ربط الإسلام بالأتراك فقط.

– القول بتناقض الإسلام؛ فهو صناعة بشرية وله أنماط كثيرة تختلف عن بعضها البعض بشدة.

– تلحق هذه المناهج بالمسلمين عمومًا صفات منافية للتحضر والحياة السليمة المستقيمة.

– تتجاهل كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين من صفات داعمة للتحضر والأخلاق الكريمة.

– الإساءة إلى المرأة واضطهادها في الإسلام.

– أخطاء في عرض هذه المناهج والكتب لتاريخ الإسلام.

– عرض الإسلام من خلال شخصيات تاريخية تم الإساءة اليها وتصويرها بصورة كما تصور شخصيات أبطال الروايات والمسرحيات والأفلام السينمائية.

– الخلط بين الأديان الربانية وفلاسفة الإصلاح الاجتماعي.

– التركيز على التركيبة الاجتماعية ورأيها السائد في المفاهيم والقيم الاجتماعية.

– التكريس لنمط الحياة العلمانية بحد قاطع.

- الإخلال بالتوازن والموضوعية عند عرض الأديان مقارنة بالدين الإسلامي.

وقد اتضح أن المناهج الدراسية للآن ما تزال مشبعة بنزعة عدائية شديدة تجاه الإسلام والمسلمين، ولا تزال ترزح تحت وطأة التراث الاستشراقي الثقيل(١).

المطلب الرابع: المجلات والدوريات الاستشراقية ودائرة المعارف.

أ- المجلات والدوريات الاستشراقية.

اهتم المستشرقون كثيرًا بإصدار المجلات والدوريات الاستشراقية منذ وقت مبكر، والتي خصصوها لأبحاثهم ومقالاتهم القصيرة، وللمستشرقين عدد كبير من المجلات السيّارة في كثير من بلدان أوربا، وقد" زادت المجلات والدوريات الشرقية لدى المستشرقين على ثلاثمئة مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق، ما عدا مئات تتعرض له في موضوعاتها العامة، كمجلة القانون المقارن ومحفوظات التاريخ، ومباحث العلوم الدينية، وهي تنشر بمختلف اللغات، وبعضها بثلاث، وتتناول مباحثها الشرق في لغاته وأديانه وعلومه وآدابه وفنونه، قديمها وحديثها، وتأثرها وأثرها ومقارنتها بغيرها (٢).

ومن هذه الدوريات:

- مجلة العالم الإسلامي: مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية في هارتستورد بأمريكا، وتوزع في جميع أنحاء العالم.
- مجلة العالم الإسلامي: مجلة تبشيرية تصدر في فرنسا، وتوزع في جميع أنحاء العالم.
- مجلة جمعية الدراسات الشرقية: أنشأها المستشرقون الأمريكيون في جامبير بولاية أوهايو، وكان لها بعض الفروع في أوروبا وكندا.
- مجلة شؤون الشرق الأوسط: تصدر بالإنجليزية في أمريكا، ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين، واهتمامها موجه في الدرجة الأولى إلى الجوانب السياسية.
- مجلة الشرق الأوسط: مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر في بعض المقالات(٣).

(١) ينظر: أحمد، محمد وقيع الله، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، ص ١٤٧-١٦٥.

(٢) عقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ٣٧٧/٣.

(٣) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة- القاهرة، ط١، ١٩٦٤م، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

أما المجلات والدوريات فتعد بالمئات من مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا فلا يكاد قسم من أقسام دراسات الشرق الأوسط الكبيرة في الجامعات الغربية يخلو من مجلة أو دورية، كما أن الجمعيات الاستشراقية لها أيضًا إصداراتها من الدوريات والمجلات، ونذكر على سبيل المثال الجامعات الآتية التي لها دوريات مشهورة، ومنها:

- دورية مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن.
- دورية جسور تصدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس.
- مجلة العالم الإسلامي (بالألمانية) من ألمانيا.
- مجلة العالم الإسلامي من معهد هارت فورد اللاهوتي بالولايات المتحدة الأمريكية.
- مجلة ومعهد العلاقات النصرانية الإسلامية بجامعة بيرمنجهام ببريطانيا.
- وهناك الكثير غيرها التي يبلغ تعدادها بالمئات في شتى مجالات المعرفة.[١]

ب- دائرة المعارف، هي: موسوعة أكاديمية تعنى بكل ما يتّصل بالحضارة الإسلامية، سواء من الناحية الدينية، أم الثقافية، أم العلمية، أم الأدبية، أم السياسية، أم الجغرافية، على امتداد العصور، بما في ذلك العصر السابق للإسلام، وقد تم إصدارها على طبعتين، الأولى بين ١٩١٣ و١٩٣٨م، والثانية ما بين ١٩٥٤ و٢٠٠٥، ويتم إصدارها من قبل شركة بريل الهولندية[٢]، وقد ظهرت هذه الموسوعة بأكثر من لغة، أما بالنسبة للعربية فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت في مصر في الستينات وأعيد طبعها بالشارقة عام ١٩٩٨.

وانطلق مشروعان آخران لدائرة المعارف الإسلامية أحدهما بتركيا، ويسهر على إصدارها مركز وقف الديانة التركي، والثاني بإيران حيث تصدر تحت عنوان دائرة المعارف الإسلامية الكبرى[٣].

(١) ينظر: عقيقي، المستشرقون ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٢) القاسم، خالد بن عبد الله، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دائرة المعارف الإسلامية، نقد وعرض، بحث بموقع الألوكة.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية- ويكيبيديا- الموسوعة الحرة.

المطلب الخامس: الفعاليات الثقافية.

وهذه متنوعة ومتعددة المسارات والاهتمامات والآليات، بيد أنها بمجملها تصب في أدوات الاستشراق بغية تحقيق أهدافه في استهداف الإسلام، وعل أبرز هذه الفعاليات ما يأتي:

أ-الندوات والمؤتمرات. ب- المحاضرات.

ت-الدورات العلمية. ث- التقارير الثقافية والسياسية.

وليس غريبًا ما يفعله المستشرقون تجاه الإسلام والمسلمين، فمنذ بدأوا بالبحث والدراسة في التراث والتاريخ العربي والإسلامي، كانوا على اتصال بعضهم ببعض عن طريق المراسلات والرحلات، ففي وقت من الأوقات قيل إن باريس كانت كعبة الاستشراق، إذ كان المستشرق سيلفيستر دو ساسي[1] يترأس معهد اللغات الشرقية الحية في باريس -١٧٩٥م وما بعدها-، وكان الحال كذلك مع العواصم الأخرى حين يذيع صيت أحد المستشرقين فيسعون إليه للتلقي عنه أو يسعون إلى استضافته أستاذا زائرا، ولكن كان لا بد من طريقة أخرى يتوصلون بها إلى التبادل العلمي والثقافي فكانت الندوات المحلية والإقليمية ثم الدولية وسيلة من وسائل الصلة بين المستشرقين، وكانت مؤتمرات المستشرقين في غالبيتها عبارة عن لقاء مجموعة من الباحثين والعلماء لتقديم بحوث وأوراق عمل ونقاشات ومناسبات اجتماعية على هامش المؤتمرات، ولم تكن في يوم من الأيام للتسلية والوجاهة والحصول على الامتيازات المادية من انتدابات وبدلات وغيرها كما يحدث في دول العالم النامي، فهي بالتالي، وسيلة عمل وتخطيط

ولذلك وبمبادرة فرنسية، منذ أكثر من قرن وربع بدأ الأوروبيون في عقد مؤتمر دولي كل عدة سنوات، للبحث في مجال الدراسات الاستشراقية التي تضم الهند والصين وجنوب شرق آسيا وكذلك تركيا ودول وسط آسيا (الجمهوريات التي كانت تتبع الاتحاد السوفيتي سابقًا) وشمال أفريقيا، ولكن الدراسات الإسلامية كانت وما تزال المحور الأساس لهذه المؤتمرات، وقد عقد المؤتمر الأول عام ١٨٧٣م في باريس

(١) هو أنطوان إيزاك سِلفستر دي ساسي، ١١٧٢ - ١٢٥٣ هـ - ١٧٥٨ - ١٨٣٨ م، مستشرق فرنسي، لقّبه البدوي بـ (شيخ المستشرقين الفرنسيين) ، درس اليونانية واللاتينية ثم العربية والعبرية. كما أتقن عدة لغات أوروبية، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م، ٢٦/٢و موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٣٣٤.

وبلغت حتى الآن ست وثلاثين مؤتمرًا، وكان المؤتمر قبل الأخير قد عقد في بودابست بالمجر في يوليو ١٩٩٧م، وقد قُدم فيه ما يزيد عن ألف بحث، وقد أصبحت المؤتمرات والندوات من الكثرة بحيث يصعب على الباحث أن يحصرها أو يتناولها جميعًا بالبحث والدراسة ولذلك سوف تقتصر هذه الدراسة على نماذج من هذه المؤتمرات والندوات التي أتيح لي الاطلاع على بعض المعلومات عنها، بحيث نقدم معلومات عن الموضوعات التي يتناولها المؤتمر أو الندوة، وكذلك معلومات عن المشاركين، وأهمية توجهات المشاركين في هذه المؤتمرات، ونتائج وتوصيات المؤتمرات(١).

إن من يطلع على المواقع الإلكترونية (الإنترنت)، يجد مدى ما وصلت إليه المحاضرات العامة والدورات المكثفة التي لا يُحصى لها عدد ولا سعة، فمراكز البحوث وأقسام دراسات الشرق الأوسط قبل ظهور الإنترنت، كانت تملك نشاطا قويا في نشر النشرات التي تتزاحم عليها الأقلام والأيدي الاستشراقية، وعلى سبيل المثال: قبل الإنترنت كانت جامعة هارفرد تنشر نشرة نصف شهرية تزدحم فيها النشاطات الاستشراقية(٢)، ولذلك كان لهذه المؤتمرات وتلك النشاطات دور كبير في جمع شتات الاستشراق والمستشرقين، وتوحيد جهودهم وتنظيمها، وبذلك كانت المؤتمرات أداة قوية في دفع عجلة العمل الاستشراقي، وخصوصا بعد رحيل الرعيل الأول من المستشرقين.

كما طلبت الحكومات الغربية من الباحثين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط، تقديم نتائج بحوثهم ودراساتهم واستشارتهم في اتخاذ القرارات السياسية، وهو ما يعرف في الفكر السياسي بالتقارب بين العلماء والساسة، ولذلك كان المستشرقون لا يبرحون مجالس وزارات الخارجية الغربية ومجالس النواب فيها واللجان المتخصصة، حيث يقدمون عصارة فكرهم لمصلحة بلادهم وأمتهم(٣).

المطلب السادس: المجامع العلمية والمراكز والمؤسسات الغربية.

أ- المجامع العلمية، ليس خفيا أن من ضمن ما يقوم به المستشرقون من أعمال ومحاولات حثيثة، دخولهم المجامع العلمية العربية، وخصوصا المجامع اللغوية، حيث تمكنوا عبرها من الاتصال المباشر بالعلماء

(١) وللمزيد ينظر: مطبقاني، مازن، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام ، ص ١٧٢وما بعدها.

(٢) ينظر: مطبقاني، مازن، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام ، ص ١٧٣.

(٣) للتوسع ينظر، الشحود، علي بن نايف، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨هـ، ٦٩/٢٥.

والمفكرين من العرب والمسلمين، وتمكنوا أيضا من تمرير ونشر وتسريب الفكر الاستشراقي إلى هذه المؤسسات العلمية، ولعل تضلعهم في اللغة العربية التي أحيانا تفوقوا فيها على العرب أنفسهم، هي العون القوي الذي مكنهم من التغلغل إلى هذا الجسد العلمي الكبير، ونفث السموم الاستشراقية إلى الفكر العربي والإسلامي.

إن أمر مشاركة المستشرقين في المجامع العلمية العربية لم يكن مقبولا أو مرضيا، فلقد كانت هناك نقاشات وحوارات حادة تصل أحيانا إلى عدم القبول بالمستشرق، بل وإخراجه من المجامع ورفض مشاركته، ولربما يدلنا ذلك على يقظة القائمين على تلك المجامع بمطامع المستشرقين ونواياهم الخبيثة تجاه العرب والمسلمين، ونذكر من أولئك المستشرقين على سبيل المثال لا الحصر، المستشرق هاملتون جب[١]، العضو المؤسس في مجمع القاهرة، وكذلك د. طمسون[٢] رئيس المجمع اللبناني العلمي، وهؤلاء نماذج وغيرهم كثير من المستشرقين الذين انتشروا في المجامع العلمية العربية والاسلامية والشرقية عامة.

ب- المراكز والمؤسسات الغربية، وهذه عبارة عن مراكز للبحوث والدراسات تهتم بقضايا الفكر والرأي. وتصب جل اهتماماتها على العالم العربي والإسلامي، وتعد هذه الأداة من أخطر أدوات الاستشراق، حيث تلعب المراكز والمؤسسات الغربية دورًا خفيًا في الترويج للدراسات الاستشراقية وأفكار المستشرقين المستهدفة للإسلام، بل صارت مؤخرًا الواجهة الفعلية للاستشراق، بغية الابتعاد عن التحسس من مصطلح الاستشراق، ويؤكد عدد كبير من الباحثين كما تؤكد أدبيات ولوائح هذه المراكز والمؤسسات أن أغلب الباحثين فيها هم من المستشرقين المعروفين.

وطبقًا لمسح أجري حديثًا لصالح المعهد القومي لتطوير الأبحاث ومقره طوكيو، يوجد على نطاق العالم اليوم، أكثر من ٣٥٠٠ ما بين معهد سياسة عامة أو مؤسسة بحثية[٣]، وقد لوحظ ازدياد مؤسسات البحوث حول العالم، ابتداءً من ثمانينات القرن الميلادي الماضي، وذلك نتيجةً لقوى العولمة، ولنهاية

(١) هو هاملْتُون ألكسندر روسكن جب (ت. ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) مستشرق بريطاني يعرف اختصارا بـ"H. A. R. Gibb". ولد في مدينة الإسكندرية، من كتبه (إلى أين يسير الإسلام) (لندن ١٩٣٢ م)، و (اتجاهات حديثة في الإسلام) (شيكاغو ١٩٤٧م) و(المجتمع الإسلامي والغرب) بالاشتراك مع هارولد بوون. ينظر: موسوعة المستشرقين ص١٧٤.

(٢) أبلسون، دونالد، هل هناك أهمية للمؤسسات البحثية؟ تقويم تأثير معاهد السياسات العامة، ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ٢٠٠٧م، ص٧

(٣) ينظر: أبلسون ، دونالد ، هل هناك أهمية للمؤسسات البحثية؟ تقويم تأثير معاهد السياسات العامة، ص٧.

الحرب الباردة، وظهور العديد من المشاكل الدولية، إذ يمكن القول إن ثلثي مؤسسات البحوث القائمة حاليًا تأسس بعد عام ١٩٧٠م، كما أن أكثر من نصفها تأسس منذ عام ١٩٨٠م، وبات أكثر تركيزها واهتمامها على الشؤون الدولية، والدراسات الأمنية، والسياسات الخارجية[١].

ولعل هذه المراكز تمثل الصورة الحديثة للاستشراق، "وثمة أيضًا تسمية أخرى بات يطلقها بعض الباحثين المسلمين على أعضاء مراكز البحوث الأمريكية؛ وهي: (المستشرقون الجدد)، وهذه التسمية نابعة من التشابه الكبير بين ما خطته أقلام الاستشراق القديم وبين ما تخطه اليوم أقلام أعضاء مراكز البحوث الأمريكية عن الإسلام والمسلمين، سواءً في المضمون أم في الأهداف"[٢].

"ورغم حديث إدوارد سعيد عن موت الاستشراق الكلاسيكي، فإن المواقف والتوجهات التي نشأة مع الأجيال الأولى للمستشرقين ما زالت تحكم آليات الكتابة الاستشراقية المعاصرة"[٣].

(١) ينظر: ماكغان، جيمس ج.، مجلة أجندة السياسة الخارجية الأمريكية، مقال بعنوان: مؤسسات الفكر والرأي وتخطي السياسة الخارجية لحدود الأوطان، عدد نوفمبر، ٢٠٠٢م، وهذه المجلة تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية.

(٢) الغامدي، صالح عبد الله، عندما يكون العم سام ناسكًا؛ دراسة تحليلية نقدية، مراكز البحوث الأمريكية من الصوفية، دار الوعد للنشر والتوزيع-الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ، ص ٤١.

(٣) الجيلاوي، آمنة، الإسلام المبكر؛ الاستشراق الانجلوسكسوني الجديد، منشورات الجمل-المانيا، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٣.

ويمكن استعراض أبرز المراكز والمعاهد والمؤسسات الأمريكية والأوروبية ذات التوجه الاستشراقي على النحو الآتي:

١. مراكز البحوث الأمريكية.

مؤسسة رسل سيج، ١٩٠٧م.	مؤسسة كارنيجي الوقفية للسلام الدولي، ١٩١٠م.
مجلس العلاقات الخارجية، ١٩٢١م.	معهد هوفر للحرب والثورة والسلام، ١٩١٩م
معهد بروكنجز، ١٩٤٣م	مؤسسة الكونجرس الحر، ١٩٧٤م
مؤسسة التراث، ١٩٧٣م.	معهد المشروع الأمريكي، ١٩٤٣م.
معهد كاتو، ١٩٧٧م.	مؤسسة راند، ١٩٤٥م.
معهد مانهاتن، ١٩٧٨م.	المعهد المدني، ١٩٦٨م.

٢. مراكز البحوث الأوروبية[(١)].

مركز ديبوس لندن، ١٩٩٣م.	المعهد الملكي للخدمات الدفاعية الموحدة، ١٨٣١م.
المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية.	مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، لندن، ١٩١٦م.
المعهد الفنلندي للشؤون الدولية.	الأوسطمؤسسة فريدريك إيبرت، المانيا، ١٩٢٥م.
معهد بحوث السلام الدولي، النرويج.	المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، لندن، ١٩٥٨م.
معهد الشؤون الدولية، إيطاليا.	معهد الدراسات العربية والإسلامية، جامعة اكسترا البريطانية
مركز أوروبا والعالم الثالث، سويسرا.	الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط، ٩٧٣م.
مركز الدراسات والبحوث الدولية، باريس	مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ١٩٨٥م.
معهد آدم اسمث، بريطانيا، ١٩٧٧م.	مركز الدراسات المستقبلية والمعلومات الدولية، فرنسا.
المعهد الدولي، هولندا، ١٩٧٤م.	المعهد الوطني الدانماركي للبحوث الاجتماعية، ١٩٥٨م.
مركز الفقه الإسلامي وقوانين الشرق	المعهد الأوروبي لبحوث التعاون المتوسطي والأوروبي العربي، بلجيكا

وكمثال واحد بارز على الارتباط الوثيق بين المراكز والمعاهد والمؤسسات والاستشراق، فقد ذكر أحد الباحثين في الاستشراق الأمريكي بعد تخصيصه مبحثًا كاملًا عنهم؛ أن الباحثين المستشرقين في مؤسسة راند هم: بريان مايكل جنكينز، وغراهام فولر، وبروس هوفمان، ودانيال بايمان، وجيمس دوبنز، وشيريل بينارد، وأنجل راباسا[(١)].

(١) ينظر: الغامدي، صالح بن عبد الله، الإسلام الذي يريده الغرب؛ دراسة تحليلية نقدية لتقرير مؤسسة راند، دار الوعي للنشر والتوزيع-الرياض، ط٣، ١٤٣٦هـ، ص ٢٤-٢٩.

المطلب السابع: الوسائل الإعلامية،

يعد الإعلام الوسيلة الأخطر والأعم والأشمل كأداة غير مباشرة للاستشراق، حيث أصبح الإعلام الغربي في العقود الأخيرة منبرًا واسعًا للترويج لكل الأفكار الاستشراقية التي تستهدف الإسلام والمسلمين، دون أي إشارة مباشرة للاستشراق والمستشرقين ودراساتهم عن الإسلام، إنما استهداف عام وتشويه واسع وتحريض سافر على كل ما يمت للإسلام بصلة، حتى غدت صورة الإسلام والمسلم الأسوأ تناولًا في وسائل الإعلام الأمريكية والغربية على حدٍ سواء.

وقد شاركت مدينة صناعة السينما الأمريكية (هوليود) مع السينما الأوروبية في إنتاج عشرات الأفلام المشوهة للإسلام والمسلمين، بإظهار الشخصية العربية والمسلمة شخصية جاهلة غبية شهوانية، تعاقر الخمور بشراهة وتجري خلف النساء وتنفق الأموال في المقامرات والبارات، ثم تبع ذلك إظهار الشخصية المسلمة شخصية عدوانية دموية تحمل الإسلام وتقتل وتفجر وتستهدف الجموع المدنية والبريئة من النساء والأطفال وكبار السن.

ودور الإعلام الأمريكي كان كبيرًا في الترويج لمقالات ودراسات المستشرقين الأمريكيين وخاصة غير المنصفين منهم للإسلام والمسلمين، وذلك من خلال بث أفكارهم في الصحف العامة والإذاعة والتلفزيون والندوات العلمية المذاعة وغيرها، كما أُدخلت تلك الأفكار في صناعة السينما والأفلام، حتى أفلام الرسوم المتحركة التي وصلت لأطفالنا والتي تبث أفكارها في عالمنا الإسلامي، ومن هنا تكونت لدى المتلقي من الإعلام الأمريكي صورة مشوهة ومشوشة عن الإسلام والمسلمين، وأصبحت العلاقة وطيدة بين المراكز الاستشراقية من خلال الدوريات العلمية والمجلات المحكمة ووسائل الإعلام الأمريكية؛ لأنها القناة الأساس التي تغذي وسائل الإعلام بالمعلومات عن الإسلام[٢]، وتؤدي وسائل الإعلام دورها في تغذية الرأي العام الأمريكي بالأفكار والتوجهات والتصورات عن الإسلام والمسلمين، بل أصبحت المرجع

(١) المديفر، عبد الله بن محمد، الاستشراق الأمريكي الحديث وموقفه من الدعوة الإسلامية؛ مؤسسة راند للبحث، رسالة دكتوراه بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية في الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥هـ.

(٢) الحربي، فراس محسن، صورة الإسلام والمسلمين في الاستشراق الإعلامي الأمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر (صحيفة الواشنطن بوست أنموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاستشراق بجامعة طيبة، ١٤٢٣هـ-٢٠١٨م، ص ١٦.

الرئيس لكل ما يتعلق بالشرق الأوسط والعالم الإسلامي وثقافته وعلومه[١].

كما أن من وسائل الاستشراق الأمريكي إنشاء قنوات إعلامية من دوريات علمية ومجلات وأبحاث متخصصة في الدين الإسلامي وقنوات فضائية ومواقع على شبكة الانترنت لبث الشبهات والآراء عن الدين الإسلامي، وقد غلب على معظم هذه الكتابات والمواد الإعلامية التشكيك في أن الإسلام دين سماوي منزل من عند الله، والتشكيك في نبوة محمد ﷺ، ومحاولة الغزو الفكري للشباب المسلم سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أم في العالم الإسلامي ككل لتغيير أفكاره وتوجهاته سعيًا لإبعاده عن الإسلام الذي يتصورون أنه يمثل خطرًا عليهم وعلى حضارتهم، وباتت هذه القنوات المتنوعة والكتابات هي المرجع الأساس للإعلام الأمريكي من صحف ومجلات وقنوات تلفزيونية، وأصبح مصدر معلومات القنوات الإعلامية الأمريكية عن الإسلام والمسلمين هو تلك الصحف والمجلات والدوريات الصادرة عن مراكز المدرسة الاستشراقية الأمريكية[٢].

وعندما نتحدث عن علاقة المدرسة الاستشراقية الأمريكية بالإعلام الأمريكي لا بد من الإشارة إلى علاقة التعاون القائمة بين الإعلام اليهودي في إسرائيل والإعلام الأمريكي فيما يخص قضايا العالم الإسلامي، حيث يستشهد العديد من الكتاب الأمريكيين بالصحافة الإسرائيلية وما تبثه وسائل الإعلام الإسرائيلية من حملات معادية للإسلام والمسلمين، ومن هذه الصحف على سبيل المثال صحيفة (جيروزليم بوست) التي تصدر من تل أبيب، وغالبًا ما تهاجم الإسلام والمسلمين وتنشر الإشاعات والأكاذيب عن هذا الدين الحنيف[٣].

وقد تطورت في عصرنا الحالي وسائل الإعلام وأصبحت هنالك قنوات فضائية ومواقع على شبكة الانترنت تختص بالشرق الأوسط ودراساته، وتستهدف الشباب العربي المسلم لتغيير فكره وهدم عقيدته وتوجيهه بالشكل الذي يجعله تابعًا للأفكار الليبرالية[٤].

(١) مطيقاني، مازن، بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ، ص ١٢٥.

(٢) الحاج، سامي، الظاهرة الاستشراقية، دار المداد الإسلامي-بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج/١، ص ١٥٥.

(٣) الحربي، فراس محسن، صورة الإسلام والمسلمين في الاستشراق الإعلامي الأمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر، ص ٣٤.

(٤) الحربي، فراس محسن، صورة الإسلام والمسلمين في الاستشراق الإعلامي الأمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر، ص ١٥٥.

ولا يفوتنا هنا دور الإعلام وإدراكه لأهمية استضافة أساتذة الجامعات المتخصصين في العالم العربي والإسلامي فأتاح لهم المجال لتقديم آرائهم في القضايا السياسية المعاصرة ولا تكاد تخلو نشرة أخبار من استضافة أحد هؤلاء للحديث في مجال تخصصه، ولم تكتف وسائل الإعلام بهذا الأمر فقد طلبت إليهم أن يجيبوا عن أسئلة الجمهور أو استضافتهم في برامج حوارية طويلة، ومن وسائل الإعلام التي تهتم بهذا الجانب، الإذاعات الموجهة مثل إذاعة لندن وصوت أمريكا وإذاعة مونت كارلو وغيرها(١).

يتأكد مما سبق أن جماعة كبيرة من المنتمين إلى المدرسة الاستشراقية الأمريكية دأبت على تشويه صورة الدين الإسلامي وتصويره بالدين الرجعي والمتخلف والمحارب للتقدم والحضارة من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال الماهج التعليمية والمراكز العلمية، وصورت للمجتمع الأمريكي صورة الفرد المسلم على أنه إنسان همجي ومتخلف محب للعنف والتطرف، وأن ما يمنعه من التقدم والتطور هو عقيدته الإسلامية(٢).

(١) للتوسع ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨هـ، ٦٩/٢٥.

(٢) ينظر: حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (العصر العباسي الأول)، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، ط١، ١٩٨٤م، ص١١- ١٥.

كما أن صحيفة الواشنطن بوست قدمت الصورة النمطية السلبية للإسلام والمسلمين في الرأي العام الأمريكي في النقاط الآتية:

١. تصوير الإسلام على أنه دين التشدد والتطرف.

٢. أن الإسلام يدعو إلى قتل الأبرياء من خلال مفهومهم الخاطئ عن الجهاد.

٣. تشويه الثقافة الإسلامية على أنها رجعية متخلفة تنبذ التقدم والتطور ولا ترتقي لمستوى الثقافة الغربية.

٤. تصور المسلم على أنه متزمت يرفض الآخر، ومعاداة المسلم للأديان الأخرى المخالفة للإسلام.

٥. تصوير المسلم في الإعلام الأمريكي وصناعة الترفيه والسينما الأمريكية بأنه صاحب فكر إرهابي متطرف، إذ غالبًا ما يلعب دور الشخصية الشريرة في تلك الأفلام والمسلسلات.

٦. التشويه المتعمد للتاريخ الإسلامي على أنه تاريخ دموي وهمجي ضد كل من لا يحمل عقيدته، وأن المسلمين يحملون الحقد والكراهية ضد كل ما ليس بمسلم[١].

ومن الأدلة على العلاقة الوثيقة بين المدرسة الاستشراقية الأمريكية والإعلام الأمريكي؛ مشاركة بعض رموز الاستشراق الأمريكي في برامج الإعلام الأمريكي، سواء من خلال برامج أمريكية أو الإذاعات الأمريكية.

(١) الحربي، فراس محسن، صورة الإسلام والمسلمين في الاستشراق الإعلامي الأمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر، ص ٣٥.

المبحث الثاني: الاستهداف الاستشراقي للإسلام

من خلال اطلاع الباحثة على عشرات من الكتب والدراسات والمقالات التي أصدرها المستشرقون؛ أمكنها حصر أبرز مطاعنهم على الإسلام والقرآن والرسول والتاريخ الإسلامي والمسلمين في ماضيهم وحاضرهم وكل ما يتعلق بدين الإسلام ويرتبط به، وادعاءاتهم الباطلة وافتراءاتهم الزائفة عليه، والتي دسوها في كتبهم ودراساتهم كاستنتاجات علمية مع أنها تفتقد الروح العلمية، وتغلب عليها الروح العدائية لا غير.

المطلب الأول: استهداف الإسلام كدين سماوي.

كان الشغل الشاغل للمستشرقين هو الإسلام كدين سماوي يعتنقه حوالي مليار ونصف إنسان على وجه البسيطة، مع تزايد مستمر ومتواصل لدخول الناس في الإسلام في كل البلدان، وفي مقدمتها البلدان الأوروبية التي تشهد توسعًا ملموسًا لأعداد المسلمين فيها؛ مما جعل هم المستشرقين منذ عقود يتركز في استهداف الإسلام والافتراء عليه والطعن فيه، بغية صرف الناس عنه وتحجيم توسعه وامتداده، وبذلوا كل وسعهم في سبيل ذلك وعلى مدى عقود. ولعل أبرز مطاعن المستشرقين على الإسلام، تتمثل في الآتي:

- إنكار مصدره الإلهي الرباني السماوي.
- الادعاء أنه من اختراع النبي محمد ﷺ.
- الادعاء أن الخرافات من الإسلام.
- الادعاء أنه دين شيطاني.
- الادعاء أنه دين عنف، وتطرف وقتل وإرهاب.
- الادعاء أنه يحرم الناس من حقوقهم وحرياتهم ويعتدي عليها.
- الادعاء أنه دين يحجب العقل عن التفكير.
- الادعاء أنه دين يبيح لأتباعه النساء والجواري.
- الادعاء أنه دين مخالف للحضارة الإنسانية والتمدن.

وعند تناول المستشرقين هذه القضية، جاءت كتاباتهم حاملة لمذاهب شتى حاولوا من خلالها تفسير ظاهرة الوحي المنزل على نبينا محمد ﷺ، لكن أكثرها تشترك في إنكار كونه وحيًا إلهيًا، وانكارهم هذا للوحي قادهم مباشرة إلى انكار المصدر الإلهي للقرآن الكريم الذين أجمعوا على بشريته.

فهذا المفكر الفرنسي (جوستاف لوبون) يرى أن التصرفات التي تعتري الرسول عليه السلام إبان نزول الوحي عليه ما هي إلا إصابته بالهوس الذي يباين العقل، فيعتريه احتقان فغطيط فغثيان، ويذهب الألماني (هربرت جريم) إلى أن محمدًا عليه السلام لم يكن بداية أمره يبشر بدين جديد، وأنه لما أراد الإصلاح وضع خطة للإصلاح الاجتماعي باستخدامه فكرة الحساب والعذاب وغيرها، أما المستشرق الانجليزي (منتجمري وات) فقد رفض جميع الآراء الغربية التي عزت ظاهرة الوحي إلى الصرع والهلوسة والجنون، وجاء برأي لا يقل ضعفًا عما سبقه، ذلك أنه لما عالج مسألة أصل النبوة عدّها من نتاج الخيال الخلاق الذي كان يتمتع به النبي عليه السلام، لا من مصدر إلهي، و هذا الخيال الخلاق لا يتمتع به إلا الرجال المتمتعون بعقليات خارقة كسوبرمان، وبعض علماء النفس يعزونه إلى اللاشعور(١).

يقول المونيسنيور كولي في كتابه (البحث عن الدين الحق):"برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب، ولقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يُهلَكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وأفريقيا وأسبانيا فريسة له".

ويقول المسيو كيمون في كتابه (ميثولوجيا الإسلام):"إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا، بل هو مرض مروع وشلل عام وجنون ذهني يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء ويدمن معاقرة الخمر ويجمع في القبائح، وما قبر محمد في المدينة إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع (هستيريا) والذهول العقلي، وتكرار لفظة (الله الله) إلى ما لا نهاية، وتعود عادات تنقلب إلى طباع أصلية ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في الملذات".

ويقول جويليان في كتابه (تاريخ فرنسا):"إن محمدًا مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يُخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو"(٢).

(١) ينظر: المحجوبي، خالد إبراهيم، الاستشراق والإسلام؛ مطارحات نقدية للطروح الاستشراقية أكاديمية الفكر الجماهيري-ليبيا، ط١، ٢٠١٠م، ص ٢٩- ٣٠.

(٢) نقلًا من كتاب: خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية، دار الثقافة-الدوحة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص ١٥- ١٦.

ويمكننا القول إن الأمر الغريب في الدراسات الاستشراقية هو أن الدراسات الغربية حول الديانات الوضعية مثل البوذية والهندوسية غالبًا ما تكون دراسات موضوعية بعيدة عن أي تجريح، ولكن الإسلام وحده من بين كل الأديان هو الذي يتعرض في الغرب للنقد والتجريح، على الرغم من أنه دين يؤمن بالله ويحترم اليهودية والمسيحية ويؤمن بموسى وعيسى عليهما السلام ويرفعهما فوق النقد بوصفهما من أنبياء الله.

إن الإسلام الذي تعرضه بعض الكتب الاستشراقية التي تستهدفه ليس هو الإسلام الذي يدين به المسلمون وإنما هو إسلام من صنع الخيال، فهو بالنسبة إليهم دين دموي، والإرهاب نابع منه، وهو دين لا يحترم المرأة، كما أنه دين شهواني يجري وراء اللذة بإباحته تعدد الزوجات، والجهاد الذي شُرع فيه ليكون أداة دفاعية عن المسلمين من عدوان المعتدين إنما هو في نظرهم أداة لتدمير الحضارة الغربية ودمار البشرية، كما يجري الخلط بين الإسلام كدين وما نشاهده اليوم من تخلف وصراعات في العالم الإسلامي[١].

يقول القس (فرانكين جراهام) عن الإسلام:"إنه دين شيطاني وشرير"[٢]، ويقول القس (بات روبرتسون):"إن الدين الإسلامي دعى إلى العنف، وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل"[٣].

وهذه مجرد إشارات إلى قطرة من محيط مخزون الكراهية السوداء التي انهالت على الإسلام وأمته وعالمه عقب حادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

(١) ينظر: زقزوق، محمود حمدي، الإسلام في تصورات الغرب، دار التوفيق النموذجية-الأزهر، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ١٤- ١٥.

(٢) صحيفة واشنطن بوست، في ١٨- ١ -٢٠٠١م.

(٣) صحيفة الحياة، لندن، في ٢٦- ٢- ٢٠٠٢م. وصحيفة الشرق الأوسط، لندن، في ٣-٣-٢٠٠٢م.

المطلب الثاني استهداف القرآن الكريم.

وفي سعيهم للنيل من الإسلام؛ ركز المستشرقون بدايةً على القرآن الكريم، فجعلوه محور اهتمامهم، وتناولوه بالطعن والقدح والتجني والتقول عليه ورميه بما لا يمت لحقيقته بصلة، وذلك لعلمهم بما يمثله القرآن للإسلام والمسلمين من مرجعية إلهية ومصدرية تشريعية وإجلال وتعظيم وتقديس، وبما له من مكانة رفيعة في قلوبهم ونفوسهم، فكانت أبرز مطاعنهم فيه تتلخص في الآتي:

١. أنكروا ربانيته وألوهيته ونزوله من عن الله.

٢. أنكروا وجوده وحقيقته.

٣. ادعوا أنه من تأليف النبي محمد ﷺ.

٤. ادعوا أنه خليط من الأديان والكتب السابقة.

٥. ادعوا أنه مأخوذ من اليهودية والمسيحية.

٦. ادعوا أنه مقتبس من الشعر الجاهلي.

٧. ادعوا بأنه مزيج من الأناشيد والأغاني.

٨. ادعوا أنه مليء بالأباطيل والأكاذيب.

٩. ادعوا أنه مليء بالتناقضات.

١٠. ادعوا أنه كتاب أدبي لا وحي مُنزّل من عند الله.

١١. ادعوا أن أنه يُحرّض على العنف والقتل.

وغيرها كثير من التهم الباطلة التي دارت في كتبهم ودراساتهم ومقالاتهم بشكل كبير جدًا، وكررها العشرات منهم كل واحد منهم بأسلوبه وطريقته، وتكاد كتبهم تطفح بالمطاعن الباطلة بحق القرآن الكريم، هذا بالإضافة إلى طعنهم في جمعه وتدوينه وحفظه.

وهناك نظرية للألماني (فونتر لينف) بعنوان: (قرآن أور ur-kuran) نشرت سنة ١٩٧٤م[١]، وتعني:

(١) G.Lulling,über den urkoran: An salze zur *Rekonstruktion* der vorislamisch- christlichen strophenlider im koran (berlin: verlagbuch,1993).

(القرآن الأصل)، ومصطلح (نص أور urtext)[١] ظهر في الدراسات النقدية الأدبية الجديدة ويعني: "النص الأدبي يتكون من جملة من النصوص المتراكمة والمتعاقبة التي تشترك فيها كل البشرية"، وبهذا الفهم فإن كل النصوص الأدبية مهما كان نوعها أو جنسها أو لغتها أو تاريخها قد نشأت عن (نص أصل) أو (نص أور) مفهومًا لا واقعًا فعليًا، وعليه فالقرآن ليس سوى تركيب عربي لجملة من النصوص اليهودية والمسيحية المتعاقبة والمتراكمة، تمثل القرآن الأصل: قرآن أور، عبر الترجمة الحرفية أو عبر المحاكاة[٢].

وبعد انتقاء كثير من الأمثلة والشواهد وتطويعها لتلائم هذه الفرضية النظرية، قسرًا، خلص الألماني (فونتر لينف) إلى أن ما يزيد عن ثلث القرآن، قصار السور تحديدًا نظرًا إلى طابعها الشعري وأسلوبها الغنائي الديني ليست سوى مقاطع من أناشيد كنسية مسيحية كان يرددها الكهان في صلواتهم[٣].

كما أن الأطروحة المركزية (لجون فانسبرا) في كتابه (دراسات قرآنية)[٤] هي أن القرآن لم يدوّن إلا بعد حوالي قرن ونصف من وفاة الرسول، وقد اعتبر أن القرآن خليط من المقاطع التي تواصل تأليفها وجمعها فترة تاريخية طويلة، وأنه لا يوجد دليل تاريخي على أن القرآن قد ظهر أصلًا قبل ٥٩ سنة من وفاة الرسول، ورجح أن نص القرآن ظل يتطور حتى نهاية القرن السابع الميلادي، وأنه لم يُجمع ولم يتخذ شكله النهائي إلا في القرن التاسع الميلادي، لأن كل المعلومات الموثقة توثيقًا تاريخيا يرجع تاريخها على ما بين قرن ونصف إلى ثلاثة قرون من وفاة الرسول، فالقرآن في النتيجة المركزية عند فانسبرا نص بشري لم يظهر إلا بعد وفاة النبي ووفاة أصحاب النبي الأوائل، وقد تدخل كثير من المسلمين بإضافة مقاطع إلى ما عرف من شذرات ظهرت بعد وفاة الرسول ونسبت إليه، وبالتالي فالقرآن شأنه شأن الانجيل في التدوين؛ فكلاهما لم يظهر ولم يدون إلا بعد أكثر من نصف قرن من وفاة نبيه، وكلاهما قد ألفه أصحاب النبي

(١) مصطلح مكون من كلمتين"ur" وهي كلمة ألمانية تعني الأصل، وكلمة، و"text" وتعني النص، ويطلق المصطلح بشكل استعماري على الأصول الأولى لأي عمل أدبي، ويطلق على الجذور الأولى للحركات الفكرية والايديولوجيات، والمقصود بها الجذور الأولى للقرآن بصفته نصًا بشريًا رُكّب من مجموعة نصوص أخرى سابقة له حسب وجهة النظر الاستشراقية.

(٢) المنصوري، المبروك الشيباني، صناعة الآخر؛ المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، ص ٨٨-٩٠.

(٣) المنصوري، المبروك الشيباني، صناعة الآخر؛ المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، ص ٨٨-٩٠..

(٣) J.Wansbrough, Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford: Oxford University Press, 1977).

وأصحاب أصحاب النبي[١].

ويدعي المستشرق الألماني (تنيمان) المتوفى عام ١٨١٩م أن القرآن سببٌ أوليٌ وأصيلٌ في إعاقة المسلمين عن التفكير الحر، وأنه في مقدمة العوامل التي أسهمت تأخر المسلمين وتخلفهم الحضاري المعاصر[٢].

ومن المؤلفات الاستشراقية في التفسير وعلوم القرآن ما يظهر فيه الطعن وإثارة الشبهات والتشكيك في مصداقية كتاب الله تعالى على سبيل المثال:

١. النصرانية واليهودية في القرآن للمستشرق الألماني بومشتارك.

٢. توافق القرآن والإنجيل للمستشرق الفرنسي بوستل.

٣. الكلمات الأجنبية في القرآن للمستشرق الألماني فرانكلين.

٤. التطور التاريخي للقرآن للمستشرق الإنجليزي سل.

٥. عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية للمستشرق المجري هيللر.

٦. طابع الإنجيل في القرآن للمستشرق وولكر.

ومن الدراسات الاستشراقية الحديثة للقرآن الكريم وتفسيره: دراسات كل من: أندرو روبن، وهاوتنغ، وستيفن ويلد.

ولا ننسى دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها المستشرقون وما تحمله من مواد استشراقية للطعن في كتاب الله تعالى، التي صدرت بعدة لغات في طبعتها الأولى عام ١٩١٤م، وفي طبعتها الثانية عام ١٩٥٤م.

وتبقى الموسوعة الاستشراقية الأشمل والأخطر ذات الخمسة مجلدات موسوعة القرآن الكريم عن (بريل) التي صدر منها جزآن من الأجزاء الخمسة المشتملة على ألف مدخل كدراسة نقدية استشراقية للقرآن وعلومه، كُتبت بأيد استشراقية، واستكتب فيها عدد من العرب والمسلمين المتأثرين بالأفكار الاستشراقية؛ كمحمد أركون الذي كتب مقدمتها.

ومن صور الاهتمامات الاستشراقية الحديثة بالقرآن الكريم: المؤتمرات المتوالية حول دراسة القرآن الكريم

(١) المنصوري، المبروك الشيباني صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، ص ٩١- ٩٣.

(٢) منقول من كتاب: المرطعي، عبد العظيم إبراهيم، افتراءات المستشرقين على الإسلام، مكتبة وهبة-القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص ٤٠.

وتفسيره، ومن تلك المؤتمرات:

١. مؤتمر جامعة بون في نوفمبر ١٩٩٣م الذي جمعت أعماله في كتاب: القرآن كنص، الصادر عن ابريل ١٩٩٦م.

٢. مؤتمر الدراسات القرآنية على أبواب القرن الواحد والعشرين في جامعة لايدن في عام ١٩٩٨م.

٣. القرآن نص وتفسير، الذي عقد في جامعة لندن في أكتوبر عام ١٩٩٩م[١].

المطلب الثالث: استهداف الرسول ﷺ.

ركز المستشرقون على شخص النبي ﷺ واستهدفوه في دراساتهم بشكل مكثف، فرموه بكثير من التهم الباطلة والافتراءات المبتذلة، ولم يتركوا مدخلًا يستطيعون النفاذ منه للطعن في شخصه إلا واستغلوه وبنوا عليه الكثير من المزاعم والأباطيل، إلا أن الباحثين المسلمين تمكنوا من تفنيدها وإبطالها وإسقاط كل ما بنيت عليه من حجج واهية، ولعل من أبرز الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الرسول ﷺ ما يأتي:

١. أنه ﷺ تلقى ما جاء به عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

٢. اتهامه ﷺ بمحاولة الانتحار.

٣. انكار أمية الرسول ﷺ.

٤. اتهامه ﷺ بحصول التعري منه.

٥. اتهامه ﷺ بالانشغال بالنساء وكثرة الزواج منهن.

٦. إثارة شبهة زواجه ﷺ من عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة.

ولعل أبرز الكتب الاستشراقية التي تناولت الرسول ﷺ.

١. وليم موير، في كتابه: حياة محمد.

٢. هنري لامنس اليسوعي، في كتابه: الإسلام.

٣. ألفرد جيوم، في كتابه: الإسلام.

٤. صمويل زويمر، في كتابه: الإسلام تحد لعقيدة.

٥. كتيشكراج، في كتابه: دعوة المئذنة.

(١) السرحاني، محمد سعيد، الاتجاهات الحديثة للمستشرقين في تفسير القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ٢٢، العدد ٧٠، ٢٠٠٧م، ص ١٢٧-١٣٠.

٦. جولد زيهير، في كتابه: تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي.

٧. د. س. مرجليوت، في كتابه: محمد ومطلع الإسلام.

٨. ج. فون. جرونبام، في كتابه: الأعياد المحمدية.

٩. د. ب. ماكدونالد، في كتابه: تطور علم الكلام.

١٠. آرثر جيفري، في كتابه: مصادر تاريخ القرآن.

والكثير من الكتب والمؤلفات التي حاول المستشرقون فيها تشويه صورة النبي ﷺ والنيل من شخصه الكريم، وغيرهم ممن شاركهم هذا العمل الخبيث كثيرون[١]، حيث انساق المستشرق وراء عواطفه أو المؤثرات الضاغطة عليه، فإنه حينها لا يكتب دراسة علمية جادة عن الإسلام، وإنما يكتب سبابًا، ومن أمثلة تلك الكتابات قولهم: " إن الإسلام مجموعة إلحاد من عمل الشيطان، وإن نبي الإسلام العربي الماكر الوسخ أفّاق وخادع ولص نياق خليع وساحر، كان رئيس عصابة من قطاع الطرق، وكان مصابًا بالهستيريا والجنون، مات في نوبة سكر، وأكلت جثته الخنازير، وإن المسلمين مجموعة من الوحوش"[٢].

ينتقد غلور الرسول ﷺ في كتابه (تقدم التبشير العالمي) فيقول: "كان محمد حاكمًا مطلقًا، وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويعلم ما يشاء، وكان مجبولًا على هذه الفكرة، فقد كان عازمًا على أن يقطع عنق كل من لا يوافقه في هواه، أما جيشه العربي فكان يتعطش للتهديد والتغلب، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم".

ويعتقد (سفاري) الذي ترجم القرآن سنة ١٧٥٢م، أن: " محمدًا قد لجأ إلى السلطة الإلهية لكي يدفع الناس إلى قبول هذه العقيدة، ومن هنا طالب بالإيمان به كرسول لله، وقد كان هذا اعتقادًا مزيفًا أملته الحاجة العقلية"[٣].

(١) ينظر: محمود، علي عبد الحليم، وسعيد، عبد الستار فتح الله، وآخرين، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ط١، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م. ص ٤٥-٤٦.

(٢) النعيم، عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص ٢٩.

(٣) نقلًا من كتاب: خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية، دار الثقافة-الدوحة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص ١٧.

المطلب الرابع: استهداف السنة والسيرة النبوية.

وبعد القرآن الكريم يأتي استهداف المستشرقين للحديث الشريف والسنة النبوية والسيرة، لعلمهم بالمصدرية التشريعية للسنة النبوية ومكانتها لدى المسلمين، وأنها المكملة للقرآن والشارحة لما فيه، والمفصلة في كل المسائل التي لم يرد ذكرها في القرآن، مما يتعلق بالعقيدة والعبادات والمعاملات والتشريع والحلال والحرام والحدود والعقوبات والأخلاق والقيم والفضائل والآداب والنكاح والجهاد والقضاء والاقتصاد والسياسة الشرعية والحقوق والعلاقة مع غير المسلمين.

ويمكن استعراض أبرز مطاعن المستشرقين في السنة النبوية إجمالًا فيما يأتي:

١. إنكار نسبة السنة النبوية للوحي.

٢. الادعاء أن السنة النبوية كلها من رأس النبي ﷺ أتى بها من عند نفسه.

٣. السعي إلى نزع مصدرية السنة النبوية التشريعية.

٤. الطعن في حجية السنة النبوية.

٥. القول بأن الرسول ﷺ منع الصحابة من تدوين السنة النبوية.

٦. الطعن في جمع السنة النبوية وتدوينها.

٧. الطعن في منهج علماء الحديث وجهودهم في حفظ السنة النبوية.

٨. الادعاء أن السنة النبوية كلها من كلام الصحابة.

٩. الادعاء أن السنة النبوية هي مما نقله الصحابة بفهمهم وذاكرتهم عن الرسول ﷺ.

١٠. الادعاء أن الأحاديث الموضوعة تفوق الصحيحة وقد اختلطت ببعضها.

١١. الادعاء أن السيرة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين بنيت على أساس المحاكاة لسير القديسين.

١٢. ادعوا بأن السنة النبوية موضوعة وترجع إلى أصول غير إسلامية.

ويعد الغرض من دراسة السيرة النبوية لدى المستشرقين هو اخضاعها لمناهج البحث الغربية المادية والعلمانية وغيرها من المناهج؛ ليتسنى لهم التشكيك فيها، " والغريب في أمر المستشرقين أنهم يشكون في صحة السيرة، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرونها مصدرًا تاريخيًا صحيحًا، وإنما هي عندهم

كما ينبغي أن تكون عند العلماء جميعًا طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق ليمتاز صحيحها من متحولها، فهم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة ويغلون في هذا الموقف"[١].

المطلب الخامس: تشويه التاريخ الإسلامي.

أوغل المستشرقون كثيرًا في تشويه التاريخ الإسلامي وتزويره والطعن به والدس عليه، وعمدوا إلى انتقاص تاريخ المسلمين من جميع الجوانب لا سيما الإنسانية والحضارية، وأظهروه على غير حقيقته حتى ليبدوا تاريخًا مُنكرًا لدى المسلمين، ويمكن إجمال أبرز تشويهات المستشرقين للتاريخ الإسلامي، فيما يأتي:

١. إضفاء صفة الهمجية عليه ونزع الإنسانية عنه.

٢. نزع الصفة الحضارية عنه مع ثبوتها عند المنصفين منهم.

٣. تصويره على أنه تاريخ دموي كله اقتتال وحروب.

٤. جعل الممارسات الفردية الخاطئة فيه مُعبّرةً عن الإسلام.

٥. اتهام المسلمين أنهم طيلة التاريخ الإسلامي قاموا بنشر الإسلام بقوة السيف.

٦. اتهام المسلمين بإخضاعهم للناس الدخول في الإسلام قسرًا وكرهًا منهم.

٧. ادعوا أن تاريخ حكام المسلمين كله مليء بالشهوات، والخمور، والنساء، والجواري.

٨. إنكار وجود تاريخٍ للمسلمين.

وتعد نظرية مايكل كوك وباتريسيا كرونه من النظريات المشوهة للتاريخ الإسلامي، فقد رفضا في كتابهما (الهاجرية: تكوين العالم الإسلامي)[٢] استعمال كل الوثائق التاريخية العربية بسبب معاصرتها للأحداث التي دونت تفاصيلها وشككا في قيمتها العلمية التاريخية واستعاضا عنها بالوثائق غير العربية المعاصرة للرسول دون أن يهتما بالمضمون العقدي أو المسيحي الذي يؤطرها، ودون أن يطرحا إمكانية تأثير الغايات الدينية الجدلية التي كتبت من أجلها في مصداقيتها العلمية، وتحدثت هذه الوثائق عن الرسول

(١) النعيم، عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، ص ٣٤.

(2) P. Crone, Slaves on Horses: The Evolution of Islamic polity (Cambridge: Cambridge university press, 1980.

بصفته مبتدعًا وشبّهته باتريسيا بمتنبئي العهد القديم، وسمّت المسلمين بالمهاجرين والإسماعيليين، باعتبار أن العرب هم أحفاد إسماعيل، وإسماعيل هو ابن إبراهيم (جد اليهود)، من أمه هاجر، ولهذا فالعرب ينسبون إلى أمهم لا إلى أبيهم.

وبهذه النظرية ذهب كوك وكرونه إلى أن العرب باتّباعهم لهذه (البدعة المحمدية) كما سمياها، كانوا يسعون إلى العودة إلى الأرض المقدسة بفلسطين ليشاركوا أبناء عمومتهم اليهود فيها، وبهذه القراءة الجديدة للتاريخ يتحول اليهود إلى أصحاب حق في فلسطين، ويصير اليهود هم الذين رحبوا بأبناء عمومتهم العرب المسلمين وأدخلوهم إلى القدس، ولكن مكر العرب وخبثهم وكرههم لأبناء عمومتهم جعلهم يؤججون ضدهم حربًا انطلقت بطردهم من فلسطين وما زالت مستمرة إلى اليوم إلا أنها اشتدت أكثر بعد أن تمكنوا من العودة إليها وتأسيس دولتهم فيها سنة ١٩٤٨م[١].

المطلب السادس: تشويه المسلمين.

وللمسلمين نصيبهم الوافي دون نقصان من تشويه المستشرقين إياهم وانتقاصهم والافتراء عليهم والتجني عليهم بالباطل، وتصّيد الزلاّت التي وقعت من بعض المسلمين، وتعميم الممارسات السلبية والتصرفات الخاطئة من بعضهم –بجهل أو بسوء فهم– على كل جموع المسلمين قاطبة دونما استثناء، حيث استغل المستشرقون بعض الأخطاء الفردية والممارسات المغلوطة في تاريخ المسلمين عبر الحقب التاريخية المتتابعة أو في واقعهم المعاصر، وبنوا عليهم بعض الأحكام الإقصائية والتهم الجائرة.

ولعل أبرز التهم التي قذف بها المستشرقون المسلمين، ما يأتي:

- اتهام المسلمين بالجهل.
- اتهام المسلمين بالمعتقدات الفاسدة.
- اتهام المسلمين بإيمانهم بالخرافات والخزعبلات.
- اتهام المسلمين بالبداوة والثقافة الصحراوية
- اتهام المسلمين بالهمجية.

(١) ينظر: صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، المبروك الشيباني المنصوري، ص٩٣– ٩٤.

- اتهام المسلمين بالشهوانية.
- اتهام المسلمين بالعنف وسفك الدماء.
- اتهام المسلمين بظلم المرأة.
- اتهام المسلمين بالإرهاب.
- اتهام المسلمين بالتخلف الحضاري.

لقد تجذر الافتراء والعداء الغربي للمسلمين منذ القِدم، ولطالما وصفوهم بأنهم رعاة الماعز والأغنام الأجلاف، لابسو الخرق المهلهلة، وعبدة الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى، والسحرة وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين، وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قربانًا وزلفى إليه، كما صورهم بعض المستشرقين بأنهم: يعبدون الدرك الأسفل من الشياطين، وهم الكفرة الفجرة؛ الذين لا يدينون بالمسيح أو الله، فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة، وسفلة أوغاد، أعداء الله، وأعداء المسيح، مستبيحو قبر المسيح، وقد وصفهم شاعر الكنيسة القسيس (كونراد) سنة ١٣٠٠م، بأنهم الشعب الذي لا يُروى تعطشه لسفك الدماء، والذي لعنه رب السماء، فهم كفرة وكلاب، وخنازير فجرة، وهم عبدة الأصنام التي لاحول لها ولا قوة، الذين لا يستحقون إلا أن يُقتلوا وتُطرح رممهم في الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مراء[١].

(١) ينظر: عمارة، محمد، الإسلام في عيون غربية؛ بين افتراء الجهلاء وانصاف العلماء، دار الشروق، ص ٦٨.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث يطيب للباحثة إيراد أبرز نتائجه وما تراه من توصيات.

أولًا– نتائج البحث:

١. اعتمد المستشرقون بشكل واسع جدًا على الكتب والمؤلفات الخاصة بهم، التي استهدفوا بها الإسلام والقرآن والنبوة والحديث النبوي والحضارة والتاريخ الإسلامي، وكان إنتاجهم غزيرا شاملا متنوعا، أثروا به المكتبة الاستشراقية، ومما لا شك فيه أن ما يزيد عن حوالي ٩٠% من كتبهم تسير في الاتجاه السلبي ضد الإسلام.

٢. المستهدف الأول من الحركة الفكرية الاستشراقية هم أبناء الأمة الإسلامية وشبابها الذين هم عمادها وقوامها، وأساس بنيانها، ممن دفعت بهم بلادهم للدراسة في المؤسسات الغربية، حيث بدأت أقسام التعليم الجامعي ومراكز البحوث العلمية، تستقبل الطلاب من جميع أنحاء العالم بعد استقرار الاستشراق كفرع بأقسامه العلمية ومراكزه البحثية.

٣. تعمل الأقسام العلمية في مراحل التعليم التي يديرها المستشرقون من خلال المواد الدراسية في تكوين عقلية الطالب وفهمه وإدراكه للقضايا التي تخص الإسلام والمسلمين، حيث إن طريقة التدريس والمراجع المقررة وتوجهات الأساتذة لها دور كبير في الدراسة الجامعية أو الدراسات العليا.

٤. اتضح أن المناهج الدراسية الأمريكية والغربية إجمالًا للآن ما تزال وسيلة استشراقية مشبعة بنزعة عدائية شديدة تجاه الإسلام والمسلمين، ولا تزال ترزح تحت وطأة التراث الاستشراقي الثقيل.

٥. اهتم المستشرقون كثيرًا بإصدار المجلات والدوريات الاستشراقية منذ وقت مبكر، والتي خصصوها لأبحاثهم ومقالاتهم القصيرة، وللمستشرقين عدد كبير من المجلات السيّارة في كثير من بلدان أوربا.

٦. من يطلع على المواقع الإلكترونية (الإنترنت)، يجد مدى ما وصلت إليه المحاضرات العامة والدورات المكثفة التي لا يُحصى لها عدد ولا سعة، فهي أكثر من أن تحصى، فمراكز البحوث وأقسام دراسات الشرق الأوسط قبل ظهور الإنترنت، كانت تملك نشاطا قويا في نشر النشرات التي تتزاحم عليها الأقلام والأيدي الاستشراقية.

٧. تمكن المستشرقون من اختراق المجامع العلمية العربية والمؤسسات العلمية، وتمكنوا أيضا من تمرير ونشر وتسريب الفكر الاستشراقي إلى هذه المؤسسات العلمية، ولعل إجادتهم اللغة العربية مكنتهم من التغلغل إلى هذا الجسد العلمي الكبير، ونفث السموم الاستشراقية إلى الفكر العربي والإسلامي.

٨. أصبح الإعلام الغربي في العقود الأخيرة منبرًا واسعًا للترويج لكل الأفكار الاستشراقية التي تستهدف الإسلام والمسلمين، دون أي إشارة مباشرة للاستشراق والمستشرقين ودراساتهم عن الإسلام، إنما استهداف عام وتشويه واسع وتحريض سافر على كل ما يمت للإسلام بصلة.

٩. كان وما يزال هم المستشرقين منذ عقود يتركز في استهداف الإسلام والافتراء عليه والطعن فيه، بغية صرف الناس عنه وتحجيم توسعه وامتداده، وبذلوا كل وسعهم في سبيل ذلك وعلى مدى عقود.

١٠. ركز المستشرقون على القرآن الكريم، فجعلوه محور اهتمامهم، وتناولوه بالطعن والقدح والتجني والتقول عليه ورميه بما لا يمت لحقيقته بصلة، وذلك لعلمهم بما يمثله القرآن للإسلام والمسلمين من مرجعية إلهية ومصدرية تشريعية، ولما له عند المسلمين من إجلال وتعظيم وتقديس.

١١. لم يترك المستشرقون مدخلًا يستطيعون النفاذ منه للطعن في شخص الرسول ﷺ وأحاديثه وسنته وسيرته، إلا واستغلوه وبنوا عليه الكثير من المزاعم والأباطيل، إلا أن الباحثين المسلمين تمكنوا من تفنيدها وإبطالها وإسقاط ما كل ما بنيت عليه من حجج واهية.

١٢. ركز المستشرقون على تشويه المسلمين وانتقاصهم والافتراء عليهم والتجني عليهم بالباطل، وتصّيد الزلات التي وقعت من بعض المسلمين، وتعميم الممارسات السلبية والتصرفات الخاطئة من بعضهم –بجهل أو بسوء فهم– على كل جموع المسلمين قاطبة دونما استثناء.

ثانيًا– التوصيات:

١. توصي الباحثة الأقسام الدراسية في الجامعات العربية بتخصيص مسارات خاصة بدراسة الاستشراق، لا سيما في مرحلة الدراسات العليا، في أقسام الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، والتاريخ، والاجتماع.

٢. توصي الباحثة الجامعات العربية والإسلامية بتخصيص مقرر جامعي عام اختياري لكل الأساسيات المتعلقة بالاستشراق التي ينبغي أن يتعرف عليها طلاب الجامعات في مختلف التخصصات الدراسية.

٣. توصي الباحثة المهتمين من أعضاء هيئة التدريس والباحثين وطلاب الدراسات العليا بالمزيد من الأبحاث الجزئية لبعض المسائل المتعلقة بالاستشراق، لا سيما الدراسات النقدية للنتاج الاستشراقي.

المصادر والمراجع:

١. أبو النجا، فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢. أحمد، محمد وقيع الله، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة عرض ونقد، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، المدينة المنورة، ط١، ٤١٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م،

٤. البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة- القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.

٥. تقويم تأثير معاهد السياسات العامة، ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ٢٠٠٧م.

٦. الجبلاوي، آمنة، الإسلام المبكر؛ الاستشراق الانجلوسكسوني الجديد،منشورات الجمل-المانيا، ط١، ٢٠٠٨م.

٧. الحاج، سامي، الظاهرة الاستشراقية، دار المداد الإسلامي-بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج

٨. الحربي، فارس محسن، صورة الإسلام والمسلمين في الاستشراق الإعلامي الأمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر (صحيفة الواشنطن بوست أنموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاستشراق بجامعة طيبة، ١٤٢٣هـ-٢٠١٨م.

٩. حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (العصر العباسي الأول)، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، ط١، ١٩٨٤م،

١٠. خليل، عماد الدين المستشرقون والسيرة النبوية، دار الثقافة-الدوحة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

١١. دائرة المعارف الإسلامية- ويكيبيديا- الموسوعة الحرة.

١٢. أبلسون، دونالد، هل هناك أهمية للمؤسسات البحثية؟ تقويم تأثير معاهد السياسات العامة، ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ٢٠٠٧م.

١٣. الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود، لأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م

١٤. زقزوق، محمود حمدي، الإسلام في تصورات الغرب، دار التوفيق النموذجية-الأزهر، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٥. الزيادي، محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، كتاب إلكتروني.

١٦. السرحاني، محمد بن سعيد، الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ٢٢، العدد ٧٠، ٢٠٠٧م.

١٧. الشحود، علي بن نايف، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨هـ،

١٨. صحيفة الحياة، لندن، في ٢٠٠٢م. وصحيفة الشرق الأوسط، لندن، في ٣-٣-٢٠٠٢م.

١٩. صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٣٤٠، ١١رجب ١٤٢٢هـ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١م.
٢٠. صحيفة واشنطن بوست، في ١٨- ١ -٢٠٠١م.
٢١. عزوني، محمود حمزة دراسة نقدية لكتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف توماس ولكر آرنولد، رسالة ماجستير من قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٤-١٤٠٥هـ.
٢٢. العساف، صالح، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ، ص: ٢٠٦.
٢٣. عقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ب. ت.
٢٤. عمارة، محمد، الإسلام في عيون غربية؛ بين افتراء الجهلاء وانصاف العلماء، دار الشروق.
٢٥. الغامدي، صالح بن عبد الله، عندما يكون العم سام ناسكًا؛ دراسة تحليلية نقدية لموقف مراكز البحوث الأمريكية من الصوفية، دار الوعد للنشر والتوزيع-الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ،
٢٦. الغامدي، صالح عبد الله، الإسلام الذي يريده الغرب؛ دراسة تحليلية نقدية لتقرير مؤسسة راند، دار الوعي للنشر والتوزيع-الرياض، ط٣، ١٤٣٦هـ.
٢٧. محمود، علي عبد الحليم، وسعيد، عبد الستار فتح الله، وآخرين، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ط١، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٢٨. القاسم، خالد عبد الله، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دائرة المعارف الإسلامية- بحث بموقع الألوكة.
٢٩. ماكغان، جيمس، مجلة أجندة السياسة الخارجية الأمريكية، مقال بعنوان: مؤسسات الفكر والرأي وتخطي السياسة الخارجية لحدود الأوطان، عدد نوفمبر، ٢٠٠٢م، وهذه المجلة تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية.
٣٠. المحجوبي، خالد إبراهيم، الاستشراق والإسلام؛ مطارحات نقدية للطروح الاستشراقية، أكاديمية الفكر الجماهيري-ليبيا، ط١، ٢٠١٠م.
٣١. محمد إسماعيل علي، المستشرقون وإصدار الكتب، موقع الألوكة الإلكتروني، تاريخ الإضافة٢٠/١٠/٢٠١٦م، ٦/١٠/ ١٤٣٧هـ.
٣٢. المديفر، عبد الله بن محمد، الاستشراق الأمريكي الحديث وموقفه من الدعوة الإسلامية؛ مؤسسة راند للبحث والتطوير أنموذجا، رسالة دكتوراه بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية في الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥هـ.
٣٣. المرطعي، عبد العظيم إبراهيم، افتراءات المستشرقين على الإسلام مكتبة وهبة-القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.
٣٤. مطبقاني، مازن، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، الرياض، دار إشبيليا، ١٤٢٠هـ -٢٠٠١م.
٣٥. مطبقاني، مازن، بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ،
٣٦. المنصوري، المبروك الشيباني، صناعة الآخر؛ المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٤م.
٣٧. النعيم، عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ.

38. G.Lulling,über den urkoran: An salze zur Rekonstruktion der vorislamisch- christlichen strophenlider im koran (berlin: verlagbuch,1993)
39. J.Wansbrough, Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford: Oxford University Press, 1977).
40. P. Crone, Slaves on Horses: The Evolution of Islamic polity (Cambridge: Cambridge university press, 1980).
41. Susan L. Duglass, and Ross E. Dunn, "Interpreting Islam in American Schools", `The Annals of the American Academy of Political and Social Sciences, P588, July 2003 PP. 52- 71.

تخريج أحاديث شفاء الأُوام في أحكام الحلال والحرام كتاب أدب القاضي

للقاضي العلامة عبد العزيز بن محمد بن النعمان الضمدي المتوفي سنة ١٠٧٨هـ.دراسة وتحقيق

أ.محمد يحيى أحمد عبدالله القاضي[١]

الملخص

موضوع البحث هو: تحقيق تخريج أحاديث شفاء الأُوام في أحاديث الحلال والحرام، كتاب آداب القاضي.

هذا البحث هو عبارة عن تحقيق تخريج أحاديث شفاء الأُوام في أحاديث الحلال والحرام، كتاب آداب القاضي، للقاضي العلامة عبد العزيز بن محمد بن النعمان الضمدي، المتوفى سنة (١٠٧٨هـ)، وقد انقسم البحث إلى مطلبين المطلب الأول ترجمة المؤلف، والمطلب الثاني النص المحقق، وقد اعتمد الباحث على نسختين للمخطوط.

قسم الباحث النص المحقق وفق تقسيم المؤلف، فقد بدأ المؤلف بذكر الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها القاضي الذي يقضي بين الناس، وصفات القاضي، ثم بين ما يجب على القاضي وما يستحب له وما يكره، ثم بين ما يبطل حكم القاضي، وحكم خطأ القاضي.

ثم أورد الباحث خاتمة للبحث ذكر فيها أهم النتائج منها أن روايات كتاب شفاء الأوام مؤيدة بالشواهد والمتابعات، ثم أتبعها بالتوصيات، منها أن دراسة التراث الاسلامي مهمة جليلة لا تخفى على أحد.

Abstract:

The topic of the research is: Achieving the Narration of the collection of Hadiths of shifa' al'awam in the Halal hadiths and the Forbidden, the book of etiquette judge.This research is an investigation of the graduation of hadiths about the healing of mothers in the Halal hadiths and Haram, The Book of Judge's Etiquette, by the judge, the scholar Abdul Aziz bin Muhammad bin Al-Nu'man Al-Dhamdi, he died in the year 1078 AH. The research was divided into two chapters. The first chapter is the translation of the author.The second chapter is the text of the investigator, and the researcher relied on two copies of the manuscript.

The researcher divided the investigated text according to the author's division in it. The author began by mentioning the literature what a judge who judges between people should possess, and the qualities of a judge, then between what it is obligatory for the judge, what he likes and what he dislikes, then between what invalidates the judge's ruling, and what he dislikes Judge's fault.

Then the researcher presented a conclusion of the research in which he mentioned the most important results, then followed them with recommendations.

(١) طالب دكتوراة قسم الدراسات الاسلامية، كلية الاداب والعلوم الانسانية –جامعة صنعاء–

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه الأخيار المنتجبين وعلى تابعيهم وعلى سائر عباده الصالحين، وبعد:

تعد مسألة القضاء والقضاة من المسائل التي تناولها أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث قد وضحوا من هم الذين ينبغي لهم أن يتقلدوا منصب القضاء من الأمة، ومن هم الذين لا ينبغي لهم أن يكونوا في هذا المنصب؛ لأنه من المناصب المهمة التي تحتاجها الأمة، لأن القضاة إذا فسدوا تفسد حياة الأمة، ولا يستطيعون العيش في الدنيا بطمأنينة وأمان، وإذا كان القضاة أتقياء متوفرة فيهم الشروط المشترطة ومتحلين بالآداب التي ينبغي أن يتحلى بها القضاة، فإن ذلك سيعود نفعه على كل الأمة، وسيعيش أبناء الأمة مطمئنين.

مشكلات البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

١- ماهي آداب القاضي؟

٢- ما هي صفات القاضي؟

٣- ما الذي يجب على القاضي وما يستحب له وما يكره؟

أهمية البحث:

١- لأن السنة النبوية تعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع الإلهي.

٢- اهتمام العلماء بالحديث الشريف إخراجاً وتصحيحاً.

٣- يبين البحث أهمية القضاء والقضاة وصفاتهم.

أهداف البحث:

١- تقديم مادة علمية محققة مجموعة في مكان واحد يسهل الرجوع إليها.

٢- إخراج المخطوطة بحلة جديدة لتكون في متناول الباحثين وطلاب العلم.

٣- نشر أهم الوسائل المختصرة في الموضوع والاهتمام بالتراث الاسلامي.

حدود البحث:

تقتصر حدود البحث على تخريج أحاديث شفاء الأوام في أحكام الحلال والحرام.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج المتعارف عليه في تحقيق النصوص والمخطوطات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع لم أجد هذه الرسالة قد طبعت أو درست أو حققت من قبل.

خطة البحث: سار الباحث في تحقيق هذه الرسالة وفق الخطة الآتية:

المقدمة: صلب البحث وانقسم إلى مطلبين هما.

المطلب الأول: ترجمة المؤلف.

المطلب الثاني: تحقيق النص.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات، المصادر والمراجع.

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

الفرع الأول: اسمه ونسبه، هو القاضي العلامة عبد العزيز بن محمد بن عمر بن النعمان الضمدي[١].

الفرع الثاني: مولده: لم يعثر الباحث على مصدر يحدد مولد المصنف بالتحديد واليقين، قال الشوكاني[٢]: " لم أقف على تعيين مولده ولا وفاته، ولكنه موجود في القرن الحادي عشر"[٣].

الفرع الثالث: نشأته:

عاش القاضي العلامة عبد العزيز الضمدي في القرن الحادي عشر الهجري، وهو من أبناء ضمد[٤]، وقد عاش فيها وهي بلدة يمنية علمية، وكانت هجرة من هجر العلم الزيدية، تدرس فيها علومهم وساد فيها مذهبهم، وكان القاضي الضمدي متضلعاً من العلوم، وكان من أفراد وقته[٥]، وقد ولي القضاء في تهامة في المخلاف السليماني[٦]، ودخل زبيد[٧] مراراً، وسمع على بعض مشائخها في كتب الحديث، وتولى بها القضاء وسكنها مدة، ثم تركها لأمر استنكره واكتفى بتولي قضاء المخا[٨].

الفرع الرابع: شيوخه وتلاميذه، كان العلامة الضمدي رحمه الله إماماً في الحديث وغيره، وكانت له مكانة ودور بارز في العمل في القضاء، والصلح بين الناس، وفصل النزاعات، ولم تذكر كتب التراجم شيوخه وتلامذته، وبعد البحث والاطلاع وجد الباحث في تراجم مبعثرة بعضا من شيوخه وتلامذته.

(١) الوجيه، عبد السلام، أعلام المؤلفين الزيدية، ج١، مؤسسة الإمام زيد الثقافية صنعاء، ط:٢، ٢٠١٨م: (ص ٥٩٤).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن علي بن عبد الله الشوكاني، أبو عبد الله الصنعاني، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، توفي سنة١٢٥٠هـ. كحالة، عمر بن رضا، معجم المؤلفين، ج١١، مؤسسة المثنى، بيروت: (ص٥٣).

(٣) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، ج١، دار المعرفة بيروت: (ص٣٥٨).

(٤) ضمد: قرية من تهامة في المخلاف السليماني ما بين صبيا وأبي عريش. الحجري، محمد بن أحمد، تحقيق: إسماعيل الأكوع، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٣، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط:٢، ١٤١٦هـ: (ص٥٥٣).

(٥) متضلعا يعني متمكن، وكان من أفراد وقته: تعني كان القليل من أهل العلم من أهل زمان من هو في علمه.

(٦) المخلاف السليماني: بلدة يمانية في شمال اليمن، وهي حازان حالياً. كحالة، عمر بن رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٧، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: (ص٢٩١).

(٧) زبيد: واد من أشهر وديان اليمن وبه سميت مدينة زبيد وهي الحصيب. الحجري، المجموع: (ص٣٨٠).

(٨) الوجيه،أعلام المؤلفين: (١ص٥٢٦)، ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، تحقيق: عبد الرقيب حجر، مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم الزيدية، ج٣، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية صعدة، ط: ١، ٢٠٠٤م: (ص٤٧).

أولاً– شيوخه:

١– أحمد بن جناح الضمدي[١].

٢– المطهر بن علي الضمدي[٢].

٣– عبد الله بن علي الضمدي[٣].

ثانياً– تلاميذه:

كان المؤلف منشغلا بأعمال القضاء في بلدان مختلفة، لذا فقد كان تلاميذه قليلين، وقد عثر الباحث على بعض تلاميذه منهم:

١– الحسين بن محمد بن يحيى الضمدي[٤].

٢– أحمد بن صالح بن أبي الرجال[٥].

٣– عبد الحفيظ بن المهلا النيسائي[٦].

الفرع الخامس: مكانته العلمية: لم يكن المؤلف ليقوم بعمل القضاء في أكثر من منطقة؛ إلا لأنه كان ذا مكانة علمية عند أئمة عصره، وعند العلماء في ذلك العصر، ولا يتصدر لهذه المهمة إلا عالم راسخ صاحب زهد وورع وعلم، وقد ترجم للمؤلف عدد من المؤرخين، وقد أثنوا عليه، ووصفوه بالعلم والفقه والورع، منهم، المؤرخ الجرموزي[٧] قال فيه: "الفقيه العالم المجتهد عبد العزيز بن محمد بن النعمان الضمدي كان عالماً، راسخاً، مصنفاً، له جهاد في الحجة لمن خالف الحق، وله مصنفات مفيدة ورسائل عديدة"[٨].

(١) أحمد بن جناح الضمدي، شهاب الدين، من بيت ثابت العماد في التشيع والولاء لآل البيت، توفي سنة ١٠٤٠هـ. ابن أبي الرجال، مطلع البدور: (٢٥٨/١).

(٢) المطهر بن علي بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم الضمدى اليماني، توفي سنة ١٠٤٩هـ. الشوكاني، البدر الطالع: (٣١٠/٢).

(٣) عبد الله بن علي بن النعمان الشقيري، الضمدي، مؤرخ يماني، من أهل شقيرى بغرب ضمد في اليمن، توفي نحو سنة ١٠٥٠هـ. كحالة،معجم المؤلفين: (٩٣/٦).

(٤) الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي، شرف الدين، كان من أدباء الوقت، حافظاً، نبيهاً في غاية النباهة، توفي في القرن الحادي عشر الهجري. ابن أبي الرجال،مطلع البدور: (٢١٩/٢).

(٥) أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان، المعروف بابن أبي الرجال العدوي التيمي اليمني، القاضي العالم، توفي سنة١٠٩٢هـ. ابن المؤيد بالله،ابراهيم بن القاسم، تحقيق: عبد السلام الوجيه، طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث)،ج١، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، الأردن، ط:١، ٢٠٠١م: (ص١٣٧).

(٦) عبد الحفيظ بن عبد الله بن عبد الله المهلا بن سعيد بن علي النيسائي الشرفي، توفي سنة ١٠٧٧هـ. ابن أبي الرجال،مطلع البدور: (٢٦/٣).

(٧) المطهر، محمد أحمد عبد الله محمد بن المنتصر الجرموزي الحسني، أبو علي، مؤرخ يماني، صاحب تحفة الأسماع والأبصار، توفي سنة ١٠٧٧هـ. كحالة،معجم المؤلفين: (٢٩٥/١٢).

(٨) الجرموزي، المطهر محمد، تحقيق: عبدالحكيم الهجري، تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، ج١، مؤسسة الامام زيد، صنعاء، ط:١، ٢٠٠٢م: (ص٢٢٢).

وقال ابن أبي الرجال: "قاضي القضاة عين الأوان، المتضلِّع من العلوم، شيخ المعقول والمنقول، كان من أفراد وقته، ولي القضاء بتهامة في المخلاف السليماني، ودخل زبيد مراراً، وولي بها القضاء، ثم تركها لأمرٍ استنكره، واستمر على القضاء ببندر المخا المحروس، وحمدت طريقته وعفته، فإنه كان من ذلك بمحل، وكان حليف القرآن، يؤدي تأدية تسهي الركب، وله مشايخ، وأكثر قراءته بصعدة، وكان حسن الخط، ولما ضربت يده اليمنى وهو متوجِّه إلى صعدة للقراءة تعذرت عليه الكتابة بيمينه، فكتب بيساره، فأجاد وأحسن"، وقال أيضاً: "وحيد الزمان كامل الصفات، لقيته بصعدة وهو من عيون العلماء، وأنا إذ ذاك حدَث السن، وله تلاوة وخشوع وصفات حميدة"[(١)].

وقال الشوكاني: "أحد العلماء الموجودين في القرن الحادي عشر له مؤلفات مشهورة"[(٢)].

الفرع السادس: مؤلفاته وأشعاره:

أولاً– مؤلفاته وآثاره:

لقد تنوعت آثار المؤلف بين كتب ورسائل، أما الكتب فهي كما يأتي:

١– تخريج أحاديث شفاء الأوام وهو الذي بين أيدينا.

٢– البغية شرح على الموشح للخبيصي[(٣)] في النحو مخطوط.

٣– سلم الوصول شرح معيار الأصول للنجري[(٤)] في أصول الفقه.

٤– حاشية على شفاء الأوام، وهي غير كتاب التخريج الذي بين أيدينا.

(١) ابن ابي الرجال،مطلع البدور: (٤٧/٣).

(٢) الشوكاني،البدر الطالع: (٣٥٧/١).

(٣) محمد بن أبي بكر بن محرز بن محمد الخبيصي، شمس الدين، نحوي، توفي سنة ٧٣١هـ. كحالة،معجم المؤلفين: (١١٦/٩).

(٤) عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن ثامر بن فضل بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الزيدي، العبسي، العكي، المعروف بالنجري، توفي سنة ٨٧٧هـ. كحالة،معجم المؤلفين: (١٣٧/٦).

وأما الرسائل فهي كما يأتي:

١- رسالة في المقامات المعروفة عند الكعبة.

٢- رسالة ينحو منها نحو الملاءمة للأقوال.

٣- رسالة فيما يأخذه الإمام من الرعيَّة[١].

ثانياً- أشعاره:

كان القاضي الضمدي قاضيا محدثا وشاعرا، ومن شعره هذه الأبيات التي أنشدها في رثاء شيخه أحمد بن جناح الضمدي، قال:

يا قبرُ حلَّ بك الأديب اللَّوذعي[٢]	وثوى بلحدك ذو المقام الأرفع
وعلا بتربتك اليفاع مهذب	كانت محاسنه تعز على النعي
أضحى لك الفخر العليُّ بأحمدٍ	وبما أنيل من المفاخر أجمع
حمداً لوجهِ الله إذ أمضى لنا	ما يرتضيه وإن علا في المفجع

وقد ذكر ابن أبي الرجال أنه عندما التقى بالمؤلف في صعدة[٣] حكى له رؤيا رءاها في منامه، قال: وهذه الرؤيا هي ما حكاه أبقاه الله، قال: نمت ليلةَ السَّبت ثاني عشر من صفر سنة ثمان وثلاثين وألف، وحصل معي ألم فأمسيت تلك الليلة قلقاً متكدِّر الخاطر، فرأيت بتلك الليلة من يُعطيني ثلاثة أبيات، ثُمَّ بعد

(١) ابن أبي الرجال، مطلع البدور: (٤٧/٣).

(٢) اللوذعي: الخفيف الذكي، الظريف الذهن، الحديد الفؤاد، واللسن الفصيح، كأنه يلذع بالنار من ذكائه. الفيروزآبادي، مجد الدين، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: (٧٦٠).

(٣) صعدة: مدينة مشهورة شمالي صنعاء وهي أم قرى خولان بن عامر. الحجري، المجموع:(٤٦٧/٣).

مضي ثلث الليل أعطاني ثلاثة أبيات أخرى، وهي المتأخرة في الرقم على هذا الترتيب وهي:

أرجن[١] على طاعة الرحمن واصطبر واذكر منازل أهل الفضل والنظر

فليس يدرك إلامن له سبقت عناية من ذوي الألباب والفكر

اجعل حياتك في الدُّنيا منغَّصة تعلو بذلك في الأخرى على البشر

والأبيات الأخيرة هي:

يا نائماً كم قيام الليل تتركه وأنت في نومك الموفور[٢] لم تدر

لله درُّ أناسٍ خوطبوا فلهواً واستيقظوا حين كان الليل بالسحر

إنَّ الزمان تقضَّى وانتهى عجباً والذَّنب أضحى كعدِّ الرَّمل والحجر[٣]

الفرع السابع: وفاته:

اختلف في تأريخ وفاة المؤلف على أكثر من قول؛ فقيل: في سنة سبعين وألف، وقيل: في سنة ثمانٍ وسبعين وألف، وقيل: في سنة تسعٍ وتسعين وألف، وجزم الكثير من المؤرخين بأن وفاته كانت في سنة ثمانٍ وسبعين وألف[٤].

وصف المخطوط المعتمدة في التحقيق:

النسخة الأولى: مخطوطة المكتبة الأزهرية تحمل رقم (٣٣٩٤٩١)، وخطها نسخي جيد، وعناوين الأبواب ميزها الناسخ بالخط العريض، وكذلك رواة الأحاديث، وعدد صفحاتها ١٠ صفحات في ٥ ألواح، وعدد الأسطر ٢٩ سطرا في كل صفحة، وعدد كلمات الأسطر من ١٨ إلى ٢٠ كلمة في كل سطر، ناسخها إسماعيل بن أحمد القحيف، تأريخ النسخ: شهر جمادي الآخرة، أحد شهور سنة ١١١٣هـ.

النسخة الثانية: نسخة مؤسسة الإمام زيد تحمل رقم(٢٨٥)، خطها نسخي جيد وعناوين الأبواب ميزها

(١) أرجن: من رجن بالمكان بمعنى أقام فيه. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (١١٩٩).

(٢) الموفور: الكثير الواسع التام الذي لا ينقصه شيء. ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب،ج٥، دار صادر بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ: (ص٢٨٧).

(٣) ابن أبي الرجال، مطلع البدور: (٢٦٠/١).

(٤) الوجيه، أعلام المؤلفين: (٥٢٦/١)، وابن أبي الرجال، مطلع البدور: (٤٦/٣).

الناسخ بالخط العريض، والملون باللون الأحمر في بعض الألواح، وعدد صفحاتها ١٠ صفحات في ٥ ألواح، وعدد الأسطر في كل صفحة ٣١ سطراً، وعدد الكلمات في كل سطر من ١٨ إلى ٢٠ كلمة، ناسخها يحيى بن صالح مرغم.

المطلب الثاني: النص المحقق

الفرع الأول: كتاب أدب القاضي

عن النبي ﷺ، أنه بعث علياً على القضاء باليمن، سيأتي ذكر من أخرجه، وعن زيد بن علي[١] عن أبيه[٢]، عن علي[٣] عليه السلام أنه قال: بعثني رسول الله ﷺإلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني وأنا شاب لا علم لي بالقضاء، قال: فضرب بيده في صدري، ودعا لي، فقال: «اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه، ولقنه الصواب، وثبته بالقول الثابت، ثم قال: يا علي إذا جلس بين يديك الخصمان، فلا تعجل بالقضاء بينهما حتى تسمع ما يقول الآخر، يا علي لا تقض بين اثنين وأنت غضبان، ولا تقبل هدية مخاصم، ولا تضيفه دون خصمه، فإن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك»، قال علي عليه السلام: فو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بعد[٤]، أخرجه البيهقي[٥] عنه بروايات كثيرة في بعضها زيادة، وفي بعضها نقصان، وأخرج أبو داود[٦] بعضه بلفظ بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء، فقال: «إن الله سيهدي قلبك، ويثبت

(١) زيد بن علي بن أبي الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين المدني، إمام مجتهد، فاتح باب الجهاد والاجتهاد، ثار ضد هشام بن عبد الملك، واستشهد سنة ١٢٢هـ. المزي، أحمد بن عبدالله، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١٠، دار البشائر، حلب، ط:٥ ، ١٤١٦هـ:(ص٩٥).

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم الهاشمي، أبو الحسين المدني، زين العابدين الامام السجاد، توفي سنة ٩١هـ. المزي، تهذيب الكمال:(ص٣٨٢).

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، أبو الحسن المدني ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، أول من أسلم وآمن بالرسول والرسالة، أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، استشهد سنة ٤٠هـ. ابن الأثير، علي بن محمد، تحقيق: علي معوض وعادل الموجود، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: (٨٧).

(٤) زيد بن علي، تحقيق: عبد الله العزي، المجموع الحديثي والفقهي، مؤسسة الامام زيد الثقافية صنعاء، ط:٢، ٢٠٠٩م: (ص٢٤٤).

(٥) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، الإمام أبو بكر البيهقي الخسروجردي، صاحب السنن وغيرها، توفي سنة٤٥٨هـ. الذهبي، محمد بن أحمد، تحقيق: بشار معروف، تأريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج١٠، دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ٢٠٠٣ م: (ص٩٥).

(٦) سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر الأزدي، أبو داود السجستاني الحافظ، صاحب السنن، توفي سنة٢٧٥هـ. المزي، تهذيب الكمال: (ص٣٥٥).

لسانك، فإذا جلس إليك الخصمان، فلا تقضين للأول حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»، فما زلت قاضياً، أو ما شككت في قضاء بعد[١].

وأخرجه الترمذي[٢]، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا تقاضى إليك الخصمان، فلا تقضين للأول»، وذكر الحديث[٣].

قال حافظ الأئمة[٤] قدس الله روحه: وروى الهادي إلى الحق[٥] عليه السلام، بإسناده إلى النبي ﷺ، أنه قال: «علي أعلم القوم وأقضاهم»، هو في كتب الأئمة بلفظه[٦]، ويشهد للأول في المعنى حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» أخرجه أهل السنن، والطبراني[٧]، والحاكم[٨] عن ابن عباس[٩]، وابن عدي[١٠]،

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عطا، السنن الكبرى، ج١٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٤هـ: (ص١٤٨)، وأبو داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، سنن أبي داود، ج٥، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ: (ص٤٣٤).

(٢) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل: ابن يزيد بن سورة بن السكن السلمي، أبو عيسى الترمذي الحافظ، صاحب الجامع، توفي سنة ٢٧٩هـ. المزي، تهذيب الكمال: (٢٥٠/٢٦).

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، سنن الترمذي، ج٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط:٢، ١٣٩٥هـ: (ص٦١٠).

(٤) الأمير الحسين بن محمد (بدر الدين) بن أحمد بن يحيى بن يحيى الحسني الهادوي اليمني، أبو عبد الله، عالم العترة وحافظها المبرز في العلوم، صاحب شفاء الأوام، توفي سنة ٦٦٣هـ. الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية: (٣٨٧/١).

(٥) يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الرسي، أبو الحسين، أحد أئمة أهل البيت المجددين، توفي سنة٢٩٨هـ. الوجيه، أعلام المؤلفين: (٤٢٧/٢).

(٦) الامام الهادي، يحيى بن الحسين، تحقيق: المرتضى المحطوري، الأحكام في الحلال والحرام، ج٢، ط:١، ١٤٣٤هـ: (ص٣٨٤).

(٧) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، أبو القاسم اللخمي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها، توفي سنة٣٦٠هـ. الذهبي، تأريخ الاسلام: (١٤٣/٨).

(٨) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي، أو عبد الله الحاكم النيسابوري، صاحب المستدرك، توفي سنة٤٠٥هـ. الخطيب، أحمد بن علي، تحقيق: بشار معروف، تاريخ بغداد، ج٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ: (ص٥٠٩).

(٩) الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق: حمدي السلفي، المعجم الكبير، ج١١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢: (ص٦٥)، والحاكم، محمد بن عبدالله، تحقيق: مصطفى عطا، المستدرك على الصحيحين، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ: (ص١٣٧)، والترمذي، السنن: (٦٣٧/٥).

(١٠) عبد الله بن عدي بن عبد الله، أبو احمد الجرجاني، المعروف بابن القطان، صاحب كتاب الكامل في الجرح والتعديل، قال ابن عساكر: كان ثقة على لحن فيه، وتوفي سنة٣٦٥هـ. ابن عساكر، علي بن الحسن، تحقيق: عمرو العمروي، تأريخ دمشق، ج٣١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م: (ص٥).

والحاكم أيضاً عن جابر[١]، وأخرج ابن عدي أيضاً عن ابن عباس أنه قال ﷺ: «علي عيبة[٢] علمي»، ويشهد للثاني نحوه فيما أخرجه الطبراني عن جابر[٣]: «أرحم أمتي بأمتي أبا بكر»، حتى قال: «وأقضى أمتي علي بن أبي طالب»[٤]، وأخرج عبد الرزاق[٥] عن أبي سعيد الخدري[٦] أنه قال ﷺ: «أرحم هذه الأمة بها أبو بكر، حتى قال: وأقضاهم علي بن أبي طالب»[٧]، وأخرج نحوه ابن عساكر[٨] بلفظ: «أرحم أمتي أبو بكر، حتى قال: وأقضاهم علي»[٩]، قال الحافظ ابن حجر الهيتمي[١٠]: وسبب هذا قصة قضاء علي عليه السلام في الحمار الآتي ذكرها في الجنايات، وهو أنه كان جالساً مع جماعة من أصحابه، فجاءه خصمان فقال أحدهما: يا رسول الله إن لي حماراً، وإن لهذا بقرة، وإن بقرته قتلت حماري، فبدا رجل[١١] من الحاضرين، فقال: لا ضمان على البهائم، فقال ﷺ: اقض بينهما يا علي، فقال علي عليه السلام: أهما كانا مرسلين مشدودين، أم أحدهما مشدود والآخر مرسلاً؟ فقالا: كان الحمار مشدوداً، والبقرة

(١) الحسين بن بدر الدين، تحقيق وطباعة جمعية علماء اليمن، شفاء الأوام في أحاديث الأحكام للتمييز بين الحلال والحرام، ج٣، ط: ١، ١٩٩٦م: (ص٢٤٨)، وابن عدي، عبد الله، تحقيق: عادل الموجود وعلي معوض، الكامل في ضعفاء الرجال، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١ ، ١٤١٨هـ: (ص١١٣)، والحاكم، المستدرك: (١٣٧/٣).

(٢) العيبة: وعاء من أدم يكون فيه المتاع. ابن منظور، لسان العرب: (٦٣٤/١).

(٣) جابر بن عبد الله الأنصاري السلمي، أبو عتيق المدني، قال العجلي والنسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. المزي، تهذيب الكمال: (٢٣/١٧).

(٤) الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق: محمد شكور، الروض الداني (المعجم الصغير)، ج١، المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت، عمان، ط: ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م: (ص٣٣٥)، و ابن عدي، الكامل: (١٦١/٥).

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني، صاحب المصنف، توفي سنة ٢١١هـ. ابن عساكر، تأريخ دمشق: (١٦٠/٣٦).

(٦) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، أول مشاهده الخندق، توفي سنة٧٤هـ. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، تحقيق: علي البجاوي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: (ص٦٠٢).

(٧) لم نجده في مصنف عبدالرزاق الصنعاني؟.

(٨) علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الدمشقي، أبو القاسم، ابن عساكر الشافعي، صاحب تاريخ دمشق، أحد أعلام الحديث، توفي سنة٥٧١هـ. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤١٣هـ: (ص٢١٥).

(٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق: (٩٦/٣٩).

(١٠) أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، توفي سنة ٩٧٤هـ. بكر بن عبد الله، طبقات النسابين، دار الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م: (ص١٦١).

(١١) سماه الطوسي بأنه أبا بكر.

مرسلة، وصاحبها معها، فقال: على صاحب البقرة ضمان الحمار، فأقر رسول الله ﷺ حكمه وأمضى قضاءه[١]، وعن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام أنه قال: أول القضاء ما في كتاب الله تعالى، ثم ما قاله الرسول ﷺ، ثم ما أجمع عليه الصالحون؛ فإن لم توجد ذلك في كتاب الله تعالى، ولا في السنة، ولا فيما أجمع عليه الصالحون اجتهد الإمام في ذلك ولا يألوا احتياطاً، واعتبر وقاس الأمور بعضها ببعض، فإذا تبين له الحق أمضاه، ولقاضي المسلمين من ذلك ما لإمامهم، وفي خبر آخر، وللقاضي ما لإمامه، هو في كتب الأئمة بلفظه[٢]، والذي أخرجه الطبراني في الأوسط، عن علي قال: قلت: يا رسول الله أينزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهي، فما تأمرنا؟ قال: «شاوروا الفقهاء والعابدين، ولا تمضوا فيه برأي خاصة»، قال في مجمع الزوائد: ورجاله موثقون[٣].

وفي رواية للطبراني عن ابن عباس، عن علي، أن رسول الله ﷺ قال: «تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين، ولا تقضونه برأي خاصة»، ونحوه ما أخرجه الترمذي عن شريح[٤]، أنه قال: كتب إلى عمر يسأله، فكتب إليه أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله، فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، فاقض بما قضى به الصالحون، فإن لم يكن فيما قضى به الصالحون، فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيرًا لك، والسلام، ونحوه أيضاً ما أخرجه النسائي[٥] عن عبد الله بن يزيد[٦] قال: أكثروا على عبد الله[٧] ذات يوم، فقال عبد الله: إنه قد

(١) الهيتمي، أحمد بن محمد، تحقيق: عبدالرحمن التركي وكامل الخراط، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ج٢، مؤسسة الرسالة – لبنان، ط: ١، ١٤١٧هـ: (ص٣٥٩).

(٢) الامام زيد، المجموع الحديثي: (ص٢٤٤)، والمؤيد بالله، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عزان وحميد عبيد، شرح التجريد في فقه الزيدية، ج٦، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط: ١، ١٤٢٧هـ: (ص١٢٢)

(٣) الطبراني، سليمان، تحقيق: طارق بن محمد وعبدالمحسن الحسيني، المعجم الأوسط، ج٢، دار الحرمين، القاهرة،: (ص١٧٢)، والهيثمي، علي بن أبي بكر، تحقيق: حسام الدين القدسي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج١، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ: (ص١٧٨).

(٤) شريح بن هاني بن يزيد بن نُهيك، ويقال: ابن الحارث بن كعب المذحجي، أبو المقدام اليمني، وعداده في ثقات محدثي الشيعة، ووثقه أحمد وابن معين، قتل سنة ٧٨هـ. ابن عساكر، تأريخ دمشق: (٦٤/٢٣).

(٥)أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي القاضي الحافظ، صاحب كتاب السنن، توفي سنة٣٠٣هـ. المزي، تهذيب الكمال: (٣٢٨/١).

(٦) هكذا في النسختين، وفي النسائي ذكر عبدالرحمن بن يزيد، وهو عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي، أبو بكر الكوفي، قال ابن معين: ثقة، توفي سنة٨٣هـ. المزي، تهذيب الكمال: (١٨/ ١٢).

(٧) عبد الله بْن مَسْعُود بْن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي مشهور، توفي سنة ٣٢هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (٩٨٧/٣).

أتى علينا زمان، ولسنا نقضي، ولسنا هنالك، ثم إن الله عز وجل قدر علينا أن بلغنا ما ترون، فمن عرض له منكم قضاء بعد اليوم، فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله، فليقض ما قضى نبيه صلى الله عليه وآله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله، ولا قضى به نبيه، فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله، ولا قضى به نبيه، ولا الصالحون، فليجتهد رأيه، ولا يقل إني أخاف، فإن الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهات، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك[١].

وعن النبي ﷺ، أنه بعث معاذاً[٢] إلى اليمن وقال له: «بماذا تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله» أخرجه أبو داود والترمذي عن الحارث بن عمرو[٣] يرفعه إلى معاذ، وزادا فضرب في صدره، وقال: الحمد لله، وقالا: كما يرضى رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي رواية أن معاذاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله، وبم أقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم أجد؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم أجد؟ قال: استَدِقَّ الدنيا[٤]، وتَعَظَّمْ في عَيْنِكَ ما عند الله، واجتهد رأيك، فسيسددك الله للحق، وهذه رواية أبي داود(٥).

وعن النبي ﷺ قال: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، رجل علم علماً فقضى على علم في الجنة، ورجل عرف الحق فَجَارَ، فهو في النار، ورجل لم يعرف الحق، فحكم بين الناس بالجهل، فهو في النار»، ورواه الهادي عليه السلام بما لفظه: «القضاة ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة، فأما الذي في الجنة، فقاضٍ عرف الحق، فحكم بقضائه فهو في الجنة، وأما القاضيان اللذان في النار: فقاض عرف الحق

(١) الطبراني، الكبير: (١٢٠٤٢/٣٧١/١١)، والنسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، المجتبى من السنن،ج٨، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: ٢، ١٤٠٦هـ،١٩٨٦م: (ص٢٣٠).

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابي معروف، توفي سنة١٨هـ. ابن الأثير، أسد الغابة: (ص١٨٧).

(٣) الحارث بن عمرو الثقفي، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي بعد١٠٠هـ. المزي، تهذيب الكمال : (٢٦٦/٥).

(٤) استدق الدنيا: أي احتقرها واستصغرها. ابن الأثير، المبارك محمد، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م: (ص١٢٧).

(٥) أبو داود، السنن: (٤٤٣/٥)، والترمذي في السنن: (٦٠٨/٣).

فجار متعمداً، وقاضٍ قضى بغير علم واستحلا أن يقول: لا أعلم، فهذا في النار»[١]، أخرجه بعض أهل السنن والحاكم عن بريدة[٢] بنحوه، قال: قال ﷺ: «القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة، رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار»، وأخرجه الطبراني عن ابن عمر[٣] بنحوه أيضاً قال: قال ﷺ: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة، قاضٍ قضى بالهوى فهو في النار، وقاضٍ قضى بغير علم فهو في النار، وقاضٍ قضى بالحق فهو في الجنة»[٤].

الفرع الثاني: باب صفات القاضي

قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي أنه لما هلك كسرى[٥] قال النبي ﷺ: «من استخلفوا؟ قالوا: ابنته بوران[٦]، فقال النبي ﷺ: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»، أخرجه البخاري[٧] عن أبي هريرة[٨].

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «النساء عي[٩] وعورات، فاستروا عيهن بالسكوت، وعوراتهن بالبيوت» قد سبق ذكر من أخرجه[١٠].

وعن زيد بن علي عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، أن النبي ﷺ، قال: «يا علي

(١) الامام زيد، المجموع الحديثي: (٢٤٥)، والامام الهادي، الأحكام: (٢/ ٣٨٩).

(٢) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج، له صحبة، توفي سنة٦٣هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (١/١٨٥).

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي، صحابي، اختلف في وفاته. ابن عبد البر، الاستيعاب: (٣/٩٥٠).

(٤) ابن ماجه، محمد بن يزيد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، سنن ابن ماجه، ج٣، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ: (ص٤١٢)، وأبو داود، السنن: (٥/٤٢٦)، والترمذي، السنن: (٣/٦٠٥)، والنسائي، أحمد، تحقيق: حسن شلبي، السنن الكبرى، ج٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ: (٥/٣٩٧/٥٨٩١)، والحاكم، المستدرك: (ص١٠١)، والطبراني، الأوسط: (٤/٦٣).

(٥) كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز، ملك من ملوك الحيرة. الدينوري، عبد الله مسلم، تحقيق: ثروت عكاشة، المعارف، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٢م: (٦٦٣).

(٦) بوران بنت كسرى، استمر ملكها سنة وستة أشهر. الدنيوري، المعارف: (٦٦٦).

(٧) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله الجعفي البخاري، صاحب الجامع الصحيح، توفي سنة ٢٥٦هـ. الخطيب، تأريخ بغداد: (٢/٣٢٢).

(٨) البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ج٩، دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢هـ: (ص٥٥)، والمؤيد بالله، شرح التجريد: (٦/١٣٥).

(٩) العي: الجهل. ابن الأثير، النهاية: (٣/٣٣٤).

(١٠) الامام الهادي، الأحكام: (١/١٢٦)، والمؤيد بالله، شرح التجريد: (٦/١٣٥).

لا تقض بين الناس[١] وأنت غضبان» هو في كتب الأئمة عنه[٢]، ونحوه ما أخرجه أحمد بن حنبل[٣]، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه[٤] عن أبي بكرة أنه قال ﷺ: «لا يقضي القاضي وهو غضبان»، وفي طرف من حديث أخرجه النسائي عنه بلفظ «لا يقضين أحد في قضاء بقضاءين، ولا يقضين أحد بين خصمين، وهو غضبان»[٥].

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «إياكم والأقراد[٦]، قالوا: يا رسول الله، وما الأقراد؟ قال: يكون أحدكم أميراً، أو عاملاً، فتأتي الأرملة، والمسكين، واليتيم، فيقول: اقعد حتى ننظر في حاجتك، فيتركون مقردين، لا تقضى لهم حاجة، ويأتي الرجل الشريف، فيقعد إلى جنبه، فيقول: ما حاجتك؟ فيقول: حاجتي كذا، فيقول: اقضوا حاجته وعجلوا بها»، ذكره في نهاية ابن الأثير[٧] مفسراً له، وهو من حفاظ الحديث[٨].

وعن علي رضي الله عنه أنه نصب شريحاً للقضاء، وكان يرزقه في كل خمسمائة درهم، هو في كتب الأئمة عنه[٩]، وقد روي أن الصحابة أجروا لأبي بكر درهمين، لأنه روي أن أبا بكر لما ولي خرج برزمة[١٠] إلى السوق، فقيل له: ما هذا؟ قال: أنا كاسب أهلي، وأجروا له كل يوم درهمين، هو في كتب الأئمة بلفظه، والذي في تلخيص ابن حجر[١١] روى ابن سعد[١] بسند صحيح إلى ميمون الجزري[٢]

(١) في النسخة (ب) بين اثنين.

(٢) أخرجه الامام زيد في المجموع الحديثي: (٣٩٥/٢٤٤)، والمؤيد بالله في شرح التحريد: (٦/ ١٣١).

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس، الإمام أبو عبد الله الشيباني، صاحب المسند، توفي سنة٢٤١هـ. الذهبي، تأريخ الاسلام: (١٠١٠/٥)

(٤) محمد بن يزيد، مولى ربيعة، الحافظ أبو عبد الله ابن ماجة القزويني، صاحب السنن وغيره، توفي سنة ٢٥٧هـ. الذهبي، تأريخ الاسلام: (٦٢٥/٦)

(٥) ابن حنبل، أحمد بن محمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، المسند، ج٣٤، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ: (ص٣٠)، والبخاري، الصحيح: (٦٥/٩)، وأبو داود، السنن: (٤٤١/٥)، وابن ماجه في السنن: (٤١٣/٣)، والنسائي، السنن الكبرى: (٤٢١/٥).

(٦) الأقراد: من أقرد الرجل إذا سكت ذلاً. ابن الأثير، النهاية: (٣٦/٤).

(٧) المبارك بن محمد محمد عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، العلامة مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، صاحب النهاية، توفي سنة ٦٠٦هـ. الذهبي، تأريخ الاسلام: (١٤٦/١٣).

(٨) أبو نعيم، أحمد بن محمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٦، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ: (ص١٠٨)، وابن الأثير، النهاية: (٣٦/٤).

(٩) الامام الهادي، الأحكام: (٣٨٩/٢).

(١٠) هكذا في النسختين، وفي الشفاء قال: (برزمة ثياب)، والرزمة من الثياب ما شد في ثوب واحد. ابن منظور، لسان العرب: (٢٣٩/١٢).

(١١) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني، أبو الفضل العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي، صاحب التلخيص، توفي سنة ٨٥٢هـ. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٢، دار مكتبة الحياة، بيروت: (ص٣٦).

والد عمرو[٣] قال: لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين، قال: زيدوا، فإن لي عيالاً، وقد شغلتموني عن التجارة، فزادوه خمسمائة، انتهى كلامه[٤].

وأخرج البخاري عن عائشة أنها قالت: لما استخلف أبو بكر، قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن نفقة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه[٥]، [وقد روى بعض المحدثين أنه كان يأخذ كل يوم ثلث درهم، وفي رواية أخرى كان له من بيت المال درهمان، قال بعض العلماء: لما كان محبوساً بحق العامة كان الحبس من سائر النفقة، وجب له كفاية نفسه وعياله، ومن مؤنة أهله وأعوانه، والنفقة تختلف فجاز أن يكون قدرها لأبي بكر ما ذكر، ولغيره أكبر كما في رزق علي رضي الله عنه لشريح[٦]]، الحرفة بكسر الحاء المهملة، وسكون الراء: جهة الاكتساب والتصرف، وفي النهاية، الحرفة: الصناعة، وجهة الكسب[٧].

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: أنزلت نفسي من هذا المال بمنزلة ولي اليتيم، من كان غنياً فليستعفف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف، أخرجه البيهقي عنه بلفظ، قال: أنزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، وفي رواية إن احتجت أخذت، وإن استغنيت رددت، وروي أنه قال: ألا أخبركم بما أستحل من مال الله، أستحل منه حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف، وما أحج به وأعتمر، وقوتي وقوت عيالي، كرجل من قريش، لا من أغنيائهم، ولا من فقرائهم، ثم بعد ذلك إني رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم، زاد في رواية، والله لا أدري أيحل لي ذلك

(١) محمد بن سعد بن منيع القرشي، أبو عبد الله البصري، صاحب الطبقات، توفي سنة٢٣٠هـ. المزي، تهذيب الكمال: (٢٥٥/٢٥).

(٢) ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب الرقي، قال أبو زرعة والنسائي وأبو حاتم وابن سعد وأحمد والعجلي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ١١٧هـ. الذهبي، تأريخ الاسلام: (٣٢٧/٣).

(٣) عمرو بن ميمون بن مهران الجزرى، أبو عبد الله، قال أحمد: ليس به بأس، وقال ابن معين: ثقة، توفي سنة ١٤٥هـ. المزي، تهذيب الكمال: (٢٥٤/٢٢).

(٤) ابن سعد، محمد بن سعد، تحقيق: محمد عطا، الطبقات الكبرى،ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ: (ص١٣٨)، وابن حجر، أحمد بن علي، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ج٤، دار الكتب العلمة، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ: (ص٤٧١).

(٥) البخاري، الصحيح: (٥٧/٣).

(٦) الامام الهادي، الأحكام: (٣٨٩/٢). (٦)ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون: (٥٣/١)

(٧) ابن الأثير، النهاية: (٣٦٩/٣).

أم لا، وعن عمر أنه بعث عمار بن ياسر والياً وعبد الله بن مسعود قاضياً وعثمان بن حنيف ماسحاً وفرض لهم كل يوم شاة نصفها وأطرافها لعمار، والنصف الآخر بين عبد الله وعثمان بن حنيف، أخرجه البيهقي بلفظه[١].

وعن النبي ﷺ، أنه لما بعث عمرو بن حزم[٢] إلى اليمن قاضياً كتب له عهداً، يشتمل على أحكام كثيرة، هو كتابه المشهور الذي يرجع إليه الصحابة في كثير من الأحكام، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى[٣].

وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه لما بعث أنساً إلى البحرين كتب له كتاباً، وختمه بخاتم رسول الله ﷺ، قد سبق ذكر من أخرجه في الزكاة[٤].

قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي أن عمر تحاكم هو وأبي بن كعب[٥] إلى زيد بن ثابت[٦]، وتحاكم عثمان وطلحة[٧] إلى جبير بن مطعم[٨]، وتحاكم علي هو واليهودي إلى شريح، أما محاكمة عمر وأبي بن كعب إلى زيد بن ثابت، فأخرجها البيهقي[٩]، وأما محاكمة عثمان وطلحة إلى جبير بن مطعم، فقد سبق ذكر من أخرجها في البيع[١٠]، وأما محاكمة علي هو واليهودي إلى شريح فهو في رواية الحاكم، قال: عرف علي رضي الله عنه درعاً له مع يهودي، فقال: يا يهودي درعي سقطت مني، فذكر القصة بطولها، ورواه البيهقي من وجه آخر، قال: خرج علي رضي الله عنه إلى السوق، فإذا هو بنصراني يبيع درعاً، فعرف علي رضي الله عنه الدرع، فذكره بغير سياقه، وفي رواية لولا أن خصمي نصراني لحضرت بين يديك، ولكن حكى

(١) البيهقي، السنن الكبرى: (٥٧٥/٦).

(٢)عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي، من بني مالك ن النجار، صحابي، توفي بعد٥٠هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (١١٧٢/٣).

(٣) النسائي، السنن الكبرى: (٣٧٣/٦)، والحاكم، المستدرك: (٥٥٢/١)، والبيهقي، السنن الكبرى: (١٤٩/٤).

(٤) البخاري، الصحيح: (١١٨/٢)، والبيهقي، السنن الكبرى: (١٤٣/٤).

(٥) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصاري الخزرجي، صحابي، اختلف في وفاته. ابن الأثير،أسد الغابة: (٥١٥/١).

(٦) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان الأنصاري، صحابي، اختلف في وفاته. ابن عبد البر، الاستيعاب: (٥٣٧/٢).

(٧) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي، أبو محمد التيمي، صحابي، قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (٨٦٤/٢).

(٨) جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي، له صحبة، توفي سنة٥٧هـ. ابن الأثير،أسد الغابة: (٥١٥/١).

(٩) البيهقي، السنن الكبرى: (٢٢٩/١٠).

(١٠) المؤيد بالله، شرح التجريد: (١١٨/٤)، والبيهقي، السنن الكبرى: (٤٣٩/٥).

في تلخيص ابن حجر تضعيف طرف هذه القصة، وهي مشهورة[١].

قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي أن علياً عليه السلام حاكم الذمي في الدرع إلى شريح، وذكر الهادي عليه السلام أن علياً حاكم النصراني، فذكرنا من أخرج الروايات، والجمع بين رواية اليهودي ورواية النصراني، إما بتعدد الواقعة، أو غيره من المحامل[٢].

الفرع الثاني: باب ما يجب على القاضي وما يستحب وما يكره

عن أبي بكرة[٣] أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا ينبغي للقاضي أن يقضي بين اثنين وهو غضبان»، أخرجه أحمد بن حنبل، والبخاري ومسلم[٤]، وأهل السنن عن أبي بكرة مولى النبي صلى الله عليه وآله، وفي نسخة الشفاء عن أبي بكر، وهو سقط وتصحيف من النساخ، فإن هذا الحديث لا يعرف إلا عن أبي بكرة مع اختلاف رواية المحدثين في لفظه، قالوا: إنه كتب إلى ابنه عبد الرحمن[٥]،

وروى عبد الله[٦]، وهو قاض بسجستان[٧]: أن لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان،

فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لا يقضين أحدكم بين اثنين وهو غضبان» وفي رواية أيقضي أحدكم بين اثنين وهو غضبان؟ وفي رواية: لا يقضين بقضاءين، ولا يقضين أحد بين خصمين وهو غضبان، وقد سبق ذكرها[٨].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يقضي القاضي إلا وهو شبعان

(١) البيهقي، السنن الكبرى: (٢٣/١٠)، وابن حجر، التلخيص: (٤٦٩/٤).

(٢) الامام الهادي، الأحكام: (٣٨٥/٢).

(٣) نفيع بن الحارث بن كلدة، أبو بكرة الثقفي، له صحبة، توفي سنة٥١هـ. ابن الأثير،أسد الغابة: (٣٥/٦).

(٤) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، أبو الحسين النيسابوري الحافظ، صاحب الصحيح، توفي سنة٢٦١هـ. المزي،تهذيب الكمال: (٤٩٩/٢٧).

(٥) عبد الرحمن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي، أبو بحر، ويقال: أبو حاتم البصري، قال العجلي وابن سعد: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة٩٦هـ. المزي،تهذيب الكمال: (٥/١٧).

(٦) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي، أمير الحجاج على سجستان، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة٧٩ هـ. ابن حبان،الثقات: (٦٤/٥).

(٧) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة؛ في بلاد فارس. البغدادي،عبد المؤمن، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢، دار الجيل، بيروت، ط:١، ١٤١٢ هـ: (ص٦٩٤).

(٨) شفاء الأوام: (٢٥٤/٣)، وأحمد، المسند: (١٤/٣٤)، والبخاري، الصحيح: (٦٥/٩)، ومسلم، الصحيح: (٣/ ١٣٤٢)، وابن ماجه، السنن: (٤١٣/٣)، وأبو داود، السنن: (٤٤١/٥)، والترمذي، السنن: (٦١٢/٣)، والنسائي، السنن الكبرى: (٤٢١/٥)

ريان» أخرجه البيهقي عنه بلفظه[١].

قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي أن الزبير ورجلاً من الأنصار اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شراج الحرة[٢]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للزبير: اسق زرعك، ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري: وإن كان ابن عمتك، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى احمر وجهه، ثم قال للزبير: اسق زرعك، واحبس الماء حتى يبلغ الجدر، ثم أرسله إلى جارك، أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما، وقد سبق ذكره والكلام عليه وتفسيره في الشركة[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، ورفع أصواتكم وخصوماتكم، وحدودكم وسل سيوفكم، وشراءكم وبيعكم» قد سبق ذكر من أخرجه أول الكتاب[٤].

وعن الهادي عليه السلام بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله، أنه كان يجلس للقضاء، ويحتبي ببردته عند مقام إبراهيم في المسجد الحرام، وأقام اللعان في المسجد، وقال: «من حلف على منبري يميناً آثمة، فليتبوأ مقعده من النار»، أما قوله كان يجلس للقضاء...إلخ، ففي كتب الأئمة بلفظه، لكن له شواهد في المعنى، وأما قوله: وأقام اللعان في المسجد، فقد سبق ذكر من أخرجه[٥].

(١) البيهقي، السنن الكبرى: (١٠/١٨١).

(٢) الشرجة: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. ابن الأثير،النهاية: (٢/٤٥٦).

(٣) البخاري، الصحيح: (٣/١١١)، ومسلم، الصحيح: (٤/١٨٢٩)، وأبو داود، السنن: (٥/٤٧٩)، والترمذي، السنن: (٥/٢٣٨).

(٤) ابن ماجه، السنن: (١/٤٨١)، والطبراني، الكبير: (٨/١٣٢)، والبيهقي، السنن الكبرى: (١٠/١٧٧).

(٥) ابن ماجه، السنن: (٣/٤١٩)، والحاكم، المستدرك: (٤/٣٢٩)، والنسائي، السنن الكبرى: (٥/٤٣٧)، ومالك، مالك بن أنس، تحقيق: بشار معروف ومحمود خليل، موطأ الامام مالك، ج٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ: (ص٤٧٨).

وأما قوله: من حلف على منبري الحديث، فأخرجه في الموطأ، وأبو داود عن جابر قال: إن رسول الله ﷺ، قال: "من حلف عند منبري هذا بيمين آثمة تبوأ مقعده من النار"، وفي رواية: "لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة، ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار، أو وجبت له النار" [(١)].

وعن الحسن البصري[(٢)] قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت عثمان قد ألقى رداءه، ونام فأتاه سقاء[(٣)] بقربة، ومعه خصم، فجلس عثمان وقضى بينهما، أخرجه[(٤)].

وعن أم سلمة قالت: اختصم إلى رسول الله ﷺ رجلان من الأنصار في مواريث متعادمة[(٥)]؛ فقضى بينهما رسول الله ﷺ في بيتي، أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما عنها بألفاظ مختلفة، وهذه رواية لأبي داود غير أنه قال: يختصمان في مواريث، وأشياء قد درست[(٦)]، فقال: إنما أقضى بينكما برأيي، فيما لم ينزل علي فيه شيء[(٧)]، وفي رواية أنه سمع جلبة[(٨)] خصم بباب حجرته فخرج إليهم، فقال: «إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم»، الحديث وقد استوفي في الدعاوى، وفيه روايات كثيرة، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أن الحديث السابق، وهذا الحديث عن راوٍ واحد، وإن اختلفت فيه الروايات[(٩)].

وعن عبد الله قال: قضى رسول ﷺ، أن يجلس الخصمان بين يدي القاضي، أخرجه أبو داود عن عبد الله بن الزبير[(١٠)]، ولعل الأمير أراده وإن كان عند إطلاقه غالباً لا يريده، فإن الحديث لم يرو عن غيره[(١)].

(١) قد سبق ذكر من أخرجه في باب القضاء بالشاهد واليمين.

(٢) الحسن بن يسار البصري الْفَقيه القَارئ الزّاهد العابد، توفي سنة ١١٠هـ. الصفدي، صلاح الدين خليل، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، الوافي بالوفيات، ج١٢، دار إحياء التراث – بيروت:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م: (ص١٩٠).

(٣) السقاء: ظرف الماء من الجلد، ولعله أراد هنا إضافة إلى فاعل السقي. ابن الأثير، النهاية: (٣٨١/٢).

(٤) العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (١٦٥/٤).

(٥) متعادمة: من العدم وهو فقدان الشيء وذهابه، وغلب على فقد المال وقلته. ابن منظور، لسان العرب: (٣٩٢/١٢).

(٦) درست: من درس بفتح السين وسكون التاء: أي امَّحت. ابن الأثير، النهاية: (١١٣/٢).

(٧) البيهقي، السنن الكبرى: (٤٤٠/١٠).

(٨) الجلبة: الاصوات، تقول منه جَلَّبوا بالتشديد. ابن الأثير، النهاية: (٢٨١/١).

(٩) البخاري، الصحيح: (١٣١/٣)، ومسلم، الصحيح: (١٣٣٧/٣)، وأبو داود، السنن: (٤٣٦/٥).

(١٠) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أبو بكر، أول مولود للمسلمين في المدينة، توفي سنة٧٣هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (٩٠٥/٣).

وعن الهادي عليه السلام بإسناده إلى النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «إذا تقاضى إليك خصمان، فلا تقضي للأول حتى تسمع كلام الآخر» قد سبق ذكر من أخرجه، وهذه رواية للترمذي ونحوها للبيهقي، وزاد فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء[٢].

وعن أم سلمة أن النبي ﷺ، قال: «من ابتلي بالقضاء بين المسلمين، فليعدل بينهم في لحظه ولفظه وإشارته ومقعده»، أخرجه الطبراني والدارقطني[٣]، والبيهقي عنها بلفظه، وأخرج الطبراني والبيهقي رواية أخرى: «من ابتلي بالقضاء بين المسلمين، فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر»[٤].

قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي أن علياً عليه السلام حَاكَمَ ذمياً في درع له إلى شريح، فلما رآه تنحى له عن مكانه، فقال علي عليه السلام: مكانك وجلس إلى جنبه، وقال: لو كان خصمي مسلماً لما جلست إلا معه، ولكني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "لا تساووهم في المجلس، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم"، قد سبق ذكر من أخرج هذا الحديث بنحوه[٥].

قال حافظ الأئمة: وروي أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري[٦] آس[٧] بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك[٨]، ولا ييأس ضعيف من عدلك، وقد كان بعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة[٩] قاضياً، أخرجه البيهقي عن سعيد بن أبي بردة[١٠]، قال: هذا كتاب عمر بن

(١) أبو داود، السنن: (٤٤٠/٥).

(٢) الامام الهادي، الأحكام: (٣٨٣/٢)، والترمذي، السنن: (٦١٠/٣)، والبيهقي، السنن الكبرى: (٢٣٢/١٠).

(٣) علي بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله، أبو الحسن الدارقطني، صاحب السنن، توفي سنة ٣٨٥هـ. الخطيب، تأريخ بغداد: (٤٨٧/١٣).

(٤) المؤيد بالله، شرح التجريد: (١٢٩/٦)، والطبراني، الكبير: (٢٨٤/٢٣)، والدارقطني، علي بن عمر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، السنن، ج٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢٤هـ: (ص٣٦٥)، والبيهقي، السنن الكبرى: (١٠/ ٢٢٨).

(٥) الامام الهادي، الأحكام: (٣٨٥/٢).

(٦)عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر، أبو موسى الأشعري، صحابي معروف، توفي سنة٤٤هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (٩٧٩/٣).

(٧) آس: سو بينهم، وهو من ساس الناس يسوسهم، والهمزة فيه زائدة. ابن الأثير، النهاية: (١/ ٤٨).

(٨) الحيف: الميل في الحكم، والجور والظلم. ابن منظور، لسان العرب: (٦٠/٩).

(٩)البصرة: مدينة كبيرة مشهورة من مدن العراق. عبد المؤمن البغدادي، مراصد الاطلاع: (٢٠١/١).

(١٠) سعيد بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري الكوفي، قال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي في حدود١٢٠هـ. المزي، تهذيب الكمال: (١٠/ ٣٤٥).

الخطاب إلى أبي موسى أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، افهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع كلمة حق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك، وساق الحديث[١].

وعن رسول الله ﷺ، أنه كان له كُتّاب منهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومنهم زيد بن ثابت وغيرهما، أخرجه الطبراني عن عبد الله بن الزبير، أن النبي ﷺ استكتب عبد الله بن الأرقم[٢]، فكان يكتب إلى الملوك، فبلغ من أمانته عنده، أنه كان يكتب إلى بعض الملوك، ثم يأمر به أن يطبقه، ثم يختم لا يقرأ لأمانته عنده، واستكتب أيضاً زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي، ويكتب إلى الملوك أيضاً، فكان إذا غاب عبد الله بن الأرقم وزيد بن ثابت، واحتاج أن يكتب لإنسان كتاباً بقطفة أمر من حضر أن يكتب وقد كتب له عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، والمغيرة بن شعبة[٣]، ومعاوية بن أبي سفيان[٤]، وخالد بن سعيد بن العاص[٥]، وغيرهم ممن سمي من العرب[٦].

قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي أن أبا موسى قدم على عمر، ومعه كاتب نصراني فانتهره عمر، وقال: لا تأمنوهم إذ قد خونهم الله، ولا تدنوهم وقد أبعدهم الله، ولا تعزوهم وقد أذلهم الله، أخرجه البيهقي عن عياض الأشعري[٧]، عن أبي موسى قال: أن عمر أمره أن يرفع إليه ما أخذه وما أعطى، وكان لأبي موسى كاتب نصراني يرفع إليه ذلك فعجب عمر؛ وقال: إن هذا لحافظ، وقال: إن لنا كتاباً في المسجد فادعه فليقرأه، قال أبو موسى: إنه لا يستطيع أن يدخل المسجد، فقال عمر: أجنب هو؟ قال: بل نصراني، قال: فانتهرني وضرب فخذي،

وقال: أخرجه وقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾[المائدة:٥١] قال أبو موسى: والله

(١) البيهقي، السنن الكبرى: (٢٢٩/١٠).

(٢) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أسلم عام الفتح، توفي سنة ٦٠هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (٨٦٥/٣).

(٣)المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، أبو عبد الله، وقيل: أبو عيسى، أسلم عام الخندق، توفي سنة٥٠هـ. ابن الأثير، أسد الغابة: (٢٣٨/٥).

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الرحمن، من المؤلفة قلوبهم، توفي سنة ٦٠هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (١٤١٦/٣).

(٥) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي، أبو سعيد، من أوائل المسلمين، قتل في وقعة مرج الصفر في آخر خلافة أبي بكر. ابن الأثير، أسد الغابة: (١٣٦٥/١٢٤/١).

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير: (٤٧٤٨/١٠٨/٥).

(٧) عياض بن عمرو الأشعري، مختلف في صحبته، توفي بعد سنة٧٠هـ. المزي، تهذيب الكمال: (٥٧١/٢٢/ ٤٦١٠).

ما توليته إنما كان يكتب، أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب لك، لا تدنيهم إذ أقصاهم الله، ولا تأمنهم إذ أخافهم الله، ولا تعزهم بعد إذ أذلهم الله، وإنما ذكرنا القصة لبيان أصلها، فإنها في الشفاء لا يفهمها إلا من عرف أصل القصة[١].

وعن عبد الرحمن بن القاسم[٢]، عن أبيه[٣] أن أبا بكر إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي، والفقه دعا رجالاً من المهاجرين، ورجالاً من الأنصار، دعا عمر وعثمان وعلي، وعبد الرحمن بن عوف[٤]، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، فمضى أبو بكر على ذلك، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر، أخرجه البيهقي في السنن، ولفظه: كان أبو بكر إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم، فإن لم يجد في الكتاب نظر هل كانت من النبي ﷺ فيه سنة، فإن علمها قضى بها، وإن لم يعلم خرج، فسأل المسلمين هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما قام إليه الرهط، فقالوا: نعم، فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ، فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين، وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به[٥].

قال: وروي أن عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك، ولم يعين في البيهقي النفر المذكور، وزاد في عمر أنه إذا لم يجد في الكتاب، ولا في السنة نظر هل لأبي بكر فيه قضاء، فإن وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء، وإلا دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم، فاستشارهم، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم[٦]،[٧].

وعن علي رضي الله عنه أنه أضاف رجلاً فلما نزل عنده أدلى إليه الخصومة، فقال علي عليه السلام:

(١) شفاء الأوام: (٢٥٦/٣)، والبيهقي، السنن الكبرى: (٢١٦/١٠).

(٢)عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد المدني، قال أحمد وأبو حاتم والعجلي والنسائي: ثقة، توفي سنة ١٢٦هـ. المزي، تهذيب الكمال: (٣٤٧/١٧).

(٣) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي، أبو محمد المدني، قال العجلي: ثقة، وقال ابن حبان: من أفضل أهل زمانه علماً وأدباً وفقهاً، توفي سنة١٠٦هـ. الذهبي، تأريخ الاسلام: (١٣٨/٣).

(٤) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث القرشي الزهري، أبو محمد، صحابي معروف، توفي سنة٣١هـ. ابن الأثير، أسد الغابة: (١٧٠/٧).

(٥) البيهقي، السنن الكبرى: (٢٠٣٤١/١٩٦/١٠).

(٦) زاد في النسخة(ب): ولا شك أن هذه كانت صفة الخلفاء الراشدين، معروفة من كثير من القضايا الواردة عليهم في نص الأحاديث يعرفها أهل الاطلاع على حالهم، فإن الأمر إذا كان عن رأي من أهل الخير والصلاح لا سيما من خصهم الله بمجالسة خاتم الرسل؛ فإنه ينتج عن رأيهم الخير والصلاح، وقد قال ﷺ: ما تشاور قوم إلا هدوا إلى أرشد سبيل أو كما قال.

(٧) البيهقي، السنن الكبرى: (١٠/ ١٩٦).

ارحل عنا، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يضيف أحدكم أحد الخصمين، إلا وخصمه معه» أخرجه البيهقي، وحكاه في تلخيص ابن حجر(١)، ونسبه إلى البيهقي بإسناد منقطع، قال: وهو في مسند إسحاق بن راهويه(٢).

وعن النبي ﷺ، أنه استعمل رجلاً على قبض بعض الصدقات، فلما رجع قال: هذا لكم وهذا لي، فقد أهدى إلي، فصعد النبي ﷺ المنبر فقال: "ما بال أقوام نستعملهم على أعمالنا، فيرجعون، ثم يقولون هذا لكم وهذا لي، فهلا يقعد في بيت أمه لينظر من يهدي إليه، ثم قال: ما يخبئُ أحدكم شيئاً إلا ويجيء يوم القيامة، وهو معه إن كان بعيراً له رغاء، وإن كانت بقرة لها خوار، وإن كانت شاة تيعر، ثم قال: ألا هل بلغت" أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي حميد الساعدي(٣)، من أخرجه، والكلام عليه(٤).

والرجل المذكور هو عبد الله بن اللتبية(٥) بضم اللام وفتح الباء الموحدة، وسكون المثناة التحتية، وقيل: بفتح اللام والمثناة، من بني ليث(٦) حي من الأزد(٧)، وقوله: تيعر مثناة من فوق، ثم مثناة من تحت ساكنة، ثم عين مهملة مفتوحة وقد يفتح أي تصيح، والرغاء: صوت البعير(٨)، والخوار: بالخاء المعجمة صوت البقرة(٩)، واليعار بالياء صوت الشاة، وإنما أعدنا ذكر التفسير؛ لئلا يبعد على القارئ ما سبق في كتاب الزكاة(١٠).

(١) المؤيد بالله، شرح التحريد: (١٣٢/٦)، وابن حجر، التلخيص: (٤٧٠/٤)، والبيهقي، السنن الكبرى: (١٠/ ٢٣٢).

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم أبو يعقوب الحنظلي المعروف بابن راهويه، توفي سنة٢٣٨هـ. الخطيب، تأريخ بغداد: (٣٦٢/٧).

(٣) أبو حميد الساعدي الأنصاري، اختلف في اسمه، فقيل: المنذر بن سعد بن المنذر، وقيل: عبد الرحمن وقيل: عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ، وقيل: عبد الرحمن بن سعد بن مالك، وقيل: عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري، له صحبة، توفي سنة ٦٠هـ. ابن عبدالبر،الاستيعاب: (١٦٣٣/٤).

(٤) البخاري، الصحيح: (١٥٩/٣)، ومسلم، الصحيح: (٤٦٣/٣)، وأبو داود، السنن : (٥٦٧/٤)، والبيهقي، السنن الكبرى: (٢٦٧/٤).

(٥) عبد الله بن اللتبية بن ثعلبة الأزدي. ابن حجر، أحمد بن علي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الإصابة في تمييز الصحابة،ج٤، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ: (١٨٨/٤).

(٦) بنو ليث: بطن من بكر من كنانة. القلقشندي، أحمد علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتاب، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٠هـ: (ص٤١١).

(٧) الأزد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنتسب الى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانية. كحالة، معجم قبائل العرب: (١٥/١).

(٨) ابن منظور، لسان العرب: (٣٢٩/١٤).

(٩) ابن الأثير، النهاية: (٨٧/٢).

(١٠) ابن منظور، لسان العرب: (٣٠١/٥).

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «من استعملناه على عمل، ورزقناه، فما أخذ بعد فهو غلول[١]» أخرجه أبو داود، والحاكم عن بريدة، ونحوه ما أخرجه أبو داود أيضاً عن عدي بن عميرة[٢]

أن النبي ﷺ قال: "من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً، فما فوقه كان ذلك غلولاً يأتي به يوم القيامة»[٣]، قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي «هدايا الأمراء غلول»، وروي «هدايا العمال غلول»، أما الرواية الأولى ففي كتب الأئمة، وأما الرواية الآخرة فأخرجها أحمد بن حنبل، والبيهقي عن أبي حميد الساعدي[٤]، وأخرج أبو يعلى عن حذيفة "هدايا العمال حرام كلها"، والمعنى متفق، وعن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من بني أسيد[٥] على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقام النبي ﷺ على المنبر، فقال: "ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا، فيقول: هذا لكم وهذا أهدي إلي، ألا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منها شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته"، فهذا الحديث هو حديث أبي حميد السابق، لكن هذه رواية، وتلك رواية أخرى[٦].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنه أهدي له في حال إمارته ثلاثون رأساً من الرقيق، فلما قدم بهم بعد موت النبي ﷺ، أراد أبو بكر رضي الله عنه انتزاعهم من يده فكره، وقال: طعمة أطعمنيها رسول الله ﷺ، ثم أتى وهم يصلون، فقال: لمن تصلون؟ فقالوا: لله فقال: قد وهبتكم له فأعتقهم، [٧].

وعن الضحاك بن سفيان[٨] قال: كتب إلي رسول الله ﷺ، أن أورث امرأة أشيم الضبابي[١] من دية

(١) الغلول: الخيانة في المغنم والسرقة، وكلُّ من خانَ في شيءٍ خِفيَةً فقد غَلَّ. ابن منظور، لسان العرب: (٥/ ٣٢٨٦).

(٢) عدي بن عدي بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم الكندي، أبو فروة، له صحبة. ابن الأثير، أسد الغابة: (١٢/٤).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن: (٥٦٥/٤)و(٤٣٣/٥)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٥٦٣).

(٤) المؤيد بالله في شرح التجريد: (١٣٢/٦)، وأحمد في المسند: (١٤/٣٩)، والبيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، السنن الصغير، ج٤، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، ط: ١، ١٤١٠هـ: (ص١٣٥).

(٥) بنو أسيد: بتشديد الياء وتخفيفها، بطن من تميم من العدنانية، وهم بنو اسيد بن عمرو بن لجيم. القلقشندي، نهاية الأرب: (٤٠).

(٦) البيهقي، السنن الكبرى: (٢٦٧/٤).

(٧) أخرجه شفاء الأوام: (٢٥٨/٣).

(٨) الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلبي، أبو سعيد، له صحبة. ابن عبد البر، الاستيعاب: (٧٤٢/٢).

زوجها، سيأتي ذكر من أخرج الحديث بطوله في كتاب الجنايات، وهذا هو الصحيح، وأما رواية الشفاء التي تأتي بعد أنه الضحاك بن قيس[٢] فوهم[٣].

وعن عمر أنه قال لعبد الرحمن بن عوف: (أرأيت لو رأيتُ رجلاً قتل، أو سرق أو زنا؟ فقال: أرى شهادتك شهادة رجل من المسلمين؟ قال: أصبت)، أخرجه البخاري تعليقاً بلفظ، قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: (لو رأيت رجلاً على حد، قال: أرى شهادتك شهادة رجل من المسلمين، قال: أصبت)، وقد ثبت عند المحدثين أن معلقات البخاري كلها صحيحة موصولة عند غيره، وإنما علقها لعدم الشرط المعتبر عنده في صحيحه، ووصله البيهقي[٤].

قيل: وقد أخرج أحمد بن حنبل، عن أبي بكر له شاهداً، قال: (لو رأيت رجلاً على حد من حدود الله ما أخذته، ولا دعوت له عندي حتى يشهد شاهدان بذلك)، وفي رواية (حتى يكون معي غيري)، قيل: وأخرجه البيهقي من وجه آخر منقطعاً، قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي عن أبي بكر، قال: (لو وجدت أحداً على حد من حدود الله لم أحده، ولم أدع أحداً يحده حتى يكون بينة)، [٥].

قال: وروي أن معاوية سأل أبا موسى الأشعري، فقال: (أنشدك الله هل علمت أن رسول الله ﷺ، كان إذا حضره الخصمان، فاتفقا على موعد، فوافاه أحدهما، ولم يواف الآخر أنه قضى لمن وافى منهما؟ قال: نعم) [٦].

وعن النبي ﷺ، في قصة عبد الله بن سهل[٧] لما وجد قتيلاً في قليب من قليب خيبر حكم على اليهود، وألزمهم القسامة وهم غُيَّب، سيأتي من أخرج الحديث بطرقه، والكلام عليه في القسامة[٨].

(١) أشيم الضبابي قتل في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ابن الأثير، أسد الغابة: (١/ ٢٥١).

(٢) الضحاك بن قيس خالد وهب ثعلبة وائلة بن عمرو بن سنان بن محارب بن فهر الفهريّ، أبو أنيس وأبو عبد الرحمن، له صحبة، قتل سنة ٦٤هـ. ابن حجر، الاصابة: (٣٨٧/٣).

(٣) شفاء الأوام: (٢٥٨/٣)، وأبو داود، السنن: (٥٥١/٤)، والنسائي، السنن الكبرى: (١٢٠/٦).

(٤) البخاري، الصحيح: (٦٩/٩)، والبيهقي، السنن الكبرى: (٢٤٣/١٠).

(٥) أخرجه البيهقي، السنن الكبرى: (٢٤٢/١٠).

(٦) أخرجه ابن الهيثمي، مجمع الزوائد: (١٩٧/٤).

(٧) عبد الله بن سهل بن زيد الأنصاري الحارثي، قتيل اليهود بخيبر. ابن الأثير، أسد الغابة: (٢٧٠/٣).

(٨) البخاري، الصحيح: (٧٥/٩)، ومسلم، الصحيح: (١٢٩٢/٣).

وعن أبي الأسود المالكي[١] عن أبيه[٢] عن جده[٣] أن النبي ﷺ قال: «ما عدل والٍ اتّجر في رعيته»، وستأتي رواية الشفاء، وغيره في كتاب السير بلفظ: «لعن الله الوالي يتجر في رعيته»، وفسر الاتجار بالتجارة في المال لأنه إذا عاملهم حابوه خوفاً منه، وفسر أيضاً بأخذ الرشا من بعضهم على بعض، وآكل أموالهم بالباطل[٤].

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «لعن الله الراشي، والمرتشي والرائش»، يعني الذي يسعى بينهما، رواه أبو هريرة، أخرجه بلفظه أحمد بن حنبل عن ثوبان[٥]، غير أنه قال: «الذي يمشي بينهما»، وأخرج أحمد بن حنبل، والترمذي والحاكم عن أبي هريرة بلفظ: «لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم»، وسيأتي[٦].

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «القاضي إذا أخذ الرشوة بلغت به الكفر، وإذا جار في حكمه نزع منه الإيمان، فدخل النار»، رواه علي أمير المؤمنين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، هو في كتب الأئمة[٧].

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «الراشي والمرتشي في النار»، أخرجه الدارقطني، والبيهقي عن ابن عمرو[٨].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، أنه قال: «لعن الله الراشي، والمرتشي في الحكم» عنه قبيل هذا[٩].

قال حافظ الأئمة قدس الله روحه: وروي أن كعب بن مالك[١٠] تقاضى ديناً له في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها النبي ﷺ ، وهو في بيته فخرج إليهما، فقال: «يا كعب قال: لبيك، فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك، قال: قد فعلت يا رسول الله»، أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عنه

(١) عبد الله بن الأسود القرشي ويقال المالكي. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن، الجرح والتعديل، ج٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٢٧١هـ: (ص٢).

(٢)أبو الأسود القرشي ويقال المالكي. ابن حجر، الاصابة: (١٢/٧).

(٣) جد أبي الأسود المالكي. ابن الأثير، أسد الغابة: (٣٥١/٦).

(٤) شفاء الأوام: (٢٦٠/٣).

(٥) ثوبان بن بجدد، ويقال: ابن جحدر القرشي الهاشمي، أبو عبدالله، ويقال أبو عبد الرحمن، مولى رسول الله ﷺ، توفي سنة٥٤هـ. ابن حجر، الاصابة: (٥٢٧/١).

(٦) أحمد، المسند: (٨/١)و(٨٥/٣٧)، والترمذي، السنن: (١٥/٣)، والحاكم، المستدرك: (١١٥/٤).

(٧) المرشد بالله، يحيى بن الحسين، تحقيق: محمد إسماعيل، الأمالي الخميسية، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م: (ص٣٢٢)، والنسائي، السنن الكبرى: (١٠٠/٥).

(٨) البيهقي، السنن الكبرى: (٢٣٤/١٠)، والطبراني، الأوسط: (٢٩٥/٢).

(٩) سبق تخريجه في حاشية ١٨٠.

(١٠) كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، أحد الثلاثة الذي تخلفوا عن رسول الله ﷺ، توفي سنة ٤٠هـ، وقيل غير ذلك. ابن الأثير، أسد الغابة: (٤٦١/٤).

قال: إنه تقاضى ابن أبي حدرد[١]، ديناً كان له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف[٢] حجرته فنادى، فقال: "يا كعب، قلت: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك، قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال: قم فاقضه"، ونحوه ما أخرجه البخاري، ومسلم، عن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهم، وإذا أحدهم يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، فيقول: والله لا أفعل، فخرج إليهما، فقال: "أيكم المتألي أن لا يفعل المعروف؟ فقال: أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب"[٣].

قال في فتح الباري: في رواية ابن حبان[٤] لهذا الحديث، فقال: في أول الحديث فدخلت امرأة، فقالت: إني ابتعت أنا وابني من فلان ثمر ماله فأحصيناه، لا والذي أمرك بالحق ما أحصينا منه إلا ما نأكل منه في بطوننا، أو نطعم مسكيناً، فجئنا نستوضعه ما نقصنا، الحديث، قال: فظهر به أن المخاصمة وقعت بين البائع والمشتري، ولم أقف على تسمية واحد منهم، قال: وأما تجويز بعض شراح الحديث أن المخاصمين كعب بن مالك، وابن أبي حدرد، ففيه بعد لتغاير القصتين، فعرف بهذه الزيادة أصل القصة، لكنه يشهد لها في المعنى[٥]، ومعنى نستوضع: نستحفض، ونسترفقه، أي: نسأله الرفق، والمتألي: الحالف[٦].

الفرع الثالث: باب ما يبطل حكم القاضي وحكم خطئه

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»، أخرجه الترمذي، والنسائي عنه بلفظ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، فأصاب فله أجران، وإذا

(١) عبد الله بن أبي حدرد سلامة، وقيل: عبيد بن عمير بن أبي سلامة الأسلمي، أبو محمد، له صحبة، توفي سنة ٧١هـ. ابن حجر، الاصابة: (٤٨/٤).

(٢) السجف: الستر. ابن الأثير، النهاية: (٣٤٣/٢).

(٣) البخاري، الصحيح: (١٠١/١)، ومسلم، الصحيح: (١١٩٢/٣)، وأبو داود، السنن: (٤٤٧/٥)، والنسائي، السنن الكبرى: (٤١٣/٥).

(٤) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، أبو حاتم التميمي البستي، صاحب التصانيف، توفي سنة٣٥٤هـ. الذهبي، تأريخ الاسلام: (٧٣/٨).

(٥) ابن حبان، محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الصحيح، ج١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤١٤هـ: (ص٤٠٨)، وابن حجر، أحمد ، تحقيق: محب الدين الخطيب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٥، دار المعرفة، بيروت: (٣٠٨).

(٦) ابن الأثير، النهاية: (٦٢/١).

حكم فاجتهد، فأخطأ فله أجر»[١].

وأخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، عن عمرو بن العاص[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، وأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»، قال راويه: فحدثت أبا بكر بن حزم[٣] فقال: هكذا حدثني أبو سلمة[٤] عن أبي هريرة[٥].

وعن عقبة بن عامر[٦] قال: «جاء خصمان إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال لي رسول الله ﷺ: اقض بينهما يا عقبة، قلت: أقضي بينهما وأنت حاضر؟ قال: اقض بينهما، فإن أصبت فلك عشر حسنات، وإن أخطأت فلك حسنة واحدة»، أخرجه[٧].

وعن علي رضي الله عنه أنه قطع يد رجل بشهادة شاهدين، فلما فرغ، قالا: إنا أخطأنا قال: (لو علمت أنكما تعمدتما لقطعتكما وألزمهما الأرش)، أخرجه البخاري عن الشعبي[٨]، وزاد بعد قوله: أخطأنا في الأول، فأبطل علي شهادتهما وغرمهما دية الأول، وقال: (لو علمت) الحديث[٩].

وعن ﷺ، أنه قال: «من طلب القضاء وكل إلى نفسه»، وروي «من قلد القضاء، فقد ذبح بغير سكين»، وروى هذين الخبرين الهادي، فقال في الأول: «من سأل القضاء وكل إلى نفسه»، وقال في الثاني: «من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين»، هما حديثان مستقلان راوي كل واحد منهما غير راوي الآخر[١٠]، فأخرج الأول أبو داود، والترمذي عن أنس بروايات منها: قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

(١) الترمذي، السنن: (٦٠٧/٣)، والنسائي، السنن الكبرى: (٣٩٦/٥).

(٢) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي، أبو عبد الله، أسلم قبل الفتح بستة أشهر، توفي سنة ٤٣هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب: (١١٨٤/٣).

(٣) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي ثم النجاري المدني، قال ابن معين: ثقة، توفي سنة ١١٠هـ. المزي، تهذيب الكمال: (١٣٧/٣٣).

(٤) عبدالله بن عبد الرحمن بن عوف، أبو سلمة، قال العجلي وأبو زرعة: ثقة، توفي سنة١٠٤هـ. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٩٣/٥).

(٥) البخاري، الصحيح: (١٠٨/٩)، ومسلم، الصحيح: (١٣٤٢/٣)، وأبو داود، السنن: (٤٢٨/٥).

(٦) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن الجهني، صحابي مشهور، توفي سنة ٥٨هـ. ابن حجر، الاصابة: (٤٢٩/٤).

(٧) المؤيد بالله، شرح التجريد: (١٢٢/٦)، والطبراني، الأوسط: (١٦٢/٢)، والدارقطني، السنن: (٣٦٢/٥).

(٨) عامر بن شراحيل، وقيل: ابن عبد الله بن شراحيل، وقيل: ابن شراحيل بن عبدالله الشعبي، أبو عمرو الكوفي، قال ابن معين وأبو زرعة وابن حبان: ثقة، توفي سنة ١٠٩هـ. المزي، تهذيب الكمال: (٢٨/١٤).

(٩) المؤيد بالله، شرح التجريد: (٤١٤/٥)، والبخاري، الصحيح: (٨/٩)، والدارقطني، السنن: (٤/ ٢٤٠)، والبيهقي، السنن الكبرى: (٧٤/٨).

(١٠) الامام الهادي، الأحكام: (٣٨٣/٢).

«من ابتغى القضاء، وسأل فيه شفعاء، وكل إلى نفسه، ومن أكره عليه، أنزل الله عليه ملكاً يسدده»، وفي رواية: «من سأل القضاء وكل إلى نفسه، ومن أجبر عليه ينزل عليه ملك يسدده»، وفي رواية لأبي داود «من طلب القضاء، واستعان عليه وكل عليه، ومن لم يطلبه ولم يستعن عليه أنزل الله ملكاً يسدده»[(١)]، وأما الثاني فأخرجه أبو داود، والترمذي أيضاً عن أبي هريرة بلفظ: «من جعل قاضياً بين الناس، فقد ذبح بغير سكين»، وفي رواية: «من ولي القضاء»، وفي رواية «من ولي القضاء، أو جعل قاضياً بين الناس، فقد ذبح بغير سكين»[(٢)].

ومعنى الحديث التحذير من طلب القضاء، والحرص، عليه يقول: من تصدى للقضاء، فقد تعرض للذبح فليحذره، وقوله: بغير سكين، يحتمل أن المراد أن الذبح إنما يكون في العرف بالسكين، فعدل به عن العرف إلى غيره، ليعلم أن الذي أراد به ما يخاف من هلاك دينه دون هلاك بدنه، ويحتمل أن المراد أن الذبح الذي يقع به راحة الذبيحة، وخلاصها من الألم، إنما يكون بالسكين، فإذا ذبح بغير السكين كان ذبحه تعذيباً، فضرب به المثل لذلك ليكون أبلغ[(٣)].

وعن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ الإمارة؟ فقال: «إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، فأدى الذي عليه فيها»، أخرجه مسلم، وأبو داود بلفظ: قلت يا رسول الله ألا تستعملني، فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الأمانة عليه فيها»، وفي رواية لأبي داود: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال اليتيم»[(٤)].

هذا الحديث أصل عظيم في تجنب الولايات، لا سيما لمن ضعف عن القيام بحقها، والخزي والندامة إنما هما في حق من لم يكن أهلاً لها، أو لم يعدل فيخزيه الله ويفضحه يوم القيامة، وأما من كان أهلاً لها وعدل، فله فضل عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة والإجماع منعقد، ومع ذلك فلكثرة الخطر

(١) أبو داود، السنن: (٤٣١/٥)، والترمذي، السنن: (٦٠٦/٣).

(٢) أبو داود، السنن: (٤٢٥/٥)، والترمذي، السنن: (٦٠٦/٣).

(٣) ابن الأثير، النهاية: (١٥٣/٢).

(٤) المؤيد بالله، شرح التجريد: (١٣٤/٦)، ومسلم، الصحيح: (١٤٥٧/٣)، وأبو داود، السنن: (٤٩٠/٤).

حذر منه ﷺ، وحذر العلماء، وامتنع منها خلائق من السلف، وصبروا على الأذى لما امتنعوا[١].

قد أخرج الترمذي عن ابن وهب[٢] أن عثمان بن عفان، قال لابن عمر: اقض بين الناس، قال: أَوَ تعافيني يا أمير المؤمنين؟، قال: وما تكره من ذلك وقد كان أبوك يقضي، قال: لأني سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «من كان قاضياً فقضى بالعدل، فبالحري أن ينقلب منه كفافاً»، فما أرجو بعد ذلك، وفي رواية أخرجها رزين[٣] عن نافع[٤] أن ابن عمر، قال لعثمان: يا أمير المؤمنين لا أقضي بين رجلين، قال: فإن أباك كان يقضي، قال: كان أبي لو أشكل عليه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو أشكل على رسول الله سأل جبريل، وإني لا أجد من أسأله، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «من عاذ بالله فقد عاذ بعظيم»، وسمعته يقول: «من عاذ بالله فاعذروه»، وأنا أعوذ بالله أن تجعلني قاضياً، فأعفاه، وقال: لا تجبروا أحداً[٥].

وأما ما ورد فيه من الفضائل فأحاديث جمة واسعة منها: قول الأمير أعاد الله من بركاته: وعن الحسن، أنه قال: لأجر حاكم عدل يوماً، أفضل من رجل يصلي في بيته سبعين سنة، أو قال: ستين سنة، قال: لأنه يدخل من عدله على أهل كل بيت من المسلمين خيراً، وهذا ما لا يعلم إلا توقيفاً، ونحوه في المعنى أخرجه الأصبهاني[٦] من المحدثين عن أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة، قائم ليلها، وصائم نهارها، يا أبا هريرة، جور ساعة في حكم أشد، وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة»[٧]، وأخرج الطبراني عن ابن مسعود: «لا تقدس أمة لا يقضي فيها بالحق، ويأخذ

(١) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٢هـ: (ص٢١٠).

(٢) هكذا في النسختين، وفي الترمذي وغيره ابن موهب، وهو: عبد الله بن موهب الهمداني، ويقال: الخولاني، أبو خالد الشامي، قال ابن معين: لا أعرفه، توفي بعد١٠٠هـ. المزي، تهذيب الكمال: (١٩١/١٦).

(٣) رزين بن معاوية بن عمار، أبو الحسن العبدري، الأندلسي، صاحب كتاب التحريد للصحاح الستة، توفي سنة٥٣٥هـ. الذهبي، تأريخ الاسلام: (٦٣٠/١١).

(٤) نافع، مولى ابن عمر، قال النسائي والعجلي وابن سعد: ثقة، توفي سنة١١٠هـ. المزي، تهذيب الكمال: (٢٩٨/٢٩).

(٥) الترمذي، السنن: (٦٠٤/٣)، وأحمد، المسند: (٥١٥/١)، وكتب رزين لم أعثر عليه.

(٦) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد، أبو القاسم التيمي، المعروف بالجوزي، صاحب الترغيب والترهيب وغيره، توفي سنة٥٣٥ هـ. الذهبي،تأريخ الاسلام: (٦٢٣/١١)

(٧) الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، تحقيق: أيمن شعبان، الترغيب والترهيب، ج٣، دار الحديث، القاهرة، ط: ١، ١٤١٤هـ: (ص١٠٩).

الضعيف حقه من القوي غير متعتع[١]»[٢]، وأخرج مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٣]، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين[٤]، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم وما ولوا»[٥]، وأخرج البخاري، ومسلم، عن ابن مسعود أن رسول صلى الله عليه وآله، قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته»، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على الفضيلة[٦].

الخاتمة:

ومن خلال الدارسة والتحقيق تبين لي بعض النتائج المهمة، وهي كالآتي

١. روايات كتاب شفاء الأوام أكثرها مؤيدة بالشواهد والمتابعات من كتب أهل الحديث غير الزيدية، وهذا يدل دلالة واضحة أنها ليست من الغرائب.

٢. أن الروايات التي رواها صاحب شفاء الأوام لا تختلف عن الروايات التي جاءت في البخاري ومسلم إلا في اللفظ فقط.

٣. غزارة الكتاب بالفوائد؛ تدل دلالة واضحة على سعة اطلاع مؤلفه.

٤. جمع المؤلف الأدلة التي تشهد لما في الشفاء من دواويين وكتب الحديث، يدل على الجهود التي بذلها.

(١) تعتع: يأخذ حقه من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه. ابن منظور،لسان العرب: (٣٥/٨).

(٢) الطبراني، الكبير: (٣٨٥/١٩).

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص بن لؤي بن غالب القرشي، أبو محمد، أسلم قبل أبيه، قاتل أمير المؤمنين بصفين، تولى من تحت معاوية مصراً بعد أبيه، ثم عزل، توفي سنة٦٣هـ. ابن حبان،الثقات: (٢١٠/٣).

(٤) هنا تنبيه ليس المراد باليمين اليد الجارحة لأنها مستحيلة في حق الله تعالى، وإنما معناها اليمن والبركة.

(٥) مسلم، الصحيح: (١٤٥٨/٣)، والنسائي، السنن الكبرى: (٣٩٥/٥)

(٦) البخاري، الصحيح: (٢٥/١)، ومسلم، الصحيح: (٥٥٩/١).

التوصيات:

١- دراسة التراث الإسلامي مهمة جليلة لا تخفى على ذي نظر، ولذا لا بد من وجود آلية بحثية متكاملة تساعد على ذلك.

٢- أوصي المراكز البحثية بدراسة التراث اليمني خاصة والاسلامي عامة؛ لأن الكثير منه لا زال حبيس الرفوف في دور المخطوطات والمكتبات.

٣- أوصي الجامعات اليمنية بإيلاء المخطوطات اليمنية النفيسة المزيد من الاهتمام والخدمة وإخراجها إلى النور، والدفع بطلاب الدراسات العليا لدراستها وتحقيقها.

في الختام أسأل الله التوفيق والغفران وأن يتقبل منا إنه هو السميع العليم.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

٢. ابن الأثير، علي بن محمد، تحقيق: علي معوض وعادل الموجود، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ

٣. ابن المؤيد بالله، ابراهيم بن القاسم، تحقيق: عبد السلام الوجيه، طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث)، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، الأردن، ط:١، ٢٠٠١م.

٤. ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، تحقيق: عبد الرقيب حجر، مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم الزيدية، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية صعدة، ط: ١، ٢٠٠٤م.

٥. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن التميمي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٢٧١هـ.

٦. ابن حبان، محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الصحيح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤١٤هـ.

٧. ابن حجر، أحمد ، تحقيق: محب الدين الخطيب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.

٨. ابن حجر، أحمد بن علي، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، دار الكتب العلمة، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.

٩. ابن حجر، أحمد بن علي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

١٠. ابن حنبل، أحمد بن محمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، المسند، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ.

١١. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، تحقيق: علي البجاوي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

١٢. ابن عدي، عبد الله، تحقيق: عادل الموجود وعلي معوض، الكامل في ضعفاء الرجال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١ ، ١٤١٨هـ.

١٣. ابن عساكر، علي بن الحسن، تحقيق: عمرو العمروي، تأريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٤. ابن ماجه، محمد بن يزيد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، سنن ابن ماجه، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ.

١٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ .

١٦. الامام الهادي، يحيى بن الحسين، تحقيق: المرتضى المحطوري، الأحكام في الحلال والحرام، ط:١، ١٤٣٤هـ.

١٧. الامام زيد بن علي، تحقيق: عبد الله العزي، المجموع الحديثي والفقهي، مؤسسة الامام زيد الثقافية صنعاء، ط:٢، ٢٠٠٩م.

١٨. الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، تحقيق: أيمن شعبان، الترغيب والترهيب، دار الحديث، القاهرة، ط: ١، ١٤١٤هـ.

١٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢هـ

٢٠. البغدادي،عبد المؤمن، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط:١، ١٤١٢ هـ.

٢١. البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، السنن الصغير، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، ط: ١، ١٤١٠هـ

٢٢. البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عطا، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٤هـ .

٢٣. الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، سنن الترمذي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط:٢، ١٣٩٥هـ

٢٤. الجرموزي، المطهر بن محمد، تحقيق: عبدالحكيم الهجري، تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، مؤسسة الامام زيد، صنعاء، ط:١، ٢٠٠٢م؟

٢٥. الحاكم، محمد بن عبدالله، تحقيق: مصطفى عطا، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ.

٢٦. الحجري، محمد بن أحمد، تحقيق: إسماعيل الأكوع، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط:٢، ١٤١٦هـ.

٢٧. الحسين بن بدر الدين، تحقيق وطباعة جمعية علماء اليمن، شفاء الأوام في أحاديث الأحكام للتمييز بين الحلال والحرام، ط: ١، ١٩٩٦م.

٢٨. الخطيب، أحمد بن علي، تحقيق: بشار معروف، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
٢٩. الدارقطني، علي بن عمر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، السنن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢٤هـ
٣٠. الدينوري، عبد الله بن مسلم، تحقيق: ثروت عكاشة، المعارف، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٢م.
٣١. الذهبي، محمد بن أحمد، تحقيق: بشار معروف، تأريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ٢٠٠٣ م.
٣٢. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، طبقات الشافعية الكبرى، دار هجر للطباعة، ط: ٢، ١٤١٣هـ.
٣٣. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٣٤. الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، دار المعرفة بيروت.
٣٥. الصفدي، صلاح الدين خليل، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.
٣٦. الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق: حمدي السلفي، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢.
٣٧. الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق: محمد شكور، الروض الداني (المعجم الصغير)، المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت، عمان، ط: ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٣٨. الطبراني، سليمان، تحقيق: طارق بن محمد وعبدالمحسن الحسيني، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة.
٣٩. العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠. الفيروزآبادي، مجد الدين، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٤١. القلقشندي، أحمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٠هـ.
٤٢. المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٤٣. المرشد بالله، يحيى بن الحسين، تحقيق: محمد إسماعيل، الأمالي الخميسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٤٤. المزي، أحمد بن عبدالله، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، دار البشائر، حلب، ط:٥، ١٤١٦هـ.

٤٥. المؤيد بالله، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عزان وحميد عبيد، شرح التجريدفي فقه الزيدية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط: ١، ١٤٢٧هـ.

٤٦. النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، المجتبى من السنن، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: ٢، ١٤٠٦هـ،١٩٨٦م.

٤٧. النسائي، أحمد، تحقيق: حسن شلبي، السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ

٤٨. النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٢هـ.

٤٩. الهيتمي، أحمد بن محمد، تحقيق: عبدالرحمن التركي وكامل الخراط، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط: ١، ١٤١٧هـ.

٥٠. الهيثمي، علي بن أبي بكر، تحقيق: حسام الدين القدسي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٥١. الوجيه، عبد السلام، أعلام المؤلفين الزيدية، ج١، مؤسسة الإمام زيد الثقافية صنعاء، ط:٢، ٢٠١٨م.

٥٢. أبو داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ.

٥٣. أبو نعيم، أحمد بن محمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.

٥٤. بكر بن عبد الله، طبقات النسابين، دار الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٥٥. كحالة، عمر بن رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة المثنى، بيروت.

٥٦. كحالة، عمر بن رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٧، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥٧. مالك بن أنس، تحقيق: بشار معروف ومحمود خليل، موطأ الامام مالك، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

المسائل التي انفردت بها الزيدية الهادوية في باب الطهارة

أ/عبد الجليل عبدالله أحمد هزبر[١]

الملخص:

قامت فكرة البحث على اختيار بعض المسائل في باب الطهارة من: النجاسة، والوضوء، والتيمم، التي خالف فيها الزيدية الهادوية المذاهب الأخرى، فجعل الباحث هذه المسائل في مباحث، ومطالب بعد أن جمعها من كتب الزيدية الهادوية، ثم بين الباحث اعتماد الزيدية الهادوية، وأدلتهم لما ذهبوا إليه من الكتاب والسنة، أو أقوال وأفعال آل البيت، والصحابة رضي الله عنهم، وبين وجهة نظرهم فيما ذهبوا إليه.

Abstract:

the research was based on choosing some Research SummaryThe idea of issues from the purity chapter such as impurity, ablution, and tayammum, Hadawiya violated other doctrines. The reseacher make in which the Zaidi aphs after he collected from Quran and these issues in chapters and paragr -Bayt and the Companions of -Sunnah, or the sayings and actions of Al al may God be pleased with them, and explain -the prophet peace be upon him and what they went with. their perspective

(١) طالب دكتوراة ، قسم الدراسات الاسلامية ، كلية الاداب والعلوم الانسانية –جامعة صنعاء–

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وصحبه أجمعين.

لا يخفى على أحد أن القرآن الكريم، وما جاء به النبي ﷺ من السنة الصحيحة، نأخذ منهما الأحكام التي تخص العبادات والمعاملات والأخلاق الكريمة وغير ذلك، ولكن لما كانت أنظار، وأفهام، واستنباطات العلماء تختلف في استنباط الأحكام، فظهر الخلاف في بعض المسائل الفقهية، ومنها مسائل الطهارة، فيعرض الباحث في هذا البحث بعضاً منها خاصة في المذهب الزيدي الهادوي، مبيناً وجهة نظر استدلال أصحابها على ما ذهبوا إليه من اجتهادهم؛ وسماه: بـ (المسائل التي انفردت بها الزيدية الهادوية في باب الطهارة).

مشكلة البحث: يرى الباحث أننا نلمس اختلافاً أحياناً في أوساطنا في بعض المسائل الفقهية، وخاصة ممن ينتسبون إلى مذهب الزيدية الهادوية، وخاصة في مسائل الطهارة، فيعرض الباحث هنا بعض المسائل، ويعرض وجهة نظر أصحابها.

أسباب البحث: توضيح وتفصيل بعض أحكام الشريعة الإسلامية من خلال التنوع المذهبي.

إبراز بعض انفرادات المذهب الزيدي الهادوي على المذاهب الأخرى، وبيان وجهة نظرهم فيما ذهبوا إليه.

إن نشر مثل هذه الأبحاث مما يحتاجه الناس؛ ليعرفوا أن مجال الشريعة الإسلامية واسع، ولكل من الفقهاء دليل ومستند من الكتاب والسنة، فلا يضلل الناس بعضهم بعضاً، بل يتحتم على الجميع القبول بالآخر.

أهداف البحث: عرض بعض مسائل خالف فيها الزيدية الهادوية المذاهب الأخرى، وباعتبار المذهب الهادوي له آراؤه واجتهاداته، فقد بين الباحث آراءهم، ووجهت نظرهم في بعض هذه المسائل، وبين اعتمادهم على ما ذهبوا إليه من الأدلة من كتاب الله أو من السنة النبوية، أو من أقوال الصحابة.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من مقدمة، وتشمل مشكلة البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وثلاثة مباحث: المبحث الأول: باب النجاسات، المبحث الثاني: باب الوضوء، المبحث الثالث: باب التيمم.

المبحث الأول: باب النجاسات.

تعريف النجاسة: لغة: النجس: القذر من الناس ومن كل شيء قذرته، ونجس الشيء، بالكسر، ينجس نجساً، فهو نجس، ورجل نجس، والجمع أنجاس(١).

اصطلاحاً: عين يمنع وجودها صحة الصلاة(٢).

وقال الأحناف:(٣) أن النجاسة هي: كل ما يخرج من بدن الإنسان مما يتعلق بخروجه وجوب الوضوء أو الغسل(٤).

المطلب الأول: حكم رطوبة الكافر.

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب إلى القول بنجاسة الكافر، وأن نجاسته حسية لا معنوية.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: (والخامس) أي: من النجاسات (الكافر) فإنه نجس عندنا(٥).

أشهر أدلتهم:

قول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ }(٦).

وجه دلالة الآية: دلالتها ظاهرة بالقول بنجاسة المشركين الحسية.

حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه(٧) قال: قلت: يا نبي الله إنا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ، ج.٦، دار صادر – بيروت، – ١٤١٤ هـ، الطبعة: الثالثة، ص ٢٢٦.

(٢) المرتضى، أحمد بن يحيى، شرح الأزهار، ج.١، المكتبة الشاملة الزيدية، صنعاء، ص ٣٤.

(٣) مذهب فقهي ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفي مولى بني تيم، ولد سنة (٨٠هـ)، وأخذ العلم عن عطاء والعوفي والباقر وحماد وغيرهم، فبرع في الرأي، وساد أهل زمانه في التفقه، وكان عالماً فقيهاً عابداً زاهداً سخياً، وتتلمذ عليه محمد بن الحسن وأبو يوسف وزفر وغيرهم ونشروا علمه ومذهبه، توفي سنة (١٥٠هـ) انظر، الذهبي، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت:٧٤٨هـ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، د. بشار عواد معروف، ج ٩، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، عام النشر ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م، ١٩٢.

(٤) السمرقندي، محمد بن أحمد، تحفة الفقهاء، ج.١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م، الطبعة: الثانية، ص ٤٩، الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج.١، دار الكتب العلمية،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ط: ٢، ص ٦٠.

(٥) المرتضى، شرح الأزهار، ٣٧/١، العنسي، أحمد بن قاسم، التاج المذهب لأحكام المذهب، ج.١، الشاملة الزيدية، صنعاء، ص ٢٣.

(٦) سورة التوبة – الآية: ٨.

(٧) أبو ثعلبة الخشني اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا، فقيل: اسمه جرهم، وقيل: جرثوم بن ناشب، وقيل: ابن ناشم، وقيل: ابن ناشر، وقيل: عمرو بن جرثوم، وقيل: غير ذلك، ولم يختلفوا في صحبته، ولا في نسبته إلى خشين، واسمه: وائل بن النمر بن وبرة بن ثعلب بن حلوان، غلبت عليه كنيته، وكان ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان، ثم نزل الشام، ومات بأيام معاوية، وقيل: توفي سنة ٧٥هـ، أيام عبد الملك بن مروان. انظر، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج.٦، ت: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م، ط: ١، ص ٤٣.

آنيتهم؟ وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم، وبكلبي المعلم فما يصلح لي؟ قال: «أما ما ذكرت من أهل الكتاب، فإن وجدتم غيرها، فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا، فاغسلوها وكلوا فيها»(١).

وجه دلالة الحديث: الأمر بغسل آنيتهم يدل على نجاسة أعيانهم كنجاسة الكلب إذا ولغ في الإناء، فإننا نؤمر بغسل الإناء.

المطلب الثاني: حكم الاستجمار بالأحجار عند وجود الماء.

تعريف الاستجمار لغة: الاستنجاء بالأحجار، واستجمر واستنجى واحد إذا تمسح بالجمار، وهي الأحجار الصغار، ومنه سميت جمار الحج للحصى التي ترمى بها(٢).

تعريف الاستجمار اصطلاحاً: مسح أثر البول والغائط بالجمار، وهي: الحجارة الصغيرة، حتى تحصل التنقية والتطهير(٣).

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب على عدم جواز الاستجمار مع وجود الماء.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "فيبدأ من أراد الصلاة بإزالة النجاسة من فرجيه بالأحجار أولاً، ثم بالماء ثانياً، وتقديم الأحجار مع وجود الماء ندباً، ثم بعد الأحجار يغسل فرجيه حتى يظن ظناً مقارباً للعلم أن النجاسة قد زالت"(٤).

أشهر أدلتهم:

قول الله تعالى: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِين }(٥).

وفي دلالة الآية امتداح الله لأهل قباء(١) حيث إنهم كانوا يتبعون الحجارة بالماء؛ لما ورد عن ابن عباس

(١) أورده: المؤيد بالله الحسيني، يحيى بن حمزة، الانتصار على علماء الأمصار، ج.١، تحقيق عبد الوهاب بن علي المؤيد، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، عام النشر،١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، الطبعة الثانية، ص ٣٧٥، وأصله عند: البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري،ج.٧، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ، الطبعة: الأولى، باب صيد القوس، ص ٥٤٧٨/٨٦، والترمذي، السنن، باب ما جاء في الانتفاع بآنية المشركين، ١٥٦٠/١٨١/٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١٤٧/٤.

(٣) انظر الهاروني، يحيى بن الحسين (٣٤٠هـ – ٤٢٤هـ) التحرير، ج.١، دراسة وتحقيق: محمد يحيى سالم عزان،١٤١٨هـ. ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تم الصف والتحقيق والإخراج بمركز النور للدراسات والبحوث، صعدة، ص ٨٢٩، المؤيد بالله يحيى بن حمزة، الانتصار على علماء الأمصار، ٦٥١/١.

(٤) المرتضى، شرح الأزهار، ٨٠/١، العنسي، التاج المذهب، ٥٦/١.

(٥) سورة التوبة – الآية ١٠٨.

رضي الله عنهما[٢]، قال: لما نزلت هذه الآية فسأل رسول الله ﷺ أهل قباء ذلك، فقالوا إنا نتبع الحجارة الماء.[٣] قول الإمام علي رضي الله عنه[٤]: "إن من كان قبلكم يبعرون بعراً، وأنتم تثلطون ثلطاً فأتبعوا الأحجار الماء"[٥]، وجه دلالة الحديث: الأمر يقتضي الوجوب، وعند الزيدية الهادوية في أصولهم أن قول الإمام علي رضي الله عنه حجة.

حديث عائشة رضي الله عنها[٦] قالت: "مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فإني أستحييهم، وإن رسول الله ﷺ كان يفعله"[٧].

وجه دلالة الحديث: فعل النبي ﷺ دليل على مشروعية الاستنجاء بعد الاستجمار بالأحجار.

(١) قُبا: بالضم: وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان، ج ٤، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، ٣٠١.

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كني بابنه العباس، حبر الأمة، ولد أيام حصار شعب أبي طالب، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ. انظر، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٩١/٣.

(٣) انظر، الأمير الحسين، الإمام الحسين بن بدر الدين، شفاء الأوام في أحاديث الأحكام للتمييز بين الحلال والحرام، ج.١، الشاملة الزيدية، صنعاء، ص ١٤، القرطبي، محمد بن أحمد، ج.٨، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ص ٢٥٩.

(٤) هو: أبو الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد قبل البعثة بعشر سنين، وأول من أسلم، وأول فدائي في الإسلام، هاجر إلى المدينة، وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة، شهد المشاهد كلها عدا تبوك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره على المدينة، وشهد له بالجنة، وامتدحه بأحاديث عدة، كان عالماً زاهداً ورعاً، ورابع الخلفاء الراشدين، توفي سنة (٤٠هـ). انظر، ابن الأثير، أسد الغابة، (٨٧/٤).

(٥) أخرجه المؤيد بالله، أحمد بن الحسين، شرح التجريد في فقه الزيدية، ج.١، تحقيق: محمد يحيى عزان، وحميد جابر عبيد، مركز البحوث والتراث اليمني، صنعاء، باب القول في الاستنجاء، ٦٧/١، والمتوكل على الله، أصول الأحكام، باب الاستنجاء، ص ٦٨، وأصله عند: البيهقي، أحمد بن الحُسَين، السنن الكبير، ج.١، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (د. عبد السند حسن يمامة)، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م، الطبعة: الأولى، ص ٥١٧/١٧٢، ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والآثار، ج.١، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض،١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى، ص ١٦٣٤/١٤٢.

(٦) عائشة بنت أبي بكر الصديق الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنتين، وهي بكر، قاله أبو عبيدة، وقيل: بثلاث سنين، وتوفت بالمدينة سنة ٥٧هـ، ودفنت بالبقيع. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ١٨٦/٧.

(٧) أخرجه الترمذي، السنن، باب الاستنجاء بالماء، ١٩/٧٣/١، وقال حسن صحيح، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ) السنن الكبرى، ج.١، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، باب الاستنجاء بالماء، ٤٦/٤٢/١، البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي (ت: ٣٥٤هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ج.٤، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤ – ١٩٩٣م، الطبعة: الثانية، ص ١٤٤٣/٢٩٠.

المبحث الثاني: باب الوضوء.

المطلب الأول: حكم اشتراط نية الوضوء للصلاة.

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب عندها إلى القول باشتراط النية للوضوء الذي وراءه صلاة، ومن توضأ ناوياً بوضوئه رفع الحدث، فلا يجوز له الصلاة بهذا الوضوء.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "(والفرض الثالث) (مقارنة أوله) أي: أول الوضوء (بنيته) أي بنية الوضوء للصلاة، فلا يكفي نية رفع الحدث، بل لا بد لمن أراد الصلاة أن ينوي وضوءه للصلاة، إما عموماً أو خصوصاً، فلا يتعداه، إذا جعل وضوئه لرفع الحدث لم يتعداه، فلا يصلي شيئاً"(١).

أشهر أدلتهم:

قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ }(٢).

وجه دلالة الآية: أن الأمر في الآية بوجوب الغسل الذي له تعلق بالصلاة.

جاء في الانتصار: "من نوى بوضوئه رفع الحدث فقد نوى أمراً غير مختص بالصلاة، فيجب أن لا يكون صحيحاً، ولا ينعقد كما إذا نوى بوضوئه التبرد؛ لأنهما قد اجتمعا في كونهما غير مختصين بالصلاة"(٣).

المطلب الثاني: الاستنجاء من أعضاء الوضوء (غسل الفرجين).

تعريف الاستنجاء: لغة هو: الاغتسال بالماء من النجاسة، من النجو، والتمسح بالحجارة منه، وقيل: هو قطع الأذى بأيهما كان(٤).

تعريف الاستنجاء: اصطلاحاً: هو إزالة أثر الغائط والبول بالماء(٥).

تعريف الفرج: ما بين الرجلين، وسمي فرج الرجل والمرأة فرجاً؛ لأنه بين الرجلين، ويقصد عند الفقهاء القبل والدبر كلاهما فرج يعني في الحكم(٦).

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب أن غسل الفرجين فرضٌ من فرائض الوضوء.

(١) المرتضى، شرح الأزهار، ٨٢/١، أحمد العنسي، التاج المذهب ٥٦/١.

(٢) المائدة – الآية ٦.

(٣) المؤيد بالله يحيى بن حمزة، الانتصار على علماء الأمصار، ٧٢٨/١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٣٠٦/١٥.

(٥) المؤيد بالله يحيى بن حمزة، الانتصار على علماء الأمصار، ٦٧٠/١.

(٦) انظر، ابن منظور، لسان العرب، ٣٤٢/٢، الزبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس، ج.٦، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ص ١٤٢.

الشاهد:

جاء في شرح الأزهار: "وفروضه أي الوضوء (عشرة)، أولها: غسل الفرجين بعد إزالة النجاسة، فعند أهل المذهب يجب غسلهما جميعاً الذكر جميعه، والدبر: ما انضم بالقيام وانفتح بالقعود، وكذا للمرأة؛ لأنهما عند أهل المذهب من أعضاء الوضوء، ولهذا أوجبوا غسلهما على أصل الإمام الهادي[١]".

أشهر أدلتهم:

قول الله تعالى: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا }.[٢]

وجه دلالة الآية: في قوله: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً } أي: للاستنجاء فتيمموا.

قول الله تعالى: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}.[٣]

وجه دلالة الآية: ما جاء في البحر الزخار: "إذ الطهور اسم لغسل هذه الأعضاء فكانا كالوجه، ثم هما عضوان يغسلان للصلاة كما يغسل الوجه"[٤].

المطلب الثالث: وجوب المضمضة والاستنشاق.

تعريف المضمضة، والاستنشاق: المضمضة وهي: جعل الماء في الفم، والاستنشاق وهو: استصعاد الماء في المنخرين فإنهما من تمام غسل الوجه[٥].

ذهبت الزيدية الهادوية إلى القول بفرضية المضمضة والاستنشاق، وأنهما مستقلان عن الوجه، وأنهما واجبان.

---

(١) الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرَّسي، ولد في جبال الرس في المدينة المنورة سنة (٢٤٥هـ) في أسرة كريمة عرف عنها التقوى، كان عالماً مجتهداً شاعراً، اليه تنسب الزيدية الهادوية في اليمن، وهو مؤسسها، وله مؤلفات عدة، كالأحكام والمنتخب، وهي المعتمدة في المذهب، توفي سنة (٢٩٨هـ). انظر الرَّسي، عبد الله بن الحسين، الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، المحقق: عبدالله بن عبدالله الحوثي، من إصدارات: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، المملكة الأردنية الهاشمية، ص ١٥٢، الجشمي، المحسن بن محمد، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تحقيق: إبراهيم بن محمد الدين بن محمد المؤيدي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ١٦٩/١، المرتضى، شرح الأزهار، ٨٠/١، العنسي، التاج المذهب، ٥٦/١.

(٢) المائدة – الآية ٦.

(٣) التوبة – الآية ١٠٨.

(٤) المرتضى، أحمد بن يحيى المرتضى، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، ج.٣، مكتبة اليمن، صنعاء، ص ١١٤.

(٥) العنسي، التاج المذهب في أحكام المذهب، ٥٨/١.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "الفرض الرابع: (المضمضة) وهي: جعل الماء في الفم، (والاستنشاق) وهو: استصعاد الماء في المنخرين، فانهما من تمام غسل الوجه"(١).

أشهر أدلتهم:

قوله ﷺ: "المضمضة والاستنشاق من الوضوء ولا يقبل اللّه الصلاة إلا بهما""(٢).

جاء في الانتصار: "ولا شك أن أول عضو من أعضائها –أي: الطهارة– هو المضمضة والاستنشاق؛ لأنهما واجبان"(٣).

وجه دلالة الحديث: أن الأمر للوجوب، والعمل بالحديث حيث أمر بغسلهما، ولا يقبل الوضوء إلا بهما.

المطلب الرابع: حكم التيمن في الوضوء.

تعريف التيمن هو: الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن في جميع أعضاء الوضوء(٤).

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب بالقول بوجوب التيمن في اليدين والرجلين عند الوضوء.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "(والترتيب) أي: بين أعضاء الوضوء واجب، فتقدم اليمنى منهما على اليسرى"(٥).

أشهر أدلتهم :

قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}(٦).

وجه دلالة الآية: مجمل بينه النبي ﷺ لفعله وفعل بيان الواجب واجب.

جاء في الانتصار: أن الترتيب في أعضاء الوضوء واجب، فيغسل وجهه ثم يديه، ثم يمسح رأسه، ثم يغسل

(١) المرتضى، شرح الأزهار، ٨٥/١.

(٢) أخرجه الأمير الحسين، شفاء الأوام، ١٦/١.

(٣) المؤيد بالله يحيى بن حمزة، الانتصار على علماء الأمصار، ٧١٦/١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٤٥٨/١٣، الزبيدي، تاج العروس، ٣١١/٣٦.

(٥) المرتضى، شرح الأزهار، ٩٠/١، العنسي، التاج المذهب، ٦٠/١.

(٦) المائدة – الآية ٦.

رجليه، وهذا هو رأي أئمة العترة[١].

حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٢]، قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا توضأتم فأبدأوا بميامنكم"[٣].

وجه دلالة الحديث: الأمر بالوجوب:

وضوء الصحابة رضي الله عنهم، وفعلهم حيث إنهم كانوا يقدمون ميامنهم في الوضوء، كحديث وضوء عثمان[٤] رضي الله عنه[٥].

المطلب الخامس: حكم المسح على الخفين.

تعريف المسح على الخفين هو: أن يغمس يديه في الماء ثم يضع كفه اليسرى تحت عقب الخف وكفه اليمين على أطراف أصابعه ثم يمر اليمنى إلى ساقه واليسرى إلى أطراف أصابعه(٦).

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب إلى عدم جواز المسح على الخفين في السفر والحضر.

الشاهد:

جاء في شرح الأزهار: "أما شروط الأصل، فهي خمسة: الأول: أن يكون حكمه موجوداً فيه غير منسوخ،

(١) المؤيد بالله يحيى بن حمزة، الانتصار على علماء الأمصار، ٨٦٧/١.

(٢) هو: عبد الرحمن بن صخر الدَّوسي، أسلم في السنة السابعة، ولازم النبي ﷺ ، وهو أكثر من روى عنه، توفي (٥٩هـ). انظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد علي محمد أحمد حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ج.٧، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: ١ – ١٤١٥ هـ، ص ٣٤٨.

(٣) أخرجه المؤيد بالله، شرح التجريد، باب القول في صفة التطهر، ٩٨/١، والأمير الحسين، شفاء الأوام، باب الوضوء، ٢٦/١، وأصله عند: ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن ابن ماجه، ج. ٢، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، الطبعة: الأولى، باب التيمن في الوضوء، ٤٠٢/١٤١/١، وهو صحيح، انظر، ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ج. ٢، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله سليمان وياسر كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ٢٠٠.

(٤) أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، القرشي الأموي، ولد في السنة السادسة بعد الفيل من السابقين الاولين للإسلام، تزوج بابنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية ثم أم كلثوم، هاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها عدا بدر فقد انشغل بمرض زوجته رقية، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، ثالث الخلفاء الراشدين وأكثر المنفقين في سبيل الله، استشهد في (٣٥هـ)، انظر، ابن الأثير، أسد الغابة، ٥٧٨/٣.

(٥) أخرجه البخاري، الصحيح، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ١٥٩/٤٣/١، القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، ج.١، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، باب فضل الوضوء والصلاة، ص ٢٣٢/٢٠٨.

(٦) الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، ج.١، دار الكتب العلمية، ص ٤٨.

كأن يقول: يقاس المسح على العمامة بالمسح على الخف، فإن المسح على الخف منسوخ"[١].

أشهر أدلتهم:

قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ }[٢].

وجه دلالة الآية: ظاهرها على وجوب غسل الرجلين، ولو كان الأمر جائزاً بمسح الرجلين لذكره الله في الآية، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ويل للأعقاب من النار"[٣].

وجه دلالة الحديث: أمره ﷺ بغسل الأعقاب فلو كان المسح جائزاً لم يكن التهديد والوعيد من رسول الله لمن ترك غسل الأعقاب، ترى الزيدية الهادوية أن الأحاديث الواردة في المسح على الخفين نسخت في آية المائدة، جاء في حاشية شرح التجريد: "فإن استدلوا بالأخبار التي رويت في ذلك منها: ما روي: «أن رسول الله ﷺ مسح على الخفين"[٤]، ومنها ما روي عنه عليه السلام: أنه قال: «امسح ما بدا لك»[٥]، وما روي عنه عليه السلام: «أنه رخص فيه للمسافر ثلاثة أيام بلياليها، وللمقيم يوماً وليلة"[٦]، قيل لهم: هذه الأخبار عندنا منسوخة، نسخها قول الله تعالى: {وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ }[٧].

وقال ابن عباس: "ما مسح رسول الله ﷺ بعد المائدة"[٨].

(١) المرتضى، شرح الأزهار، ٢٨/١، والعنسي، التاج المذهب، ٢٨/١.

(٢) المائدة – الآية ٦.

(٣) أخرجه زيد، للإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، مسند الإمام زيد، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان، باب المسح على الخفين والجبائر، ٨١/١، والمؤيد بالله، شرح التجريد، باب القول في صفة التطهر، ٩٢/١، وأصله عند: البخاري، الصحيح، باب غسل الأعقاب، ١٦٥/٤٤/١.

(٤) أخرجه البخاري، الصحيح، باب المسح على الخفين، ٥١/١، ٢٠٢.

(٥) أخرجه السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، ج.١، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. بلفظ مقارب، باب التوقيت في المسح، ص ١١٣، ١٥٨/١١٤. وضعفه أبو داود.

(٦) أخرجه الترمذي وصححه، بلفظ مقارب، باب المسح على الخفين للمسافر والمقيم، ٩٥/١٥٨/١.

(٧) المؤيد بالله، شرح التجريد، ١٣٢/١.

(٨) أخرجه المؤيد بالله، شرح التجريد، باب القول في نوقض الوضوء، ١٣٤/١، والأمير الحسين، شفاء الأوام، باب الوضوء، ٢٨/١، وأصله عند: الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت: ٢٤١هـ)، المسند، ج.٥، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى، ص ٢٩٧٥/١٢٣.

المطلب السادس: حكم مس المصحف للمحدث حدثاً أصغر.

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب إلى جواز مس المصحف للمحدث حدثاً أصغر.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "وأنه يجوز للمحدث حدثاً أصغر مس المصحف وكتابته"(١).

أشهر أدلتهم :

قول الله تعالى: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}(٢)، وجه دلالة الآية: أن المقصود بالمطهرين هم الملائكة؛ لأنها محمولة على الخبر لعود الضمير في قوله: {يَمَسُّهُ } إلى الملائكة.

ولحديث النبي ﷺ: "لا يمس القرآن إلا طاهر"(٣).

وجه دلالة الحديث حمل الطهارة في الحديث على الحدث الأكبر:

"لأن النبي ﷺ كان يراسل الأمراء والملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكانت الكتب يتخللها بعض آيات من القرآن الكريم، فيمسها المشركون، فمن باب أولى مس المسلم المحدث حدثاً أصغر للمصحف"(٤).

المطلب السابع: حكم الوضوء من كبائر الذنوب.

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب بالقول بأن كل معصية كبيرة كالغيبة والنميمة وأذية المسلم من نواقض الوضوء.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "والسابع من النواقض (كل معصية كبيرة)، فإنها ناقضة للوضوء عندنا"(٥).

أشهر أدلتهم:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلين صليا صلاة الظهر وكانا صائمين فلما قضى النبي ﷺالصلاة قال: "أعيدوا وضوئكما وصلاتكما وامضيا في صومكما واقضياه يوم آخر" قال: لما يا رسول الله؟ قال: "اغتبتم فلاناً"(٦).

(١) المرتضى، شرح الأزهار، ١١١/١، العنسي، التاج المذهب، ٧٣/١.

(٢) الواقعة – الآية ٧٩.

(٣) أخرجه الأمير الحسين، شفاء الأوام، باب الغسل، ٥٢/١، وأصله عند: الأصبحي، مالك بن أنس بن مالك بن عامر المدني (ت: ١٧٩هـ)، الموطأ، ج.١، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، ص ١٩٩/١، و ابن حبان وصححه، الصحيح، ٥٠٤/١٤.

(٤) انظر المباركفوري، صفي الرحمن (ت: ١٤٢٧هـ) الرحيق المختوم، دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) ط: الأولى، ٣٥٨-٣٥٩.

(٥) المرتضى، شرح الأزهار، ٩٩/١، العنسي، التاج المذهب، ٦٥/١.

(٦) أخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ج.٩، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار =

وجه دلالة الحديث: أمره ﷺ للرجلين اللذين اغتابا الرجل بإعادة الوضوء والصلاة دليل أن الغيبة من نواقض الوضوء.

حديث أنس[١] رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان يتوضأ من الحدث وأذى المسلم»[٢].

وجه دلالة الحديث: فعل النبي ﷺ يدل على أن أذية المسلم ناقضة للوضوء كالحدث.

حديث زيد بن ثابت[٣] رضي الله عنه: أن ﷺ قال: «الغيبة والكذب ينقضان الوضوء"[٤].

وجه دلالة الحديث: ظاهر التصريح بالقول إن الغيبة والكذب من نواقض الوضوء.

المبحث الثالث: باب التيمم

المطلب الأول: حكم قليل الماء الذي لا يكفي للوضوء.

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد عندها للمذهب إلى أن قليل الماء الذي لا يكفي للوضوء ويكفي المضمضة وأعضاء التيمم فإنه يجب على المكلف الوضوء به وله حكم المتوضئ.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "ثم ينظر في الماء (فإن كفى المضمضة) والاستنشاق (وأعضاء التيمم) وهي: الوجه، واليدان، وذلك بعد غسل الفرجين إن كان هدوياً (فمتوض)"[٥].

أشهر أدلتهم: ما جاء في البحر الزخار: "فإن كفى المضمضة وأعضاء التيمم، فتوضأ لكمال ما أجمع

أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، الطبعة: الأولى، ص ٦٣٠٣/٩١، والخرائطي في مساوئ الاخلاق، ٢٠٢/١٠٣/١.

(١) أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، قدم النبي المدينة وهو ابن عشر سنين، شهد بدراً والمشاهد كلها وهو في خدمة النبي ﷺ، وروى أحاديث كثيرة، وتوفي سنة (٩٣هـ)، انظر، الاستيعاب، ابن عبد البر، (١٠٩/١).

(٢) أخرجه المؤيد بالله، شرح التجريد، باب القول في نواقض الوضوء، ١١٦/١، والمتوكل على الله، في أصول الأحكام، باب ما يوجب الوضوء، ٨٨/١، وأصله عند: ابن أبي شيبة، المصنف، باب في الوضوء من الكلام الخبيث والغيبة، ١٤٢٨/١٢٥/١، والبيهقي، شعب الإيمان، ٦٣٠٠/٩٠/٩، لم أقف على من حكم عليه.

(٣) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن النجار الأنصاري الخزرجي، قدم النبي ﷺ المدينة وعمره إحدى عشرة سنة، استصغره النبي ﷺ يوم بدر، فرده وشهد أحداً وما بعدها، وتعلم السريانية بأمر رسول الله ﷺ، وكان من كتاب الوحي، وكان أعلم الصحابة بالفرائض، وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر، وعثمان، توفي سنة (٤٥هـ)، انظر، ابن الأثير، أسد الغابة، (٣٤٦/٢).

(٤) أخرجه الأمير الحسين، شفاء الأوام، باب نواقض الوضوء، ٣٩/١، المرتضى، البحر الزخار، ١٦٤/٣.

(٥) المرتضى، شرح الأزهار، ١٣٨/١، العنسي، التاج المذهب، ٨٩/١.

عليه) أي: من المأمور بغسله في الوضوء؛ لأن الرأس ممسوح، وغسل الرجلين محل خلاف"[١].

المطلب الثاني: هل الاغتسال للجمعة أو اليوم.

تعريف الغسل هو: إفاضة الماء على جميع البدن من قمة الرأس إلى قرار القدم باطناً وظاهراً مع الدلك مقروناً بالنية[٢]" ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب إلى القول بأن الغسل في يوم الجمعة لليوم وليس للجمعة والصلاة.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "(ويسن فعله) أي: غسل الجمعة، ووقته (بين فجرها وعصرها) وإن لم تقم، أي: صلاة الجمعة؛ لأنه عندنا لليوم"[٣].

أشهر أدلتهم: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام»[٤]، حديث أبي سعيد الخدري[٥] رضي الله عنه قال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»[٦]، وجه دلالة الحديث: الأول والثاني إضافة الغسل إلى اليوم لا للجمعة والصلاة.

المطلب الثالث: حكم البول قبل الاغتسال للرجل الممني.

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب بالقول في اشتراط البول قبل الغسل للرجل الممني دون المرأة، فإن اغتسل الرجل، ولم يبول، وجب عليه الاغتسال مرة أخرى شرط أن يبول.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "وعلى الرجل الممني أن يبول قبل الغسل ومتى بال أعاده"[٧].

---

(١) المرتضى، البحر الزخار، ٢٠٥/٣.

(٢) المؤيد بالله يحيى بن حمزة، الانتصار على علماء الأمصار، ٢/٢.

(٣) المرتضى، شرح الأزهار ١١٨/١، العنسي، التاج المذهب، ٧٨/١.

(٤) أخرجه السَّياغي، الحسين بن محمد الحيمي، المنهج المنير تمام الروض النضير، المكتبة الشاملة الزيدية، صنعاء، باب الوصايا، ٥٤٧/٢، وأصله عند: البخاري، الصحيح، باب هل على من لم يشهد الجمعة من غسل، ٨٩٦/٥/٢، ومسلم، الصحيح، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، ٨٤٩/٥٨٢/٢.

(٥) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجيّ، أبو سعيد الخدريّ، مشهور بكنيته، استصغر بأحد، واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها، وكان من حفاظ الصحابة، ومن المكثرين، توفي سنة ٧٤ ٧٣هـ، وقيل بعدها. انظر، ابن حجر، الإصابة، ٦٥/٣.

(٦) أخرجه المؤيد بالله، شرح التجريد، باب القول في الغسل، ١٤٧/١، والمتوكل على الله، أصول الأحكام، باب في فضل الاغتسال يوم الجمعة، ٩٩/١، وأصله عند: البخاري، الصحيح، باب فضل الغسل يوم الجمعة، ٨٧٩/٣/٢.

(٧) المرتضى، شرح الأزهار، ١١١/١-١١٣، العنسي، التاج المذهب، ٧٤/١.

أشهر أدلتهم: حديث النبي ﷺ قال: «إذا جامع الرجل فلا يغتسل حتى يبول وإلا تردد بقية المني فيكون منه داء لا دواء له»[١].

وجه دلالة الحديث: الأمر بالتبول قبل الاغتسال.

الاجتهاد الفقهي عند الزيدية الهادوية: "أن البول يحمل معه شيء من المني وإن لم يُرا، وخروج المني يوجب الغسل، وذلك لاتحاد مخرج البول والمني عند الرجل، وهو مبني على بقاء شيء من البول في داخل الذكر بعد الإنزال"[٢].

القياس: قاسوا بقاء شيء من البول في داخل الذكر بعد الانزال كبقاء الحيض في الرحم عند المرأة، فلا يصح معه غسل[٣].

المطلب الرابع: حكم تأخير الصلاة إلى آخر وقتها لغياب الماء.

ذهبت الزيدية الهادوية في المعتمد للمذهب إلى القول بوجوب تأخير التيمم إلى آخر وقت الصلاة مطلقاً، ولا يجوز التيمم في أول الوقت عندهم.

الشاهد: جاء في شرح الأزهار: "(وإنما يتيمم للخمس) الصلوات (آخر وقتها، فيتحرى) المتيمم (للظهر بقية) من النهار (تسع العصر وتيممها) ويتيمم للظهر قبل هذه البقية بوقت يسع التيمم، والظهر (وكذلك سائرها) أي: سائر الصلوات الخمس"[٤].

(١) أخرجه المؤيد بالله، شرح التجريد، باب القول في الغسل، ١٤٠/١، والمتوكل على الله، أصول الأحكام، باب كيفية الغسل، ٩٦/١، والأمير الحسين، شفاء الأوام، باب ما يجب على الجنب أن يفعله قبل الاغتسال، ٥٧/١.

(٢) انظر، المرتضى، شرح الأزهار، ١١٢/١.

(٣) انظر، المرتضى، البحر الزخار، ١٨٥/٣.

(٤) المرتضى، شرح الأزهار، ١٣٤/١، العنسي، التاج المذهب، ٨٦/١.

أشهر أدلتهم:

١. قول الله تعالى: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ }.[١]

وجه دلالة الآية: وقد ثبت أن الإنسان لا يصير غير واجد للماء، بأن لا يكون الماء في ملكه، فلا يكون غير واجد إلا إذا يئس منه، ولا يكون آيساً منه إلا في آخر الوقت، فثبت أن التيمم لا يجوز إلا في آخر الوقت[٢].

٢. حديث الإمام علي رضي الله عنه قال: "إذا أجنب الرجل في السفر تلوم[٣] ما بينه وبين آخر الوقت، فإن لم يجد الماء تيمم وصلى"[٤].

وجه دلالة الحديث: الأمر يقتضي الوجوب، وعند الزيدية الهادوية في أصولهم أن قول الإمام علي رضي الله عنه حجة.

٣. القياس: فلزم وجوب تأخير التيمم إلى آخر وقت الصلاة، قياساً على المستحاضة، جاء في البحر الزخار: "إنما يتيمم للخمس آخر وقتها، فيتحرى للظهر بقية تسع العصر وتيممها، وكذلك سائرها، وللمقضية بقية تسع المؤداة، ولا يجزئ قبل الوقت إذ هو ضروري كالمستحاضة"[٥].

(١) المائدة – الآية ٦.

(٢) المؤيد بالله، شرح التجريد، ١٥٨/١.

(٣) التلوم: هو الانتظار والتلبث والمكث، انظر ابن منظور، لسان العرب، ٥٥٧/١٢، المؤيد بالله يحيى بن حمزة، الانتصار على علماء الأمصار، ٩٨/٢.

(٤) أخرجه المؤيد بالله، شرح التجريد، باب القول في التيمم، ١٥٩/١، وأصله عند: البيهقي، السنن الكبرى، باب من تلوم ما بينه وبين آخر الوقت رجاء وجود الماء، ١١٠١/٣٥٤/١، وهو موقوف على الإمام علي رضي الله عنه، انظر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ج. ١١، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة ، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) – ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة) ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م، الطبعة : الأولى، ص ١٤٠٩٤/٣١٨.

(٥) المرتضى، البحر الزخار، ٢٢٦/٣.

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على النبي الخاتم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وصل الباحث إلى ختام البحث، وبهذا يكون قد عرض بعض المسائل في أبواب الطهارة التي خالف فيها أئمة المذهب الزيدي الهادوي إخوانهم من أصحاب المذاهب الأخرى، وعرض الباحث أدلتهم، ومستندهم فيما ذهبوا إليه، فلهم أدلة من: الكتاب، والسنة، وأفعال وأقوال الصحابة، وكذلك القياس، وغير ذلك، وبين الباحث أن ما ذهبوا إليه هو اجتهاد منهم له مرجع اعتمدوا إليه، ولم يكن لمجرد تخمين، بغض النظر عما إذا كان الدليل صحيحاً أو ضعيفاً، أو أن هناك أدلة مخصصة للدليل العام، فهذا ما أداه اجتهادهم إليه، وصلى وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ت: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: ١، سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض– السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، السنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر — بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
- الأصبحي، مالك بن أنس بن مالك بن عامر المدني (ت: ١٧٩هـ)، الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ م.
- الأمير الحسين، الإمام الحسين بن بدر الدين، شفاء الأوام في أحاديث الأحكام للتمييز بين الحلال والحرام، الشاملة الزيدية، صنعاء.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، (ت: ٣٥٤هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ٤١٤.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ) شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، (ت: ٢٧٩هـ) السنن، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م.
- الجشمي، الشيخ الإمام الحاكم أبو سعيد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن- صعدة.
- الحسيني، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (ت:٧٤٩هـ) الانتصار على علماء الأمصار، تحقيق عبد الوهاب بن علي المؤيد، مؤسسة الإمام زيد، الطبعة الثانية، صنعاء، عام النشر،١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
- الذهبي، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت:٧٤٨هـ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، د. بسار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، عام النشر ١٤٢٤ هـ-
- الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ) مساوئ الأخلاق ومذمومها، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.
- الرَّسي، الإمام المجتهد عبد الله بن الحسين بن القاسم، الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، المحقق: عبدالله بن عبدالله الحوثي، من إصدارات: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، المملكة الأردنية الهاشمية.

- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت: ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- زيد، للإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، مسند الإمام زيد، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
- السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- السمرقندي، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين (ت: نحو ٥٤٠هـ) تحفة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- السياغي، الحسين بن محمد الحيمي، المنهج المنير تمام الروض النضير، المكتبة الشاملة الزيدية، صنعاء.
- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت: ٢٤١هـ)، المسند، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت: ٤٧٦هـ)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت : ٨٥٢هـ) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة ، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة) الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد علي محمد بن أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
- العنسي، القاضي أحمد بن قاسم، (ت: ١٣٩٠هـ) التاج المِذْهَب لأحكام المِذْهَب، الشاملة الزيدية.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي (ت: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، دار الكتب العلمية، ط: ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- المباركفوري، صفي الرحمن (ت: ١٤٢٧هـ) الرحيق المختوم، دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى.
- المتوكل، أحمد بن سليمان، أصول الأحكام الجامع لأدلة الحلال والحرام، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، الأردن، المكتبة الزيدية.
- المرتضى، أحمد بن يحيى المرتضى، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، مكتبة اليمن، صنعاء.
- المرتضى، أحمد بن يحيى المرتضى، شرح الأزهار، المكتبة الشاملة الزيدية، صنعاء.
- المؤيد بالله، الإمام النَّظار أحمد بن الحسين الهاروني الحسني رحمه اللّه، شرح التجريد في فقه الزيدية، تحقيق: محمد يحيى عزان، وحميد جابر عبيد، صنعاء، مركز البحوث والتراث اليمني.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ) السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ (ت: ٤٥٨ هـ) السنن الكبير، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (د. عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

- الهاروني، الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين (٣٤٠هـ - ٤٢٤هـ) التحرير، دراسة وتحقيق: محمد يحيى سالم عزان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م، تم الصف والتحقيق والإخراج بمركز النور للدراسات والبحوث، اليمن. صعدة.

خروج المرأة من بيتها بين المشروع والممنوع– دراسة فقهية مقارنة

أ. أسماء محمد علي المخلافي[١]

الملخص:

تعدُّ مسائل المرأة والخوض في أحكامها من أكثر ما يتم تداوله عند الفقهاء، وقد اقتصرت دراستي على الحكم في خروج المرأة من بيتها، وتم حصرها في مطلبين.

أما المطلب الأول من هذا البحث فقد تحدثتُ فيه عن الخروج المشروع للمرأة وضوابطه في الإسلام، وأما المطلب الثاني فجعلته خاصاً بالخروج المنهي عنه للمرأة، وأخيراً كانت الخاتمة التي ذكرت فيها الخلاصة لما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث، ثم أوردت بعد ذلك بعض التوصيات التي قد تفيد المرأة المسلمة في كل زمان ومكان، وألحقت ذلك بالمصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في هذا البحث.

Abstract:

The issues of woman and the discussion of her regulations is considered to be one of the most common issues discussed by scholars. This study was limited to study the regulation of woman's getting out from her home. It is introduced in two chapters.

The first chapter of this study is about the legitimate getting out and its regulations in Islam while the second is about the prohibited getting out.

Finally, the conclusion summarizes the findings of the study and gives some recommendations that might benefit for Muslim women in all times and places.

(١) طالبة دكتوراه في قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء–

المقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمداً يليق بعظمته وجلاله، ويوافي نعمه وكرمه، الحمد لله الذي هدانا لما يحب ويرضى، وأوصانا بالبر والتقوى، وأرسل إلينا خير البشرية –سيدنا وحبيبنا المصطفى– محمداً ﷺ، ومن اتبع هداه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فتعدُّ قضايا المرأة من القضايا المهمة والشائعة التي أُوليت اهتمامًا خاصًا –لا سيما لدى المستشرقين– الذين يهتفون بتحرير المرأة، رافعين راية الحب والاهتمام المقنَّع بها، متجاهلين حقيقة مكانتها في الإسلام، فهم يريدون أن يطمسوا تعاليم الإسلام من حياتها ليتمكنوا بذلك من إدخال معتقداتهم وغرسها في المجتمعات الإسلامية، لذلك يقومون بنشر الشبهات حول بعض الأحكام الشرعية لدى ضعيفي الإيمان حتى إذا استطاعوا التأثير على المرأة ضمنوا تدهور المجتمع، فهي مربية الأجيال.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي في ما تيسر لي لم أجد بحوثا بهذا العنوان أو بصيغة مقاربة له، وجل ما وقفت عليه كان بعض الفتاوى لجزئيات تندرج تحت العنوان.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة فيما تمارسه بعض المجتمعات من اضطهاد وحبس للنساء، ومنعهن من الخروج المطلق احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1].

وكذلك في دعوات خروجها بشكل لا يراعي الضوابط والحقوق والواجبات.

(١) الأحزاب: ٣٣.

أسئلة الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

هل أمر الشرع المرأة بالقرار المطلق في بيتها؟

هل كل خروج محرم على المرأة؟

متى يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها؟

أهمية الدراسة:

١- إن الشريعة الإسلامية مليئة بالتوجيهات والأحكام التي ينبغي أن يتأسس عليها المجتمع المسلم لاسيما الأحكام المتعلقة بالمرأة التي يجهلها الكثير من النساء، منها: الخروج المشروع والممنوع على المرأة، وهذا ما يمنح هذه الدراسة أهميتها كونها تكشف عن جوانب من هذه الجزئية.

٢- تصحيح بعض المعتقدات التي تنسبها بعض المجتمعات إلى الشريعة الإسلامية في حق المرأة، فيحرمونها من بعض حقوقها بحجة أن ذلك من توجيهات الإسلام وأحكامه، كمنعها من الخروج، وحرمانها من التعليم، وما شابه ذلك.

أهداف الدراسة:

- بيان مشروعية خروج المرأة لقضاء حوائجها إذا كان بالضوابط التي أقرتها الشريعة الإسلامية.

حدود الدراسة:

ذكر نماذج للخروج المباح والخروج المنهي عنه، ومقارنة الحكم في ذلك عند فقهاء المذاهب الأربعة (الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة) والظاهرية -إن وجد-

منهج الدراسة:

اعتمدت على المنهج الوصفي الاستقرائي المقترن بالتحليل والترجيح في حال تعدد الأقوال في المسألة الواحدة، وذلك بحسب ما ظهر لي من قوة الدليل الذي اعتمده كل قول.

خطـة الدراسة:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومطلبان، وخاتمة، ونتائج وتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة :

وتشتمل على: الدراسات السابقة، مشكلة الدراسة، أسئلة الدراسة، أهمية الدراسة، أهداف الدراسة، حدود الدراسة، منهج الدراسة، خطة الدراسة. التمهيد.

المطلب الأول: الخروج المشروع للمرأة وضوابطه.

المطلب الثاني: الخروج المنهي عنه للمرأة.

التمهيـد

لقد عاشت المرأة قبل الإسلام في جاهلية وظلم واضطهاد، فلم يكن لها مكانة في المجتمع، فقد كانت مسلوبة الحقوق، بل إن البعض كان يسلبها حقها في الحياة فيدفنها حية، فلم تكن المرأة تتمتع بحقها كإنسان مسخر له هذا الكون وما فيه، بل كانت عندهم أشبه بالسلعة والمتاع المسخر لهذا الرجل، واستمرت زمناً وهي تعاني من تلك العادات التي مُورست في الجاهلية ضدها، وجعلوها وكأنها دستور لا يقبل التعديل، ثم جاء الإسلام فحررها من ذلك الاستعباد وجعلها مساوية للرجل في كثير من الحقوق، فكما أن عليها واجبات فكذلك لها حقوق.

إن المرأة تمثل نصف المجتمع، فهي الأم التي تربي الأجيال وتتحمل هذه المسؤولية بجدارة منها دون أي تقصير أو كلل أو ملل؛ لذلك كان لا بد من الاهتمام بالقضايا والمسائل العائدة عليها خصوصاً أن هناك من يسعى للعودة بالمرأة إلى جاهليتها التي هضمت حقوقها دون رحمة أو شفقة، وليس هناك ديانة أخرى رفعت من شأن المرأة كالديانة الإسلامية، فالمرأة لم تُنصف ولم تُعطَ كامل حقوقها إلا بمجيء الإسلام الذي انتشلها من تلك العادات الجاهلية، وللأسف بعض المجتمعات تريد أن تعود بالمرأة إلى تلك الجاهلية بحرمانها من حقوقها، على سبيل المثال: حرمانها من الخروج، وحبسها بين أربعة حيطان، محتجين بقوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (١).

المطلب الأول:الخروج المشروع للمرأة وضوابطه.

إن المرأة تمثل الجزء الأهم في المجتمع؛ كونها مربية أجيال، وتهتم بتربية أطفالها؛ لأجل ذلك كان تركيز أعداء الإسلام عليها أكثر من تركيزهم على الرجل، ففساد المرأة سيُفسد أمماً، ومن هنا بدأوا بالنداء والهتاف بتحرير المرأة من قيود الإسلام بحسب زعمهم، فكان مما طالبوا به هو خلعها للحجاب وتحررها منه، ومزاحمة الرجال في جميع مجالات الحياة بلا ضوابط أو قيود، ولأن بعض المجتمعات المسلمة أظهرت بعض تقاليدها المتزمتة والمتشددة وكأنها من الدين كان وصول هدف المستشرقين لها سهلاً، فالمجتمع الذي يحبس

(١) الأحزاب: ٣٣.

المرأة بين أربعة حيطان يجعلها سهلة الاستجابة لكل من هتف لها بالتحرير.

أقول: إن الإسلام في حقيقته لم يمنع المرأة من الخروج، بدليل أن النساء في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين شاركن في مجالات عدة، فقد كن يخرجن لاستفتاء الرسول ﷺ، ولمداوة المرضى في الجهاد، ونحو ذلك؛ لكن الإسلام جعل لذلك الخروج ضوابط، فليس كل خروج منكراً، وليس كل خروج مباحاً ومرغوباً فيه.

فمن الخروج المشروع للمرأة ما يلي:

أولاً: خروج المرأة إلى المسجد:

يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها لأداء الصلاة في المسجد، فقد ورد عن نساء الصحابة أنهن كن يخرجن لأداء الصلاة في المسجد، إلا أن صلاتها في بيتها أفضل، وقد كره الرسول ﷺ منع المرأة من الخروج إلى المسجد، وورد عنه أنه قال: «**لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ**»(١)، فدل ذلك على جواز خروج المرأة إلى المسجد لأداء الصلاة في جماعة.

ثانياً: خروج المرأة لأداء العمرة وفريضة الحج:

يتقرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى بأداء العمرة إذا كان عاجزاً عن أداء الحج، وهي تعدل فريضة الحج إذا أداها في رمضان، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال لامرأة من الأنصار: "**مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّي مَعَنَا؟**" قالت: لم يكن لنا إلا ناضحان، فحج أبو ولدها وابنها على ناضح، وترك لنا ناضحا ننضح عليه، قال: «**فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً**»(٢).

إن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، فواجب على الرجل والمرأة أداء هذه الفريضة إذا كانا

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري، أخرجه البخاري في صحيحه، حمد بن إسماعيل أبو عبدالله: صحيح البخاري، ج٢، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ط١، برقم (٩٠٠)، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟، ص٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ج١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دن، برقم (٤٤٢)، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة، ص٣٢٧.

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٧٨٢)، أبواب العمرة، باب عمرة في رمضان، ج٣، ص٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، ج٢، برقم (٢٢١)، كتاب الحج، باب فضل العمرة في رمضان، ص٩١٧.

مستطيعين وقادرين على أدائها، ولا تسقط هذه الفريضة عن أي منهما إذا تحققت الاستطاعة وذلك بأن يتوفر لديهما المال الكافي للسفر والزاد وأمن الطريق، ووجود محرم للمرأة، وقد اعتبر الرسول ﷺ حج المرأة أفضل جهاداً لها، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**جِهَادُكُنَّ الحَجُّ**»(١).

ثالثاً: خروج المرأة لزيارة الأقارب (صلة الأرحام):

رغّب الإسلام كثيراً في صلة الأرحام، وهي تشمل الذكر والأنثى، فلم يرد دليل لا من الكتاب ولا من السنة يستثني المرأة من هذا الفضل العظيم، فدل ذلك على أن المرأة أيضاً مطالبة بزيارة أقاربها، فتشاركهم أفراحهم، وأحزانهم، وتزور مرضاهم، وتلبي دعوتهم، ومن الأدلة الواردة في فضل زيارة الأقارب ومكانتها في الشريعة الإسلامية ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى**﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى**﴾ (٣)، وذو القربى: يشمل كل قريب في النسب، أو الجوار، ووصلهم يكون بأن يبر فقيرهم، ويزور غنيهم، ويعود مريضهم، ويشيع موتاهم، متحبباً إليهم لذاتهم وقربهم؛ لا لمالهم وجاههم(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٢٨٧٥)، كتاب الجهاد والسير، باب جهاد النساء، ج٤، ص٣٢.

(٢) النساء: ٣٦.

(٣) النحل: ٩٠.

(٤) ابن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف: أوضح التفاسير، ج١، المطبعة المصرية ومكتبتها، رمضان ١٣٨٣هـ - فبراير ١٩٦٤م، ط٦، ص٣٣١، بتصرف يسير.

٢- قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[١]، فقد استنكر الله سبحانه وتعالى من يقطع هذه الصلة، وذكر أن لهم اللعنة، وسوء العاقبة.

١-قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[٢]، فدل ذلك على أن صلة الرحم سبب في طول العمر، وحصول البركة في الرزق.

٢- قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ**»[٣]، ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿**اقرءوا إن شئتم: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ O أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾[٤]، فدل ذلك على أن زيارة الأقارب سبب في صلة ورحمة الله سبحانه وتعالى، ومن نال وصل الله سبحانه وتعالى ورحمته اطمأن في عيشته، ونام مرتاح البال، فأمره كله تحت رحمة الخالق الذي يعلم ما ينفعه وما يضره،

٣- ورد أن أعرابيا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته -أو بزمامها ثم قال يا رسول الله -أو يا محمد- أخبرني بما يقربني من الجنة، وما يباعدني من النار، قال: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ»[٥]، فدل هذا الحديث على أن صلة الرحم سبب من أسباب القرب من الجنة والبعد عن النار.

---

(١) الرعد: ٢٥.

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٩٨٥)، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ج٨، ص٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٥٧)، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج٤، ص١٩٨٢.

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٩٨٧)، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، ج٨، ص٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٥٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ج٤، ص١٩٨٠.

(٤) محمد: ٢٢-٢٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٢)، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، ج١، ص٤٢.

٤-قلت: وهذه الآيات وجميع الأحاديث المذكورة وغيرها من الأحاديث التي لها علاقة بصلة الأرحام -ولم أتطرق إلى جميعها- لم تخص الرجل وحده، بل هي عامة وشاملة للرجل والمرأة، فلا تُمنع المرأة من زيارة أقاربها وتُحرم من هذا الفضل بحجة أن البيت هو المكان الذي خُلقت له، فالأرض التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- سُخرت للجميع بلا استثناء، فليست خاصة بالرجل؛ ولكن يبقى لذلك الخروج ضوابط ذكرها العلماء سأتطرق إليها نهاية هذا المطلب.

٥-رابعاً: خروج المرأة لطلب العلم:

٦-اهتم الإسلام بالعلم بشكل كبير فكانت بداية انطلاق الدين الإسلامي من كلمة (اقرأ) ابتدأ بها جبريل عليه السلام مع سيدنا ونبينا محمد ﷺ، وسميت سورة في القرآن الكريم باسم القلم، فدل ذلك كله على اهتمام ديننا الحنيف بالعلم، ولا يُعقل أن الإسلام خص هذا الفضل العظيم بالرجل دون المرأة، فطلبه فريضة على كليهما، فبالعلم يتعرف الإنسان على خالقه حق المعرفة، فيعبده بالصورة التي تليق بعظمته، فالعلم من أعظم العبادات، به الفطنة والوعي، والعلماء هم ورثة الأنبياء، وحزب الله، وأنصار شريعته، وقد خصهم الله سبحانه وتعالى بالذكر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[٢]، وكثير من الآيات القرآنية امتدح الله بها أهل العلم.

٧- لقد وردت آيات قرآنية وأحاديث شريفة عدة عن فضل العلم ومكانته في الإسلام، ولم يرد دليل منها على كونها خاصة بالرجل، فكان ذلك دليلاً على أن هذا الفضل شامل للرجل والمرأة، ومن تلك الأدلة ما يأتي:

٨- قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[١]، وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالرجوع إلى أولي العلم

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) النحل: ٢٧.

(٣) المجادلة: ١١.

عند الجهل بأمرٍ ما، قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[٢]، وذكر الله سبحانه وتعالى أنه لا مساواة بين المتعلم وغير المتعلم، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾(٣)، وغيرهم كثير، وكل هذه الآيات تدل على أن العلم له مكانة كبيرة في الدين الإسلامي.

عن أبي أمامة الباهلي[٤] أنه قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ**"[٥]، والروايات في هذا المعنى كثيرة جداً.

قال رسول الله ﷺ: "**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**"[٦].

وقال رسول الله ﷺ: "**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ أَتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِى الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**"[٧].

---

(١) طه: ١١٤.

(٢) الأنبياء: ٧.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) اسمه صدي بن عجلان، كان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عند الشاميين، مات بحمص سنة ٨٦هـ، وقيل ٨١هـ، يُنظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد: أسد الغابة، ج٦، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ط١، ص١٤، وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ، ط١، ص٣٤٠.

(٥) أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة: سنن الترمذي، ج٤، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٤٧، برقم (٢٦٨٥)، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وحكم عليه بأنه حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، يُنظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج٢، المكتب الإسلامي، دن، ص٧٧٦.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٦٣١)، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج٣، ص١٢٥٥.

(٧) متفق عليه، واللفظ للبخاري، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٧٣)، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ج١، ص٢٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٨١٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، ج١، ص٥٥٩.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: " **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ...**" (١).

والخلاصة من ذلك أن الإسلام عندما اهتم بالعلم وذكر ما أعده لصاحبه، لم يجعله خاصاً بالرجل دون المرأة، فهي أيضاً من حقها أن تحظى بهذا الفضل العظيم الذي خص الله به طالب العلم، فكما أن الأمور التعبدية واجبة عليها كوجوبها على الرجل، فكذلك يكون العلم، فبه تتعرف على خالقها وما يجب عليها من واجبات فتلتزم بها، وتترك ما حرمه الإسلام عن بيِّنة وقناعة دون أن يكون تركها للحرام بإلزام من المجتمع، ودون أن يكون لبسها للحجاب تقيداً بعادات المجتمع، فالمرأة مربية أجيال، لذلك كان لا بد لها أن تعي كيفية غرس الأخلاق والقيم في أبنائها، فلن تتولى تلك التربية بإتقان امرأة جاهلة.

إن هناك بعض المجتمعات الإسلامية تحرم المرأة من حقها في التعليم، وتنظر إليها بنظرة الانتقاص، وكأنها ليست مؤهلة لأن تكون عالمة، فهي في نظرهم ليست إلا جريمة في المجتمع، وبمجرد خروجها من بيتها فستجلب لهم العار، هذا ما توارثوه من الجاهلية الأولى، ولم ينسبوا ذلك إلى عاداتهم وتقاليدهم، بل ألصقوه بالإسلام، محتجين بقوله تعالى:﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾(٢)، جاهلين تفسيرها والاستثناءات التي وردت في الشريعة الإسلامية وصرحت بها السيرة النبوية عن نساء الصحابة والتابعين، بل وعن زوجات النبي ﷺ، فقد ورد عن نساء الصحابة أنهن قلن للرسول ﷺ: «**غَلَبَنا عليك الرجالُ، فاجعل لنا يوما من نَفْسِك، فوعَدَهن يوما لَقِيهُنَّ فيه، فوعَظَهُنَّ وأمرهنَّ...**»(٣)، وصورة أخرى تذكرها عائشة –رضي الله عنها– في الحديث الصحيح، قالت: «**نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِى الدِّينِ**»(٤)، فالمرأة المسلمة متعلمة، وفقيهة، وداعية، ومربية، وهذا هو ما

(١) أخرجه أبو داود في سننه، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق: سنن أبي داود، ج٣، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، دن، ص٣١٧، برقم (٣٦٤١)، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، وصححه التبريزي، يُنظر: التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري: مشكاة المصابيح، ج١، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٩٨٥م، ط٣، ص٧٤.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٠١)، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟، ج١، ص٣٢.

(٤) متفق عليه، واللفظ لمسلم، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ج١، ص٣٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٦١)، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، ج١، ص٢٦١.

يليق بمعتنقي الإسلام.

خامساً: خروج المرأة للعمل:

يرى البعض من علماء الأمة أن خروج المرأة للعمل فيه خطورة عليها، بل وعلى المجتمع بأكمله، فهي بخروجها هذا ستفقد عفتها، وستنافس الرجال وتختلط بهم كاسرة بينها وبينهم كل الحواجز والحدود؛ هكذا يكون جوابهم عند السؤال عن عمل المرأة جاهلين مقدار التناقض بين هذا

الجواب وإجابتهم الأخرى عندما يُسألون عن تعليم المرأة، وعن علاجها لمرضٍ ما قد أُصيبت به في جسدها، أو معالجة سنها، أو ولادتها، أو نحو ذلك، فيشيرون إليها بالرجوع في التعليم إلى المعلمة دون المعلم، وفي المرض إلى الطبيبة دون الطبيب، وهكذا، فمن أين ستأتي المعلمة والطبيبة إذا لم تكن المرأة عاملة!

قلت: إن المجتمع يحتاج إلى عمل المرأة، فهي مستخلفة في الأرض كالرجل، فمن حقها مشاركته في نهضة المجتمع، وفي نهضة البلاد، قال تعالى: ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللَّهَ مِن فَضْلِهِ**﴾[(١)]، أي: اطلبوا الفضل من الله تعالى بالجد والعمل[(٢)]، فالمجتمع يحتاج إليها معلمة، وداعية، وطبيبة، وخياطة، ونحو ذلك، فالمرأة إذا لم تعتد على العمل ستصبح عالة على الآخرين، متهيبة من الدخول إلى هذا المجال، وذلك عندما تفقد اليد التي كانت تعولها.

- ومما يدل على جواز عمل المرأة: مشاركة بعض الصحابيات الجليلات في هذا المجال، منهن:

١- خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها- فقد كانت تاجرة، ولما سمعت عن أمانة الرسول ﷺ، عرضت عليه مع غلامها أن يتاجر لها بمالها في الشام[(٣)].

أسماء بنت أبي بكر[(١)] –رضي الله عنهما، فقد ورد عنها أنها قالت: "**تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ، وَلاَ شَيءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ[(٢)] وغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ[(٣)] وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وكَانَ يخْبِزُ**"

(١) النساء: ٣٢.

(٢) يُنظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨هـ، ط١، ص٧٢.

(٣) يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله، ج١، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ط١، ص٣٥، وابن الأثير، أُسد الغابة، ج٧، ص٨٠.

جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مني عَلَى ثُلُثَي فَرْسَخٍ[٤]، فَجِئْتُ يوماً وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ الأنصار، فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ :«إِخْ إِخْ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ،...»[٥]، فهذا العمل الذي قامت به أسماء –رضي الله عنها– واطلاع النبي ﷺ وسكوته على ذلك دليل على جواز عمل المرأة خارج بيتها.

٢– أم عطية[٦]، وهي من كبار نساء الصحابة، وقد كانت تغزو كثيرًا مع النبي ﷺ فتُمرّض المرضى وتداوي الجرحى[٧].

٣– الرُّبَيِّع بنت معوذ[٨]، فقد ورد عنها أنها قالت: "**كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ**»[٩].

قلت: فدل ذلك كله على جواز عمل المرأة خارج بيتها، بشرط ألا يكون العمل الذي تقوم به مخالفاً لمبادئ

(١) أسماء بنت عبد الله بن عثمان، أبي بكر الصديق، القرشية التيمية، زوج الزبير بن العوام، وهي أم عبد الله، وقد سماها الرسول ﷺ بذات النطاقين؛ لأنها عندما صنعت له ولأبيها سفرة طعام عندما كانا في الغار، لم تجد ما تشدها به، فشقت نطاقها وشدت السفرة به، ماتت وعمرها ١٠٠سنة. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧، ص٧.

(٢) **ناضح:** بعير يستقي عليه الماء، يُنظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور: فقه اللغة وسر العربية، ج١، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ط١، ص١٢١، والقسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٨، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ، ط٧، ص١١١.

(٣) **أخرز غربه:** أي أخيط دلوه. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٨، ص١١١.

(٤) **الفرسخ:** ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة، والميل بالكيلو: كيلو ونصف كيلو متر، يُنظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٨، ص١١١، واليسام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ج١، مكتبة الصحابة، الأمارات – مكتبة التابعين، القاهرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، ط١٠، ص٢٣٣.

(٥) متفق عليه، واللفظ للبخاري، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٢٢٤)، كتاب النكاح، باب الغيرة، ج٧، ص٣٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢١٨٢)، كتاب السلام، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق، ج٤، ص١٧١٦.

(٦) وقد اختلف في اسمها، فقد قيل أنها نسيبة بنت الحارث، وقيل أنها نسيبة بنت كعب، يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٩٤٧، وابن الأثير، أُسد الغابة، ج٧، ص٣٥٦.

(٧) يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٩٤٧.

(٨) الربيع بنت معوذ ابن عفراء الأنصارية، روى عنها أهل المدينة، وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ فتداوي الجرحي، وترد القتلى إلى المدينة، وهي من المبايعات تحت الشجرة بيعة الرضوان. يُنظر: ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٧، ص١٠٨.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٢٨٨٢)، كتاب الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، ج٤، ص٣٤.

الشريعة الإسلامية، وأن يكون مناسباً لطبيعتها كأنثى، فهناك أعمال تناسب الرجل دون المرأة، فالمرأة والرجل مكملان لبعضهما، ولكل منهما مهارات تختلف عن الآخر، فقد تبدع المرأة في مجال معين لا يبدع فيه الرجل، أو العكس.

سادساً: خروج المرأة للتسوق والتنزه:

تميل أكثر النساء إلى التسوق، والخروج إلى الحدائق والمتنزهات بأنواعها؛ وذلك للترويح على النفس من أتعاب الحياة وهمومها، ومن خلال بحثي لم أقف على حديثٍ يمنع خروج المرأة إلى السوق، أو إلى المتنزهات باختلافها، بل إنه ورد أن رسول الله ﷺ كان يسابق عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها، فقد روي عنها أنها قالت: " **خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِتِلْكَ"**[(١)]، وهذا كان منه ﷺ من باب مداعبة زوجته والترويح عنها، فكان ذلك دليلاً على جواز خروج المرأة إلى الحدائق والمنتزهات.

والخلاصة فهذه ليست إلا بعض الأمور التي يجوز فيها خروج المرأة وليست كلها، فقد تخرج المرأة لهدف آخر لم يسبق ذكره، فلم أقصد بذلك الاستقصاء، وإنما هي نماذج دلت على جواز خروج المرأة من بيتها؛ فالإسلام لم يحبس المرأة في بيتها كما يدعي ذلك البعض الذين يأخذون قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ [(٢)] حجة لهم لجعلها سجينة في بيتها، ولقمة سهلة ومستساغة للذين ينادون بتحريرها، فتستجيب لهم لما وجدت في مجتمعها من ظلم وهضم لحقوقها، ولأن النفوس ضعيفة لا

(١) أخرجه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م ، ط١، ص٣١٣، برقم (٢٦٢٧٧)، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق –رضي الله عنها، وصححه الألباني، يُنظر: الألباني، محمد ناصر الدين: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج٥، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، ط٢، ص٣٢٧.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

تصبر على ما تجده من اضطهاد في حياتها كانت الاستجابة لتلك الحملة سريعة وفعالة جداً، مع أن الآية: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ مشعرة بتحريم الخروج بهيئة التبرج الذي كان موجوداً في الجاهلية الأولى، وها هي الآن للأسف تُعاد تلك الجاهلية من جديد، فمن خرجت بتلك الصورة المتبرجة، فخروجها في هذه الحالة بلا شك أو خلاف محرم بدلالة هذه الآية.

- شروط خروج المرأة من بيتها(١):

١- أن يكون خروجها لحاجة معينة، وبإذن وليها أو زوجها إن كانت متزوجة،

قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ**"(٢).

قلتُ: فمهما كانت حاجة المرأة للخروج جاز لها ذلك، فليست الضرورة شرطاً لتلك الحاجة بدليل أن المرأة المتوفى عنها زوجها لا يجوز لها الخروج في العدة إلا للحاجة الملحة، فلو كانت الضرورة شرطاً لجواز خروج المرأة في كل حالاتها لما ورد تخصيص ذلك في أحكام المعتدة.

٢- ألا تخرج متزينة ومتعطرة، قال تعالى: ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(٣)، وأما العطر فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**»(٤).

٣- ألا تلين ولا تخضع بالقول(٥)، قال تعالى: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾(١).

---

(١) وهذه الشروط ذكرها الشيخ غاوجي في كتابه «المرأة المسلمة»، ولم يقع ذلك الكتاب في يدي فنقلتها بتصرف من كتاب ففروا إلى الله، يُنظر: القلموني، عبد المنعم بن حسين بن حنفي: ففروا إلى الله، ج١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ط٥، ص٢٦٦-٢٦٨.

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٤٧٩٥)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم...} [الأحزاب: ٥٣]، ج٦، ص١٢٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢١٧٠)، كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، ج٤، ص١٧٠٩.

(٣) النور: ٣١.

(٤) أخرجه النسائي في سننه الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: السنن الصغرى للنسائي، ج٨، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، ط٢، ص١٥٣، برقم (٥١٢٦)، كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الطيب، قال الألباني: إسناده حسن، يُنظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني، ج١، ص٥٢٥.

(٥) قلتُ: ونهي المرأة عن اللين والخضوع في الكلام لا يعني أن صوتها عورة كما يعتقد البعض، فالآية لم تنه المرأة عن التحدث وإنما عن ترقيق الصوت، فقد كان الصحابيات يأتين النبي ﷺ =

٤- تجنب مزاحمة الرجال بقدر الإمكان.

٥- أن تلتزم باللباس الشرعي.

٦- ألا تنفرد برجل وقد أُغلق عليهما الباب، قال رسول الله ﷺ: "**لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا،..**"(٢).

٧- ألا تصافح الرجال، وذلك اقتداءً بأفضل الخلق، فقد ورد عن عائشة –رضي الله عنها- أنها قالت: " **وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ...**"(٣).

٨- ألا تخرج إلى مكان آخر يبعد عن بيتها مسيرة ثلاثة أيام وما فوق إلا ومعها محرم، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ**"(٤).

المطلب الثاني:الخروج المنهي عنه للمرأة

إن الأفضل للمرأة هو أن تلزم بيتها، تجنباً من الوقوع في الفتن، وحرصاً عليها من الانقياد لمغريات الدنيا وزينتها، إلا أن ذلك لا يعني أن تبقى المرأة في بيتها لا تعرف شيئاً عن الحياة، ولكن تحرص ألا يكون خروجها هواية وضياعاً للأوقات، وقد تقرر مما سبق أن المرأة إذا أرادت الخروج فإنه لا مانع من ذلك في الشريعة الإسلامية؛ ولكن لا بد لها من الالتزام بالشروط الشرعية التي تم ذكرها في نهاية المطلب السابق، إلا أن هناك بعض الأماكن أو المناسبات التي قد تخرج لها المرأة وهي تعد من الأمور المكروهة أو التي لا يجوز الخروج إليها في الشريعة الإسلامية، منها ما يأتي:

١- خروج المرأة لزيارة القبور:

كانت زيارة القبور في بداية الإسلام محرمة على الجميع رجالاً ونساءً، ثم أباحها الله سبحانه وتعالى للرجال،

إما في فتوى أو شكوى، ونحو ذلك، وكان نساء النبي ﷺ يروين الأحاديث للصحابة رضوان الله عليهم.

(١) الأحزاب: ٣٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (١١٤)، باب مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج١، ص٢٦٩، وصححه الألباني، يُنظر: الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ج٧، ص٢٢.

(٣) متفق عليه، واللفظ مسلم، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٧٢١٤)، كتاب الأحكام، باب بيعة النساء، ج٩، ص٨٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٨٦٦)، كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء، ج٣، ص١٤٨٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٣٣٨)، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، ج٢، ص٩٧٥.

وقيل: للرجال والنساء، على خلاف في ذلك، ودليل النسخ: قول الرسول ﷺ: "**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا...**"[(١)]، بل إنه رغب في ذلك كونها تُذكر باليوم الآخر، وبمصير الإنسان الحتمي الذي سينتهي إليه نهاية هذه الدنيا، قال رسول الله ﷺ: "**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**"[(٢)]، وأقوال العلماء في حكم زيارة المرأة للقبور على النحو الآتي:

القول الأول: لا يجوز للنساء الخروج إلى القبور، وهذا قول بعض الحنفية[(٣)]، والشافعية[(٤)]، وبعض المالكية[(٥)]، ورواية عن الحنابلة[(٦)]، إلا أن الحنفية حصروا هذا التحريم بما إذا كان خروجهن لتجديد الحزن والندب والبكاء على ما جرت به العادة عند بعض النساء وما يلحق ذلك من البدع التي لم تقرها الشريعة الإسلامية.

واستدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

١- حديث: "**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ**"[(٧)]، وفي رواية: " **لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**[(٨)]"[(٩)]، قالوا: واللعن يدل على التحريم.

واعترض المجوزون على هذا الدليل بقولهم: إن هذا الحديث ورد أثناء التحريم، ثم نُسخ بحديث: "**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**"، فهذه الإباحة تدل على أنها كانت مسبوقة بتحريم، ودلالة النسخ في النص ظاهرة من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٩٧٧)، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، ج٢، ص٦٧٢.

(٢) أخرجه ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، برقم (١٥٦٩)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، ج١، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، دن، ص٥٠٠، وصححه الألباني، يُنظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج١، ص٦٦٨.

(٣) يُنظر: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر: رد المحتار على الدر المختار، ج٢، دار الفكر-بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ط٢، ص٢٤٢.

(٤) يُنظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، ج٥، دار الفكر، دن، ص٣٠٩.

(٥) يُنظر: ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد: المدخل، ج١، دار التراث، دن، ص٢٥٠.

(٦) يُنظر: ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله: المبدع في شرح المقنع، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، ط١، ص٢٨٤.

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (١٠٥٦)، أبواب الجنائز، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، ج٣، ص٣٦٢، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، يُنظر: الألباني، إرواء الغليل، ج٣، ص٢٣٢.

(٨) السرج: جمع سراج، وقد قيل أن سبب النهي عنه أن فيه تضييع مال بلا نفع، أو أن ذلك التحريم كان من باب الاحتراز عن تعظيم القبور كاتخاذها مساجد. يُنظر: المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن: تحفة الأحوذي، ج٢، دار الكتب العلمية – بيروت، دن، ص٢٢٦.

(٩) أخرجه الترمذي في سننه، برقم(٣٢٠)، أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا، ج١، ص٤٢٢، وحسنه، وضعفه الألباني، يُنظر: الألباني، إرواء الغليل، ج٣، ص٢١٢.

كلام النبي ﷺ، وصيغته تدل على العموم، فلو كانت الإباحة خاصة بالرجال لورد فيه استثناء النساء، فلا وجه للتخصيص بدون مخصص[١].

وأُجيب: بأن هذا الحديث: «نهيتكم عن زيارة القبور...»، لا يعارض حديث: «لعن الله زائرات القبور»، فقوله: (فزوروها) خاصٌ بالرجال، والتحريم للنساء قد ورد به النص المذكور، ولا دليل على النسخ، **وردَّ القائلون بالإباحة أيضاً فقالوا:** لو افترضنا صحة هذا الحديث فإن كلمة: (زوارات) تعني: مكثرات الزيارة، وكلمة (زائرات) تحمل على ما إذا كانت زيارتهن للتعديد والبكاء والنوح على ما جرت به العادة عند بعض النساء[٢] .

١- إن النبي ﷺ خرج فَإِذَا نِسْوَةٌ جُلُوسٌ، فَقَالَ: «**مَا يُجْلِسُكُنَّ**» قُلْنَ: نَنْتَظِرُ الْجِنَازَةَ، قَالَ: «**هَلْ تَغْسِلْنَ**» قُلْنَ: لَا، قَالَ: «**هَلْ تَحْمِلْنَ**»، قُلْنَ: لَا، قَالَ: «**هَلْ تُدْلِينَ فِيمَنْ يُدْلِي**»، قُلْنَ: لَا، قَالَ: «**فَارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ**»[٣].

قلتُ: وهذا الحديث قد ضعفه الأئمة، وأيضاً لا يُعقل أن يكون هذا رد الرسول ﷺ المرشد والمعلم والمربي، فالرسول يبين الحكم أولاً ثم يذكر العاقبة لمن خالف ذلك.

٢- قوله ﷺ لفاطمة[٤] ابنته -رضي الله عنها- حين لقيها في طريق: "**مَا أَخْرَجَكِ مِنْ بَيْتِكِ يَا فَاطِمَةُ؟**"، قَالَتْ: **أَتَيْتُ أَهْلَ هَذَا الْمَيِّتِ، فَتَرَحَّمْتُ إِلَيْهِمْ، وَعَزَّيْتُهُمْ بِمَيِّتِهِمْ**، قَالَ: «**لَعَلَّكِ بَلَغْتِ**

(١) يُنظر: الشنقيطي، محمد بن محمد المختار: شرح زاد المستقنع، ج٨٧، بواسطة المكتبة الشاملة، الإصدار: ٣,٦١، http://www.islamweb.net. ص٣.

(٢) يُنظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٢، ص٣٩٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، برقم (١٥٧٨)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في اتباع النساء الجنائز، ج١، ص٥٠٢، وضعفه الألباني لأن في سنده اسماعيل بن سلمان، قال: وهو ضعيف باتفاق الأئمة، يُنظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ج٦، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ط١، ص٢٦٢.

(٤) فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أمها خديجة بنت خويلد، تزوجت علي -رضي الله عنه- بعد أحد، وقيل غير ذلك، ومن أولادها الحسن والحسين -رضي الله عنهما، توفيت سنة إحدى عشرة وعمرها تسعا وعشرين سنة، وقيل ثلاثون، وقد أوصت أن تدفن ليلا، غسلاها علي وأسماء رضي الله عنهما، وهي أول من غطي نعشها في الإسلام، يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٨٩٣-١٨٩٩، وابن الأثير، وأسد الغابة، ج٧، ص٢١٦.

مَعَهُمُ الْكُدَى؟»، قَالَتْ: **مَعَاذَ اللَّهِ، أَنْ أَكُونَ بَلَغْتُهَا وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ فِي ذَلِكَ مَا تَذْكُرُ**، فَقَالَ لَهَا: **"لَوْ بَلَغْتِهَا مَعَهُمْ مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكِ"**(١)، والكدى: القبور.

وأجاب القائلون بالجواز عن هذا الدليل: بأن النهي في الحديث ليس عن زيارة القبور، وإنما عن اتباع الجنائز للنساء؛ لأن مفسدة اتباع الجنائز للنساء أعظم من مفسدة زيارة القبور، فمصيبة الموت وقت الجنازة قريبة، والتأثر بفراق الميت قد يدفعها إلى فعل ما لا يجوز لها، فلا يلزم من تحريم اتباع النساء للجنائز تحريم زيارة المقابر.

القول الثاني: جواز ذلك بشرط التحفظ، وذهب إلى هذا الرأي الحنفية على الصحيح **عندهم**(٢)، وهو قول بعض المالكية بشرط أن يكن من اللواتي لا يُخشى عليهن الفتنة، وألا تؤدي زيارتهن إلى الندب والنياحة(٣)، وهذا أيضاً مذهب بعض الحنابلة(٤)، والظاهرية(٥)، **واستدلوا بما يأتي:**

١- عموم قوله ﷺ: « **كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ**»(٦)، فهذا يدل على سبق النهي ونسخه، فيدخل في عمومه الرجال والنساء، ومن أراد أن يخصصه بالرجال فليأتِ بمخصص، والقاعدة في الأصول: (الأصل في العام العمل به على عمومه حتى يوجد المخصص)(٧).

(١) أخرجه النسائي في سننه الصغرى، برقم (١٨٨٠)، كتاب الجنائز، باب النعي، ج٤، ص٢٧، وضعفه الألباني، يُنظر: الألباني، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، ج٢، مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ط١، ص١٠٠٥.

(٢) يُنظر: السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل: المبسوط، ج٢٤، دار المعرفة – بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص١٠، ورد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، ج٢، ص٦٢٦.

(٣) يُنظر: كوكب عبيد، الحاجة كوكب عبيد: فقه العبادات على المذهب المالكي، ج١، مطبعة الإنشاء، دمشق – سوريا، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ط١، ص٢٦٦.

(٤) يُنظر: ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد: المغني، ج٢، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م، ص٤٢٤.

(٥) يُنظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد: المحلى بالآثار، ج٣، دار الفكر – بيروت، دن، ص٣٨٨.

(٦) أخرجه ابن ماجة في سننه، برقم (١٥٧١)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، ج١، ص٥٠١، وضعفه التبريزي، يُنظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، ج١، ص٥٥٤.

(٧) يُنظر: الباكستاني، زكريا بن غلام قادر: من أصول الفقه على منهج أهل الحديث، ج١، دار الخراز، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ط١، ص ١٢٧.

٢- الحديث الذي فيه خروج النبي -ﷺ- واستغفاره لأهل قباء وفي آخره أن عائشة -رضي الله عنها- سألت النبي ﷺ: كيف أقول لهم يا رسول الله (يعني للموتى)؟ فقال: «**قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**»(١).

٣-إن النبي ﷺ مر بامرأة تبكي عند قبر، فقال لها: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**» قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**»(٢)، فهو لم ينهها عن زيارتها للقبر ومكوثها عنده، وإنما علمها الصبر عند المصيبة، فكان ذلك منه إقراراً.

ورد المانعون على هذا الاستدلال بقولهم: إنه لا يوجد دلالة على أن هذا الحديث متأخر عن أحاديث المنع، ويحتمل أن يكون الرسول ﷺ قصد بذلك المنع عن زيارة القبر وذلك بأمرها بتقوى الله، فكأنه قال: اتقي الله وامتنعي عن الزيارة(٣).

أقول: وظاهر الحديث لا يوحي بالنهي عن زيارة القبور، فلو كان الأمر كذلك لأمرها بالعودة إلى بيتها، أو لبين لها ذلك عندما جاءت معتذرة إليه، فنصحه لها بالتقوى والصبر ربما لما رأى من حالها من البكاء والنحيب وما يرافق ذلك من أفعال منكرة قد تحدث بلا تواني أثناء الحزن.

٤-أن السيدة فاطمة -رضي الله تعالى عنها- كانت تزور قبر حمزة(٤) كل جمعة(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٩٧٤)، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء، ج٢، ص٦٦٩.

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٢٨٣)، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ج٢، ص٧٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٩٢٦)، كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة، ج٢، ص٦٣٧.

(٣) يُنظر: الصديقي، محمد أشرف بن أمير: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ج٩، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ، ط٢، ص٤٥.

(٤) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو يعلى، وقيل: أبو عمارة، وهو عم رسول الله ﷺ، وأخوه من الرضاعة، شهد أحدا، وقتل بها سنة ٣هـ، وقد لقبه النبي ﷺ بـ "أسد الله"، وسماه سيد الشهداء، يُنظر: ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٢، ص٦٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١٠٦.

(٥) أخرجه عبدالرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام: المصنف، ج٣، المجلس العلمي- الهند، ١٤٠٣هـ، ط٢، ص٥٧٢، برقم (٦٧١٣)، باب في زيارة القبور، وأخرجه الحاكم بمعناه، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، ج١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، ط١، برقم (٤٣١٩)، كتاب المغازي والسرايا، ج١، ص٥٣٣، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، وقال الذهبي: منكر جداً لأن فيه سليمان بن داود وقد ضعف، يُنظر: ابن الملقن، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، ج١، دار العاصمة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ، ط١، ص٣٠٥.

٥- ما روي عن عبد الله بن أبي مليكة[١]، أن عائشة -رضي الله عنها- أقبلت ذات يوم من المقابر فقال لها: يا أم المؤمنين من أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن[٢]، فقال لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: «**نَعَمْ، كَانَ نَهَى ثُمَّ أَمَرَ بِزِيَارَتِهَا**»[٣].

وأجاب المانعون على هذا الدليل بقولهم: إن عائشة –رضي الله عنها- لم تزر قبر أخيها وإنما مرت به أثناء دخولها مكة، والمحرم على المرأة هو قصد زيارتها **للقبر لا المرور به**[٤].

قلتُ: لكن عائشة –رضي الله عنها- قد ذكرت في إجابتها أن النبي ﷺ كان قد نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها، فدل ذلك على أن زيارتها لقبر أخيها لم تكن لمجرد مرورها بجانبه.

القول الثالث: كراهة زيارة القبور للنساء، وهذا قول بعض الحنفية[٥]، والشافعية[٦]، وبعض الحنابلة[٧]، **واستدلوا على ذلك بما يأتي:**

١- حديث أم عطية[٨] أنها قالت: «**نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا**»[٩]، حيث دل هذا الحديث على النهي عن اتباع النساء للجنائز؛ والزيارة من جنس الاتباع؛ فيكون كلاهما مكروها غير محرم.

---

(١) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكي: قاض ومؤذن، من رجال الحديث الثقات، ولاه ابن الزبير قضاء الطائف، مات ١٧هـ، وقيل: ١٨هـ. يُنظر: مغلطاي، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٨، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ط١، ص٤٦، والزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد: الأعلام، ج٤، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار / مايو ٢٠٠٢م، ص١٠٢.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان وهو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة القرشي التيمي، شهد بدرا وأحدا مع الكفار، أسلم في هدنة الحديبية، وحسن إسلامه، وكان اسمه عبد الكعبة، وقيل: عبد العزى، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، توفي بمكة سنة ٥٣هـ، وقيل: ٥٥هـ، وقيل: ٥٦هـ، والأول أكثر. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٨٢٦، وابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٤٦٢.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، برقم (٧٢٠٧)، باب ما ورد في دخولهن في عموم قوله فزوروها، ج٤، ص١٣١، صححه الألباني، يُنظر: الألباني، إرواء الغليل، ج٣، ص٢٣٤.

(٤) يُنظر: الخليل، أحمد بن محمد بن حسن: شرح زاد المستقنع، ج٢، بواسطة المكتبة الشاملة، الإصدار: ٣,٦١. شرح زاد المستقنع، للخليل، ص٣٤٤.

(٥) يُنظر: العيني، أبو محمد محمود بن أحمد: البناية شرح الهداية، ج٣، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ط١، ص٢٦١.

(٦) يُنظر: الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، ج١، دار الفكر – بيروت، دن، ص٢٠٨.

(٧) يُنظر: ابن قدامة، المغني، ج٢، ص٤٢٤.

(٨) سبقت ترجمتها.

(٩) متفق عليه، واللفظ للبخاري، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٢٧٨)، كتاب الجنائز، باب اتباع النساء الجنائز، ج٢، ص٧٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٩٣٨)، كتاب الجنائز، باب نهي النساء عن اتباع الجنائز، ج٢، ص٦٤٦.

٢- حديث: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ**»[١]، قالوا: "وهذا خاص في النساء، والنهي المنسوخ كان عاما للرجال والنساء، ويحتمل أنه كان خاصا للرجال، ويحتمل أيضا كون الخبر في لعن زوارات القبور، بعد أمر الرجال بزيارتها، فقد دار بين الحظر والإباحة، فأقل أحواله الكراهة"[٢].

٣- **القول الرابع**: يباح للقواعد من النساء فقط دون الشابات، وهذا ما ذهب إليه بعض الحنفية[٣]، وبعض المالكية[٤]، وعللوا ذلك بأنه قد يقع بخروج المرأة الشابة فتنة وذلك بخلاف الكبيرات في السن اللواتي لا يلتفت إليهن أحد.

٤- القول الراجح: الذي يظهر لي من خلال ما سبق ذكره من أقوال العلماء وأدلتهم ومناقشاتهم أن القول الثالث وهم القائلون بالكراهة هو الأحوط والأقرب للصواب، لأننا لو أخذنا بقول المانعين فإننا نهمل الأحاديث الصحيحة التي استدل بها المجوزون، والتي هي أقوى من أدلتهم، وإن أخذنا بقول المجوزين فقد تقع المرأة في حرام لما يترتب على تلك الزيارة من منكرات.

٥- ومع ما ظهر لي من ترجيح لقول القائلين بالكراهة فإني أقول بأنه يجوز للمرأة أن تخرج لزيارة القبور إذا أمنت على نفسها من الفتنة وضعف النفس، وارتكاب ما حُرم من البدع، وليكن هدفها من تلك الزيارة هو التذكير بمصيرها الذي ستكون نهايتها إليه، وبأهوال القيامة التي ينساها ويتغافل عنها الكثير، وإن تركت تلك الزيارة تقرباً وإرضاءً لله –سبحانه وتعالى– فإنها تكون بذلك قد تركت منكراً ونالت بذلك أجراً وذلك هو معنى المكروه كما عرفه الأصوليون[٥]؛ لكن إذا علمت المرأة من نفسها أنها إذا زارت المقابر، سيصدر عنها ما لا يجوز من قول، أو فعل، كبكاء ونياحة، أو حزن، أو تضييع لحق زوجها، أو تبرج، أو فتنة أو ما شابه ذلك، فإن زيارتها في هذه الحالة تكون محرمة بلا خلاف.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ابن قدامة، المغني، ج٢، ص٤٢٥.

(٣) يُنظر: الطحطاوي، أحمد محمد إسماعيل: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، ج١، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ط١، ص٦١٩.

(٤) يُنظر: الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج١، دار الفكر، دن، ص٤٢٢.

(٥) **المكروه**: ما يثاب على تركه، ولا يعاقب على فعله، جلال الدين المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم: شرح الورقات في أصول الفقه، ج١، جامعة القدس، فلسطين، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ط١، ص٧٦.

٦- **خروج المرأة متبرجة:** إن المرأة إذا خرجت متبرجة وبكامل زينتها، أو أخلت بشرط من شروط خروج المرأة من بيتها -وهي المذكورة في المبحث السابق- فإن خروجها يكون محرماً بلا خلاف في ذلك.

٧- أضيف إلى ذلك: أن خروج المرأة إلى ارتكاب ما حرمته الشريعة الإسلامية يكون محرماً وإن كانت ملتزمة بالحجاب الشرعي، وبجميع الشروط المذكورة، فالأعمال بالنيات، فمتى ما نوت في خروجها أن ترتكب المعاصي يصبح خروجها حراماً عليها.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعانني، ويسر لي الوصول إلى خاتمة هذا البحث، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقتُ في مناقشة مسائله بالطريقة التي ترضيه عني، وأن أكون قد ذكرتُ أقوال العلماء وأدلتهم بصورة واضحة وصحيحة دون إخلال في المعنى، فإن أصبت في ذلك فهو بتوفيق ربي وعونه أولاً وأخيراً، وإن أخطأتُ فهو من هوى نفسي ووساوس الشيطان، فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعفو عني وأن يهديني إلى ما فيه الصلاح والرشاد في دنياي وآخرتي.

لقد تناولتُ في هذا البحث قضية خروج المرأة من بيتها، وتوصلتُ إلى النتائج الآتية:

١- الإسلام لم يمنع المرأة من الخروج وإنما جعل لخروجها ضوابط تحميها من الأخطار والوقوع في الفتن.

٢- يجوز للمرأة أن تخرج محتشمة إلى الأماكن الخالية من الفجور والمعاصي، فهي مأجورة عندما تخرج لزيارة أقاربها، ولها الحق في أن تخرج لطلب العلم، وأن تخرج لتأدية صلاتها في المسجد إن أرادت، وأن تؤدي فريضة الحج إن استطاعت، فليس كل خروج مرغوباً به، وليس كل خروج منهياً عنه.

٣- وقع خلاف كبير في جواز زيارة المرأة للقبور، وقد كان الراجح -في نظر الباحثة- كراهية ذلك، فيجوز لها ذلك متى ما أمنت الفتنة، وتركه أفضل.

وأخيراً لا بد من ذكر بعض التوصيات، وهي:

١-عندما تخرج المرأة من بيتها لا بد أن تراعي شروط اللباس الشرعي، فتبتعد عن التبرج الذي كان من سمات الجاهلية.

٢- لا بد من توعية النساء بالأحكام التي أصبحت بعيدة عن واقعهن، وقد أصبح ذلك يسيراً عبر وسائل الإعلام، وبرامج التواصل الاجتماعي.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ٧ مجلدات ومجلد فهارس.

٢- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (ت: ٧٣٧هـ): المدخل، دار التراث، دن، ٤ مجلدات.

٣- ابن الملقن، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ): مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، تحقيق وَدراسة: جـ ١، ٢: عَبد الله بن حمد اللحَيدَان، جـ ٣-٧: سَعد عَبد الله بن عَبد العَزيز آل حميِّد، دَارُ العَاصِمَة، الرياض – ط١، ١٤١١هـ، ٧ مجلدات، ومجلد للفهارس.

٤- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣، ١٨ مجلد (١٧ جزء ومجلد فهارس).

٥- ابن حجر، أبو الفضل أحمد علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٨ مجلدات.

٦- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ): المحلى بالآثار، دار الفكر – بيروت، دن، ١٢ مجلد.

٧- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٨- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ): صحيح ابن خزيمة، تح: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، دن، ٤ مجلدات.

٩- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ): رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ٦ مجلدات.

١٠- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ٤ مجلدات.

١١- ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ): الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ٤ مجلدات.

١٢- ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ): المغني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م، ١٠ مجلدات.

١٣- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، دن، مجلدان.

١٤- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت: ٨٨٤هـ): المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، ٨ مجلدات.

١٥- ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ): البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، دن، ٨ مجلدات.

١٦- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ): سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٤ مجلدات.

١٧- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ): التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ١٠ أجزاء ومجلدان فهارس.

١٨- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ): سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ١٤ مجلد.

١٩- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ): صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، دن، مجلدان.

٢٠- الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ): إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ٨ مجلدات ومجلد للفهارس.

٢١- الباكستاني، زكريا بن غلام قادر: من أصول الفقه على منهج أهل الحديث، دار الخراز، ١٤٢٣هـ-، ط١، مجلد.

٢٢- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٩ مجلدات.

٢٣- البسام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (ت: ١٤٢٣هـ): تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة، ط١٠، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، مجلد.

٢٤- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ): السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٥- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (ت: ٧٤١هـ): مشكاة المصابيح، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، ٣ مجلدات.

٢٦- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م، ٦ مجلدات.

٢٧- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ): فقه اللغة وسر العربية، تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مجلد.

٢٨- جلال الدين المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (ت: ٨٦٤هـ): شرح الورقات في أصول الفقه، قدَّم له وحققه وعلَّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، صف وتنسيق: حذيفة بن حسام الدين عفانة، جامعة القدس، فلسطين، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مجلد.

٢٩- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، ٤ مجلدات.

٣٠- الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ): أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، رمضان ١٣٨٣هـ - فبراير ١٩٦٤م، مجلد.

٣١- الخليل، أحمد محمد حسن إبراهيم الخليل: شرح زاد المستقنع، ٦ مجلدات، بواسطة المكتبة الشاملة، الإصدار: ٣,٦١.

٣٢- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي (ت: ١٢٣٠هـ): حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، دن، ٤ مجلدات.

٣٣- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ): المبسوط، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ٣٠ مجلد.

٣٤- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس (ت: ٢٠٤هـ): الأم، دار المعرفة – بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ٨ مجلدات.

٣٥- الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ): الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت، دن.

٣٦- الشنقيطي، محمد بن محمد المختار: شرح زاد المستقنع، بواسطة المكتبة الشاملة، الإصدار: ٣,٦١، http://www.islamweb.net.

٣٧- الشيرازي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٨- الطحطاوي، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي (ت:١٢٣١هـ): حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، تح: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مجلد.

٣٩- عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ): المصنف، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١١ مجلد.

٤٠- العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ): عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٤ مجلد.

٤١- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ): البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٣ مجلد.

٤٢- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ): إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ، ١٠ مجلدات.

٤٣- القلموني، أبو ذر عبد المنعم بن حسين بن حنفي بن حسن بن الشاهد: ففروا إلى الله، مكتبة الصفا، القاهرة، ط٥، ١٤٢٤هـ، مجلد.

٤٤- كوكب عبيد، الحاجّة كوكب عبيد، فقه العبادات على المذهب المالكي، مطبعة الإنشاء، دمشق - سوريا.، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٥- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت: ١٣٥٣هـ): تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٠ مجلدات.

٤٦- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ): صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دن ٥ مجلدات.

٤٧- مغلطاي، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (ت: ٧٦٢هـ): إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١٢ مجلد.

٤٨- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ): المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، ٨ مجلدات ومجلد فهارس.

٤٩- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ): المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، دار الفكر، دن.

٥٠- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ): خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، تح: حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة - لبنان – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مجلدان.

أقوال وآراء القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس المتوفي سنة ١٠٦١هـ في كتاب الجنائز من كتابه تكميل شرح الأزهار المنتزع من الغيث المدرار في فقه الأئمة الأطهار

الملخص:

موضوع البحث: هو عبارة عما برز من أقوال، وآراء القاضي العلامة/ أحمد بن يحيى حابس، المتوفى سنة (١٠٦١هـ) في كتاب الجنائز، من كتابه تكميل شرح الأزهار المنتزع من الغيث المدرار .

قسم الباحث بحثه إلى فصلين: الفصل الأول الترجمة للمؤلف، والفصل الثاني الأقوال والآراء التي رجحها في كتاب الجنائز.

ومما تناوله الباحث في الفصل الأول: الحالات الدينية ،والاجتماعية ،والسياسية في عصر المؤلف، وحيث يشير البحث إلى أن اليمن كان محتلاً من العثمانيين ،وأن فسادهم وظلمهم للمجتمع قد بلغ ذروته مما أدى إلى قيام ثورة ضدهم بقيادة الإمام القاسم بن محمد حيث سقط فيها آلاف القتلى من الطرفين وكان النصر للإمام القاسم وأخرجهم منها وأعلن استقلال اليمن تماماً من العثمانيين وحكم اليمن القاسم بن محمد وأسرته كونهم علماء ومجتهدين وذلك بإعلان الإمامة واستمر ٣٣ عاماً، وهذه الصراعات كلها لم تؤثر على الحالة العلمية بل لأن الحاكم من العلماء فقد انتشرت الكثير من الهجر العلمية والمدارس وكذلك في المساجد وتشد إليها الرحال من القرى إلى المدن ونشطت حركة التأليف.

ولقد تكلم الباحث عن شخصية ابن حابس، فكان لقبه شمس الدين وكان يسكن صعدة فكان يدعى بالصعدي وهو ممن قرأ على يد القاسم بن محمد فكان أحد تلامذته وولاه القضاء.

أما الفصل الثاني فهو يشمل تعليقات ، وأقوال ابن حابس في كتاب الجنائز من غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ،ودفنه ،وأحكام تفصيلية عن كل ذلك.

Abstract

The content of the research: It is about what was emerged from the sayings and opinions of the judge, the scholar / Ahmed bin Yahya Habis, who died in the year (1061 A.H.) in his book Al-Jana'iz from his book Takmil Sharh Al-Azhar Al-Azhar Al-montaza min Al-Gaith Al-Midrar . The researcher divided his research into two chapters: the first chapter is the translation for the author, and the second chapter is the sayings and opinions that he prefferred in the book Al-Jana'iz.

From what the researcher dealt with in the first chapter, knowledge about the religious, social and political situations in the author's era, where the research indicates that Yemen was occupied by the Ottomans and that their corruption and oppression had reached its climax, which led to a revolution by the rise of Imam Al-Qasim bin Muhammad, in which thousands of dead on both sides were killed. Imam al-Qasin expelled them from it, and declared Yemen's complete independence from the Ottomans, and the rule of Yemen was al-Qasim bin Muhammad and his family, being scholars and mujtahids, by declaring the Imamate, and it lasted for 33 years. Travelers from villages to cities, and there were compositions for books. The researcher spoke about the character of Ibn Habis. His nickname was Shams al-Din. He lived in Sa'ada. He was called al-Sa'di. He was one of those who read at the hands of al-Qasim ibn Muhammad. Funerals book of washing, shrouding and burial of the dead, and detailed rulings on that

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستغفره ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه ،ونصلي ونسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه الأخيار و سائر الأنبياء والمرسلين، وبعد:

مما لا شك فيه أن دين الإسلام يسمو بالإنسان المسلم الملتزم إلى أعلى درجات العزة والطهر والصفاء الروحي والبدني الذي لا يناله إلا العظماء.

فالإسلام نعمة عظيمة من الله، يحفظ للإنسان كرامته حيًّاً وميتاً، فمما أرشدنا إليه ديننا كيفية التعامل مع الإنسان المسلم سواءً عند احتضاره للموت كتلقينه الشهادتين، أو بعد الموت من كيفية غسله، وتكفينه، والصلاة عليه، ومواراة جسده في التراب، والحفاظ على المكان الذي دُفِن فيه، وحرمته من الثرى إلى الثريا، وهذا هو عنوان بحثنا الذي أحببنا اتحاف الطلاب والباحثين والمطلعين على أمور الدين من المسلمين.

الدراسات السابقة :

لم يسبق أن بُحث هذا الموضوع كمسائل وأقوال وردت عن القاضي العلامة ابن حابس، ولهذا لم تغفل الشريعة من إدراج هذا الباب في كتب الفقه العامة عند جميع المسلمين.

مشكلات البحث :

- أن كتاب الجنائز قد يغفل عنه الكثير من العوام أو المتعلمين.

أهمية البحث :

١- حاجة الناس إليه و كثرة تناوله، وأن معرفة هذه المسائل مما حث عليه الدين بالتفقه فيها .

٢- أن نحترم أقوال وآراء علمائنا الأوائل، ونسهل معرفتها للطلاب الباحثين في هذا الباب، وإخراجها إلى الوجود بدلاً من أن تكون حبيسة الأدراج .

٣- رغبة الباحث بالمشاركة في خدمة فنون الشريعة الإسلامية من خلال هذه المفردات .

يهدف هذا البحث إلى :

١- التعريف بالقاضي / أحمد بن يحيى حابس، و الأقوال التي كان يميل إليها في كتاب الجنائز .

٢- إبراز ما تركه علماؤنا الأوائل من موروثهم العلمي، ومكانتهم العلمية التي وصلوا إليها .

٣- لعناية بتحقيق أقوال آراء القاضي أحمد بن يحيى حابس في كتاب الجنائز

٤- رفد المكتبة الإسلامية بالبحوث التي قد تساعد الطلاب والباحثين للاستفادة منها.

حدود البحث :

- عنوان البحث : أقوال وآراء القاضي أحمد بن يحيى حابس .
- التعريف بالمؤلف والترجمة له، وبعصره بما فيه الجوانب السياسية، والاجتماعية، والعلمية .
- مسائل الجنائز من كتاب تكميل شرح الأزهار المنتزع من الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار.

منهج البحث:

- لقد سلكت في هذا البحث مسلك المحققين وهو المنهج الاستقرائي التحليلي.
- عزو الآيات القرآنية إلى السور التي ذكرت فيها ثم إدراجها في الهامش .
- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها من كتب الحديث، وإدراجها في الهامش .
- وضع عناوين بارزة للأقوال والآراء التي قال بها القاضي ابن حابس، وجعل ذلك في حاصرتين.
- الترجمة للأعلام المذكورين في البحث، وبصورة مختصرة مع الإشارة بالعودة إلى كتب التراجم .
- اكتفيت بالترجمة لأول ذِكر للأعلام، أو الكتب، أو الأماكن والبلدان.
- تفكيك الكلمات الغريبة وذلك بالرجوع إلى قواميس اللغة المشهورة.
- توثيق أقوال الفقهاء المذكورين في البحث وذلك من كتبهم، أو كتب المذهب، أو الطائفة التي يميلون إليها.
- وضع علامات الترقيم وفق القواعد الإملائية الحديثة .

خطة البحث :

يتكون البحث من التالي:

١- ملخص البحث .

٢- المقدمة، وتشتمل على : الدراسات السابقة، ومشكلات البحث، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه.

٣- المبحث الأول : التعريف بعصر المؤلف وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية في عصر المؤلف .

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية في عصر المؤلف.

المطلب الثالث: الحالة العلمية في عصر المؤلف .

المبحث الثاني : التعريف بالمؤلف و الترجمة له وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: اسمه ولقبه ،ونسبه .

المطلب الثاني: موطنه وولادته .

المطلب الثالث: طلبه للعلم ،وثناء العلماء عليه .

المطلب الرابع: شيوخه وتلامذته .

المطلب الخامس: مذهبه ومصنفاته ووفاته .

٤- المبحث الثالث: أقوال وآراء القاضي العلامة بن حابس في كتاب الجنائز.

٥- الخاتمة وفيها: النتائج والتوصيات .

٦- قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول

التعريف بعصر المؤلف وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الحالة السياسية في عصر المؤلف:

عاش العلامة أحمد بن يحيى حابس في الفترة من ١٠٠١هـ وحتى ١٠٦١هـ تقريباً، قضاه كله في اليمن، وقد عاصر في الشطر الأول من عمره بداية الصراع بين أئمة اليمن والولاة العثمانيين أثناء وجودهم الأول في اليمن، والذي بدأ سنة ٩٢٣هـ، وكانت اليمن في تلك الفترة تشتعل من الدولة العثمانية اشتعالاً لما جبل عليه بعض الولاة العثمانيين من الجور والفساد الذي لا تحتمله طباع أهل هذه البلاد[(١)]،وقد علل أحد مؤرخي الأتراك عند ذكر أسباب الثورات والسخط ضد العثمانين بقوله : "والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم، وتقهقر عددهم، ما يرتكبون من ظلم العباد، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية التي تصدر عن قلوب منكسرة ليس لها ناصر إلا الله". ونتيجة لذلك ظهرت الحركة الثورية المتمثلة في مقاومة الوجود العثماني في اليمن والتي تبلورت بشكل كبير في خروج الإمام المجدد القاسم بن محمد[(٢)]، على الوجود العثماني، بعد أن دعا للإمامة وبويع لحكم اليمن وذلك في شهر محرم الحرام سنة: ١٠٠٦هـ. وقد دارت حروب بين الدولة العثمانية وأتباع الإمام القاسم بن محمد، وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين، يوم لهؤلاء ويوم لأولئك، حتى وقع الصلح بين الإمام القاسم بن محمد وبين العثمانيين؛ بأن له الحكم في البلاد التي أصبحت تحت يده وهو غالب الجبال، واستمر الأمر كذلك حتى مات ليلة الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٠٢٩هـ.

وتولى بعده ابنه الأكبر محمد، وتلقب بـ "المؤيد بالله"(٣)، فقام بإقرار الصلح الذي وقع بين والده والوالي

(١) انظر: الشوكاني: محمد: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،ج٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٨هـ،[٢/٤٩-٨٤].

(٢) القاسم بن محمد: بن علي بن الرشيد، ولد في قرية الشاهل من قضاء الشرفين سنة: ٩٦٧هـ، فنشأ في بيئة علمية، أعلن نفسه إماماً لليمن سنة ١٠٠٦هـ،ثم توفي في مدينة شهارة سنة ١٠٢٩هـ. انظر: المحبي: محمد أمين بن فضل الله: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (المتوفى: ١١١١هـ)، دار صادر – بيروت (٣/٢٩٣)، وانظر: البدر الطالع [٢/٤٧].

(٣) الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم: بن محمد بن علي بن الرشيد، ولد سنة ٩٩٠هـ، أخذ العلم عن والده، ولما مات والده أجمع العلماء عليه وبايعوه وذلك في سنة ١٠٢٩هـ، وكانت وفاته سنة ١٠٥٤هـ. انظر: البدر الطالع [٢/ ٢٣٠-٢٣٢].

العثماني[١]، واستمر الصلح بين الإمام المؤيد بالله محمد والعثمانيين لفترة من الزمن، وساد البلاد شيء من الهدوء والاستقرار، وظل الأمر على ذلك حتى سنة: ١٠٣٦هـ، إذ انتقض الصلح بين الطرفين بسبب قتل العثمانيين أحد العلماء التابعين للمؤيد بالله، فدارت حروب بينهم، وعلى الرغم من امتلاك القوات العثمانية في اليمن للقوة والسلاح والجيوش النظامية، إلا أن روح الثورة والخروج المقاوم للظلم والاحتلال لدى اليمنيين قد استطاعت أن تقهر تلك القوة، وكانت النتيجة أن يهزم جيش المؤيد بالله العثمانيين، وأن يدخل البعض منهم في الطاعة، ويخرج البقية منهزمين.

وبعد خروج الأتراك من اليمن قام الإمام المؤيد بالله محمد بتثبيت دعائم الدولة، فاستتب له الأمر، غير أنها حدثت بعض الاضطرابات والقلاقل الداخلية بينه وبين أفراد من أسرته الذين خرجوا عليه، وبينه وبين أفراد من خارج الأسرة الحاكمة، وقد انتهى الأمر إلى إخضاعهم لنفوذ الدولة، واستقرت بعد ذلك البلاد حتى توفى الإمام المؤيد بالله محمد في رجب سنة: ١٠٥٤هـ[٢].

وبعد وفاة المؤيد بالله محمد حصلت خلافات بين أسرة بني القاسم، وبين أسر آخرين بحجة أحقية الولاية، فوصل الأمر إلى التسليم والمبايعة للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم[٣] أخو المؤيد بالله.

وقد امتد حكم الإمام المتوكل إسماعيل، ثلاثة وثلاثين عاماً، دخل اليمن مرحلة أخرى من مراحل تاريخه الحديث، فقد استطاع الإمام المتوكل إسماعيل أن يبسط نفوذه على كل أرجاء اليمن من عسير[٤] شمالاً وحتى حضرموت[٥] جنوباً، وقد استولى على المناطق الجنوبية لحج[٦] وأبين[١] وخنفر[٢] وعدن[٣] ورداع[٤]

(١) كان الوالي العثماني آن ذاك محمد الباشا وهو الذي وقع الصلح مع الإمام القاسم بن محمد بعد حروب استمرت ثلاث سنوات متواصلة، وتولى اليمن من سنة: ١٠٢٥ هـ إلى سنة: ١٠٣٠ هـ.

(٢) انظر: بهجة الزمن [١/٢١٠-٢١١]، طبق الحلوى (ص: ٨٦ وما بعدها).

(٣) الإمام المتوكل على الله إسماعيل: بن القاسم بن محمد، ولد سنة ١٠١٩هـ وآل إليه حكم اليمن بعد وفاة أخيه المؤيد بالله سنة ١٠٥٤هـ وفي عهدة توحدت اليمن وبرز العلماء في زمانه، وبعد أن حكم اليمن لمدة ٣٣سنة توفي سنة ١٠٨٧هـ. انظر: البدر الطالع [١:٢٤٦]، أعلام المؤلفين الزيدية (ص:٢٥١-٢٥٤).

(٤) عسير هي: المنطقة الجبلية الممتدة ما بين الحجاز واليمن ومن مدنها الهامة أبها. انظر: كتاب التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير[٢ / ١٥٢].

(٥) حضرموت: صقع مشهور في الشرق الجنوبي من اليمن يشمل بلدان كثيرة كشبام، وتريم الحبوضي، والشحر، والمكلا، ودوعن، وبلاد الحموم. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها [٢/٢٦٣-٢٧٦].

(٦) لحج: بفتح فسكون. صقع واسع شمال مدينة مشهورة على مقربة من مدينة عدن، وهي أم قرى الأصابح. انظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية. (٢/٣٦٦-١٣٦٩)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها [٤/٦٧٧].

في عام ١٠٥٥هـ، وسائر بلاد المشرق اليمني، ويافع[٥] وما يليها إلى الشحر[٦]، وكذلك ظفار[٧]، في سنة ١٠٦٥هـ، فقد انفصلت هذه المناطق عن اليمن بعد انسحاب العثمانيين من اليمن، ولم يحل عام (١٠٧٤هـ) إلا وقد تمكن الإمام المتوكل إسماعيل من بسط نفوذه على جميع بلاد اليمن بعد معارك شديدة أسفرت عن آلاف القتلى.

وفي خلال حكمه توفي المؤلف القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس سنة: ١٠٦١هـ[٨].

يمكن أن نلخص الحالة السياسية لليمن في الفترة التي عاش فيها العلامة أحمد بن يحيى حابس، بالآتي:

١- في تلك الفترة ازدادت رقعة الاحتجاج والسخط في اليمن على العثمانيين، ولعل ذلك بسبب جورهم على الرعية، وقد أدى ذلك إلى انطلاق شرارة الثورة ضدهم، بقيادة الإمام القاسم بن محمد.

٢- استقلال اليمن تماماً عن الدولة العثمانية، وتعتبر أول بلد عربي ينفصل عن الدولة العثمانية.

٣- من تولى حكم اليمن في تلك الفترة من أسرة آل القاسم، وكان كلهم من علماء المذهب الزيدي، وهم إما علماء مجتهدون، أو علماء دون مرتبة الاجتهاد.

٤- ساد الاستقرار السياسي بشكل عام في فترة حكم الإمام المتوكل إسماعيل والتي امتدت ٣٣ عاماً باستثناء بعض الاضطرابات التي كانت تحدث بين الحين والآخر، لكن كان يتم القضاء عليها.

---

(١) أُبَيَّن: مخلاف مشهور على ساحل المحيط الهندي شرقي عدن. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها [٥٥/١].

(٢) خنفر: احدى المناطق التي تقع في أبين. انظر: معجم البلدان [٢ / ٣٩٤].

(٣) عدن: مدينة باليمن بينها وبين أبين اثنا عشر ميلاً، اشتهر اسمها لأنها مرسى البحرين، ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين، وسميت بعدن بن سبأ. الروض المعطار. (ص:٤٠٨).

(٤) رداع: تقع إلى الشرق من ذمار بمسافة ٥٣كم، وهي مدينة قديمة ورد ذكرها في النقوش الحميرية، ويقال: أن التُّبع شَمَر يُرعش سكنها وبها آثار قلعته. انظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية [١٧٥/١].

(٥) يافع: قبيلة مشهورة تقع منازلها فيما بين الضالع ولحج في المنطقة المعروفة قديما باسم سرو حمير. انظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية [١٨٩٤/٢].

(٦) الشِحْر: ناحية معروفة في ساحل حضرموت. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها [٤٤٧/٣].

(٧) ظفار: اسم مشترك بين محلات كثيرة منها: ظفار داود، حصن في بلاد همدان من أعمال ذيبين، سمي بداود بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة، وهو في الأصل جبل ورور، وظفار حصن في حازة صنعاء كان قريباً يعرف بقرية عنتر، وظفار حصن في بلاد همدان الشام من أعمال صعدة، وظفار حصن في بني سويد من بلاد آنس وهو في الأصل أشيح، وظفار حمير في بلاد يرم، وظفار الحبوظي مدينة على ساحل حضرموت، وهي المقصودة هنا. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها [٥٦٤/٣].

(٨) انظر: مطلع البدور[٢٧١/٢]، طبقات الزيدية الكبرى، [٤٣٤/١]، البدر الطالع، [١٦٩/١]، أعلام المؤلفين الزيدية (ص: ٤٢١).

٥-توحدت اليمن حتى أصبحت دولة واحدة من ظفار وحضرموت جنوباً إلى المخا والحديدة[١] غرباً، ثم إلى عسير شمالا.

٦- عاصر العلامة أحمد بن يحيى حابس، ثلاثة أئمة حكموا اليمن في تلك الفترة وهم: الإمام القاسم بن محمد، وولداه المؤيد بالله محمد، والمتوكل على الله إسماعيل.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية في عصر المؤلف

كانت الحياة الاجتماعية في اليمن في تلك الفترة غالباً ما تتميز بأن القبيلة هي الركن الأساس في النظام الاجتماعي، وخاصة في المناطق الشمالية لليمن، فقد كان فيها قبيلتان، هما: حاشد[٢] وبكيل[٣] في كلٍ من صنعاء وألويتها وحجة وضواحيها، كما ذكر ذلك المؤرخ الجرموزي[٤].

ولقد كان للقبيلة في تلك الفترة دور هام في الحياة السياسية والصراعات والنزاعات التي كانت تحدث بين الأئمة، نذكر على سبيل المثال ما حصل في مدينة عدن ولحج ويافع وحضرموت، حيث أن القبائل لعبت دوراً أساسياً في التاريخ السياسي، وخصوصاً في فترة حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، حيث أشار الجرموزي إلى أن قبائل يافع، وغيرها إلى حضرموت جابهت القوات الإمامية في بدايات مد نفوذها إليها، وذكر في موضع آخر أن قبائل يافع كانوا يكرهون الزيدية خصوصاً[٥].

وقد كانت الطبقات الاجتماعية في اليمن في تلك الفترة تتكون من عدة شرائح هي:

(١) الحديدة: أكبر مدن تهامة الآن وأشهر موانيها على البحر الأحمر يعود تأريخ استخدامها كمنطقة صيد إلى القرن الثامن الهجري، ثم استخدمت عام (٨٥٩هـ) كمرسى، ثم قرية وميناء صغير عام (٩٢٠هـ) وهي الآن ميناء هام ومحافظة. انظر: الحموي: شهاب الدين: معجم البلدان والقبائل اليمنية ،ج١، بيروت، ١٩١٥م ،١٧٥-١٧٦.

(٢) خاشد: بطن من بطون همدان من القحطانية، وهم بنو حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان، وحاشد هو أخو بكيل، وبلد همدان فيما بين صنعاء وصعدة شرقيها لبكيل وغربيها لحاشد. انظر: الأندلسي: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ،٤٧٥.

(٣) بكيل: بطن من همدان من القحطانية، وهم بنو بكيل بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوفل بن همدان، ينسب إليهم مخلاف بكيل. انظر: القلقشندي: أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ،٦٣. وانظر: كحالة الدمشقي: عمر بن رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ،ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ١٠٠.

(٤) المطهر الجرموزي: بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن الداعي المنتصر الحسني اليماني الزيدى المعروف بالجرموزي، مؤرخ وعلامة، تولى عتمة لفترة كبيرة، من مؤلفاته: تحفة الأسماع والأبصار، وغيرها، توفي سنة: ١٠٧٧هـ. انظر: البغدادي: إسماعيل: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج٢، وكالة المعارف، استانبول ،١٩٥١م، ٤٦٣. وانظر: الجنداري: أحمد بن عبدالله: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز ،ج١، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، اليمن ،صنعاء، بدون، ٤١٤.

(٥) انظر: الجرموزي: المطهر بن محمد: تحفة الأسماع والأبصار ،ج١، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، بدون ،٧٢.

- الطبقة الأولى: طبقة الأشراف، من ينتسب لآل البيت.
- الطبقة الثانية: طبقة رؤساء القبائل، ويمثلها شيوخ القبائل، إضافة إلى الحكام والعلماء (القضاة).
- الطبقة الثالثة: طبقة التجار والحرفيين والعسكر والفلاحين.
- الطبقة الرابعة: فتتمثل في الشرائح التي تقدم خدمات للآخرين، أو تمارس حرفاً ومهناً تقليدية كالأخدام والعبيد[١]، ومن المعلوم أن طبيعة الحياة في ظل المجتمع اليمني بطابعه القبلي وتحديدًا في شمال اليمن وشرقه متخمة بالصراعات المسلحة، والانقلابات القبلية المتعاقبة ولعل هذا من أبرز العوامل التي أسهمت في زعزعة الأمن والاستقرار وتحديدًا في المناطق المعروفة بولائها القبلي والتي منها مدينة صعدة المكان الذي ولد ونشأ وترعرع فيها القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس.

وبما أن القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس، قد عاصر كوكبة من أبرز أئمة الدولة القاسمية، فإنه بلا شك قد عاصر اضطرابات تلك المرحلة الزمنية وتقلباتها السياسية وتحديدًا تلك القلاقل التي كان زعماء القبائل يثيرونها بين الحين والآخر، كما هو الحال في حركة السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي، والتي آزره فيها أكثر من مرة بعض مشائخ قبائل الشام بصعدة ولكنه آنس منهم الخذلان بعد أن واجهته عساكر الإمام وتفرقت عنه القبائل، وخصوصًا قبيلة الشيخ روكان[٢].

وعلى الرغم من انتشار العديد من انتهاكات القبائل اليمنية وتعدد ولاءاتها إلا أن الإمام القاسم بن محمد، ومن بعده ابنه الإمام المؤيد محمد، قد استطاعا أن يؤسّسا لنظام اجتماعي متماسك عن طريق احتواء تلك المشاكل والانقلابات باللين والحكمة، وهذا ما ساعد الإمام المؤيد محمد بن القاسم فيما بعد على توسيع نطاق نفوذه الجغرافي وتوحيد البلاد تحت لوائه، وإخراج الغزاة منها، وقد نجح في ذلك عندما أجلى آخر حاكم عثماني "قانصوه باشا" في سنة: ١٠٤٥هـ، وبذلك أصبحت البلاد تحت حكم الإمام وقامت أول دولة موحدة في اليمن منذ أن دخلها العثمانيون[٣].

(١) انظر: تحفة الأسماع والأبصار [ص:٢١]. وانظر: الشرجبي: قائد نعمان: القرية والدولة في المجتمع اليمني، دار التضامن للطباعة ،بيروت، ١٩٩٠م، ١٨٠-١٨١.

(٢) الشيخ يحيى بن محمد بن روكان الحمي ثم البحري، خرج وقرد على المتوكل إسماعيل أكثر من مرة، أحد مشايخ خولان الشام، توفي في سجنه في ضوران سنة: ١٠٦٦هـ. انظر: اليماني: تاج الدين: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ج١، دار الكلمة ،صنعاء ،١٩٨٥م، ٧٥.

(٣) انظر: الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في اليمن: الدار السعودية للنشر والتوزيع، بدون، ١٣٧.

والخلاصة بأن الأوضاع الاجتماعية في اليمن لم تكن مستقرة، وتحديدًا في تلك المرحلة التاريخية التي عاصرها القاضي أحمد بن يحيى حابس، فالصراع القائم فيما بين الإمام القاسم وأولاده من بعده، والعثمانيين من جهة، وفيما بين آل القاسم والقبائل المناوئة لحكمهم من جهة أخرى، قد أسهم بشكل أو بآخر في زعزعة الأمن والاستقرار في أغلب الأحيان.

المطلب الثالث:الحالة العلمية في عصر المؤلف

وإذا ما تتبعنا مسار الحياة العلمية في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري، نجد أن حالات الصراع والاضطرابات السياسية التي كانت مهيمنة على الوضع العام في تلك المرحلة الزمنية لم تؤثر بشكل ملحوظ على واقع الحياة العلمية في اليمن، أو تحدّ من نشاط العلماء والهجر العلمية المنتشرة في كل مكان، مما يؤكد أن آل القاسم لم يهملوا هذا الجانب المشرق في هذه الدولة بل اهتموا به اهتمامهم بأي جانب آخر من الجوانب المكونة للدولة القاسمية في ذلك الوقت، حيث "كانت سياستهم تقوم على تشجيع النواحي الحضارية في البلاد سواء كانت علمية أو أمنية، أو عمرانية أو إدارية، وهذا ما تؤكده التركة العلمية التي خلفها الإمام القاسم بن محمد وأولاده من بعده في مختلف الفنون والعلوم فضلاً عن الحراك العلمي الذي أثارته تلك الكتب التي ألفها أئمة آل القاسم في عصرهم والعصور اللاحقة بين مختلف الطوائف والفرق، وما ترتب على ذلك الحراك من إثراء تلك المؤلفات بالشروح والاختصارات والعناية بها دراسة وتحقيقًا ونسخًا وتداولاً"[(١)].

ولم تكن تلك النهضة العلمية التي شهدتها اليمن في القرن الحادي عشر الهجري –عصر القاضي ابن حابس–حكراً على النخب العلمية وكبار الأئمة والعلماء، فمدارس العلم وهجره كانت مفتوحة أمام الجميع بلا استثناء، فتنافس الجميع على الاغتراف من منابع العلم والمعرفة وتعددت الهجر حتى تحولت المساجد إلى مدارس علمية تشد إليها الرحال في ظل بيئة تشجع على طلب المعرفة والبحث والتحصيل العلمي.

ولقد كان كثير من الأئمة والملوك والأمراء والموسرين ومشايخ القبائل وأعيانها في اليمن ينشئون هجرا

(١) انظر: المؤيد بالله محمد بن القاسم في اليمن [ص:١٣٨].

ورباطات ومدارس علمية، ويوقفون عليها أحسن أموالهم وخزائن كتبهم، ويوفرون لها كل ما تحتاج من الأموال والأمن والحماية، ويكفلون لها سبل نشر العلم والمعرفة، وقد اشتهر في تلك الفترة، هِجرة طلاب العلم من الريف إلى المدينة أو المناطق التي تتوفر فيها هجر العلم، وترك المهتمون قراهم منصرفين عن الزراعة، واتجهوا إلى مدارس العلم للتفرغ لطلبه(١).

ولعل اهتمام الكل بالعلم وإكرام العلماء وطلاب العلم يعود إلى أن الأئمة الذين حكموا اليمن في تلك الفترة هم من أتباع المذهب الزيدي، ومعروف أن من شروط الإمامة (٢) في المذهب الزيدي أن يكون الداعي لنفسه بالإمامة عالما مجتهدا، وأيضا اهتمام الولاة والدولة بالعلم والعلماء قد ساعد في ازدهار الحركة العلمية في ذلك العصر، وهنا نذكر على وجه الاستدلال كيف كان اهتمام بعض الأئمة بالعلماء:

ما ذكره يحيى بن الحُسَيْن بن القاسم عندما ترجم للعلامة الحسن بن شمس الدين بن جحاف(٣) في بهجة الزمن حيث ذكر أنه ترك أسرته في القرية، واتجه إلى صنعاء للتفرغ للعلم وقد تكفل بإطعامه أحد الأعيان، كما أمر الحسن بن القاسم ببناء منظرة له(٤).

وقد كانت البيئة التي نشأ فيها القاضي أحمد بن يحيى حابس، عامرة بالمدارس والرباطات العلمية، وكان معظم الأئمة الذين عاصرهم من العلماء، أو ممن يميل إليهم ويقربهم، فنجد مثلاً أن الإمام القاسم بن محمد اشتغل بطلب العلم على يد علماء عصره، وبرع في العلوم الشرعية، وصنف فيها المصنفات وبنى بعض الدور لطلاب العلم، وكان يحث على احترام العلماء وطلب العلم، وكان يعد طلب العلم من أكبر الفرائض وأعظم الطاعات(٥).

(١) انظر: بهجة الزمن، [٢٧١/١]. وانظر: الأكوع: إسماعيل: المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،بدون، ٧. وانظر: الأكوع: إسماعيل: هجر العلم ومعاقله، ج١، دار الفكر، بيروت ،١٤١٦هـ-١٩٩٥م،٦-٧.

(٢) انظر: الإمام عزالدين بن الحسن :العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة، بدون، [٣٦].

(٣) هو: الحسن بن شمس الدين بن جحاف، السيد، العلامة، من مشايخه الشيخ العالم أحمد بن علان الشافعي، له (شرح على لامية العجم للطغرائي)، توفي سنة ١٠٥٥هـ. انظر: المؤيد: إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى ،مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ،١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ٢٧١.

(٤) انظر: بهجة الزمن، [٢٧١/١].

(٥)البدر الطالع ،[٣/ ٤١٧]. وانظر: الشرفي: أحمد بن محمد: اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية، ج٣، تحقيق: سلوى المؤيد: جامعة :صنعاء ،قسم التاريخ ،٢٠٠٩م ،٤١٧.

وكذلك كان ابناه الإمامان: المؤيد محمد، والمتوكل إسماعيل في الاهتمام بالعلم والعلماء وطلاب العلم، فجدَّا في طلب العلم، وصنفا طائفة من المصنفات في كثير من العلوم الشرعية، وكان لهما تلاميذ تعلموا على أيديهم(١).

ولقد كان الإمام المؤيد محمد بن القاسم مهتما بتعمير المدارس، وتفقد أمور أهلها، وكان يتولاها بنفسه، وكان معروفا بالإحسان إلى أهل العلم(٢)، واستمر الاهتمام بالحركة العلمية في عصر أخيه الإمام المتوكل إسماعيل، وكان يلزم ولاته بإحيائه، ويأمرهم أن ينفقوا على كل من يُقبل على طلب العلم من بيت المال حتى يتفرغ لطلب العلم، وكان محبا للعلماء، محببا إليهم(٣).

وكان يشغل أوقاته بالتدريس والمطالعة، ولهذا بلغ العلماء في أيامه عددا كثيرا لم يقع في أيام غيره، وكانت للإمام المتوكل إسماعيل مكتبة، جمعت كل العلوم حتى جمع منها -بعد إخراج الثلث وقسم الباقي- خمسة وعشرون ألف مجلد(٤).

وهنا نستطيع القول: إن موقف الدولة والأئمة من العلماء هو الاهتمام بهم وتشجيعهم وبناء المدارس وكفالة طلاب العلم، فعلى سبيل المثال نجد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، ويعتبر آخر الأئمة المجتهدين، كان يصرف على الطلبة والعلماء ما يحتاجونه من طعام ومأوى، كما حرص على عقد الكثير من مجالس العلم، ولم يكن يضيق صدره بالمخالفين له في الرأي أو الاجتهاد الفقهي وحتى السياسي، فلم يتخذ أي موقف عدائي، يقول الجرموزي عن المتوكل على الله إسماعيل: "ولقد قرب العلماء منه وأجزل لهم العطاء، وكان إذا ما زار مدينة أو قرية اصطحب معه أكابر العلماء وطلبة العلم يأخذون عنه ما يريدون، وهو يبذل ويفيض عليهم من بيوت الأموال ما يحتاجون إليه"(٥).

(١) انظر: تحفة الأسماع والأبصار [ص:٩٦، ٩٧]. انظر: الحموي: محمد أمين: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٤، دار النشر، بيروت ،١١١١هـ، ١٢٢. وانظر: البدر الطالع [١٦٢/١، ١٦٣].

(٢) انظر: البدر الطالع [٧٥٦/٢].

(٣) انظر: الوزير: عبدالله: طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، مركز الدراسات والبحوث اليمني ،صنعاء، بدون، ٣٢٤.

(٤) انظر: العرشي: القاضي حسين: بلوغ المرام في شرح مسك الختام، مكتبة الإرشاد ،صنعاء ،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ٦٧. وانظر: بهجة الزمن [٢٧٧/٢، ٢٧٨].

(٥) انظر: تحفة الأسماع، [ص:٧٧].

ولعل اهتمام الإمام المتوكل بالعلماء كان له الأثر في رجال الدولة، حيث تنافسوا في رعاية طلاب العلم، فمثلا ذكر الجرموزي أن محمد بن الحسن قام بإنشاء وإصلاح العديد من دور العلم في كل من ذمار وإب[١] لتلقي الدرس والتدريس[٢].

وقد كانت صنعاء أهم المراكز العلمية البارزة في عصر الإمام المتوكل، لذلك فقد توجه إليها كثير من علماء العرب والْمُسْلمين، وهؤلاء كما ذكر الجرموزي بأنهم قد تلقوا كل الاهتمام والرعاية من قبل الإمام المتوكل، حيث أمّن لهم محل إقامتهم، وهيأ لهم سائر جوانب معيشتهم الأخرى، وكان يعقد الجلسات العلمية معهم[٣].

(١) إب: مدينة تقع جنوب صنعاء بمسافة تقدر بـ: (١٧٢كم) بالسفح الغربي لجبل بعدان. انظر: معجم البلدان، [٦٤/١].

(٢) انظر: تحفة الأسماع والأبصار [ص:٧٨].

(٣) انظر: المصدر السابق، [ص:٧٨].

المبحث الثاني

التعريف بالمؤلف والترجمة له وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ولقبه، ونسبه

أما اسمه، ولقبه: هو القاضي العلامة حافظ علوم الزيدية شمس الدين/أحمد بن يحيى بن أحمد بن حابس، الدواري، الزيدي، الصعدي، اليمني، أحد مشاهير علماء الزيدية، عالم، حافظ، حجة، مسند، محقق، شاعر(١).

ويلقب: بـ(شمس الدين)، وقد لقب بهذا اللقب تقديراً لجهوده العلمية ومكانته الرفيعة وشهادة لفضله ونزاهته وورعه.

أما نسبه: ينسب ابن حابس، باعتبار المولد والموطن: فيدعى الصعدي اليمني؛ لأن أسرتة كانت تسكن في (صعدة) والتي تقع في شمال اليمن تبعد عن صنعاء ٢٣٠ كم.

وينسب باعتبار أصله، فيدعى الدواري، نسبة إلى أسرة آل الدواري والتي تنسب إلى دوار ابن أحمد.

وينسب باعتبار العمل الذي كان يشتغل به: فيدعى القاضي، نسبة إلى القضاء لأنه كان قاضياً.

وينسب باعتبار أحد أجداده: فيدعي ابن حابس.

وينسب باعتبار مذهبه: فيدعى الزيدي، لأن مذهبه زيدي(٢).

المطلب الثاني:موطنه وولادته

أما موطنه: كان يسكن في صعدة إحدى محافظات اليمن المعروفة(٣).

أما مولده: ولد ونشأ العلامة ابن حابس في مدينة صعدة، في فترة متخمة بالصراعات والثورات ضد الوجود العثماني في اليمن.

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى، [١ / ٢١٥]. وانظر: مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية: أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت:١٠٩٢هـ)، تحقيق: عبدالرقيب مطهر محمد حجر، عناية: الإمام مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، منشورات: مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن– صعدة، ط١: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م،،[١ / ٤١٢]. وانظر: الضحياني: عبدالله: الجواهر المضيئة في معرفة رجال الحديث من الزيدية ،(مخطوط) عدد الألواح: ١١٤، [ص ٨٣].

(٢) انظر: المصادر السابقة. وانظر: هدية العارفين، [١٥٩/١] . وانظر: الوجيه: عبدالسلام: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ١٩.

(٣) انظر: أعلام المؤلفين الزيدية، ١٩.

أما تاريخ مولده فعلى الرغم من شهرة القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس، العلمية والقضائية، في تلك المرحلة الزمنية، فإن علماء التاريخ وأصحاب التراجم ممن اهتموا بتوثيق آثار هذا العالم الجليل .

قال صاحب كتاب أعلام المؤلفين الزيدية عبدالسلام الوجيه، "والذي يشير إلى أن القاضي أحمد بن حابس قد ألّف كتابه: (تكملة الأحكام) والمعروف عند العلماء بـ (شفاء الأسقام في توضيح التكملة للأحكام) سنة: ١٠١٩هـ، وعمره ثماني عشرة سنة حسب تاريخ النسخة المرقومة بخط المؤلف والموجودة بمكتبة السيد محمد عبد الملك المرواني"، وهذه المعلومة الدقيقة قد فتحت الآفاق أمام الباحث لإعادة النظر في حل إشكالية تحديد زمن المولد بما يتوافق مع المعطيات التاريخية التي أفصحت عنها تلك المعلومة الفريدة، وبالعودة إلى تاريخ وفاة المؤلف، والتي أجمعت كتب التاريخ والتراجم على أنه قد انتقل إلى جوار ربه في يوم الاثنين رابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٠٦١هـ، بمدينة صعدة، فإن هذا التحديد الدقيق لتاريخ الوفاة عندما يتم رفده بتلك المعلومة التي تتحدث عن تاريخ تأليفه لكتابه التكملة واحتساب تلك الفترة الزمنية من تاريخ وفاته سوف تمنحنا القدرة على القول بأن تاريخ مولد القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس سيكون في العام ١٠٠١هـ، تقريباً، وبذلك نكون قد أسهمنا في حل إشكالية غياب المعلومة التاريخية التي تحدد تاريخ مولد هذه الشخصية العلمية الفريدة وأكملنا النقص الذي تضمنته كتب التاريخ والتراجم منذ أمد طويل[(١)].

المطلب الثالث: طلبه للعلم، وثناء العلماء عليه.

أما طلبه للعلم: فلا شك أن صعدة كانت بيئة خصبة للعلماء فقد احتضنت علماء كثر، وكانت معقلا من معاقل العلم في تلك الفترة، ولعلّ وجود هذه البيئة العلمية قد أثر في العلامة أحمد بن حابس، فقرأ وتتلمذ على أبرز علماء صعدة، ولم يقتصر على أخذ العلم عن العلماء في صعدة، بل إنه هاجر طلباً للعلم فكان من تلامذة الإمام القاسم بن محمد –عليه السلام– وقرأ عليه ولازمه ثم تولى القضاء بصعدة، وولي الخطابة والإمامة بجامع الهادي، وعكف على نشر العلم والتأليف والتدريس والوعظ والإرشاد.

وقد كان للبيئة والأسرة التي نشأ فيها الأثر الكبير في صقل موهبته، فهو ينتمي إلى أسرة عريقة لها تاريخها

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى ،[١ / ٢١٦].

الطويل في ميادين العلوم والمعارف وشؤون القضاء، فوالده هو القاضي الفاضل الأعلم العلامة يحيى بن أحمد حابس، قيل عنه: كان بقية العلماء الفضلاء أهل الورع الشحيح والإيمان الصحيح وكان متولياً للقضاء، وكان فيصلاً في الحكومات، لا يرى اثنان يترددان عليه في الأغلب لفطنته وعرفانه بمدارك القضاء وكثرة بروزه للناس[١].

وفي هذه العجالة يمكن القول إن البيئة التي عاش فيها، والأسرة التي كان ينتمي إليها، كانا من أبرز العوامل التي ساعدته في طلب العلم والنبوغ فيه حتى أصبح من أبرز العلماء في ذلك العصر.

أما ثناء العلماء عليه: لقد كان للعلامة أحمد بن حابس، مكانة علمية مرموقة، ولقد أثنى عليه شيوخه وتلامذته، وكل من ترجم له بأنه كان إماماً عالماً مجتهداً محققاً حافظاً ذكياً ورعاً، وبهذه الصفات الجليلة استكمل ابن حابس مقومات الشخصية العلمية الفذَّة؛ التي أهّلته لأن يكون من أبرز علماء اليمن في العصر الذي عاش فيه.

ونذكر هنا جملةً من أقوال العلماء الذين أثنوا عليه، فممن نعته وأثنى عليه:

١- ابراهيم بن القاسم[٢] صاحب طبقات الزيدية. نعته بقوله: "وكان القاضي عالماً، حافظاً، سيما علوم الزيدية، إمام شهير، وعالم كبير"[٣].

٢- المطهر الجرموزي: وصفه فقال: "كان عالماً متبحراً في فنون العلم، من أهل الاجتهاد المطلق، والنظر في علوم جميع الفرق، له نافلة مشهورة النفع ولم أذكرها للاختصار، ولي القضاء في صعدة المحروسة بالله بقوة وعزم وشدة في الأمر بحيث إن غالب القضاء بين المتخاصمين وهو قائم متخذٌ محلاً ليرى من بعُد عنه كمن قرب، وله كاتبان يملي عليهما وهما قاعدان، وله في ذلك من الورع الشحيح ما يطول ذكره"[٤].

(١) انظر: يحيى بن الحسين بن القاسم: المستطاب في طبقات علماء الزيدية الاطياب، تحقيق: عبد الرقيب حجر ،ج٢، لم ينشر بعد،[٢ / ٣٣٦].

(٢) هو السيد العلامة: إبراهيم بن الإمام الداعي القاسم بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المنصور بالله، يلتقي نسبه بالحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب –عليهم السلام– انظر: مقدمة كتابه طبقات الزيدية الكبرى ،[١ / ٤].

(٣) انظر: طبقات الزيدية الكبرى ،[١ / ٢١٦].

(٤) انظر: تحفة الأسماع والأبصار، [ص: ٢١٨].

٣- عبد السلام الوجيه أثنى عليه بقوله: "أحد مشاهير علماء الزيدية، عالم، حافظ، حجه، مسند، محقق، شاعر"(١)، وغيرهم كثير ممن أثنى على العلامة أحمد بن يحيى حابس.

ومما سبق من ثناء العلماء عليه، نستدل على أن مكانته العلمية كانت عظيمة، استفاد منه كثير من طلبة العلم في عصره، فوجدنا مثلاً من العلماء من وصفه بالعلامة المحقق، ومنهم من وصفه بالمجتهد، ومنهم من وصفه بالشاعر والعالم بالعربية، ومنهم من وصفه بالقاضي العلامة، إلى غير ذلك من النعوت والأوصاف، كما أن كثرة مؤلفاته وتصانيفه ورسائله التي أثرت المكتبة الإسلامية، كل ذلك يدل على أنه كان من الأئمة المجتهدين في ذلك العصر.

المطلب الرابع: شيوخه ، وتلامذته

لقد أخذ العلم على يد كثير من العلماء في عصره ومن أولئك :

١- القاضي العلامة سعيد بن صلاح الهبل توفي سنة ١٠٤٧هـ(٢).

٢- الإمام القاسم بن محمد.

٣- والده العلامة القاضي يحيى بن أحمد حابس.

٤- العلامة داود بن الهادي(٣).

أما تلامذته(٤): لقد بلغ العلامة أحمد بن يحيى حابس، مرتبة الاجتهاد، وصار أبرز علماء زمانه في الفقه والأصول والعربية، ولهذا رحل إليه طلاب العلم من كل مكان؛ ليأخذوا منه العلم فتتلمذ وسمع وقرأ على يده الكثير من طلبة العلم، ومن أولئك:

١-القاضي عبد الحفيظ المهلا(٥)، وهو أجل تلامذته.

(١) انظر: أعلام المؤلفين الزيدية ،[ص: ٢٠٨].

(٢) سعيد بن صلاح الهبل، كان قاضياً، قرأ عند القاضي أحمد بن معوضة الحربي. انظر: طبقات الزيدية الكبرى،[١ / ٤٢٠].

(٣) هو: داوود بن أحمد بن الهادي بن الإمام عز الدين، الحسن اليمني الصعدي، ولد سنة ٩٨٠هـ ،كان من فضلاء أهل البيت وعلمائهم، توفي سنة: ١٠٣٥هـ . انظر: طبقات الزيدية الكبرى ،[١/ ٣٩٦]. وانظر: مطلع البدور ،[٢/٢٣٠].

[٤] للمزيد من معرفة تلاميذ العلامة أحمد بن يحيى حابس. انظر: طبقات الزيدية الكبرى ،[٢١٦/١].وانظر: المستطاب ،[٢ /١٢٤].

(٥) عبد الحفيظ المهلا: بن عبد الله بن المهلا بن سعيد بن علي النيسائي، ثم الشرفي، كان – رحمه الله – يسبح وحده في دماثة الخلق، وملاطفة الصَّديق، وله (كتاب في الفقه) ابتدأ فيه =

٢- سلطان اليمن: محمد بن الحسن، [١].

٣- السيد العلامة علي بن محمد بن العفيف[٢].

وغير هؤلاء كثير فالعلامة القاضي أحمد بن يحيى حابس في عصره كان مرجع العلماء ومقصد الطلاب في مختلف الفنون.

المطلب الخامس:مذهبه، ومصنفاته ،ووفاته.

أما مذهبه:

يعتبر ابن حابس من أكابر علماء الزيدية في الديار اليمنية، يتضح ذلك من خلال الآتي:

١- تفقّهه على يد أكابر علماء الزيدية، وتعمّقه في المذهب الزيدي، حتى نبغ فيه، وصار رأساً عند الزيدية، بل كان شيخ الزيدية في عصره، وصنّف في مذهبه تصانيف جليلة لا تزال تعدّ من أمهات المراجع الفقهية المعتمدة.

٢- تصريح الكثير ممن ترجم له بأنه زيدي المذهب، بل إن علماء الزيدية أفردوا له ترجمة خاصة في كتبهم ومن أولئك :

-صاحب كتاب أعلام المؤلفين الزيدية قال: "أحد مشاهير علماء الزيدية"[٣].

-ابراهيم بن القاسم قال: "وكان القاضي عالماً، حافظاً سيّما علوم الزيدية"[٤].

-عبد الله بن الإمام الهادي اليحيوي قال: "كان عالماً، محققاً، حافظاً سيما علوم الزيدية"[٥].

إذاً ومن خلال ما ذكر أعلاه يتضح بجلاء أن العلامة القاضي أحمد بن يحيى حابس، كان فقيهاً زيدياً، بل إماماً مجتهداً من أئمة الزيدية.

بذكر اللباس، توفي بجهة (الشرف) في سنة: ١٠٧٧هـ. انظر: مطلع البدور ومجمع البحور [٣ / ١٩].

(١) محمد بن الحسن: بن الإمام القاسم بن محمد، توفى سنة: ١٠٧٩هـ. انظر: الجواهر المضيئة. [ص ٣٢٨]. وانظر: طبقات الزيدية الكبرى ،[٢ / ٣٦٠].

(٢) علي محمد العفيف: السيد العلامة، كان عالماً فاضلاً ديناً ورعاً، قال السيد شمس الدين وهو مصنف (السراج الوقاد في فضائل الجهاد). و انظر: مطلع البدور ومجمع البحور،[٣ / ٢٧٩].

(٣) انظر: أعلام المؤلفين الزيدية [ص ٢٠٨].

(٤) انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٢٣٧/١].

(٥) انظر: الجواهر المضيئة في تراجم بعض رجال الزيدية (ص ٨٣).

أما مصنفاته[١]:

ألف القاضي أحمد بن يحي حابس مؤلفات عديدة أثرت المكتبة الإسلامية، ومن أشهر هذه المؤلفات

١- أسانيد العلامة أحمد بن يحيي حابس وإجازاته، مخطوط بقلمه ضمن مجموعة بمكتبة السيد محمد بن عبدالله المروني.

٢- الأنوار الهادية لذوي العقول إلى معرفة مقاصد الكافل بنيل السؤل في علم الأصول، (أصول فقه)، وهو الذي قام بتحقيق الجزء الأول منه الدكتور/ طيب عيدان ،في رسالته للدكتوراه ،كلية الآداب.

٣- الإيضاح على المصباح. المعروف (بشرح ابن حابس على الثلاثين مسألة من أشهر كتب التوحيد عند الزيدية) طبع، بتحقيق الأستاذ الدكتور/ أحمد بن علي بن مطهر المأخذي.

٤- بيان الفرقة الناجية، فرغ من تأليفها سنة١٠٢٨هـ ضمن مجموع في مكتبة السيد محمد بن عبدالملك المروني.

٥- تكميل شرح الأزهار، (التكميل على شرح ابن مفتاح). يتكون من جزأين (فقه)، الأول قمت بتحقيقه من بدايته كتاب الصلاة إلى نهاية كتاب الجنائز، لنيل رسالة الدكتوراه.

٦- مجموع فتاوي ابن حابس، مخطوط مصور بمكتبة السيد محمد عبدالعظيم الهادي .

المنتزع من الغيث المدرار، النصف الأول منه إلى باب الطلاق مصورة بمكتبة السيد محمد بن عبدالعظيم الهادي ٧٩٦صفحة، وغيرها العديد مما لا يسعنا المقام لذكرها .

أما وفاته: بعد حياة حافلة بالعطاء توفى العلامة أحمد بن يحي حابس، في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة: ١٠٦١هـ بمدينة صعدة.[٢]

(١) لمعرفة مؤلفاته وأماكن تواجدها. انظر: طبقات الزيدية الكبرى ،[٤١٤/١]. وانظر: مطلع البدور ،[٤١٤/١]. وانظر: البابلي: إسماعيل: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ،ج٤، إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان، بدون ،٥٤٦. وانظر: هداية العارفين ،[٨٦/١]. وانظر: الحبشي: عبدالله: مصادر الفكر اليمني،ج١، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٢٤٨. ،[٢٤٨ /١]. وانظر: كحالة: عمر رضا: معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م،[٢٠٢/٢]. وانظر: أعلام المؤلفين ،[ص٢٠٩- ٢١٠].

(٢) انظر: المصدر السابق. وانظر: والجامع الوجيز ،[٢ / ١٩٩].

المبحث الثالث:

أقوال وآراء القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس في كتاب الجنائز

{في وجوب نية الغسل على الغاسل}: نعم، هذا في نية الغسل، وأما نية وجوبه فلا تجب إجماعاً، كذا في شرح الذويد[١].

{إذا كان غسل الميت يعتبر عبادة فهو يفتقر إلى النية }: وظاهر كلام أصحابنا أن الوجه في ذلك ؛ إذا قلنا إنه عبادة فإنه يفتقر إلى النية، وهو أكثر ما يذكر به، كذا في شرح النجري [٢].

{يجب غسل الميت العدل غير الشهيد}: قلت: في عبارة الأزهار وفاء بالمقصود؛ لأنه ينصرف إلى المعنى الشرعي كما ذكره النجري سيما مع قرينة [٣].

{اشتراط عدالة الغاسل للميت}: قلت: قد مرَّ في الكتاب اشتراط العدالة، فلا تصح من صبي، أو مجنون، وإن قلنا: أنها لا تجب النية [٤].

{يعتبر الحُرُض،(٥) كوسيلة من وسائل النظافة للميت}: ولعل هذا استحسان من الهادي عليه السلام لما كان تنقية الدرن يكون بها [٦].

{ حد المعركة التي يكون الحكم في قتلاها شهداء}: ولعل حد المعركة الموضع الذي يقع فيه المحاولة بين الصفين وتطأه أرجلهم، وبهائمهم في حال الجهاد وتبلغه سهامهم.

---

(١) هو عبارة عن شرح للأزهار؛ صاحبه الحسين بن محمد الذويد الصعدي ممن شرحه، من علماء القرن العاشر ولذلك نجد للأزهار العديد من الشروح وهو(مخطوط) ،انظر: مطلع البدور ،[١٧٠/٢].

(٢) انظر: النجري: علي: شرح النجري على الأزهار ،مخطوط، نسخة منه في مؤسسة الإمام زيد، صنعاء ،الألواح: (٢٢١)، فقه ،رقم اللوح: ٦٩.

(٣) انظر: المصدر السابق .

(٤) ينظر: ابن مفتاح: عبدالله :شرح الأزهار ،ج٣،مكتبة التراث الإسلامي ،اليمن ،صعدة ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ١٧٤-١٧٥. وانظر: بمران: محمد: تفتيح القلوب والأبصار، ج٤، تحقيق: بشرى العماد ،رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء ،كلية الآداب ،١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، ١٥٠٧.

(٥) هو: نوع من الشجر الحامض، له أوراق وليس له ساق، تأكله الأنعام ومنها الإبل، يستخدم لنظافة الثياب. انظر: لسان العرب،[١٩٨/١٥].

(٦) انظر: شرح الأزهار ،[١٧٠/٣]. وانظر: الذماري: يحيى: الانتصار لمذاهب علماء الأمصار ،ج٤، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٩م، تحقيق: عبدالوهاب المؤيد ،وعلي مفضل ،٣٤٤.

{من هو الشهيد }: والمراد إذا قُتِل دون ماله، أو حُرَمه، أو بيته، أو بيت غيره، أو مال غيره [١].

{غسل من وطأته دابة}: ومن قُتِل بوطء دابة لم يُغسَل عندنا [٢].

{أن يكون غاسل الميت عدلا فلا يصح من الصبي والمجنون}: قلنا: إنها لا تجب النية[٣].

{ يترك الغسل إذا اقترن بشهوة}: قلنا: كما في حال الحياة، فلو قارن غسل الزوج، أو الزوجة مع الدلك شهوة احتمل أن يترك الغسل؛ لأن الشرع قد حرم الاستمتاع بالميتة، وكذلك المقدمات للشهوة، احتمل أن لا يُترَك ؛ لأن المحرَّم إنما هو الوطء[٤].

{إذا ماتت المرأة وهي حامل}: يستخرج الحمل ؛ مع التحرك ولو بكسر عظم .

{يجوز للسيد أن يغسل مدبَّرته ،وأم الولد لا العكس}: قلنا: حق السيد مستثنى بدليل تقديم تجهيزه، وبدليل الاستبراء وهو كالعدة[٥].

{العلة في منع غسل السيد للمكاتبة ،والمدبرة}: ولعل منع غسل أحدهما الآخر إذا كانت قد سلمت شيئاً من مال الكتابة، أو خلفت الوفاء ولها ولد؛ لأن له التسليم ليُعتق بعتقها.

{الأمة المشتركة لا يجوز أن يغسلها أحد الشركاء}: وأمَّا الأمة المشتركة فلا يجوز أن يغسلها أي المالكين لها، ولا لها أن تغسل لعدم جواز الوطء بينهما، وهذه المسألة وإن لم يصرح بها في الأزهار وغيره فقد دخلت تحت قوله: جائز الوطء، ذكر ذلك في شرح الأثمار[٦].

{تحريم النظر إلى العورة}: ولعل ذلك مع الشهوة.

{إذا لم يوجد ماء يغسل به الميت فإنه يُيَمَّم}: قلت: بخلاف ما مر في التيمم للصلاة، فإن الماء إذا كفى بعض أعضاء التيمم فقط يُيمِّم الباقي، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفتيح القلوب والأبصار ،[١٤٨٢/٤].

(٢) انظر: شرح الأزهار ،[١٥٤/٣].

(٣) ينظر: شرح الأزهار ،[١٧٤/٣-١٧٥]. وانظر: تفتيح القلوب والأبصار ،[١٥٠٧/٤].

(٤) انظر: الانتصار ،[٣٢٥/٤]. وانظر: شرح الأزهار ،[١٦٧/٣].

(٥) انظر: تفتيح القلوب والأبصار ،[١٤٨٨/٤]. والتَّدْبِيرُ: أن يُعتق الرجل عبده عن دُبُرٍ، وهو أن يعتق بعد موته فيقول: أنت حر بعد موتي وهو مُدَبَّر. انظر: لسان العرب،[٢٦٨/٤].

(٦) انظر: تفتيح القلوب والأبصار ،[١٤٨٩/٤] النووي: محيي الدين: روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي ،بيروت، ١٤٢١هـ-١٩٩١م، تحقيق: زهير الشاويش، ٢٢٣.

{حكم غسل الميت مع وجود قرينة للإسلام، والدعاء للظالم}: قلنا: الغسل واجب، ولا يجوز تركه مع حصول قرينة الإسلام، ولا يمكن فيه شرط، ثم الدعاء أشد تحريماً من الغسل، وأدلته أظهر لقوله ﷺ: « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه»[١].

{الترتيب بين الغسل والصلاة ليس بواجب}: نعم، وإنما لم يأتي "بثُم " في أول هذا الفصل كما في الفصل الذي قبله ؛ لأن الترتيب بين التكفين ،والصلاة غير واجب بخلاف الترتيب بين الغسل والتكفين، وبين الغسل والصلاة، فإنه واجب، ذكره في شرح الأثمار[٢].

{عدم الفرق بين المسبوق بتكبيرة الافتتاح وبين المسبوق بغيرها}: نعم، قلت: وظاهر كلامهم عدم الفرق بين المسبوق بتكبيرة الافتتاح فقط، وبين المسبوق بها وبغيرها، وقد صحح بذلك الصعيتري [٣].

{أن من لحق الإمام في صلاة الجنازة وهو في التكبيرة الثانية فإنها للملتحق بمثابة الركعة الأولى له فقط وليست ثانية}: ولعله لا يفرق لو قد كبر تكبيرة الإحرام وأخرى فإنه يكبر للإحرام لا للثانية، إذ هي قائمة مقام ركعة، وهو لا يكبر حال سجود أو قعود، وهذا الذي ينبغي أن يذكر في هذه المسألة حتى يصح.

{أن المستحب في صلاة الجنازة أن تكون ثلاثة صفوف}: لكن المستحب أن تجعل ثلاثة صفوف لقوله ﷺ: " من صُلي على جنازته ثلاثة صفوف فقد أوجب" [٤] {نعم، قال في الأثمار}: وإذا كان الزوج أوالسيد قد عقد بأخت زوجته، أو مملوكته لم يمنع من جواز غسله لهما[٥].

{إذا وجد ميت مجهول الحال في إسلامه فهل يصلَّى عليه}: قلت: فإن لم يحصل ظن فالمعتبر بالدار، كما

(١) انظر: الانتصار،[٧٢/٤]. ولم نجده في كتب الحديث المشهورة.

(٢) انظر: تفتيح القلوب والأبصار،[١٥٣٧/٤].

(٣) سليمان بن يحيى بن محمد بن يحيى الصعيتري بن بنت العلامة الحسن بن محمد النحوي، وحيد المفرعين، ولسان المحصّلين، كانت وفاته – رحمه الله تعالى – ليلة الثلاثاء، لعله ثاني عشر من جمادى الأخرى سنة خمس عشرة وثمانمائة، ودفن بحوية الروض في حوطة القاضي الحسن بن محمد النحوي . انظر: مطلع البدور ،[٣٢٥/٢]. وكتابه التعليق على اللمع،(مخطوط)، لم نتمكن من الحصول عليه.

(٤) انظر: الترمذي: محمد: سنن الترمذي ،ج٣، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ،تحقيق: أحمد شاكر ،وآخرون ،[٣٣٨/٣]، ومعنى أوجب: أي دخوله الجنة. وانظر: المرتضى: الإمام أحمد: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ،دار الحكمة اليمانية ،صنعاء ،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ،٣٤٦/٤.

(٥) انظر: شرف الدين: يحيى: أثمار الأزهار في فقه الأئمة الأطهار ،مكتبة أهل البيت ،اليمن ،صعدة، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م، ٦٦.

صرح به في الشرح [١].

{هل للوالي الولاية في الإمامة مع وجود الإمام الأعظم}: قلت: ظاهر كلامهم أنه لا ولاية له.

{إذا لم يكن ثم إمام في التقديم عند القبر فالأولى الصالح}: قلت: أما صلاته بالجماعة فلا ؛ لأنه قال: الصالح، ومقتضى عبارة الأثمار أنه لا تصح صلاته وحده أيضاً؛ لأنه حذف لفظ بالإمامة.

{ليس الدعاء للميت مطلوباً بالنص بل يجوز أن يكون مخترعاً}: نعم، وليس الدعاء مقصور على ما ذكرنا بحيث أنه؛ إن زاد، أو نقص، أو دعا بخلافه فسدت الصلاة، بل يدعو بما يطابق تلك الحال بأي دعاء شاء، ولو مخترعاً من قلبه كما يقتضيه ظاهر كلام أصحابنا.

{تجوز الزيادة في الكفن على الملابس الذي قُتِل فيها الشهيد}: قلتُ: والظاهر من كلام أهل المذهب هنا مطلق، وهو مقيَّد بما سيأتي، وقد ذكر الدواري[٢] هنا خاصاً لا مقيداً، وهو أن الميت إن كان عليه دين مستغرق لم يكفن إلا في ثوب واحد، فإن لم يكن كذلك وكان ما عليه مما ذكرنا جواز تكفينه فيه يزيد على الثلث فإنه يُرَد إلى الثلث، أو إلى كفن المثل، وإن كان يخرج من الثلث فالذي عليه على أضربٍ ثلاثة:

منها: ما لا يعتاد الكفن فيه جنساً ولا هيئةً، فهذا ينزع عنه! أصابه دم أم لا، كالدرع ،والفرو، والبيضة[٣]، ونحو ذلك خلاف العصيفري[٤] في الفرو.

الضرب الثاني: ما يعتاد الكفن فيه جنساً وهيئةً وهذا كسائر ضروب الثياب على هيئاتها من القميص، والجبة، والثوب، فلا تُنزع بحالٍ ولو كثُرت، أصابه دم أم لا.

الضرب الثالث: ما يعتاد التكفين بجنسه ولا بهيئته كالسراويل والقلنسوة، فهذا إن أصابه دم لم ينزع وإلا نزع[٥].

{في عدد الأكفان التي كُفِّن فيها الرسول}: قلت: وفي شرح الأثمار عن سنن أبي داود عن ابن عباس قال: «كفن

(١) انظر: شرح الأزهار، [١٥٧/٣].

(٢) عبد الله بن الحسن اليماني الصعدي: فقيه زيدي،(٧١٥هـ-٨٠٠هـ). نسبته إلى أحد أجداده دوار ابن أحمد. له " شرح جوهرة الغوّاص - خ " بدار الكتب المصرية، في أصول الفقه، و " الديباج والحرير - خ " جزء منه في أوقاف بغداد (٧٤٧٢) في فروعه. ولد وعاش ومات في صعدة. انظر: الأعلام،[٧٨/٤].

(٣) قَوْنَسُ البَيْضة مِنَ السِّلَاحِ: مقدَّمها، وَقِيلَ أعلاها وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الطَّوِيلَةُ فِي أعلاها، وَالْجُمْجُمَةُ ظَهْرُ الْبَيْضَةِ، وَالْبَيْضَةُ الَّتِي لَا جُمْجُمَةَ لَهَا يُقَالُ لَهَا المؤَمَّة .انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم: لسان العرب ،ج٦،دار صادر ،بيروت ،١٤١٤هـ ،١٨٤.

(٤) هو الشيخ الفضل بن أبي السعد العروي بن الحسين أحمد العصيفري، كان من المجتهدين الأحبار، والعلماء الأحيار، من علماء القرن السابع،: مطلع البدور ومجمع البحور،[١٨/٤].

(٥) انظر: شرح الأزهار، [١٥٧/٣]. وانظر: الانتصار ،[١٩/٣]. وانظر: البحر الزخار ،[٩٦/٢].

رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب نجرانية، ثوبان، وقميصه الذي مات فيه» [١].

{في جواز تكفين الذمي}: قلت: أما التكفين فقد مر كلام السيد يحيى بن الحسين[٢] فيه.

{قوله ﷺ: " إذا أوجبَ المريض فلا تبكين عليه باكية " [٣]}:

قلت: ويمكن حمله على البكاء المنهي عنه.

{في تلقين الميت بعد موته}: قلت: وهو دعاؤه بعد دفنه من عند رأسه، إذا كان مكلفاً بأن يقال: يا فلان ابن فلان اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله... إلى آخر.

{علامات أن الميت مغفوراً له}: وأما الأمارات التي يظن معها كون الميت مغفوراً له وغير مغفور ففي الحديث عن النبي ﷺ ما معناه: «ارقبوا الميت عند ثلاث: إذا رشح جبينه، وذرفت عيناه، وتقلصت شفاته فارجوا له خيراً، وإن احمر ووجهه وأزبد شدقاه، وغط غطيط البكر فخافوا عليه» [٤].

{ويندب التسلية لأهل الميت وعمل الطعام لهم}: ويندب مع تكرار الحضور تسليتهم بتذكير مصابهم بالرسول ﷺ ، وعمل طعام لهم من أهل الجيران والأقارب.

{في كيفية حمل الجنازة إلى القبر}: نعم، وهذا هو التربيع، وهو أفضل من الحمل بين العمودين عندنا، وهو أن يحمله ثلاثة يتقدم أحدهم فيضع طرفي العمودين على عاتقيه ورأسه بينهما، والخشبة المعترضة بينهما على كاهله، والآخران يحملان مؤخرتي العمودين، ويحرم حمل جنازة المسلم على هيئة مزرية كحمله في غرارة أو نحو ذلك إلا لضرورة، وكذا حمله على هيئة لا يؤمن معها سقوطه، لما في ذلك من تعريضه

(١) انظر: أبو داوود: سليمان: سنن أبي داوود، ج٣، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت ،بدون ،١٩٩.

وانظر :تفتيح القلوب والأبصار،[١٥١٥/٤]. وانظر: الانتصار ،[٥٧٥/٤].

(٢) يحيى بن الحسين بن علي بن الحسين صاحب (اللمع) بن يحيى بن يحيى الحسني العلوي الهدوي،(ت:٧٢٩هـ)، السيد عماد الدين، العلامة. قال السيد صلاح: هو السيد العلامة الصدر عماد الدين كان في العلم النهاية، صنف في الفقه (الياقوتة) مجلدين و(الجوهرة) واحد. انظر: طبقات الزيدية،[٩٧/٣].

(٣) انظر: سنن أبي داوود، والحديث صحيح،[١٨٨/٣].

وانظر: تفتيح القلوب والأبصار،[١٥١٥/٤]. وانظر: الانتصار، [٥٧٥/٤].

(٤) انظر: شرح الأزهار، نقله عن تعليق الدواري، (مخطوط) ،ولم نجده في كتب الحديث، [١٣٩/٣].

الإهانة، وندب أن يجعل على جنازة المرأة كالقُبَّة تستتر حجمها. [١]

{في التفريق بين الحمل والحفر والغسل}: قلت: وأما الفرق بين ما ذكر بأن الغسل عبادة كما ذكره في الزيادات بخلاف الحفر، والحمل فضعيف كما مرَّ [٢].

{إذا دفن الميت وبجانبه مال للغير ورضي صاحب المال فلا يستخرج}: قلت: أو كان للغير ورضي بذلك فإنه لا يستخرج في هذه الصورة.

{أن يُدفن الصاحب مع صاحبه تبركاً}: قلت: ولعل ما ذكر في حديث عمرو[٣]، وعبد الله [٤]، وهو الذي عناه بقوله في الهداية، أو تصافٍ عطفاً على تبرك.

{يجوز جمع جنازتين في قبر واحد من دون ضرورة ؛إذا كان بينهما تصافٍ}: ولعل ما ذكر في حديث عمرو، وعبد الله، وهو الذي عناه بقوله في الهداية: أو تصافٍ، عطفاً على: تبرك.

{فيمن قال يكره الدفن ليلاً لأن ملائكة النهار أرأف}: ولا وجه له مع ورود الأمر بالتعجيل.

{يندب حل العقود التي في الكفن}: ولعل المؤلف لم يثبت عنده كونه مندوباً.

{ما تساقط من شعر الميت يستحب رده في كفنه}: والمستحب عندنا أن يرد في كفن الميت ما تساقط من شعره، {الفرق بين نبش القبر لمتاعٍ سقط، وبين أن يكون الكفن مغصوب أو المكان}: ولعل وجه الفرق بين ذلك وبين تكفينه بمغصوب أو دفنه في بقعة مغصوبة، وأنه يكون استهلاكاً لما كان فعل ذلك للميت، بخلاف سقوط المتاع، فإنه لا يكون سقوطه استهلاكاً لما لم يكن يتعلق بالميت، كذا في تعليق الصعيتري [٥].

(١) انظر: شرح الأزهار ،[١٩٤/٣]. وانظر: تفتيح القلوب والأبصار ،[١٥٢٥/٤-١٥٢٦].

(٢) انظر: تفتيح القلوب والأبصار ،[١٥٨٢/٤]. وانظر: شرح الأزهار ،[٢٢٧].

(٣) عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي (٠٠ - ٣ هـ = ٠٠ - ٦٢٥ م): صحابي. كان في الجاهلية من سادات بني سلمة وأشرافهم، وكان له صنم في داره من خشب يعظمه. وهو آخر الأنصار إسلاما. انظر: الزركلي: الأعلام : خير الدين ،ج٥، دار العلم للملايين ،٢٠٠٢م، ٧٥.

(٤) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، (٠٠ - ٣ هـ = ٠٠ - ٦٢٥ م)، " أبو جابر الأنصاري الخزرجي السلمي: صحابي، من أجلائهم. كان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وبدرا، وقتل يوم أحد. انظر: الأعلام، ،[١١١/٤]. عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَصَابَ النَّاسَ جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «احْفِرُوا وَأَوْسِعُوا، وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي قَبْرٍ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ نُقَدِّمُ؟ قَالَ: «قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا» حسن صحيح . انظر: سنن الترمذي،[٢١٣/٤].

(٥) انظر: شرح الأزهار ، في الحاشية ،[٢٤١/٣].

{كراهة استعمال المقبرة وهوائها}: نعم، ولا تزال هذه الكراهة ثابتة للمقبرة [١].

{حرمة الميت حتى ولو جزء منه}: وتبقى الحرمة مهما بقي جزء منه، ولو صار تراباً.

{لمن أجرة المقبرة التي اندثرت فاستعملها رجل}: قلت: وكان الأولى أن يقول عليه السلام: ومصالح غيرها لتكون أوفى بالمقصود كما في الأثمار[٢] .

{لمن أجرة من استخدم أرض أو هواء مقبرة اندثرت}: المراد بالأجرة هنا أجرة المثل، ولزمت للمالك ؛ لأنه مع العارية باقية على ملكه، فمهما زال عنها الميت مما ذكر أولاً انتفع بها المالك.

{جواز الزرع في أرض مقبرة اندثرت بالكلية}: وقد قدمنا أنه مهما زال فيه بالكلية فإنه يجوز الزرع.

(١) انظر: شرح النجري ، ٧٣.

(٢) انظر: ابن مظفر: يحيى: البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي ،ج١، مكتبة أهل البيت ،اليمن ،صعدة، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، ٤٤٧.

الخاتمة: النتائج والتوصيات .

أما النتائج :

١- أن الأقوال التي قالها العلامة بن حابس لا تعني أنه خرج عن منهج أئمة أهل البيت وإنما كما قال: "وفق ما قاله شُرَّاح الأثمار" فهو صريح الولاء والانتماء.

٢- أن العلامة بن حابس في ما قاله غير متعصب ،ولم ينكر على أحد بل كان بمثابة المتمم.

٣-كل ما ذكره المؤلف أزال الكثير من التساؤلات والشك التي يتساءل عنها الكثير فقدم الجواب الكافي .

أما التوصيات:

١- أوصي الطلاب والباحثين بسعة الاطلاع، ودراسة تراثنا الأصيل وما تركه علماؤنا الأوائل من موروث ديني واسع في كل المجالات.

٢-عدم التعصب للرأي ونفي الآخرين ،فهذا سلوك سيئ! ولنا في علمائنا الأوائل عبرة وعظة ،وبالذات المقتدين بأئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام والتاريخ يشهد لهم.

٣- الاهتمام بالطلاب والباحثين من قِبَل الدولة والحكومات، و إحياء ما تركه العلماء الأوائل.

المصادر والمراجع

١- ابن مظفر: يحيى: البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي ،ج١، مكتبة أهل البيت، اليمن، صعدة، ١٤٤٢هـ.

٢- ابن مفتاح: عبدالله :شرح الأزهار ،ج٣،مكتبة التراث الإسلامي ،اليمن ،صعدة ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣- ابن منظور: محمد بن مكرم: لسان العرب ،ج٦،دار صادر ،بيروت ،١٤١٤هـ.

٤- أبو داوود: سليمان: سنن أبي داوود، ج٣، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت، بدون ،١٩٩.

٥- الأكوع: إسماعيل: المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون.

٦- الأكوع: إسماعيل: هجر العلم ومعاقله، ج١، دار الفكر، بيروت ،١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٧- الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في اليمن: الدار السعودية للنشر والتوزيع، بدون .

٨- الأندلسي: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٩- الباباني: إسماعيل: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ،ج٤، إحياء التراث العربي ،بيروت ، ، بدون

١٠- البغدادي: إسماعيل: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج٢، وكالة المعارف، استانبول ،١٩٥١م.

١١- بهران: محمد: تفتيح القلوب والأبصار، ج٤، تحقيق: بشرى العماد ،رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء ،كلية الآداب ،١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

١٢- الترمذي: محمد: سنن الترمذي ،ج٣، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ،تحقيق: أحمد شاكر ،وآخرون.

١٣- الجرموزي: المطهر بن محمد: تحفة الأسماع والأبصار ،ج١، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، بدون.

١٤- الجنداري: أحمد بن عبدالله: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، ج١، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، اليمن ،صنعاء، بدون، ٤١٤.

١٥- الحبشي: عبدالله: ،ج١، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٦- الحموي: شهاب الدين: معجم البلدان والقبائل اليمنية ،ج١، بيروت، ١٩١٥م.

١٧- الحموي: محمد أمين: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٤، دار النشر، بيروت .

١٨- الذماري: يحيى: الانتصار لمذاهب علماء الأمصار ،ج٤، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٩م، تحقيق: عبدالوهاب المؤيد ،وعلي مفضل.

١٩- الزركلي: خير الدين ،ج٥، دار العلم للملايين ،٢٠٠٢م، ٧٥.

٢٠- الشرجبي: قائد نعمان: القرية والدولة في المجتمع اليمني، دار التضامن للطباعة ،بيروت، ١٩٩٠م.

٢١- شرح الأزهار، نقله عن تعليق الدواري، (مخطوط) ،ولم نجده في كتب الحديث.

٢٢- شرف الدين: يحيى: أثمار الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، مكتبة أهل البيت، اليمن، صعدة، ١٤٤٢هـ.

٢٣- الشرفي: أحمد بن محمد: اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية، ج٣، تحقيق: سلوى المؤيد: جامعة :صنعاء ،قسم التاريخ ،٢٠٠٩م.
٢٤- الشوكاني: محمد: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٣، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٨هـ.
٢٥- الضحياني: عبدالله: الجواهر المضيئة في معرفة رجال الحديث من الزيدية، (مخطوط) عدد الألواح: ١١٤.
٢٦- العرشي: القاضي حسين: بلوغ المرام في شرح مسك الختام، مكتبة الإرشاد، صنعاء ،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٧- العسقلاني: أحمد: لسان الميزان ،ج٢، مؤسسة الأعلمي ،بيروت ،لبنان، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.
٢٨- القلقشندي: أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٢٩- كحالة الدمشق: عمر بن رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ،ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.
٣٠- المرتضى: أحمد: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ،دار الحكمة اليمانية ،صنعاء ،١٤٢٢هـ-
٣١- الحبشي: عبدالله: مصادر الفكر اليمني،ج١، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٢- مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية: أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت:١٠٩٢هـ)، تحقيق: عبدالرقيب مطهر محمد حجر، عناية: الإمام مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، منشورات: مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن- صعدة، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣٣- كحالة: عمر رضا: معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٣٤- المؤيد: إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى ،مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ،١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٣٥- النجري: علي: شرح النجري على الأزهار ،مخطوط، نسخة منه في مؤسسة الإمام زيد، صنعاء ،الألواح: (٢٢١)، فقه ،رقم اللوح: ٦٩.
٣٦- النووي: محيي الدين: روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢١هـ-١٩٩١م، تحقيق: زهير الشاويش.
٣٧- الوجيه: عبدالسلام: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٨- الوزير: عبدالله: طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، بدون.
٣٩- يحيى بن الحسين بن القاسم: المستطاب في طبقات علماء الزيدية الأطياب، تحقيق: عبد الرقيب حجر ،ج٢، لم ينشر بعد،٣٣٦.
٤٠- اليماني: تاج الدين: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ج١، دار الكلمة ،صنعاء، ١٩٨٥م.

شرح شمائل النبي ﷺ لمصلح الدين اللّارِي (باب خضاب رسول اللهﷺ) دراسة وتحقيق

أ. أميرة أحمد محسن عطيفة[١]

الملخص:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد هدف هذا البحث من تحقيق كتاب (شرح شمائل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، باب: خضاب رسول الله) للّلاَرِي، الذي تناول فيه شرحاً وافياً، لأحاديث صفات النبي -صلى الله عليه وسلم-، المقتبسة من متن أحاديث (الشمائل النبوية) للترمذي، والتعريف المختصر (بمصلح الدين اللّاَرِي)، وتحقيق: (باب ما جاء في خضاب رسول الله) تحقيقاً علمياً حسب ما قرره علماء التحقيق، وبما أن هذا الشرح لم يُحقَّق بعدُ، فقد أدردت أن أخرجه لطلبة العلم، وعشاق علم الحديث لتعم الفائدة.

وقد أختلف العلماء في الخضاب؛ فمنهم من رخصه أثناء الجهاد، ومنهم من رخص فيه مطلقا، ومنهم من قال بكراهته، وللتوفيق بين أحاديث الباب قال النووي: "المختار أنه ص خضب في وقت، وترك في معظم الأوقات، وكل راوٍ أخبّر عما رأى، والكل صادق"، وأنقسم البحث إلي مبحثين، وقد خُلص إلى مجموعة من النتائج، والتوصيات كما في الخاتمة، وصل الله وسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. الكلمات المفتاحية للبحث هي: (الشمائل -اللّاَرِي- الخضاب).

(١) طالبة دكتوراة بقسم الدراسات الاسلامية، كلية الاداب والعلوم الانسانية -جامعة صنعاء-

Abstract:
Praise be to Allah , and prayers and peace be upon the Messenger of God, His family and His companions together .
Afterward : The aim of this research is to review and investigate The Book "Explanation of Al-Shama'al" The Attributes of The Prophet prayers and peace be upon " Chapter: of what is said and narrated about The Prophet 's Dye or Henna ' by Imam Alri in which he gave complete , strong explanation on the hadiths of the attributes of the Prophet, quoted from the texts of the hadiths of The Book "Explanation of Al-Shama'al" The Attributes of The Prophet prayers and peace be upon " by Imam Al-Tirmidhi.
The introduce Al-Imam al-Lari, and explanation of his Book "Explanation of Al-Shama'al" The investigation and search of The "Chapter of what came and narrated in the Dye and Henna of the Messenger of God" the research and. I wanted to take it out for students of knowledge. to get benefit of the same. The scholars had different opinions about the Dye or Henna of Prophet.
Some scholars legalized and permitted The dye or Henna during jihad, and some of them legalized and permitted it all time and some of them said the Dye or Henna forbidden and hated all time .
It was then agreed among the hadiths of the chapter, so Al-Nawawi said: it was Agreed by many that The Prophet prayers and peace be upon Him " dyed at a time, and left most of the time, each narrator said and conveyed what he witnessed All of them Right opinion.
The research concluded with a set of results, and recommendations, as it is shown in the conclusion. Keywords: Shama'a - Alri - Henna.

بعض الاختصارات الخاصة بالبحث

ثنا، أنا	حدثنا
نا، ننا	أخبرنا
هـ	هجرية
ص	صفحة
م	ميلادية
ط	الطبعة
... إلخ	إلى آخر
ت	توفي
د. ط	بدون طبعة
د. ت	بدون تاريخ
د. م	بدون مكان طبع ونشر
روى له الجماعة	الشيخان والسنن والمسانيد

المقدمة:

الحمد لله حمداً يصرِّف به قلوبنا في طاعته، ويدخلنا به في رحمته، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد حفظ الله تعالى كتابه فقال: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[(١)]، وحفظ بهذا الحفظ السنة النبوية التي جعلها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وعلم الحديث هو من أجل العلوم قدراً وأكملها مزية، من حازه فقد حاز فضلا كثيراً، وإن معرفة عبادة الله تعالى، والعمل بدينه الذي أنزله لصلاح شؤون العباد في الدنيا والآخرة متوقفة على معرفة هدى رسول الله ﷺ، وأن من أوفى الكتب في هذا الموضوع كتاب (شرح الشمائل) للإمام مصلح الدين الّلاَرِي، بما استوعبه في صفاته، ومعرفة أحاديثه، وأخلاقه ﷺ، وباب: (ما جاء في خضاب رسول الله ﷺ) اختلف العلماء فيه؛ فمنهم من رخص في الخضاب أثناء الجهاد، ومنهم من رخص فيه مطلقا، ومنهم من قال بكراهته، ورجح النووي أنه كراهة تحريم، ومنهم من فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، فأجازه لها دون الرجل، وأما خضب اليدين والرجلين فلا يجوز للرجال إلا في التداوي، وجمع الطبري بأن من صبغ منهم كان اللائق به كمن يستشنع شيبه، ومن ترك كان اللائق به كمن لا يستشنع شيبه، والتوفيق بين أحاديث الباب؛ فقال النووي: "المختار أنه ﷺ خضب في وقت، وترك في معظم الأوقات، وكل راوٍ أخبّر عما رأى، والكل صادق"[(٢)].

(١) سورة: (الحجر:٩).

(٢) انظر: ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (جـ١٠)،، دار المعرفة – بيروت، (١٣٧٩هـ)، (ص٣٥٤- ٣٥٦).

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي التحقيقي نظراً لطبيعة البحث ملتزمة –بإذن الله– بالمنهج العلمي المتبع للتحقيق حسب العرف الأكاديمي، على النحو الآتي:

١- الاعتماد على ما في نسخة المخطوط، والإشارة إلى ما يحتاج تعديلاً بوضعه بين قوسين في الهامش لإخراج النص بعيداً عن التصحيف والتحريف.

٢- التقيد بكتابة النص بالرسم الإملائي وفق قواعد الإملاء الحديثة، وإصلاح ما يخالفه، إن وجد في المخطوط.

٣- تخريج الأحاديث عند أول ورود لها، وبداية ذكر الجزء الأول من الحديث، وتمييز خط الآيات القرآنية بخط المصحف، والأحاديث النبوية الموجودة في المتن بالبنط الغامق.

٤- وضعت ترقيماً للأبواب الرئيسة، وللأحاديث المدرجة تحت كل باب، ورأيت في زيادتها ما يساعد القارئ على استيعاب ما يقرأه.

٥- عزو الآيات القرآنية الواردة إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، سواء أكانت آية كاملة أم جزءاً من الآية.

٦- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث بصورة مختصره غير مخلة، عندما يرد أول ذكر للعلم، بحسب ما تقتضيه طبيعة البحث.

أسباب اختيار البحث وأهميته:

تكمن أسباب وأهمية هذا البحث فيما يلي:

١- المشاركة في إحياء التراث الإسلامي على وجه العموم، ومجال الحديث وعلومه على وجه الخصوص. وإظهار الكنوز الثمينة التي خلفها لنا العلماء الأقدمون، وخاصة علماء الحديث.

٢- مكانة الإمام محمد بن صلاح بن جلال اللّاَرِي وجهوده في نقل العلم.

٣-العناية بهذا المخطوط لمكانته العلمية التي تبرز في محتواه، وهو شمائل رسول الله ﷺ.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المحث الأول: التعريف بالإمام مصلح الدين اللّارِي وكتابه الشمائل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام مصلح الدين اللّارِي.

المطلب الثاني: التعرف بكتاب الشمائل.

المبحث الثاني: النص المحقق باب ما جاء في خضاب رسول الله ﷺ: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحديث الأول.

المطلب الثاني: الحديث الثاني.

المطلب الثالث: الحديث لثالث.

المطلب الرابع: الحديث الرابع.

الخاتمة وفيها: أبرز النتائج، أبرز التوصيات، فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بالأمام مصلح الدين اللّارِي وكتابه الشمائل.

المطلب الأول: التعريف بالأمام مصلح الدين اللّارِي.

اسمه، ونسبه، ولقبه: هو محمد بن صلاح الدين بن جلال الدين بن كمال الدين بن محمد الناصري الملتوي الأنصاري السعدي العبادي الشافعي، وكونه شافعياً فلولادته في أسرة شافعية، وفي مدينة (لار)[١] التي كان سكانها على المذهب الشافعي.

وسمي (اللّارِي) نسبة إلى مدينة (لار) لكونها مكان مولده ونشأته، ولقب واشتهر: بمصلح الدين اللّارِي[٢].

– ولادته:

كان مولده بمدينة (لار)، وكان مشتغلا بالتأليف، وحل المشكلات بين الأنام[٣]، قال عنه العصام: هومن العلماء الأعلام وفضلاء الأعجام، ولد في (لار)، وهي: بالراء المهملة، مملكة بين (الهند والشيراز)، مدينة إيرانية تقع في إقليم فارس جنوب مدينة شيراز، على بعد مائتي كيلو متر تقريباً من الخليج العربي[٤].

– وفاته:

أجمعت المصادر على أنه توفي ببلدة آمد التي رحل إليها سنة (٩٦٧هـ) وقضى فيها أكثر من عشر سنوات، وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة تسع وسبعين وتسعمائة[٥]. وقد أُناف عمره على ستين سنة[٦].

(١) لار: وهي مدينة بفارس أي من مدن إيران، وحالياً هي مدينة كبيرة تقع في جنوب غرب إيران، تتبع محافظة فارس. انظر: الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض (المتوفى: ١٢٠٥هـ): تاج العروس، (جـ١٤)، دار الهداية، (د. ت)، (ص٨٥).

(٢) ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (جـ ١١)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، (ط:١)، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، (ص٤٨٤).

(٣) الأدنه وي: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر: طبقات المفسرين، (جـ١)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، (ط:١)، (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، (٣٩٦).

(٤) زَادَهْ: أحمد مصطفى بن خليل أبو الخير، عصام الدين (المتوفى: ٩٦٨هـ): الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، (جـ١)، (د. ت)، دار الكتاب العربي – بيروت، (ص ٤١٨).

(٥) الآدنه وي، طبقات المفسرين، (جـ١/ ص٣٩٦).

(٦) زَادَهْ، الشقائق النعمانية، (جـ١/ص٤١٨).

مصنفاته:

لهُ تأليفات متنوعة، منها (شرح الشمائل) و(شرح الأربعين النووية) في الحديث، و(شرح الإرشاد) في الفقه، و(شرح السراجية) و(حاشية على البيضاوي) و(شرح الكافية) للجامي في النحو، انتصر فيه لحاشّيه عبد الغفور اللّارَي[١]، على حاشّيه ملا[٢] عصام البخاري، وهي كثيرة الفوائد والزوائد[٣]، و(حاشية على المطول) في المعاني والبيان، و(حاشية على شرح تهذيب المنطق والكلام) للدواني[٤]، و(تفسير سورة القدر)، و(حاشية على شرح هداية الحكمة للقاضي مير)، و(فرائض اللّارَي)، و(مرآة الأدوار ومرقاة الأخبار) في التاريخ الفارسي، و(مرشد الغنا بشرح أمثلة البنا)، وله ديوان شعره فارسي[٥].

المطلب الثاني: توثيق نسبة الكتاب للمؤلف:

تضافرت الأدلة على أهمية الكتاب، وأن كتاب (شرح الشمائل) من كتب المؤلف مصلح الدين اللّارَي، ونسبته إليه نسبة صحيحة، ومن البراهين الدالة على صحة نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف ما يأتي:

- وثّق الإمام مصلح الدين اللّارَي في مقدمته لكتابه على اسم كتابه بصريح العبارة، كما هو المعروف عند كثير من العلماء بقوله: "كتبت شرحاً على شمائل النبي الذي جمعه الإمام أبو عيسى الترمذي[٦]، خصه الله تعالى

(١) الشيخ عبد الغفور بن صلاح اللّارَي الانصاري، الفاضل المشهور، من أكابر علماء العجم، أحد تلامذة منلا عبد الرحمن الجامي المتوفي: (٩١٢ هـ)، أديب، نحوي. كان تلميذا للملا جامي. نسبته إلى اللار (بين الهند وشيراز) من كتبه (حاشية على الفوائد الضيائية شرح الكافية للجامي)في النحو، و (حاشية على رسالة القوشجي) في البلاغة. انظر: الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (المتوفى: ١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، (جـ٢)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط:١)، (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م)، (ص٢٥). الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام، (جـ٤)، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو: (٢٠٠٢ م)، دار العلم للملايين، (ص ٣٢).

(٢) (الملا) و(المنلا): الكاهن بلغة التتر، ومنه الملا لصنف من القضاة، وأصلها مولى بالعربية، فحرفها الأتراك إلى مُلاّ يقولون قاضي ملا واصله قاضي، أي يلقب بمولانا عند الكلام عنه أو إليه. انظر: رينهارت بيترآن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ): تكملة المعاجم العربية، (جـ١٠)، نقله إلى العربية وعلق عليه:(الجزء: ٩، ١٠): جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، (ط:١)، (١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م)، (ص٩٧).

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، (جـ١٠/ ص٥١٠).

(٤) عمر بن رضا محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ): معجم المؤلفين، (جـ١٠)، (د. ت)، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (ص ٩٣).

(٥) البابانى: إسماعيل بمحمد أمين مير سليم البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (جـ ٢)، (د. ت)، دار إحياء التراث العربي بيروت (ص ٢٥١).

(٦) الترمذي، وهو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن السلمي، الحافظ أبي عيسى الضرير، صاحب الجامع والتفسير أحد الأئمة الأعلام، روى عنه محمد بن إسماعيل السمرقندي، =

بالفيض السرمدي حتى يكون سبباً لتشريف المحرومين عن إدراك مشاهدة ذاته؛ بذكر بعض حليته وحالاته، وباستماع شيء من أخباره وصفاته"[١].

- وقال ايضاً: "أفقر الخلق إلى الله الباري: محمد المدعو بمصلح الدين الأنصاري اللّارِي، كتبت شرحاً على شمائل النبي الذي جمعه الإمام أبو عيسى الترمذي".

- ولا خلاف في عنوان الكتاب المسمى (شرح شمائل النبي ﷺ)، وما يثبت ذلك أن الذين ترجموا له قد ذكروا الكتاب بهذا الاسم تأكيداً لما اختاره مؤلفه، وكما أكد ذلك ورده في خزانة التراث فهرس مخطوطات بهذا العنوان[٢].

- ذُكر في خزانة التراث –فهرس مخطوطات– منسوباً إلي مصلح الدين اللّارِي[٣].

- كتاب الترمذي (شمائل النبي) يسمى ايضاً (الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية)، وقام بشرحها: مصلح الدين: محمد بن صلاح بن جلال اللّارِي، شرحاً بالعربي فرغ منه: في رمضان، سنة تسع وأربعين وتسعمائة، وله شرحٌ آخر فارسيٍ[٤].

روي عنه حماد بن شاكر وأبي العباس المحبوبي، والهيثم بن كليب، وكتابه شرح لشمائل: وجملة أحاديث الكتاب أربع مائة حديث، وجملة أبوابه سته وخمسون باباً. انظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): لسان الميزان، (جـ ٧)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية –الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، (ط: ٢)، (١٣٩٠هـ /١٩٧١م)، (ص ٣٧١).

(١) انظر: اللآري، الإمام محمد بن صلاح بن جلال (المتوفى: ٩٧٩هـ): شرح شمائل النبي –صلى الله عليه وسلم–، (ص٢٠).

(٢) انظر: خزانة التراث – فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملك فيصل، (٦٠/ ٢٦٤).

(٣) المرجع نفسه.

(٤) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (جـ٢)، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية، (١٩٤١م)، (ص ١٠٥٩).

المبحث الثاني النص المحقق

ما جاء في خضاب رسول الله ﷺ[١]

قد ذهب معنى الخضاب[٢]، واعلم أن العلماء اختلفوا في أنه ﷺ: استعمل الخضاب أم لا؟ فالأكثرون على نفيه، وبعض أثبتوه بناءً على الأحاديث الآتية: وذكر في التوفيق بين أحاديث النفي والإثبات، أنه ﷺ:كان يستعمل الطيب كثيراً، وهو يستر السواد، فمن اعتبر ذلك التعبير أثبت الخضاب، ومن لم يعتبره نفاه، وقال النووي[٣]: "المختار أنه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– خضب في وقت، وترك في معظم الأوقات، وكل راوٍ أخبرّ عما رأى، والكل صادق"[٤].

المطلب الأول: الحديث الأول

حدثنا أحمد بن منيع[٥]، أنا هشيم: بالتصغير والشين المعجمة، ابن بشير السلّمي الواسطي، ثقة إمام كثير الإرسال والتدليس، وهو من التاسعة، روى له الجماعة، عاش سبعين سنة، وتوفي في ثلاث وثمانين ومئة[٦]، أنا عبد الملك بن عمير[٧]، عن إياد بن لقيط[١]، قال: أخبرني أبو رمثة[٢]، قال أتيت النبي ﷺ: مع (ابن)

(١) باب: ما جاء في خضاب رسول الله ق، ذكر المصنف (الترمذي) في هذا الباب أربعة أحاديث.

(٢) ذكر في الباب السابق أن الخضاب بالكتم: نبت فيه حمرة يخلط بالوسمة ويختضب به للسواد. وفي كتب الطب الكتم من نبات الجبال ورقه كورق الآس يخضب به مدقوقا وله ثمر كقدر الفلفل ويسود إذا نضج، وقد يعتصر منه دهن يستصبح به في البوادي.

الكتم: نبات باليمن يخرج الصبغ أسود يميل إلى الحمرة وصبغ الحناء أحمر فالصبغ بهما معا يخرج بين السواد والحمرة. انظر: ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجه، (جـ٢)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط –عادل مرشد– محمَّد كامل، دار الرسالة العالمية، (ط:١)، (١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م)، (ص ١١٩٢). ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخار، (جـ١٠/ ص ٣٥٥).

(٣) النووي: هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، وُلِدَ سنة: (٦٣١هـ) أحد الأعلام والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان، والمعترف له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان، (المتوفى: ٦٧٦هـ). انظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، (جـ ٨)، (٨/٣٩٥)، تحقيق: محمود محمد الطناحي؛ عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط:٢)، (١٤١٣هـ)، (ص ٣٩٥).

(٤) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (١٥/ ٩٥)، (ط:٢)، (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٥) أحمد بن منيع بن المنع أبو جعفر الأصم البغوي، الحافظ، صاحب مسند، ثقة، من العاشرة، روى له الجماعة و البغوي المشهور حفيده، توفي سنة أربع وأربعين ومئتين. ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ١/ ص٨٤).

(٦) انظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، (جـ٢) ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان(١٣٧– ١٣٨).

(٧) عبد الملك عمير مصغرا ويقال له اللخمي، وقيل : القرشي، رأى علياً وسمع جريراً قال أبو حاتم: "صالح الحديث، ليس بالحافظ"، وقال النسائي وغيره: "ليس به بأس"، مات سنة ست وثلاثين ومئتين. المصدر نفسه، (١/ ٣٠٩)

وفي بعض النسخ (مع ابن لي)، فقال: «**ابنك هذا؟**» فقلت: نعم، أشهد به: أمر من شهد شهيد، والشهادة هي العلم القطعي، والخبر، والمراد هنا الأول، ويروى بصيغتي التكلم أيضاً، بمعنى أقر به، أي: بمضمون ابني، وفائدته التزام ضمان الجنايات عنه، كما كان في الجاهلية مقرراً كل من المتوالين يضمن بجناية الآخر؛ ولذا قال: "**لا يجني عليك، ولا تجني عليه** "[٣]، في القاموس: جنى الذنب عليه جناية، جره إليه[٤]، ويمكن كون الإشهاد ليثبت نسب ابنه؛ لأنه كان من سَرِيَّة، فيحتمل أن يكون قوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: لا يجني دعاءً له، ولا ابنه، أي: لا يجرن أحدهما بجناية الآخر، ولا يضطَّرب بتخليصه وإعانته، "**ورأيت الشيب أحمر**"، وروى قال ورأيت، وقيل: عبارة أبي رمثه صريحة في وجود الشيب، وعدم كونه أبيض، بل أحمر، ليُبدل السواد بالحمرة للشيب، ولا يخفى أنها لا تدل على أن الحمرة لم تكن من الخضاب، بل الظاهر أن الحمرة كانت خضاباً، فلا يظهر وجه قول المصنف، قال أبو عيسى: "هذا أحسن شيء روي في هذا الباب، وأَفسرَ[٥]، لأن الروايات الصحيحة أن النبي ﷺ: لم يبلغ الشيب"، إذ الظاهر أن الأحسنية باعتبار موافقة الأحاديث الصحيحة، وفيه بحث، وأيضاً في أفسرية الحديث، بمعنى: زيادة البيان والكشف بحث، إذ لا نص في هذا الحديث على موافقة تلك الأحاديث، بل يحتمل الخضاب كما ذكرنا، بل حديث أنس لم يبلغ ذلك أتم في الدلالة على هذا المعنى، وفي بعض النسخ وقع في ذيل الحديث غير ظاهر، "**وأبو رمثة اسمه رفاعة بن يثربي التيمي**"، وقيل وجه تأخير ببيان اسمه، والإتيان في هذا الحديث غير

(١) إيادِ ابن لقيط العجلي، روى له مسلم وأبو داود و الترمذي والبخاري، روى عن براء وأبي رمثة،، وثقه ابن معين والنسائي. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (حـ١/ص ٣٨٦).

(٢) أبي رِمثة التيمي، تيم الرّباب من ولد امرأ القيس بن مناة، وفي اسمه خلاف، رفاعة بن يثربي، وقيل: عمارة بن يثربي، وقيل: يثربي، روى عنه إياد بن لقيط. انظر: الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة، (حـ ١)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، (ط:٤)، (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م)، (ص ١٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الديات، باب: لا يؤخذ أحد بجريرة أحد، برقم: (٤٤٩٥)، دون ذكر الشيب، وفيه زيادة: وقرأ رسول الله – ص – ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ (الأنعام: ١٦٤). قال محققه شعيب الأرنؤط: إسناده صحيح، (حـ ٦)، (٥٤٦). والإمام أحمد في مسنده، (لا يجني عليك، ولا تجني عليه . قال: ورأيت الشيب أحمر)، حديث أبي رمثة التميمي، برقم: (١٧٤٩١)، حديث صحيح، (حـ ٢٩/ ص٣٩).

(٤) الفيروزآبادى: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، (حـ ١)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، (ط:٨)، (١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م)، (ص ١٢٧١).

(٥) الفسر: أي الكشف والبيان والمعنى أنه أوضح رواية وأظهر دلالة. أي: قال أبو عيسى: "هذا أحسن شيء روي في هذا الباب، وأفسر؛ لأن الروايات الصحيحة أن النبي ق لم يبلغ الشيب. انظر: الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): الشمائل المحمدية والخصائل، (حـ ١)، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، (ط:١)، (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م)، (ص ١٠).

ظاهر، أقول لا يبعد أن يكون وجهه أنه لما لم يكن له سوى حديثين في هذا الكتاب، وأراد المصنف أن تنقضي روايتها، هي بعين اسمها في ذيل المجموع[١].

المطلب الثاني: الحديث الثاني في خضاب رسول الله ﷺ:

حدثنا سفيان بن وكيع[٢]، أنا أبي، عن شريك القاضي، عن عثمان بن مَوهَب، بفتح الهاء والميم، وهو جد عثمان، ونبه المصنف على هذا في آخر الحديث عند قوله: روى أبو عوانه إلى آخره، وفي التقريب أن عثمان بن موهب مقبول من الخامسة[٣]، وهو عثمان بن عبد الله بن موهب، فعلى هذا قول المصنف، روى أبو عوانة إلى آخره[٤]؛ لبيان اختلاف طرق الحديث، إذ عثمان هذا راوٍ عن أبي هريرة، وعثمان بن عبد الله راوٍ عن أم سلمة، عن أبي هريرة، وعثمان بن موهوب من بني هاشم، مدني وفاته في سنة ستين ومئة[٥]، قال: «**سئل أبو هريرة: هل خضب رسول ﷺ:؟ قال: نعم**»[٦]، قال أبو عيسى: وروى أبو عوانة هذا الحديث عن عثمان بن عبد الله بن موهب، فقال: عن ام سلمة[٧]، وفي بعض النسخ بدون (عبد الله)، والظاهر أن مراد المصنف أن أم سلمة بدل عن أبي هريرة، يعني سئل أم سلمة، وقيل المراد ليس هذا؛ بل المراد بيان خضاب رسول الله، وأراد من طريق أبي عوانه عن أم سلمة، وكان وجه هذا مخفيا على الشارح؛ لقلة تتبعه للأحاديث، ووجهه أنه في صحيح البخاري، عن عثمان

(١) انظر: الترمذي، الجامع الكبير، (جـ٣)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، (د. ط)، (١٩٩٨ م)، (ص ٢٨٤).

(٢) سفيان بن كيع: أبو محمد سفيان بن وكيع الجراح الكوفي، جمع كثيراً من الأحاديث كان صدوقاً لكن أدخل في حديثه ما لم يكن فيه فما بقي اعتماد عليه فسقط حديثه، توفي في سنة سبع وأربعين ومئتين. ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ٤/ ص١٢٣).

(٣) عثمان ابن موهب عن أنس مقبول من الخامسة وهو غير عثمان ابن عبد الله ابن موهب. ابن حجر، تقريب التهذيب، (جـ١)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، (ط:١)، (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م)، (ص ٣٨٧).

(٤) عثمان بن عبد الله بن موهب التيمي عن أبي هريرة وابن عمر وعنه شعبة وأبو عوانة. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، (جـ ٢)، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة، (ط:١)، (١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م)، (ص ٩).

(٥) انظر: ابن حجر: أبو الفضل أحمد علي بمحمد أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب، (جـ ٧)، (ط:١)، (١٣٢٦هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، (ص ١٣٢ – ١٣٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: اللباس، باب: ما يذكر في الشيب، بلفظ: عن عثمان بن عبد الله بن موهب، قال: دخلت على أم سلمة، « فأخرجت إلينا شعرا من شعر النبيﷺ مخضوبا»، برقم: (٥٨٩٧)، (جـ٧/ ص ١٦٠).

(٧) ولعله أراد أن عثمان روى الحديث عنهما معا، فروى شريك عنه عن أبي هريرة وروى أبو عوانة عنه عن أم سلمة.

بن عبد الله بن موهب، قال: دخلت على أم سلمة "**فأخرجت إلينا شعراً من شعر النبي ﷺ: مخضوبا**»[١]، وعثمان بن عبد الله بن موهب التيمي، روى عن أبي هريرة وابن عمر[٢].

وعنه شعبة[٣]، وأبو عَوانة، بفتح العين، اسمه وضاح بن عبد الله اليشكري الواسطي البزار مولى يزيد بن عطاء الواسطي، كان من سبي جرجان[٤]، ومن الثقات، رأى الحسن[٥]، وابن سيرين[٦]، وسمع حديثا من محمد بن المنكدر[٧]، وكثير من التابعين، وثقة الأئمة الأعلام، كشعبة ووكيع[٨]، وفاته في سنة ست وسبعين ومئة، وقيل خمس وسبعين[٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: اللباس، باب: ما يذكر في الشيب، بلفظ: فأخرجت إلينا شعراً من شعر النبي – صلى الله عليه وسلم– مخضوبا» وقال لنا أبو نعيم: حدثنا نصير بن أبي الأشعث، عن ابن موهب: أن أم سلمة، أرته «شعر النبيﷺ أحمر»، (مخضوبا) مصبوغا. (أحمر) أي مصبوغا يضرب إلى الحمرة، برقم: (٥٨٩٧)، (جـ ٧/ ص ١٦٠).

(٢) عبدالله ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر الخطاب، أبو عبد الرحمن العمري المدني، " ثقه "، توفي سنة أحدى وسبعين ومائة. انظر: ابن معين: أبو زكريا يحيى بن عون البغدادي، المتوفى (٢٣٣هـ): تاريخ ابن معين ، (جـ١)، تحقيق: د، أحمد محمد نور سيف، (د. ت)، دار المأمون للتراث – دمشق، (ص ١٥١).

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفيّ، أسلم قبل عمرة الحديبيّة، وشهدها وبيعة الرضوان، وله فيها ذكر، توفي سنة (٥٠هـ)، ويعد في ثقات التابعين، انظر: ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، طبقات ابن سعد، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، (جـ ٤)، (ط: ١)، مكتبة الصديق – الطائف، (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م)، (ص٢١٣).

(٤) جرجان: إحدى المدن الشهيرة في إيران تقع في شمالها، وفتحت على يدّ يزيد بن المهلب، ونزلوا على حكم يزيد؛ فسبى ذراريهم، وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفا إلى الأندرهز– وادي جرجان– وقال: من طلبهم بثأر فليقتل، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادي، وأجرى الماء في الوادي على الدم، وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم، ولتبر يمينه، فطحن واختبز وأكل وبنى مدينة جرجان وقال بعضهم: قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفا، ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي. وقد قيل: إنما سميت جرجان لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح. ومن الناس من يقول: كان فتحها في سنة اثنتين وعشرين. وقال المدائني: إنما فتحت في زمان عثمان سنة ثلاثين. انظر: الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): تاريخ الطبري، (جـ ٦)، دار التراث – بيروت، (ط:٢)، (١٣٨٧ هـ)، (ص٥٣٥– ٥٤١).

(٥) الحسن البصري أبو سعيد بن أبي الحسن، اسم أبي الحسن: يسار البصري من بني ميسان مولى زيد بن ثابت، أمه خيرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين، ولادته كانت بالمدينة بسنتين قبل شهادة عمر، نشأ بوادي القرى، وفاته كانت في سنة عشر ومائة. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (٤/ ١٦).

(٦) ابن سيرين: أبو بكر، محمد بن سيرين بن أبي عمرة، الأنصاري، مولاهم، البصري، مولده سنة ثلاث وثلاثين، وتوفي سنة عشرٍ ومائة، من الثالثة، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى. انظر: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، (جـ ١)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، (ط: ١)، (١٩٧٠م)، (ص ٨٨).

(٧) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر المدني، قال بن معين وأبو حاتم ثقة، وقال العجلي: مدني تابعي ثقة، مات سنة ثلاثين ومائة. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ٩/ ص٤٧٣ – ٣٧٤).

(٨) وكيع: هو أبو سفيان بن الجراح أصله كان من نيسابور، سمع من الثوري، وكان يفتي على مذهب أبي حنيفة – رحمه الله – وسمع منه كثيراً، توفي سنة سبع وتسعين ومائة. انظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، (جـ٢/ص ١٤٣).

(٩) انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ١١/ ص١١٦).

المطلب الثالث :الحديث الثالث في غسل رسول الله ﷺ وبرأسه درع حناء

أنا إبراهيم بن هارون البلخي صدوق من الطبقة الحادية عشرة، وفي الكاشف ثقة[١]، ونضر: بالنون والضاد المعجمة، ابن زُرارة بضم الزاءِ المعجمة والمهملتين، ابن عبد الأكرم الذهلي، أبو الحسن الكوفي، كان نزيلاً ببلخ، من التاسعة، مستور، ماله في الستة شيء[٢]، وجناب: بالجيم وتخفيف النون، اسمه يحيى بن أبي (حبة) بمهملة وتحتانية، الكلبي مشهور، له ضعف، وكثرة تدليس، من السادسة، مات في سنة خمس ومئة أو قبلها، وفي بعض النسخ (حُباب) بالمهملة المضمومة، والموحدة التحتانية، وفي بعضها (خَبَّاب) بالمعجمة المفتوحة، والموحدة التحتانية المشددة، والأول هو الصواب[٣]، عن إياد بن لقيط، عن (الجهذمة) بجيم وذاء معجمة كدحرجة، صحابية، وقيل: غيّر رسول الله ﷺ اسمها، وعيّن ليلى، كذا في التقريب[٤]، امرأة بشير كعليم بن الخصاصية بفتح الخاء والتخفيف والتشديد، كذا في جامع الأصول[٥]، ونقل عن صاحب القاموس: أن التشديد لحن لأنه ليس في كلام العرب فعالية بالتشديد، وإنما هي كراهية، وقيل: يحتمل النسبة إلى الخصاص، بمعنى الفقر، وبعده ظاهر[٦]، وقال المستغفري[٧]: فيما كتب في معرفة الصحابة: أن اسم بشير كان زحا بالمعجمتين ابن معبد، وسماه رسول الله ﷺبشيراً[٨]، ويقال:

(١) إبراهيم بن هارون البلخي عن حاتم بن إسماعيل وعدة وعنه النسائي والحكيم الترمذي" ثقة". الذهبي، الكاشف، (جـ١/ص٢٢٦).

(٢) الستة: هي صحيح: البخاري ومسلم، وسنن: أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ١٠/ص٤٣٦).

(٣) انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ١١/ ص٢٠١ - ٢٠٣).

(٤) الجهدمة امرأة بشير ابن الخصاصيه صحابية يقال كان النبي ق غير اسمها فجعله ليلى. انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، (جـ ١/ ص٧٤٥).

(٥) الخَصَاصِيَّة: بفتح الخاء المعجمة، وتخفيف الصاد المهملة الأولى، وكسر الثانية، وتشديد الياء تحتها نقطتان. انظر: ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى : ٦٠٦هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول، (جـ ١٢)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ؛ بشير عيون، – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، مكتبة الحلواني، (ط:١)، (١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م)، (ص٢١٣).

(٦) الخصاص والخصاصة والخصاصاء، بفتحهن: الفقر. انظر: الفيروزآبادى، القاموس المحيط، (جـ ١/ص ٦١٧).

(٧) أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن المستغفري بن الفتح بن إدريس، النَّسَفي، كان خطيباً وفقيها فاضلا ومحدثا مكثرا صدوقا حافظا، وله تصانيف أحسن فيها سمع أبا عبد الله محمد بن أحمد غنجار الحافظ وزاهر بن أحمد السرخسي روى عنه أبو منصور السمعاني مولده سنة خمسين وثلاث مئة ومات في سلخ جمادي الأولى سنة اثنين وثلاثين وأربع مئة. انظر: محيي الدين الحنفي: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد (المتوفى: ٧٧٥هـ): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (جـ١)، (د. ت)، مير محمد كتب خانه –كراتشي، (ص ١٨٠).

(٨) أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، معرفة الصحابة، (٤٠٠/١)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)، دار الوطن للنشر، الرياض. بشير بن الخصاصية: كان اسمه زخم بن معبد، فلما أسلم سماه رسول الله ق بشيرا. انظر: المزي: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين =

الخصاصية أمه، ومعبد أبوه[١]، قالت: «**أنا رأيت رسول الله ﷺ يخرج من بيته ينفض رأسهُ، وقد اغتسل، وبرأسه ردع من حناء**»[٢]، تقديم المسند إليه لحصر الرواية في المتكلم، و(يخرج) حال من رسول اللهﷺ (الرِدغ): بكسر المهملة جمع ردَغة، بفتح الدال وسكونها، الوحل؛ فالكلام مبني على التشبيه، أي حناء شبيه بالوحل، (أو قال: الردع، شك في هذا الشيخ) والردع: مصدر ردع بالفتح في الماضي والغابر، بمعنى اللطخ وفاعل، وقال: الشيخ إبراهيم، وجملة (يخرج) و(ينفض رأسه)، (وقد اغتسل)، (وبرأسه ردع) أحوال متداخلة.

المطلب الرابع: الحديث الرابع

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن فضل بن بهرام السمرقندي، وقيل: عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن متعدد، ولكن الشيخ الترمذي قال: إنما هو أبو محمد الدارمي[٣]، مع أنه حمل عبد الله بن عبد الرحمن فيما سبق، على أبي يعلى فينبغي حمل ذلك على الغفلة، أنا عمرو بن عاصم بن عبد الله أبو عثمان الكلابي القيسي البصري الحافظ، روى عن همام[٤]، وجرير بن حازم[٥]،

ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (جـ ٣٥)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط: ١)، (١٤٠٠ – ١٩٨٠)، (ص٣٧).

(١) بشير رسول الله –صلى الله عليه وسلم– زحم بن معبد، يقال: الخصاصية أمه، واسم أبيه معبد. وجزم ابن عبد البر وغيره أن الخصاصية أمه وليس كذلك بل هي إحدى جداته وهي والدة جده الأعلى ضباري بن سدوس واسمها كبشة ويقال ماوية بنت إلاءة بن عمرو بن كعب بن الحارث الغطريف الأزدي حرر ذلك من أمره الرشاطي وبرهن عليه والله أعلم. انظر: ابن أبي خيثمة: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تاريخ ابن أبي خيثمة، (جـ ١)، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة – القاهرة، (ط:١)، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م)، (ص٨٩). ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ١/ ص ٤٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الترجل، باب: الخضاب، بلفظ: عن أبي رمثة، قال: انطلقت مع أبي نحو النبي ق: فإذا هو «ذو وفرة بها ردع حناء، وعليه بردان أخضران». حكم الألباني على الحديث : صحيح، برقم: (٤٢٠٦)، (٨٦/٤). والحاكم في المستدرك، بلفظ: عن أبي رمثة، قال: «أتيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وعليه بردان أخضران، وله شعر قد علاه الشيب، وشيبه أحمر مخضوب بالحناء» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٣) انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (ص٥/ جـ٢٩٥ – ٢٩٦).

(٤) همام بن يحيى العوذي الحافظ، ارتضاه أحمد، وروى له الجماعة، توفي في سنة ثلاث وستين ومائة. الذهبي، تذكرة الحفاظ، (جـ١)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، (ط:١)، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، (ص١٥٠).

(٥) جرير بن حازم أبو النضر الازدي العتكى البصري، سمع أبا رجاء وابن سيرين، روى عنه الثوري وابن المبارك، قال وهب بن جرير سمعت شعبة يقول: ما رأيت بالبصرة أحفظ من رجلين – من هشام الدستوائي وجرير بن حازم، قال لي ابن محبوب: مات سنة سبعين ومائة في آخرها. البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، (٢١٣/٢)، (د. ت)، الطبعة:

وجده عبد الله وغيرهم، وثقه ابن سعد[١]، وقال ابن معين[٢]: "صالح"، وقال النسائي[٣]: "لا بأس به"، وكذا في التهذيب[٤]، وفي التقريب: أنا عمرو بن عاصم، صدوق، وفي حفظه شيء من صغار التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة ومئتين[٥]، وقيل: عمرو بن عاصم، كتب عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً[٦]، أنا حماد بن سلمة[٧]، أنا حميد[٨]، عن أنس، قال: «**رأيت شعر رسول الله ﷺ مخضوبا**»[٩]، قال حماد: وأنا عبد الله بن محمد بن عقيل، بفتح العين، الطالبي، روى عن ابن عمر، وجابر[١٠]، وعنه معمر[١١]،

دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

(١) عمرو بن عاصم الكلابي ثقة مشهور محتج به في الكتب الستة. انظر: ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ): طبقات ابن سعد، (جـ ١)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق – الطائف، (ط:١)، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، (ص ١٣٦).

(٢) ابن معين هو: يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل: ابن معين بن عتاب بن زياد بن عون بن بسطام أبي زكريا المري مرة غطفان مولاهم البغدادي، الحافظ، الإمام، وقال أحمد بن حنبل: هو أعلمنا بالرجال، توفي سنة: (٢٣٣ هـ). انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ١١/ ص٥٦١).

(٣) النسائي: الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني القاضي صاحب السنن: وُلِدَ سنة (٢١٥هـ)، سمع من الكثير بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام والجزيرة، وبرع في هذا الشأن وتفرد بالمعرفة والإتقان وعلو الإسناد واستوطن مصر وحدثو عنه، وتوفي في فلسطين يوم الأثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة (٣٠٣هـ)، انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، (جـ٢/ ص١٩٤).

(٤) قال بن معين: "ثقة"، وقال بن سعد: "صالح"، وقال النسائي: "ليس به بأس". انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، (جـ٨/ ص ٥٨ – ٥٩).

(٥) عمرو ابن عاصم ابن عبيد الله الكلابي القيسي أبو عثمان البصري صدوق في حفظه شيء من صغار التاسعة مات سنة ثلاث عشرة. انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، (جـ ١/ ص٤٢٣).

(٦) قال إسحاق بن سيار: سمعته يقول كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفا. قال البخاري: وغيره. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (٥٩/٨).

(٧) حماد بن سلمة بن دينار، من الأئمة الأعلام، قال عمرو بن عاصم: "كتبت عن حماد فوق ثلاثين ألف حديث"، روى له البخاري في تاريخه، والخمسة في صحاحه، كان صدوقا، توفي سنة سبع وستون ومائة. انظر: المصدر نفسه، (جـ ٣/ ص ١١ – ١٥).

(٨) حميد بن عبد الرحمن الرؤاسَي، بضم الراء وفتح السين المهملة، نسبة إلى جده الأعلى رؤاسَي بن كلاب. ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى : ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، (جـ٤)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، (ط:١)، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م)، (ص ٧٥٢).

(٩) أخرجه مسلم في صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: شيبه –صلى الله عليه وسلم–، من طريق أبي إياس معاوية بن قرة، عن أنس بلفظ: "أنه سئل عن شيب النبي ق، فقال: ما شانه الله بيضاء"، برقم: (٢٣٤١)، (١٨٢٢/٤). الإمام أحمد في مسنده، إسناده صحيح على شرط الشيخين، (جـ ١٩/ ص ١١١– ١١٢).

(١٠) جابر بن سمرة، كنيته: أبو عبدالله، وأبو خالد أيضاً، وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص، صحابي، نزل الكوفة، وتوفي بها سنة أربع وسبعين . النووي، تهذيب الأسماء واللغات، (جـ١/ ص١٤٢).

(١١) معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، في الجامع، باب: شكر الطعام، برقم: (١٩٥٧٤)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (جـ١٠)، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، (ط: ٣)، (١٤٠٣ هـ)، (٤٢٤).

ورابدة، وبشر بن المفضل[١]، قال أبو حاتم: "لين الحديث"، وقال ابن خزيمة[٢]: "لا يحتج به"[٣]، وأمة زينب بنت علي[٤] م، أخرج حديثه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وابن ماجة[٥]، قال: «**رأيت شعر رسول الله ﷺ عند أنس بن مالك مخضوبا**»، والتوفيق بين الخضاب المفهوم هنا من قول محمد، وبين قول أنس لم يبلغ ذلك في حديث أنس، بأن يقال: كان أمكن أن عطره أنس أو من وصل الشعر منه إلى أنس بطيب ملون، لا أنه خضاب استعمله رسول الله ﷺ أو يقال: خبر أنس إنما هو عن حال غالب الأوقات، والخضاب قد وقع في بعض الأوقات، ولعل الشعر المخضوب شعرا يفضل عنه ﷺ في ذلك الوقت، أو يقال: الشعر الأسود بطول العهد بعد الانفصال عن الجسد، يتبدل سوادها إلى الحمرة، أو يقال على ما مر من حديث جابر: واراهن الدهنً، يحتمل أن يكون الذي أثبت الخضاب شاهداً للشعر الأبيض، ثم واراه الدهن ظن أنه خضبه، واعلم أن من العلماء من رخص في الخضاب بالسواد في الجهاد، ومنهم من رخص مطلقا، ورجح النووي[٦]، أنه مكروه كراهية تحريم[٧]، وقد رخص من السلف سعد بن أبي وقاص[١]، وعقبة

(١) بشر بن المفضل بصيغة اسم المفعول، من التفضيل أبو إسماعيل المصري، ثِقةٌ، عابدٌ من الثامنة، روى له الجماعة، تُوفي في سنة سبع وثمانين ومائة. انظر: الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري (المتوفى: ٣٩٨هـ)، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، (جـ١)، تحقيق: عبد الله الليثي، (ط:١)، (١٤٠٧م)، (ص١١٢).

(٢) ابن خزيمة: أبو بكر، محمد بن اسحاق بن خزيمة أبو بكر النيسابوري روى عن اسحاق ابن راهوية وعلى بن حجر، وغيرهما، وهو ثقة صدوق، رحلته بغداد والبصرة والكوفة والشام ومصر، توفي سنة أحدى عشرة ومائة. انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (جـ ٣/ ص ١٠٩- ١١١).

(٣) قال أبو حاتم:" لين الحديث ليس بالقوي ولا ممن يحتج بحديثه وهو أحب إلي من تمام بن نجيح يكتب حديثه". وقال ابن خزيمة: "لا أحتج به لسوء حفظه"، انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ٦/ ص١٣).

(٤) زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها فاطمة بنت رسول الله ق، تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب؛ فولدت له عليا وعونا الأكبر وعباسا ومحمدا وأم كلثوم. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (٨/٤٦٥).

(٥) وتوفى سنة خمس وأربعين ومائة. انظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، (جـ١/ص٢٨٧). ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ٦/ص١٣- ١٥).

(٦) النووي: هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، وُلِدَ (٦٣١هـ) أحد الأعلام والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان، والمعترف له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان، (المتوفى: ٦٧٦هـ). انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (جـ ١/ ص٤٨٣)، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (جـ٨/ص٣٩٥).

(٧) أن من العلماء من رخص فيه في الجهاد ومنهم من رخص فيه مطلقا وأن الأولى كراهته. ورجح النووي إلى أنه كراهة تحريم وقد رخص فيه طائفة من السلف. انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (جـ١٠/ ص ٣٥٤- ٣٥٦).

بن عامر[٢]، والحسنان[٣]، وجرير[٤]، وغير واحد[٥]، وأجيب عن حديث رفعه بن عباس: وهو «يكون قوم في آخر الزمان يختضبون بهذا السواد كحواصل الحمام، لا يجدون ريح الجنة»، رواه أبو داود[٦]، والنسائي[٧]، بأنه لا دلالة له فيه على كراهة الخضاب بالسَّواد، بل فيه الخبر عن قوم هذه صفتهم، وهو

(١) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن أهيب ويقال وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق، أسلم قديما وهاجر قبل رسول الله ص وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وشهد بدرا والمشاهد كلها روى عن النبي ق مات سنة إحدى وخمسين، وقيل ثمان وخمسين. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ ٣/ ص٤٨٣ - ٤٨٤).

(٢) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم بن ربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني أبو حماد، كان قارئا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا كاتبا وكانت له السابقة والهجرة وهو أحد من جمع القرآن، مات سنة ثمان وخمسين. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (جـ٧/ص ٢٤٢).

(٣) الحسنان: الحسن والحسين، بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، سبطا رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم-. انظر: الحميري: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (جـ٢)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، (ط:١)، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م)، (ص٢١٣).

(٤) جرير بن حازم أبو النضر الازدي العتكى البصري، سمع أبا رجاء وابن سيرين روى عنه الثوري وابن المبارك، قال وهب بن جرير سمعت شعبة يقول: ما رأيت بالبصرة أحفظ من رجلين - من هشام الدستوائي وجرير بن حازم، قال لي ابن محبوب: مات سنة سبعين ومائة في آخرها. البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، (جـ٢)، حيدر آباد – الدكن، (د. ت)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، (ص ٢١٣).

(٥) أختلف العلماء في مسائلة الخضاب: فمنهم من رخص فيه في الجهاد، ومنهم من رخص فيه مطلقا، ومنهم من قال: الأولى كراهته. ورجح النووي: إلى أنه كراهة تحريم. و اختلفوا في الخضب وتركه فخضب أبو بكر وعمر وغيرهما، وترك الخضاب علي، وسلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك وجماعة. وجمع الطبري بأن من صبغ منهم كان اللاتق به كمن يستشنع شيبه ومن ترك كان اللاتق به كمن لا يستشنع شيبه. وحديث أبي قحافة في مسلم، قال -صلى الله عليه وسلم-: لما رأى رأسه كأنه الثغامة ياضا: والثغامة نبات شديد البياض زهره وثمره «غيروا هذا وجنبوه السواد» فذهبوا به فحمروه، فمن كان في مثل حال أبي قحافة استحب له الخضاب لأنه لا يحصل به الغرور لأحد ومن كان بخلافه فلا يستحب في حقه، ولكن الخضاب مطلقا أولى؛ لأنه فيه امتثال الأمر في مخالفة أهل الكتاب، وفيه صيانة للشعر عن تعلق الغبار وغيره به؛ إلا إن كان من عادة أهل البلد ترك الصبغ وأن الذي ينفرد بذلك يصير في مقام الشهرة فالترك في حقه أولى، ونقل الطبري بعد أن أورد حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه بلفظ «من شاب شيبة فهي له نور إلى أن ينتفها أو يخضبها»، وحديث بن مسعود أن النبي ق كان يكره خصالا فذكر منها تغيير الشيب، إذ بعضهم ذهب إلى أن هذه الكراهة تستحب، قال بن العربي: إنما نهى عن النتف دون الخضب لأن فيه تغيير الخلقة من أصلها بخلاف الخضب، لأحد ترك الخضب ويتشبه بأهل الكتاب وفي السواد عنه كالشافعية روايتان المشهورة يكره وقيل يحرم ويتأكد المنع لمن دلس به. انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (جـ١٠/ ص ٣٥٤- ٣٥٦).

أقول وخلاصة أدلة هذا لباب: أنه من خضب بغير السواد الخالص فلا باس في ذلك؛ لمن شاء أن يخضب. أما الخضب بالسواد الخالص فهو مكروه كراهية تحريم. وأما الخضب بالسواد مع الحمرة: فان لم يحصل به غرر فلا بأس، و إذا حصل به غرر فلا يجوز؛ فهذا بالنسبة للشعر. أما خضب اليدين والرجلين فهو جائز للنساء دون الرجال، إلا في حالة لتداوي للرجال. هذا ما توصلت إليه -والله أعلم-.

(٦) حدثنا أبو توبة، حدثنا عبيد الله، عن عبد الكريم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ق: «يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة». أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الترجيل، باب: ما جاء في خضاب السواد، برقم: (٤٢١٢)، إسناده صحيح، (جـ ٦/ ص٢٧٢).

(٧) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: الزينة، باب: النهي عن الخضاب بالسواد، أخبرنا عبد الرحمن بن عبيد الله الحلبي، عن عبيد الله عن عبد الكريم، عن سعيد بن جبير، عن

خلاف ما يتبادر من الحديث[١]، وقيل: يجوز للنساء دون الرجال[٢]، واختاره الحليمي[٣].

الخاتمة:

من النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الجزء (شرح شمائل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، باب: ما جاء في خضاب رسول الله ﷺ لمصلح الدين اللّارِي) الآتي:

أولاً- أهم النتائج:

١-بيان نشأت الإمام الترمذي في القرن الثالث الهجري، وأهمية كتابه (الشمائل المحمدية)، واهتمامه بعلم الحديث، ووفاته سنة (٢٧٩هـ).

٢- بيان نشأت الإمام محمد بن صلاح بن جلال اللّارِي، في القرن الحادي عشر الهجري، واهتمامه بعلم الحديث، ومكانته العلمية ومؤلفاته، وقد رفد المكتبة الإسلامية بالكثير من المصنفات في مختلف المجالات، ووفاته سنة (٩٧٩هـ).

٣-أهمية كتاب (شرح شمائل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-) لمصلح الدّينِ اللّارِي حيث تناول فيه شرحاً وافياً مجملاً في أحاديث صفات النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الخَلقية والخُلُقية.

٤-بيان منهج الإمام اللّارِي وجهوده في كتابه (شرح شمائل النبي -ﷺ-)؛ فظهر من خلال ذلك أنه كان فقيهاً عالماً بمجال الفقه والحديث واللغة، وقد رفد المكتبة الإسلامية بالكثير من المصنفات في مختلف المجالات.

ابن عباس رفعه قال: «قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة»، برقم: (٩٢٩٣)، (جـ٨/ ص٣٢٦).

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (جـ١٠/ ص ٣٥٤).

(٢) منهم من فرق في ذلك بين الرجل والمرأة ؛ فأجازه لها دون الرجل، واختاره الحليمي. وأما خضب اليدين والرجلين، فيستحب في حق النساء ويحرم في حق الرجال إلا للتداوي. انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (جـ١٠/ ص ٣٥٥).

(٣) الحَلِيمي: بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها الميم نسبة إلى حليمة ظئر النبي ق، و نسبة إلى جده حليم الحسن بن محمد بن حليم بن إبراهيم بن ميمون الصائغ الحليمي، وهو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم بالالام الشيخ الإمام أبو عبد الله الحليمي، أحد أئمة الدهر وشيخ الشافعيين بما وراء النهر، حدث وقضى في بلاد خراسان، مولده سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة، وتوفي سنة ثلاث وأربع مئة. انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (جـ٤/ ص٣٣٣- ٣٣٥).

٥- أن علم الحديث وعلومه من أهم العلوم التي برزت مبكراً، منذ حياة النبي ﷺ ثم صحابته الكرام، ثم تتابع تخرج الأحاديث والتأليف في هذا المجال حتى بلغت شهرتها ووصلت إلى عصرها الذهبي في منتصف القرن الرابع الهجري.

٦- أن من العلماء من رخص في الخضاب وتغيير الشيب أثناء الجهاد، ومنهم من رخص فيه مطلقا، وأن الأولى كراهته، وجنح النووي إلى أنه كراهة تحريم.

٧- أن منهم من فرق في ذلك بين الرجل والمرأة فأجازه لها دون الرجل واختاره الحليمي، وأما خضب اليدين والرجلين فلا يجوز للرجال إلا في التداوي.

٨- ورد في باب الخضاب أربعة أحاديث، تدل على مشروعية الخضاب بالحناء والكتم، وجمع الطبري بأن من صبغ منهم كان اللائق به كمن يستشنع شيبه ومن ترك كان اللائق به كمن لا يستشنع شيبه.

٩- وذكر في التوفيق بين الأحاديث قال النووي: "المختار أنه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- خضب في وقت، وترك في معظم الأوقات، وكل راوٍ أخبّر عما رأى، والكل صادق".

ثانياً – التوصيات:

أوصي بالآتي:

١- علم الحديث من أشهر العلوم، وأكثرها تفريعاً، وهو بحاجة إلى عناية وجهد كبير من طلاب العلم المتخصصين.

٢- العناية بالأحاديث النبوية وما ورد فيها من التعدد في ألفاظها وأحكامها وتشريعاتها، واختلاف العلماء فيها والتقارب بين الروايات، والجمع الصحيح بينها.

٣- أن هناك تراثاً علمياً كبيراً متعلقاً بعلم الحديث ما زال قابعاً في المكتبات، وما زالت مخطوطات ثمينة فيها درر من العلم المفيد بحاجة إلى تخريج وتحقيق، حتى يعم النفع بها، وتكتمل الفائدة لطلاب الحديث على وجه الخصوص ولغيرهم على وجه العموم.

٤- وفي الختام: أرجو أن أكون قد عرضت ما في هذا البحث بالطريقة الصحيحة، والله ولي الهداية والتوفيق، وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن أبي خيثمة: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تاريخ ابن أبي خيثمة، (٨٩/١)، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، (ط:١)، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)، الفاروق الحديثة – القاهرة.

٣- ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد محمد محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى : ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون،(ط:١)، (١٣٩٠ هـ)، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان ، عدد الاجزاء: ١٢.

٤- ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، (ط:١)، تحيقق الشيخ عبد القادر الأرنؤوط.

٥-ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (ط:١)، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، عدد الأجزاء: ١١.

٦-ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، (٣٧١/٧)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند ، (ط: ٢)، (١٣٩٠هـ /١٩٧١م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان.

٧- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، (ط:١)، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م)، دار الرشيد – سوريا، عدد الأجزاء١.

٨- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، (ط:١)، (١٣٢٦هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، عدد الأجزاء: ١٢.

٩- ابن حجر: أحمد علي حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة - بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

١٠- ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل، (ط:١)، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)، دار الرسالة العالمية، عدد الأجزاء: ٥.

١١- أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، (ط: ١)، (١٩٧٠)، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان .

١٢- أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، طبقات الشافعية، تحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، (ط: ١)، (١٤٠٧ هـ)، عالم الكتب – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

١٣- أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، (ط:١)، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)، دار الرسالة العالمية، عدد الأجزاء: ٧.

١٤- أبو زكريا: يحيى بن معين بن عون البغدادي، المتوفى:(٢٣٣هـ)، تاريخ ابن معين، (١٥١/١)، تحقيق: د، أحمد محمد نور سيف، (د. ط)، (د.ت)، دار المأمون للتراث – دمشق.

١٥- أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، دار الوطن للنشر، الرياض، عدد الأجزاء: عدد الأجزاء: ٧.

١٦- الأدنه وي: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، (ط:١)، (١٤١٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، عدد الأجزاء: ١.

١٧- الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، (ط:١)، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، مؤسسة الرسالة.

١٨- الباباني: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (د. ط)، (د. ت)، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

١٩- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط:١)، (١٤٢٢هـ)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، عدد الأجزاء:٩.

٢٠- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، (د. ت)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

٢١- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، (د. ت)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

٢٢- الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الشمائل المحمدية والخصائل، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، (ط:١)، (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٢٣- الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير. سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (د. ط)، (١٩٩٨ م)، دار الغرب الإسلامي بيروت، عدد الأجزاء: ٦.

٢٤- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط:٤)، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، دار العلم للملايين ، بيروت، عدد الأجزاء ٦.

٢٥- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (٢/ ١٠٥٩) (د. ط)، د. مكان طبع ونشر، (١٩٤١م)، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية.

٢٦- الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط:١)، (١٤١١ هـ - ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٧- الحميري: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، (ط:١)، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، دار الفكر المعاصر : بيروت، دار الفكر دمشق.

٢٨- خزانة التراث - فهرس مخطوطات، قام باصداره مركز الملك فيصل، نبذة: فهارس المخطوطات الإسلامية في المكتبات والخزانات ومراكز المخطوطات في العالم تشتمل على معلومات عن أماكن وجود المخطوطات وأرقام حفظها في المكتبات والخزائن العالمية.

٢٩- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، (ط:١)، (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة.

٣٠- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، (١/ ١٥٠)، (ط:١)، (١٤١٩هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

٣١- رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: (جـ ١ – ٨) محمَّد سَليم النعَيمي، (جـ ٩، ١٠) : جمال الخياط، (ط:١)، (١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م)، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، عدد الأجزاء: ١١.

٣٢- زَادَهْ: أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ (المتوفى: ٩٦٨هـ)، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، (٤١٨/١)، (د. ط)، (د.ت)، دار الكتاب العربي – بيروت.

٣٣- الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس (١٤/ ٨٥)، دار الهداية.

٣٤- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو: (٢٠٠٢ م)، دار العلم للملايين.

٣٥- السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، (ط:٢)، (١- ١٤١٣هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: (١٠).

٣٦- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، (٦/ ٥٣٥- ٥٤١)، (ط:٢)، (١٣٨٧ هـ)، دار التراث – بيروت، عدد الأجزاء: ١١ .

٣٧- طبقات ابن سعد، (١٣٦/١)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، (ط:١)، (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م)، مكتبة الصديق – الطائف، عدد الأجزاء: ٢.

٣٨- عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، (د. ط)، (د. ت)، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، عدد الأجزاء: ١٣.

٣٩- الفيروزآبادى: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط:٨)، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، بيروت، عدد الأجزاء: ١.

٤٠- الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري (المتوفى: ٣٩٨هـ)، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تحقيق: عبد الله الليثي، (ط:١)، عدد الأجزاء: ٢.

٤١- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ)،(٢٥/٢)، تحقيق: خليل المنصور، (ط:١)، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٤٢- محيي الدين الحنفي: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (١/ ١٨٠)، (د. ط)، (د. ت)، مير محمد كتب خانه – كراتشي، عدد الأجزاء: ١.

٤٣- المزي: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف،

٤٤- (ط: ١)، (١٤٠٠ – ١٩٨٠)، مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الأجزاء: ٣٥.

٤٥- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط:١)، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الأجزاء: (١٠).

٤٦- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (١٥/ ٩٥)، (ط:٢)، (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ١٨

٤٧- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

نماذج مختارة من تفسيري: ابن عطية والبيضاوي في علوم القرآن من خلال سورة هود – دراسة مقارنة

أ.حسن حسين لطف الله البكولي[١]

الملخص

تضمن هذا البحث مقارنة بين تفسيري: ابن عطية والبيضاوي في علوم القرآن من خلال سورة هود، وتأتي أهمية البحث كونه يُقدم إضافة علمية للدارسين في مجال علوم القرآن، وهدف البحث إلى التعريف بابن عطية والبيضاوي والوقوف على منهج وأسلوب كلٌ منهما في علوم القرآن، وبيان أوجه الاتفاق وإبراز مواطن الاختلاف بينهم وإظهار ما يتميز به كلٌ منهما عن الآخر، واشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، في المبحث الأول كان الحديث عن حياة الإمامين: ابن عطية والبيضاوي وتفسيريهما والتعريف بسورة هود والتفسير المقارن، وفي المبحث الثاني تم إجراء مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في علوم القرآن، وفي خاتمة البحث تم التوصل إلى العديد من النتائج منها: أن تفسير ابن عطية في علوم القرآن أعم وأشمل من تفسير البيضاوي.

الكلمات المفتاحية: تفسير– علوم– مقارن.

Abstract

Summarize the search This research included a comparison between Ibn Attia and Al-Baydawi in the sciences of the Qur'an through Surat Hood, and the importance of the research comes as it provides a scientific addition to students in the field of Qur'anic sciences. The differences between them, and to show what is distinguished by each of them from the other, and the research included an introduction, two sections and a conclusion. The Qur'an, and in the conclusion of the research, many results were reached, including: The interpretation of Ibn Attia in the sciences of the Qur'an is more general and comprehensive than the interpretation of al-Baydawi.

Keywords: interpretation - science - comparative.

(١) طالب دكتوراة ،قسم الدراسات الاسلامية كلية الاداب والعلوم الانسانية –جامعة صنعاء–

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم أجل الكتب قدرًا، وأغزرها فائدة ونفعًا، وأجملها حكمة وبيانًا، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يعد الإمامان: ابن عطية والبيضاوي من أبرز علماء التفسير الذين درسوا القرآن الكريم واعتنوا بعلومه، حيث قامت تفاسيرهما على الوظيفة النقدية الترجيحية القائمة على أصول وقواعد علم التفسير، وعلوم القرآن يعد من أجل العلوم وأعظمها فائدة، وتنبع أهمية علوم القرآن كونه يتناول ألوانًا مختلفة من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني وغيرها، ومن هذا المنطلق تشكلت الرغبة لدى الباحث لإجراء هذا البحث.

أولًا– أسباب اختيار موضوع الدراسة:

١– التعرف من خلال المقارنة على أسلوب عَلَميّن من أعلام التفسير في علوم القرآن.

٢– أن تفسير الإمام ابن عطية يمثل نموذجًا للمدرسة الغربية في بلاد الأندلس، وتفسير البيضاوي يمثل نموذجًا للمدرسة الشرقية في بلاد فارس، والمقارنة بينهما يعد مقارنة بين مدرستين في التفسير.

٣– اعتماد بعض الجامعات الإسلامية لمادة التفسير المقارن ضمن المقررات الدراسية في تخصص التفسير وعلوم القرآن في الدراسات العليا.

ثانيًا– أهمية موضوع الدراسة:

١– تقديم صورة لتفسير القرآن الكريم من خلال الكتابة بطريقة المقارنة.

٢– قد تُسهم هذه الدراسة في فتح المجال للباحثين لإجراء دراسات أخرى لم تشملها الدراسة الحالية.

ثالثًا– أهداف الدراسة:

١– الوقوف على منهج وأسلوب الإمامين من خلال تفسيريهما، وبيان طريقتهما في ذلك.

٢– بيان أوجه الاتفاق، وإبراز مواطن الاختلاف، وبيان سببه، وإظهار ما يتميز به كل منهما عن الآخر في تفسيره.

رابعًا– حدود البحث:

تقتصر حدود البحث على إجراء مقارنة بين تفسيري ابن عطية والبيضاوي في علوم القرآن من خلال نماذج من سورة هود.

خامسًا– منهج البحث وخطواته:

من أجل تحقيق أهداف البحث تمَّ الاعتماد على المنهج الوصفي بشقيه الاستقرائي والتحليلي، والمنهج المقارن، ولتطبيق هذين المنهجين اتبع الباحث الخطوات الآتية:

١– دراسة الآيات القرآنية الواردة في سورة هود وإجراء مقارنة بين ما ذكره الإمام ابن عطية في علوم القرآن، وما ذكره الإمام البيضاوي، وبيان أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف، والترجيح بينهما في مواطن الاختلاف من خلال كتب التفسير المعتبرة، وما يترجح لدى الباحث من خلال الأدلة.

٢– الالتزام بكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وفق المصحف المطبوع برواية حفص عن عاصم.

٣– تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها من كتب الحديث المعتمدة، وتخريجها من مصادرها الأصلية، وبيان درجتها: صحةً وضعفًا إذا لم تكن في الصحيحين، والإشارة إلى موضع التخريج في الحاشية.

٤– وضع ترجمة مختصرة للأعلام الوارد ذكرهم في المتن ما عدا الصحابة وعلماء التابعين وأئمة المذاهب الفقهية الأربعة لشهرتهم.

سادسًا– الدراسات السابقة:

١– منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم: عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، القاهرة– مصر، ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م.

٢– الاستنباط عند الإمام ابن عطية الأندلسي في كتابه المحرر الوجيز دراسة نظرية تطبيقية: عواطف أمين يوسف الساطي، أطروحة دكتوراه، جامعة الخرطوم، الخرطوم– السودان، ٢٠٠٧م.

٣– الإمام البيضاوي وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد من خلال تفسيره: شريفة أحمد المالكي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة– المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ.

٤- البيضاوي ومنهجه في التفسير: يوسف أحمد علي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ.

٥- تفسير الطبري والزمخشري وابن عطية دراسة مقارنة في الجزء السادس عشر: هاشم أبو نعمة، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم- السودان، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٦- دراسة مقارنة بين منهجي البيضاوي وأبي حيان الأندلسي في القرآن الكريم الجزء الأول من القرآن الكريم انموذجًا: جابر عوض إشطيط السميحيين، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١٦م.

سابعًا- مناقشة الدراسات السابقة:

من خلال قراءة الدراسات السابقة التي تم الحصول عليها تبين أنها تتفق مع الدراسة الحالية في التعريف بابن عطية والبيضاوي، كما تتفق معها من حيث المنهج المستخدم، وهو المنهج الوصفي، وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في تناولها موضوع: نماذج مختارة من تفسيري: ابن عطية والبيضاوي في علوم القرآن من خلال سورة هود - دراسة مقارنة، في حين أن الدراسات السابقة لم تتطرق إلى هذا الموضوع، وبهذا فإن الدراسة الحالية تتفرد بالأهداف التي تسعى لتحقيقها مقارنة بأهداف الدراسات السابقة.

ثامنًا- هيكل الدراسة:

المقدمة: وفيها:

١- أسباب اختيار موضوع الدراسة.

٢- أهمية موضوع الدراسة.

٣- أهداف الدراسة.

٤- حدود البحث.

٥- منهج البحث وخطواته.

٦- الدراسات السابقة.

٧- مناقشة الدراسات السابقة.

المبحث الأول: الجانب النظري للدراسة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بابن عطية وتفسيره.

المطلب الثاني: التعريف بالبيضاوي وتفسيره.

المطلب الثالث: التعريف بسورة هود.

المطلب الرابع: ماهية التفسير المقارن.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للدراسة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في عرض القراءات.

المطلب الثاني: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في أسباب النزول.

المطلب الثالث: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في المكي والمدني.

المطلب الرابع: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في المبهمات.

المطلب الخامس: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في فضائل السور.

الخاتمة: وفيها: نتائج البحث، المقترحات، المصادر والمراجع

المبحث الأول: الجانب النظري للدراسة

المطلب الأول: التعريف بابن عطية وتفسيره

أولًا– مولده واسمه وكنيته ونسبه:

مولده: ولد ابن عطية في مدينة غرناطة[١]، سنة: ثمانين وأربعمئة هجرية، واسمه: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية، وكنيته: أبو محمد، ونسبه: الاَنْدَلُسى نسبة إلى أندلس، وهي إقليم من بلاد المغرب[٢].

ثانيًا– مذهبه:

كان الإمام ابن عطية على مذهب أهل السنة، وتبين ذلك جليًا من خلال موافقته في تفسيره لمذهب أهل السنة في العديد من المواضع التي اختلف فيها أهل السنة مع غيرهم، ومن ذلك الرد على المعتزلة[٣] في بيان معنى الرزق، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦]: قال ابن عطية: وهذه الآية تعطي أن الرزق كل ما صح الانتفاع به خلافا للمعتزلة في قولهم إنه الحلال المتملك(٤).

وكان الإمام ابن عطية مالكي المذهب، وتبين ذلك جليًا من خلال موافقته في تفسيره لآيات الأحكام للمذهب المالكي في العديد من المواضع التي اختلف فيها أئمة المذاهب الفقهية مع الإمام مالك، ومن ذلك

(١) غرناطة: مدينة من أقدم مدن الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، يشقها النهر المعروف بنهر القلزم والذي يُعرف حاليًا بنهر حداره. ينظر: الحموي: معجم البلدان، ج. ٤، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ط٢، ص. ١٩٥.

(٢) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ط١، ص. ٦٠، وابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج. ١، دار صادر، بيروت، د.ت، د.ط، ص. ٨٩.

(٣) المعتزلة: هم طائفة من أهل الكلام خالفت جمهور المسلمين في كثير من المعتقدات، وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال تلميذ الحسن البصري، يكفرون أصحاب الكبائر، استقر مذهب الاعتزال بعلى خمسة أصول وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى هذه الأصول الخمسة يقوم مذهب الاعتزال. ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، ج. ١، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، د.ط، ص. ٤٢. والزمخشري، محمود بن عمرو: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج. ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط٣، ص. ٦٦٢.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٥١.

تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة:١٨٤]، ذكر اختلاف العلماء في الأفضل من الفطر أو الصوم في السفر، فبين أن الشافعي[١] ومالك[٢] في بعض ما روي عنهما: أن الصوم أفضل لمن قوي، وكره ابن حنبل[٣] وغيره الصوم في السفر، ثم بين أن مالك ذكر في استحبابه الصوم لمن قدر عليه، وكأنه يرجح ما ذهب إليه مالك[٤].

ثالثًا– شيوخه وتلاميذه ومصنفاته:

١ – شيوخه: نشأ الإمام ابن عطية في بيت علم، فوالده كان أحد أبرز علماء عصره، وكان له الأثر الواضح في تنشئته التنشئة العلمية، وكان يحثه على التدوين في العلوم، ثم تتلمذ على العديد من العلماء وأخذ عنهم العلوم، ومن أبرز شيوخه الذين تفقه عليهم وأخذ عنهم: أبوه غالب بن عبد الرحمن الأندلسي[٥]، ومحمد بن علي بن عمر بن محمد المازري[٦]، وأبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الجياني[٧].

٢ – تلاميذه: نبغ الإمام ابن عطية في الكثير من العلوم، وأقبل العديد من طلبة العلم إليه، فأخذوا عنه العديد من العلوم، وتتلمذ على يده الكثير من العلماء ومنهم: محمد بن خير بن عمر بن خليفة

(١) ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ج٣، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، ٢٠٠١م، ط١، ص. ٢٥٩.

(٢) ينظر: الأصبحي، مالك بن أنس: المدونة، ج. ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م، ط١، ص. ٢٧٢.

(٣) ينظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسائل الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: أبو عمر محمد بن علي الأزهري، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م، ط١، ص. ١٦١.

(٤) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ج. ١، ص. ٢٥١.

(٥) فقيه زاهد محدث عالم مولده سنة: (٤٤١هـ)، وتوفي بغرناطة سنة: (٥١٨هـ). ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز: تذكرة الحافظ، ج. ٤، الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ط١، ص. ٤٥.

(٦) كان فقيهًا حَسن الخُلق مولده بمدينة المهدية ومات بها سنة: (٥٣٦هـ). ينظر: المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م، ط٢، ص. ٢٠.

(٧) كان إمامًا في الحديث والأدب مولده سنة: (٤٢٧هـ)، وتوفي بغرناطة سنة: (٤٩٨هـ). ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج. ٢، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، د.ط، ص. ١٨٠.

الإشبيلي[١]، ومحمد بن عبد الملك بن طفيل البرشاني[٢]، وعبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف بن حبيش الأنصاري[٣].

٣- مصنفاته: امتاز الإمام ابن عطية بغزارة علمه وثقافته العلمية الواسعة، حيث ترك موروثًا علميًا ضخمًا وتأليفه لأحد أشهر كتب التفسير، ومن خلال دراسة حياته العلمية تبين أنه ترك للأمة من بعده مؤلفين هما: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، في التفسير، ومعجم الشيوخ، وهو كتاب ذكر فيه الإمام ابن عطية العديد من أسماء شيوخه، ويبدو أن للإمام ابن عطية مؤلفات أخرى لم تصل إلينا بسبب ما أصاب المسلمين من نكبات ومحن في بلاد الأندلس، فقد حُرقت كتبهم، وشُردوا من أوطانهم بسبب الغزو الصليبي على بلاد المسلمين أنذاك[٤].

رابعًا- مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

برع في الكثير من العلوم والفنون، وشهد له بمكانته العلمية الكثير من شيوخه وطلابه، فكان أحد رجالات الأندلس الجامعين بين الفقه والحديث والتفسير والأدب، وبيته عريق في العلم[٥]، قال عنه الذهبي[٦]: "لو لم يكن له إلا تفسيره الكبير لكفاه"[٧]، وقال عنه أبو حيان[٨]: "أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية

(١) الحافظ المقرئ فاق الأقران في ضبط القراءات وبرع في الحديث توفي سنة: (٥٧٥). ينظر: الحضرمي، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج. ٤، عُني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م، ط١، ص. ٢٦٩.

(٢) كان فقيهًا حكيمًا فيلسوفًا توفي بمراكش سنة: (٥٨١هـ). المراكشي، محمد بن محمد: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج. ٤، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ط١، ص. ٤٤٤.

(٣) أحد علماء الحديث بالأندلس ولد سنة: (٥٠٤هـ)، وتوفي سنة (٥٨٤هـ). ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: العبر في خبر من غبر، ج. ٣، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ط١، ص. ٨٨.

(٤) ينظر: الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ط١، ص. ١٧٨.

(٥) ينظر: البلنسي، محمد بن عبد الله: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ط١، ص. ٢٦٣.

(٦) هو: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركمانيّ الأصل، من أهل ميافارقين، مولده في دمشق، وتوفي بها سنة: (٧٤٨هـ)، من تصانيفه: (دول الإسلام)، و(سير أعلام النبلاء). ينظر: المقريزي، أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج. ٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط١، ص. ٦٦.

(٧) الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ج. ١١، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م، ط١، ص. ٧٨٧.

(٨) هو: محمد بن يوسف بن علي بن حيان، الإمام العلامة ذو الفنون حجة العرب أبو حيان الأندلسي، عالم الديار المصرية، وصاحب التصانيف البديعة، ولد في غرناطة سنة:

=

الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير"[١].

خامسًا– وفاته:

توفي الإمام ابن عطية– رحمه الله– في بلُوْرَقة[٢] في ليلة خامس عشر من رمضان، في سنة: ثنتين– وقيل: إحدى، وقيل: ست– وأربعين وخمسمئة هجرية[٣].

سادسًا– التعريف بتفسير ابن عطية:

١– نسبة كتاب المحرر الوجيز: ينسب كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية الأندلسي، ولا يكاد يُذكر الإمام ابن عطية إلا وينسب إليه هذا الكتاب ذو القيمة العلمية والمكانة المشهورة بين كتب التفسير، وثبت في الكثير من كتب التراجم والطبقات أن الإمام ابن عطية كان عالما بالتفسير، واستفاضت نسبة كتابه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، إليه في جمع النسخ المكتوبة والمخطوطة والمطبوعة، كما نقل من كتاب ابن عطية المحرر الوجيز، الكثير من العلماء والمفسرين[٤].

٢– مصادر تفسير ابن عطية: اعتمد ابن عطية في تفسيره: المحرر الوجيز، على الكثير من المصار المهمة لمن سبقه من العلماء في مجال التفسير بوجه خاص، وبقية العلوم بشكل عام، وأشهر مصادر ابن عطية: صحيح البخاري: للبخاري (ت:٢٥٦هـ)، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري (ت:٣١٤هـ). وكتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)، الكتاب: لسيبويه (ت:١٨٠هـ)، ومجاز القرآن: لأبي عبيدة (ت:٢٠٩هـ)[٥].

(٦٥٤هـ)، وتوفي في القاهرة سنة: (٧٤٥هـ)، من تصانيفه: (مجاني العصر)، و(البحر المحيط). ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل: أعيان العصر وأعوان النصر، ج. ٥، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م، ط١، ص. ٣٢٥.

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط، ج. ١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، ط١، ص. ١١٢.

(٢) لُورَقَةُ: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم، هي أكرم بقاع الأندلس وأكثرها خيراً، وأرضها جرز لا يرويها إلا ما ركد عليها من الماء كأرض مصر، فيها عنب وفواكه. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان: ج. ٥، ص. ٢٥، والقزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، د.ط، ص. ٥٥٥–٥٥٦.

(٣) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: بغية الوعاة، ج.٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا– لبنان، د.ت، د.ط، ص. ٧٣.

(٤) ينظر: الضبي، أحمد بن يحيى: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، د.ط، ص. ٣٨٩، والذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج. ١١، ص. ٧٨٧.

(٥) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ج.١، ص. ١٤– ٩، ٢٤، ٥٩، ٢٣.

المطلب الثاني: التعريف بالبيضاوي

أولًا– مولده واسمه وكنيته ونسبه:

مولده: اتفقت مصادر التراجم والطبقات على أن الإمام البيضاوي ولد في مدينة البيضاء[(١)]، إلا أن هذه المصادر لم تبين تاريخ ميلاد البيضاوي، وتبين من خلال دراسة ترجمته أنه نشأ في مسقط رأسه بمدينة البيضاء، واسمه: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، وكنيته: أبو الخير، وقيل: أبو سعيد، ونسبه: بالبيضاوي إلى البيضاء، وهي مدينة كبيرة من أعمال شيراز من بلاد فارس[(٢)].

ثانيًا– مذهبه:

كان البيضاوي على مذهب أهل السنة، وتبين ذلك جليًا من خلال موافقته في تفسيره لما ذهب إليه أهل السنة في العديد من المواضع التي اختلفوا فيها مع غيرهم، ومن ذلك التوسط في العقائد بين التشبيه والتعطيل فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢]، قال البيضاوي: فاستقم كما أمرت لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة، وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله ﷺ بالاستقامة مثل ما أمر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونًا من الطرفين، والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها[(٣)].

وكان الإمام البيضاوي شافعي المذهب، وتبين ذلك جليًا من خلال موافقته في تفسيره لآيات الأحكام للمذهب الشافعي في العديد من المواضع التي اختلف فيها أئمة المذاهب الفقهية مع الإمام الشافعي، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ ﴾ [البقرة:٢٢٨]، قال البيضاوي:

(١) البيضاء: مدينة مشهورة بفارس، وسميت البيضاء لأن لها قلعة تَبَيَّن من بعد ويرى بياضها، وكانت معسكرًا للمسلمين يقصدونها في فتح إصطخر. ينظر: الحموي: معجم البلدان، ج. ١، ص. ٥٢٩، والبروسوي، محمد بن علي: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٧هـ، ط١، ص. ٢٣٩.

(٢) ينظر: المروزي، عبد الكريم بن محمد: الأنساب، ج. ٢، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٨٢هـ– ١٩٦٢م، ط١، ص. ٣٩٧، وابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج. ١، ص. ١٩٨.

(٣) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٣، ص. ١٥٠.

"وقروء: جمع قرء وهو يطلق للحيض، كقوله عليه الصلاة والسلام: «دعي الصلاة أيام أقرائك»[١]، وهو المراد به في الآية؛ لأنه الدال على براءة الرحم[٢] لا الحيض، كما قاله الحنفية[٣]؛ لقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]، أي: وقت عدتهن، والطلاق المشروع لا يكون في الحيض[٤].

ثالثًا– شيوخه وتلاميذه ومصنفاته:

١– شيوخه: نشأ الإمام البيضاوي في بيت علم، فوالده كان أحد أبرز علماء عصره، وكان له الأثر الواضح في تنشئته التنشئة العلمية، وتتلمذ على العديد من العلماء وأخذ منهم العلوم ومنهم: أبيه: أبو القاسم عمر بن محمد بن علي البيضاوي[٥]، وشرف الدين بن عمر الزكي البوشكاني[٦].

٢– تلاميذه: برع الإمام البيضاوي في الكثير من العلوم، وأقبل العديد من طلبة العلم إليه، فأخذوا عنه العديد من العلوم، وتتلمذ على يده الكثير من العلماء ومنهم: زين الدين علي بن روز بهان بن محمد الخنجي[٧]، وأحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي[٨].

٣– مصنفاته: من خلال دراسة حياة الإمام البيضاوي العلمية تبين أنه خلف للأمة من بعده الكثير من التصانيف البديعة المشهورة منها: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: في التفسير، وطوالع الأنوار: في علم أصول

(١) الدار قطني، علي بن عمر: سنن الدار قطني، ج. ١، كتاب: الحيض، الحديث رقم: (٨٢٢)، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ط١، ص. ٣٩٤.

(٢) ينظر: الشافعي: الأم، ج. ٦، ص. ٥٢٩.

(٣) ينظر: الشيباني، محمد بن الحسن: الأصل، ج. ٤، تحقيق: محمد بوينوكالن، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ط١، ص. ٣٩٣، والسرخسي: المبسوط، ص. ١١، والكاساني، علاء الدين بن مسعود: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج. ٣، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ط٢، ص. ١٩٣.

(٤) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج. ١، ص. ١٤١.

(٥) كان إمامًا متبحرًا جمع بين العلم والتقوى وتقلد القضاء بشيراز سنين، وتوفي سنة: (٦٧٥هـ). ينظر: الشيرازي، الجنيد بن محمود: شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار، تحقيق: محمد القزويني وعباس إقبال، مطبعة المجلس، طهران، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م، د.ط، ص. ٢٩٤-٢٩٥.

(٦) استاذ العلماء ومرجع الفضلاء وملجأ الأكابر في عهده لم يترك فنًا من الفنون إلا درسه توفي سنة: (٦٨٠هـ). ينظر: الشيرازي: شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار، ص. ٢٩٧-٢٩٨.

(٧) عالم جمع بين المشروع والمعقول توفي سنة: (٧٠٧هـ). ينظر: كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ج. ٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، د.ط، ص. ٩٤-٩٥.

(٨) كان فاضلًا دينًا متفننًا مواظبًا على الشغل بالعلم وإفادة الطلبة توفي سنة: (٧٤٦هـ)، ينظر: السبكي، ، تاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى، ج. ٨، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع١٤١٣هـ، ط٢، ص. ٨-٩.

الدين والتوحيد.، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول: وهو من أهم كتب المذهب الشافعي[١].

رابعًا– مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان للبيضاوي مكانة علمية عالية اشتهر بها في بلاد فارس وغيرها، حيث نشأ في بيت علم وتولى والده تعليمه منذ صغره، وكان لذلك الأثر الكبير في تحصيله العلمي، فبرع في الكثير من العلوم والفنون، وشهد له بمكانته العلمية الكثير من شيوخه وطلابه، وقد أثنى كثير من العلماء على الإمام البيضاوي، فقال عنه السبكي[٢]: "كان إمامًا مبرزًا نظارًا صالحًا متعبدًا زاهدًا"[٣]، وقال عنه ابن حبيب[٤]: "عالم نمى زرع فضله، ونجم وحاكم عظمت بوجوده بلاد العجم، برع في الفقه والأصول، وجمع بين المعقول والمنقول[٥].

خامسًا– وفاته:

لم تتفق كتب التراجم والطبقات على تاريخ وفاة الإمام البيضاوي، فقيل: توفي سنة: خمس وثمانين وستمئة، وقيل: سنة إحدى وتسعين وستمئة، وقيل: سنة اثنتين وتسعين وستمئة[٦].

(١) ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج. ١٧، ص. ٢٠٦، والسبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج. ٨، ص. ١٥٧.

(٢) هو: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، كان إمامًا عالمًا، فقيهًا، نحويًا، مولده سنة: (٧٢٨هـ)، وتوفي في دمشق سنة: (٧٧١هـ)، له العديد المصنفات منها: (مختصر ابن الحاجب)، و(الأشباه والنظائر). ينظر: ابن تغري، يوسف بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج. ٧، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، د.ط، ص. ٣٨٥-٣٨٦.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج. ٨، ص. ١٥٧.

(٤) هو: بدر الدين الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي أديب حلب، مؤرخ، من الكتاب المترسلين، ولد سنة: (٧١٠هـ)، ومات في حادي عشر ربيع الآخر سنة: (٧٧٩هـ)، له العديد من المصنفات منها: (نسيم الصبا)، و(درة الأسلاك في دولة الأتراك). ينظر: الشهبي، أبو بكر بن أحمد: طبقات الشافعية، ج. ٣، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١، ص. ٨٨.

(٥) الشهبي: طبقات الشافعية ج. ٢، ص. ١٧٢.

(٦) ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج. ١٧، ص. ٢٠٦، وابن كثير: البداية والنهاية، ج. ١٧، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط١، ص. ٦٠٦، والإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم: طبقات الشافعية، ج. ١، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ط١، ص. ١٣٦، ابن الملقن، عمر بن علي: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري وسيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ط١، ص. ١٧٢، واليافعي، عفيف الدين عبد الله: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج. ٤، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ط١، ص. ١٦٥.

سادسًا– التعريف بتفسير البيضاوي:

١– نسبة كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ينسب كتاب: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام البضاوي، ولا يكاد يُذكر الإمام البيضاوي إلا وينسب إليه هذا الكتاب في التفسير، وثبت في الكثير من كتب التراجم والطبقات أن الإمام البيضاوي كان عالمًا بالتفسير، واستفاضت نسبة كتابه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل إليه في جمع النسخ المكتوبة والمخطوطة والمطبوعة(١).

٢– مصادر تفسير البيضاوي: اعتمد البيصاوي في تفسيره: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، على الكثير من المصار المهمة لمن سبقه من العلماء في مجال التفسير بوجه خاص، وبقية العلوم بشكل عام، وأشهر مصادر البيضاوي: المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهانى (ت:٥٠٢هـ)، والكشاف: للزمخشري، ومفاتيح الغيب: للرازي (ت:٦٠٦هـ)، والكتاب: لسيبويه (ت:١٨٠هـ)(٢).

المطلب الرابع: التعريف بسورة هود

١– تسميتها: سميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير سورة: (هود)، ولم يعرف لها اسم غير هذا الاسم، وتسميتها بسوره: (هود) ورد عن النبي– صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في الحديث الذي رواه ابن عباس– رضي الله عنهما– أن أبا بكر– رضي الله عنه– قال: "يا رسول الله ما شيبك؟ قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت"»(٣).

٢– زمن نزولها: أجمع جمهور العلماء على أن سورة: (هود) كلها مكية(٤)، وقيل: إن سورة: (هود)

(١) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: بغية الوعاة، ج.٢، ص. ٥٠، والقِنَّوجي، محمد صديق: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج. ١٤، عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، د.ط، ص. ٢٧٤، ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج. ١٦، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، د.ط، ص. ٢٧٩.

(٢) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ١، ص. ٧– ٣٣.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن، ج. ١، الحديث رقم: (٣٢٩٧)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، ط١،ص. ٩٧٥، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

(٤) ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م، ص. ٢٠١، والمِحَاشِعِي، علي بن فضال: البِكت في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م، ط١، ص. ٩٦، والزركشي، بدر الدين محمد: البرهان في علوم القرآن، ج. ١، تحقيق: محمد أبو =

مكية إلا ثلاث آيات هي: قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ [هود:١٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود:١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾[هود:١١٤][(١)]، والراجح أن سورة: (هود) كلها مكية، وتبين ذلك من خلال تفسير الثلاث الآيات التي قيل إنها مدنية، وذلك من خلال بيان سياقها، وكذلك نزول السورة في الفترة التي أعقبت حادثة الإسراء والمعراج، فترجح أن السورة كلها مكية[(٢)].

٣- المحور الرئيس للسورة: المحور الرئيس الذي تدور حوله السورة هو التوحيد، والتأكيد على أن دعوة الأنبياء والرسل- عليهم السلام- واحدة، ومصدرها واحد هو الله عز وجل الذي يجب الانقياد والخضوع والتسليم له، وأن المفاضلة بين جميع الخلق تكون على أساس هذه الحقيقة.

المطلب الرابع: مفهوم التفسير المقارن ونشأته.

أولًا- مفهوم التفسير المقارن:

التفسير المقارن مصطلح مركب من كلمتين: (التفسير)، و(المقارن)، **والتفسير في اللغة:** مأخوذ من الفَسْرُ ومعناه: الإبانة والإظهار وكشف المغطى[(٣)]، **وفي الاصطلاح:** "علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[(٤)]، **والمقارنة في اللغة:** مشتق من قَرَنَ، ويطلق في اللغة على معانٍ ثلاثة: الوصل والمصاحبة والجمع[(٥)].

الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، ط١، ص. ٣٠.

(١) ينظر: الحنفي، محمد بن أحمد: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ج. ١، تحقيق: محمد صفاء حقي وآخرون، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ، ط١، ص. ٢٢٧.

(٢) ينظر: الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج. ١٥، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ط١، ص. ٢٥٨، والبغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج. ٢، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ط١، ص. ٤٤١، والسمرقندي، نصر بن محمد: بحر العلوم، ج. ٢، دار الفكر، بيروت، د.ت، د.ط، ص. ١٤٣.

(٣) ينظر: الرازي، أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط١، ص. ١٤٥، والفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ط٨، ص. ٤٥٦.

(٤) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج. ١، ص. ١٣.

(٥) ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج. ٦، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ط٤، ص.

وعُرّف التفسير المقارن كمصطلح مركب: بأنه: التفسير الذي يُعنى بالموازنة بين آراء المفسرين وأقوالهم في معاني الآيات القرآنية وموضوعاتها ودلالاتها، والمقارنة بين المفسرين في ضوء تباين ثقافاتهم وفنونهم ومعارفهم واختلاف مناهجهم وتعدد اتجاهاتهم وطرائقهم في التفسير، ومناقشة ذلك ضمن منهجية علمية موضوعية، ثم اعتماد الرأي الراجح استنادًا إلى الأدلة المعتبرة في الترجيح"[(١)].

ومما سبق من تعريف للتفسير المقارن يتبين أنه: الطريق إلى الجمع بين أقوال المفسرين، والتوفيق بينها في مواطن الاتفاق، وترجيح الراجح منها في مواطن الاختلاف، وفق طرق علمية ومنهجية منظمة.

ثانيًا– نشأة التفسير المقارن وتطوره:

كانت بدايات التفسير المقارن متزامنة مع بداية نزول القرآن الكريم، وقد مر التفسير المقارن بالعديد من المراحل يمكن تفصيلها على النحو الآتي:

١– في زمن النبي ﷺ: كانت ملامح التفسير المقارن العامة قد لازمت نشأة بيان القرآن الكريم وواكبت مراحله وتطورت مع تطور التفسير عبر العصور والعهود، إلا أنها كانت ذات طابع نظري في بداية الأمر، ومن ذلك قارنة النبي ﷺ قول الصحابي الذي تمارى بصاحبه في المراد من المسجد الذي أسس على التقوى؟ ورجح النبي ﷺ قول أحدهما بإشارته إلى مسجده فقال ﷺ : «هو مسجدي هذا»[(٢)].

٢– في زمن الصحابة رضي الله عنهم: استمرت بدايات التفسير المقارن على ما هو عليه في عصر الصحابة، حيث اختلف الصحابة في بيان مفهوم بعض الآيات القرآنية كما قال السيوطي: "اختلف الصحابة في معنى الآية فأخذ كل برأيه على منتهى نظره"(٣)، وبدت لهم مواقف في معاني كلمات القرآن

٢١٨١–٢١٨٢، الرازي، أبو عبد الله محمد: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، ط٥، ص. ٢٥٢، وابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج. ١٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣، ص. ٣٣٦.

(١) ينظر: الكومي، أحمد السيد: التفسير الموضوعي، القاهرة، ١٩٨٢م، د.ط، ص. ١٤–١٥، والتفسير المقارن دراسة تأصيلية، مجلة الشريعة والقانون، العدد: ٢٦، ربيع الأول، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م، ص. ١٤٨.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج. ١٨، مسند المكثرين من الصحابة، مسند مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، الحديث رقم: (١١٨٤٧)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، ط١، ص. ٣٥٩.

(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، ج. ٢، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، ط١، ص. ٤٧٤.

الكريم، فأحيانًا صاحب أحد القولين قارن قوله بقول صاحبه فرجع إلى قول صاحبه إن كان الحق فيه عنده؛ ومن ذلك ما روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه "قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل، فسألني عن:﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ ﴾ [العاديات:١]، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويوقدون نارهم، فانفتل عني فذهب إلى علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، فسأله عن العاديات، فقال: هل سألت عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عباس، فقال: هي الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: فاذهب فادعه لي، قال: فلما وقف على رأسه قال: تفتي الناس بلا علم لك، والله إن كانت أول غزوة في الإسلام لبدر وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف يكون العاديات ضبحا؟ إنما:﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ ﴾ [العاديات:١] من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى:﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ ﴾ [العاديات:٤]، حين تطؤها بأخفافها وحوافرها، قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي"[(١)].

٣- في زمن التابعين ومن بعدهم: ثم جاء من بعد الصحابة- رضي الله عنهم-، عصر التابعين ومن بعدهم فكان المفسر يستعرض أقوال القدامى أو من سبقهم من المفسرين ويوازنها ويرجح بينها على أسس علمية منهجية صحيحة ومن ذلك الإمام الطبري[(٢)]، ومن ذلك تفسير قوله تعالى:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فذكر أن عطاء قال: إن الله يحب التوابين: من الذنوب، ويحب المتطهرين: بالماء للصلاة، وقال آخرون: معنى ذلك: إن الله يحب التوابين: من الذنوب، ويحب المتطهرين: من أدبار النساء أن يأتوها، وعن مجاهد أنه قال: يحب التوابين من الذنوب

(١) الحاكم، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، ج. ٢، كتاب: الجهاد، الحديث رقم: (٢٥٠٧)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ط١، ص. ١١٥.

(٢) هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، إمام المفسرين وعالم عصره، ولد سنة: (٢٢٤هـ) في آمل بطبرستان، وتوفي في بغداد سنة: (٣١٠هـ)، له العديد من المصنفات وأشهرها: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، و(أخبار الأمم وتاريخهم)، و(الإجماع والاختلاف). ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد: سير أعلام النبلاء، ج. ١٤، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ط٣، ص. ٢٦٧-٢٧٠.

لم يصيبوها، ويحب المتطهرين من الذنوب لا يعودون فيها، ثم رجح قول عطاء وقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: إن الله يحب التوابين من الذنوب، ويحب المتطهرين بالماء للصلاة؛ لأن ذلك هو الأغلب من ظاهر معانيه(١).

٤– في وقتنا الحاضر: مر التفسير المقارن بالعديد من المراحل إلى أن تفرع هذا العلم إلى فصول وأبواب ومباحث، وعرف بمصطلحه، أي: التفسير المقارن، وفي هذه المرحلة قررت الكثير من الكليات والجامعات الإسلامية إدراج مادة التفسير المقارن ضمن المقررات الدراسية في الدراسات العليا، فكُتبت الكتب والمؤلفات، ونُشرت الكثير من الرسائل والأبحاث العلمية حول هذا العلم.

ثالثًا– أهمية التفسير المقارن وفوائده:

يعتبر التفسير المقارن من أهم العلوم التي لا بد من العناية والاهتمام بها في مجال علم التفسير؛ كون هذا النوع من التفسير لا يقل أهمية عن غيره من أنواع التفسير الأخرى، وتبرز أهمية هذا النوع من التفسير من خلال الآتي:

١– الجمع بين أقوال المفسرين المختلفة في الظاهر.

٢– التقريب بين مدارس التفسير المختلفة.

٣– بيان الأقوال الراجحة وتفنيد الأقوال المرجوحة.

٤– تنقية عملية لكتب التفسير من كل ما طرأ عليها من دخيل.

٥– تنمية مهارة التفسير لدى المشتغل بهذا الفن.

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص. ٣٩٥–٣٩٦.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للدراسة

المطلب الأول: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في عرض القراءات

أولًا– مفهوم القراءات:

هو: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"(١)، كما عُرف علم القراءات بأنه: "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله"(٢).

وموضوع علم القراءات هو: كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها، وثمرته وفائدته: العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يُقرأ به وما لا يُقرأ به، وفضله: أنه من أشرف العلوم الشرعية، أو هو أشرفها لشدة تعلقه بأشرف كتاب سماوي منزل، وواضعه: أئمة القراءات(٣).

ثانيًا– شروط قبول القراءة:

ذكر العلماء أن القراءة الصحيحة المقبولة لا بد أن يجتمع فيها ثلاثة أركان:

١– موافقتها للغة العربية بوجه من الوجوه سواء كان أفصح أم فصيحًا مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه مع قوته(٤).

٢– موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا(٥).

٣– التواتر وهو أن يروي القراءة جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم وهكذا إلى رسول الله ﷺ بدون انقطاع في السند(٦).

(١) ابن الجزري، محمد بن محمد: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، ط١، ص. ٩.

(٢) القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج. ١، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، د.ط، ص. ٧.

(٣) ينظر: القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج. ١، ص. ٧.

(٤) ينظر: الداني، عثمان بن سعيد: التيسير في القراءات السبع، تحقيق: خلف حمود سالم الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل– السعودية، ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م، ص. ٣٦، وابن الجزري أبو الخير شمس الدين: النشر في القراءات العشر، ج. ١، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية، د.ت، د.ط، ص. ١٠، والدمياطي، شهاب الدين أحمد: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م، ط٢، ص. ٨، والزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج. ١، ص. ٣٤٢.

(٥) ينظر: الداني، عثمان بن سعيد: التيسير في القراءات السبع، ص. ٣٤، الأموي، سليمان بن نجاح: مختصر التبيين لهجاء التنزيل، ج. ١، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م، د.ط، ص. ٣٢٠، وابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج. ١، ص. ٩.

(٦) ينظر: الداني: التيسير في القراءات السبع، ص. ٣٤، والزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج. ١، ص. ٣٤٣.

ثالثًا– منهج ابن عطية في عرض القراءات:

أورد ابن عطية في تفسيره لسورة هود الكثير من القراءات المتواترة والشاذة، وذلك على النحو الآتي:

١- يذكر القراءات المتواترة وينسب القراءات إلى القراء، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنَّنِيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٦]، قال ابن عطية: وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة (إني) بكسر الألف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (أني) بفتح الألف[١][٢].

٢- يذكر القراءة المتواترة ثم يوجهها، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود: ٢٨]، قال ابن عطية: وقرأ جمهور الناس (فعميت)[٣]، ولذلك وجهان من المعنى: أحدهما: خفيت، ولذلك يقال للسحاب العماء؛ لأنه يخفي ما فيه، كما يقال له: الغمام لأنه يغمه، والمعنى الثاني: أن تكون الإرادة: فعميتم أنتم عنها، لكنه قلب، كما تقول العرب: أدخلت القلنسوة في رأسي، ومنه قول الشاعر:

ترى النور فيها مدخل الظل رأسه *** وسائره باد إلى الشمس أجمع[٤][٥].

٣- يذكر ابن عطية القراءة ولا ينسبها إلى من قرأ بها في حالات نادرة، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود: ١٠]، قال ابن عطية: وقرأت فرقة (لفرح) بكسر الراء، وقرأت فرقة (لفرح) بضمها[٦].

(١) ينظر: الفارسي، الحسن بن أحمد: الحجة للقراء السبعة، ج. ٤، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ط٢، ص. ٣١٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٦٢.

(٣) ينظر: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد: السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ، ط٢، ص. ٣٣٢.

(٤) ينظر: الموسوي، الشريف المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد، ج. ١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م، ط١، ص. ٢١٦، والبغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج. ٤، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط٤، ص. ٢٣٥.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص.١٦٤.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٥٤.

٤- في الغالب كان ابن عطية يذكر القراءة الشاذة وينسبها إلى من قرأ بها، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ ﴾ [هود: ٢٨]، قال ابن عطية: وفي قراءة أبي بن كعب: (أنلزمكموها من شطر أنفسنا)، ومعناه من تلقاء أنفسنا، وروي عن ابن عباس أنه قرأ ذلك (من شطر قلوبنا)[١][٢].

٥- ذكر القراءات المتواترة ثم توجيهها، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ ﴾ [هود: ٨١]، قال ابن عطية: وقرأ نافع وابن كثير (فأسر) من سرى إذا سار في أثناء الليل، وقرأ الباقون (فاسر)[٣] إذا سار في أول الليل[٤].

رابعًا- منهج البيضاوي في عرض القراءات:

أورد البيضاوي في تفسيره سورة هود الكثير من القراءات المتواترة والشاذة، وذلك على النحو الآتي:

١- ذكر القراءة المتواترة والقراءة الشاذة وبيان معنى كل قراءة، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ ﴾ [هود: ٢٨]، قال البيضاوي: وقرأ حمزة والكسائي وحفص (فعميت) أي: أخفيت، وقرئت شاذة (فعماها)[٥] على أن الفعل لله[١].

(١) لم ترد هذه القراءتين الشاذة في كتب القراءات ووردت في بعض كتب التفسير. ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج. ١٥، ص. ٢٩٩-٣٠٠، والشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، ج. ٢، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ، ط١، ص. ٥٦٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣. ص. ١٦٥.

(٣) ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص. ٣٣٨، وابن خالويه، الحسين بن أحمد: إعراب القراءات السبع وعللها، ج. ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م ط١، ص. ٢٩١، والنيسابوريّ، أحمد بن الحسين: المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م، د.ط، ص. ٢٤١.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٩٦.

(٥) ينظر: أبو علي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج. ٤، ص. ٣٢٤، والقيسي، مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج. ١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤ هـ- ١٩٧٤م، ط١، ص. ٥٢٧.

٢- ذكر القراءة المتواترة ونسبتها إلى من قرأ بها من القراء، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١]، قال البيضاوي: وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص (مَجْراها) بالفتح[٢][٣].

٣- ذكر القراءة الشاذة دون نسبتها إلى من قرأ بها، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود: ٥]، قال البيضاوي: وقرئ (يثنوني) بالياء[٤] من اثنوني، وهو بناء مبالغة[٥].

٤- ذكر القراءة الشاذة وبيان معناها، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥]، قال البيضاوي: وقرئ (يوف) بالياء[٦] أي: يوف الله[٧].

الخلاصة بين منهج ابن عطية والبيضاوي في عرض القراءات

١- أورد ابن عطية والبيضاوي في تفسيرهما سورة هود الكثير من القراءات المتواترة.

٢- أورد كلٌ من ابن عطية والبيضاوي في تفسيرهما سورة هود الكثير من القراءات الشاذة.

٣- كان ابن عطية والبيضاوي ينسبان القراءات المتواترة إلى أئمة القراء.

٤- كان ابن عطية في الأعم الغالب ينسب القراءات الشاذة إلى من قرأ بها، بينما البيضاوي لم ينسب القراءات الشاذة إلى من قرأ بها وكان يكتفي بقوله: وقرئ.

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٣٤.

(٢) ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص. ٣٣٣، وابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد: حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، د.ن، د.ت، د.ط، ص. ٣٤٠، والسرقسطي، إسماعيل بن خلف: العنوان في القراءات السبع، تحقيق: زهير زاهد وخليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ، د.ط، ص. ١٠٧.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٣٥.

(٤) ينظر: اليشكري، أبو القاسم: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال السيد رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ١٤٢٨هـ، ط١، ص. ٥٧٠.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٢٨.

(٦) ينظر: اليشكري، أبو القاسم: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، ص. ٥٧٠.

(٧) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٣٠.

المطلب الثاني: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في أسباب النزول

أولًا– مفهوم سبب النزول وأهميته وفوائده:

١– مفهومه: سبب النزول هو: "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي– صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال"(١).

٢– أهميته: لبيان سبب النزول أهمية في "معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها"(٢)

٣– فوائدة: الوقوف على المعنى أو إزالة الأشكال، وله طريق قوي في فهم معاني القرآن، ويعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب(٣).

ثانيًا– منهج ابن عطية في أسباب النزول:

أورد ابن عطية في تفسيره سورة هود الأسباب التي نزلت فيها الآيات القرآنية وفي من نزلت، على النحو الآتي:

١– ذكر سبب نزول الآية القرآنية من دون إسناد، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ ﴾ [هود: ٥]، ذكر ابن عطية أن الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول اللهﷺ تطامنوا وثنوا صدورهم كالمستتر وردوا إليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منه وكراهة للقائه، وهم يظنون أن ذلك يخفى على الله عز وجل وعلى نبيه محمدﷺ فنزلت الآية في ذلك(٤).

٢– بيان سبب نزول الآية القرآنية دون التصريح بلفظ: (سبب) أو لفظ: (نزلت)، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ

(١) الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج. ١، ص. ٨٩.

(٢) الواحدي: أسباب نزول القرآن، ص. ٨.

(٣) ينظر: السيوطي، جلال الدين: لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط، ص. ٣.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٥٠، والسيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ص. ١١٥.

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [هود: ١٢]، ذكر ابن عطية أن كفار قريش قالوا: يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك، وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحو هذا من الأقوال، فخاطب الله تعالى نبيه ﷺ على هذه الصورة من المخاطبة، وليس المعنى أنه ﷺ هم بشيء من ذلك فزجر عنه، فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه، ولا ضاق صدره، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان، وعبر بضائق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك، وإن كان ضيق أكثر استعمالا لأنه وصف لازم، وضائق وصف عارض فهو الذي يصلح هنا[١].

٣- ذكر أقوال المفسرين قبله في سبب نزول الآية القرآنية، ثم يذكر قوله في سبب النزول، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [هود: ٣٥]، قال ابن عطية: قال الطبري وغيره من المتأولين والمؤلفين في التفسير: إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح وهي شأن محمد ﷺ مع كفار قريش[٢]، وذلك أنهم قالوا: افترى القرآن وافترى هذه القصة على نوح، فنزلت الآية في ذلك، قال ابن عطية: وهذا لو صح بسند وجب الوقوف عنده، وإلا فهو يحتمل أن يكون في شأن نوح عليه السلام[٣].

٤- الاستشهاد بالسنة النبوية في بيان سبب نزول الآية القرآنية، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤]، قال ابن عطية: وروي أن هذه الآية نزلت في رجل من الأنصار، خلا بامرأة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الجماع، ثم جاء إلى عمر فشكا إليه، فقال: قد ستر الله عليك فاستر على نفسك، فقلق الرجل فجاء أبا بكر فشكا إليه، فقال له مثل مقالة عمر، فقلق الرجل فجاء رسول الله ﷺ فصلى معه ثم أخبره وقال: اقض في ما شئت، فقال الرسول ﷺ «لعلها زوجة غاز في سبيل الله»، قال: نعم، فوبخه رسول الله ﷺ وقال: ما أدري، فنزلت هذه الآية، فدعاه رسول الله ﷺ فتلاها عليه: فقال معاذ بن جبل: يا رسول الله خاصة؟ قال: «بل للناس عامة»[٤]، وروي أن الآية كانت نزلت قبل ذلك واستعملها رسول الله ﷺ في ذلك الرجل[١].

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٥٤.

(٢) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج. ١٥، ص. ٣٠٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٦٧.

(٤) ورد نص الحديث في صحيح مسلم بلفظ غير هذا اللفظ. ينظر: صحيح مسلم، ج. ٤، كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات، الحديث رقم: (٢٧٦٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.د.ت. د.ط، ص. ٢١١٦.

ثالثًا– منهج البيضاوي في أسباب النزول:

أورد البيضاوي في تفسيره سورة هود الأسباب التي نزلت فيها بعض الآيات القرآنية وفي من نزلت، على النحو الآتي:

١– ذكر الأقوال التي قيلت في سبب نزول الآية القرآنية ثم الترجيح بين الأقوال، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥ ﴾ [هود: ٥]، قال البيضاوي: قيل: إنها نزلت في طائفة من المشركين قالوا: إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم، وقيل: نزلت في المنافقين وفيه نظر إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة(٢).

٢– ذكر سبب نزول الآية القرآنية باختصار ومن دون إسناد، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤ ﴾ [هود: ١١٤]، قال البيضاوي: وفي سبب النزول أن رجلًا أتى النبي فقال: إني قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فنزلت(٣).

الخلاصة بين منهج ابن عطية والبيضاوي في أسباب النزول

من خلال دراسة منهج ابن عطية والبيضاوي في تناولهما أسباب النزول في سورة هود تبين الآتي:

١– هذه نماذج بسيطة تدل على اهتمام ابن عطية أكثر من البيضاوي في أسباب النزول.

٢– ابن عطية يحشد من الأقوال ويعدد من الروايات في ذكر سبب النزول أكثر من البيضاوي.

٣– لم يكن ابن عطية والبيضاوي مجرد ناقلين وراويين بل كان لهما وجهات نظر في نقد بعض المرويات في أسباب النزول.

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ٢١٣.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٢٨، والسيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ص. ١١٥.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٥١.

المطلب الثالث: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في المكي والمدني

أولًا– مفهوم المكي والمدني:

للناس اصطلاحات محددة في معرفة القرآن المكي والمدني: أحدها: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة؛ والثاني وهو المشهور: أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة؛ والثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا بأيها الناس وإن كان غيرهم داخلًا فيها، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بأيها الذين آمنوا وإن كان غيرهم داخلًا فيهم[(١)].

ثانيًا– منهج ابن عطية في ذكر المكي والمدني:

كان الإمام ابن عطية حريصًا على بيان القرآن المكي والقرآن المدني، وكان يبين ذلك في بداية كل سورة، فيذكر هل السورة مكية كاملة، أو مدنية كاملة، أو أنها مكية ما عدا بعض آياتها، أو أنها مدنية ما عدا بعض آياتها، وفي بداية تفسير ابن عطية سورة هود ذكر أنها مكية، إلا قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ ﴾ [هود: ١٢]، وقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود: ١٧]، ونزلت في ابن سلام وأصحابه، وقوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾[٢] ثم ذكر أنه قيل: هذه الثلاث الآيات مدنية نزلت في شأن الثمار، ثم قال: أن الأولى أنها تشبه المكي[(٣)].

ثالثًا– منهج البيضاوي في ذكر المكي والمدني:

كان الإمام البيضاوي في تفسيره كابن عطية يبين في بداية تفسيره لكل سورة هل السورة مكية كاملة، أم أنها مدنية كاملة، أم أنها مكية ما عدا بعض آياتها، أم أنها مدنية ما عدا بعض آياتها، وفي بداية تفسير البيضاوي سورة سورة: (هود)، ذكر أنها مكية، ولم يذكر أن فيها شيئًا من القرآن المدني[(٤)].

(١) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج.١، ص. ١٨٧.

(٢) [هود: ١١٤]،

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٤٨.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٢٧.

الخلاصة بين منهج ابن عطية والبيضاوي في ذكر المكي والمدني

مما سبق دراسته لمنهج الإمامين ابن عطية والبيضاوي في ذكر المكي والمدني تبين الآتي:

١- اهتم ابن عطية البيضاوي في تفسيريهما بذكر المكي والمدني.

٢- اتفق ابن عطية والبيضاوي على أن جميع آيات سورة هود كلها مكية.

المطلب الرابع: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في المبهمات

أولًا- مفهوم المبهمات:

المبهمات في اللغة: "الباء والهاء والميم أصل الكلمة، والمبهم: أن يبقى الشيء لا يعرف المأتى إليه، يُقال: هذا أمر مبهم، ومنه البهمة: الصخرة التي لا خرق فيها، وبها شبه الرجل الشجاع الذي لا يقدر عليه من أي ناحية طلب، وقال قوم: البهمة جماعة الفرسان، ومنه البهيم: اللون الذي لا يخالطه غيره، سوادا كان أو غيره، وأبهمت الباب: أغلقته"(١).

والمبهمات في الاصطلاح: "كل لفظ ورد في القرآن الكريم من ذكر من لم يسمه الله فيه باسمه العلم، من نبي أو ولي أو غيرهما من آدمي أو ملك أو جني أو بلد أو كوكب أو شجر أو حيوان له اسم علم أو عدد لم يحدد، أو زمن لم يبين، أو مكان لم يُعرف"(٢).

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج. ١، ص. ٣١١.

(٢) البلسني، محمد: تفسير مبهمات القرآن بصلة الجمع وعائد التذييل لموصل كتابي الأعلام والتكميل، ج. ١، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، د.ط، ص. ٣٥.

ثانيًا– منهج ابن عطية في المبهمات:

أورد ابن عطية في تفسيره تفسيرًا للكثير من المبهمات، وذلك على النحو الآتي:

١– ذكر الأقوال الواردة في بيان اللفظ المبهم ونسبة بعض الأقوال إلى قائليها دون البعض الآخر ثم الترجيح بين الأقوال، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [هود: ٧]، قال ابن عطية: قال أكثر أهل التفسير: (الأيام) هي من أيام الدنيا، وقالت فرقة: هي من أيام الآخرة[١] يوم من ألف سنة قاله كعب الأحبار، ثم قال ابن عطية: والأول أرجح[٢].

٢– ذكر الأقوال الواردة في بيان اللفظ المبهم دون الترجيح، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [هود: ١٧]، قال ابن عطية: اختلف المتأولون في المراد بقوله: (أفمن) فقالت فرقة: المراد بذلك المؤمنون بمحمد ﷺ وقالت فرقة المراد محمد ﷺ خاصة، وقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وابن عباس: المراد بذلك محمد ﷺ والمؤمنون جميعًا[٣].

٣– بيان معنى اللفظ المبهم برأيه، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [هود: ١٧]، قال ابن عطية: و(الأحزاب) هاهنا يراد به جميع الأمم[٤].

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان، ج. ١٥، ص. ٢٤٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٥٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٥٧.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٥٨.

٤- ذكر الأقوال في بيان اللفظ المبهم الوارد في الآية الكريمة ونسبة بعض الأقوال إلى قائليها دون البعض الآخر، ومن دون ترجيح بين الأقوال، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾[هود: ٤٠]، قال ابن عطية: واختلف في ذلك (القليل) فقيل: كانوا ثمانين رجلًا وثمانين امرأة، وقيل: كان جميعهم ثلاثة وثمانين، وقيل: كانوا ثمانين في الكل قاله السدي: وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: سبعة والله أعلم[(١)].

٥- ذكر الأقوال في بيان اللفظ المبهم الوارد في الآية الكريمة والترجيح بين الأقوال بالسنة النبوية، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود: ٨٣]، قال ابن عطية: والظالمين قيل: يعني قريشًا، وقيل: يريد عموم كل من اتصف بالظلم، وهذا هو الأصح؛ لأنه روي عن النبيﷺأنه قال: «سيكون في أمتي خسف ومسخ وقذف بالحجارة»[(٢)][(٣)].

٦- ذكر الأقوال في بيان اللفظ المبهم الوارد في الآية الكريمة والترجيح بين الأقوال بالقرآن الكريم، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾[هود: ٨٧]، قال ابن عطية: واختلف في معنى (الصلاة) هنا، فقالت فرقة: أرادوا الصلوات المعروفة، وروي أن شعيبًا- عليه السلام- كان أكثر الأنبياء صلاة، وقال الحسن: لم يبعث الله نبيًا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة، وقيل: أرادوا قراءتك، وقيل أرادوا: أمساجدك؟ وقيل: أرادوا: أدعواتك، قال ابن عطية: وأقرب هذه الأقوال الأول والرابع[(٤)] وجعلوا الأمر من فعل الصلوات

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٧٢.

(٢) ورد نص الحديث في مسند أحمد بن حنبل بهذا اللفظ: «يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف». ينظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند أحمد بن حنبل، ج. ٢، مسند: عمر بن عبد الله بن العاص رضي الله عنهما، الحديث رقم: (٦٥٢١)، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ط١، ص. ١٦٣. قال الألباني: حديث صحيح. ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج. ٢، الحديث رقم: (٨١٥٥)، المكتب الإسلامي، د.ت، د.ط، ص. ١٣٥٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ١٩٨.

(٤) القول الأول: الصلوات، والقول الرابع: أدعواتك.

على جهة التجوز، وذلك أن كل من حصل في رتبة من خير أو شر ففي الأكثر تدعوه رتبته إلى التزيد من ذلك النوع: فمعنى هذا: ألما كنت مصليا تجاوزت إلى ذم شرعنا وحالنا؟ فكأن حاله من الصلاة جسرته على ذلك فقيل: أمرته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥][(١)].

ثالثًا– منهج البيضاوي في المبهمات:

أورد البيضاوي في تفسيره تفسيرًا للكثير من المبهمات، وذلك على النحو الآتي:

١– ذكر المراد باللفظ المبهم برأيه، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧]، قال البيضاوي: ومن يكفر به من (الأحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ[(٢)].

٢– ذكر ما قيل في بيان اللفظ المبهم الوارد في الآية الكريمة، فعند تفسير قوله تعالى: في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾[هود: ٤٠]، قال البيضاوي: قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم[(٣)].

٣– ذكر أكثر من قول في بيان اللفظ المبهم الوارد في الآية الكريمة، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود: ٦٩]، قيل: كانوا تسعة، وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل[(٤)].

الخلاصة بين منهج ابن عطية والبيضاوي في المبهمات

من خلال دراسة منهج ابن عطية والبيضاوي في المبهمات من خلال سورة هود تبين الآتي:

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ج. ٣، ص. ٢٠٠.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٣١.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٣٥.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٤١.

١- لم يخل تفسير ابن عطية وتفسير البيضاوي من الحديث عن المبهمات.

٢- اختلف ابن عطية والبيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [هود: ١٧]، في بيان المراد بالأحزاب في الآية، فقال ابن عطية: و(الأحزاب) هاهنا يراد به جميع الأمم، وقال البيضاوي: ومن يكفر به من (الأحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ، ويبدوا أن الرأي الراجح- والله أعلم- هو ما ذهب إليه ابن عطية، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين(١)، ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار" (٢).

٣- هناك تقارب وتشابه في وجهات النظر بين ابن عطية والبيضاوي من حيث عدم التحديد بصيغة تكون ملزمة لما كان مبهمًا لعدم وجود الدليل الصحيح على ذلك.

المطلب الخامس: مقارنة بين ابن عطية والبيضاوي في ذكر فضائل سورة هود

وردت الكثير من الأحاديث والآثار في فضائل سور القرآن الكريم، منها ما هو شامل لمن قرأها ولمن حفظها، ومنها ما هو خاص بمن حفظها، ومن فضائل السور ما يلزم مع القراءة التدبر والتفكر، ومنها ما يحصل بمجرد القراءة، وهناك من علماء التفسير من اهتم في تفسيره سور القرآن الكريم بذكر ما ورد عن فضائل كل سورة، إلا أن بعض علماء التفسير أهملوا في تفاسيرهم ذكر ما ورد في فضائل السور القرآنية.

أولًا- منهج ابن عطية في ذكر فضائل سورة هود:

في تفسيره لسورة (هود) أهمل ابن عطية ذكر ما ورد من أحاديث نبوية في فضائل هذه السورة.

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج. ١٥، ص. ٢٧٨، وابن أبي حاتم، محمد عبد الرحمن: تفسير القرآن العظيم، ج. ٦، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ط٣، ص. ٢٠١٥، والسمرقندي: بحر العلوم، ج. ٢، ص. ١٤٣.

(٢) صحيح مسلم، ج. ١، كتاب: الإيمان، باب: وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام الحديث رقم: (١٥٣)، ص. ١٣٤.

ثانيًا– منهج البيضاوي في ذكر فضائل سورة هود:

في تفسيره لسورة (هود) أورد البيضاوي في نهاية تفسيره للسورة حديثًا نبويًا عن فضائل سورة (هود) وهو قول النبي ﷺ: «من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى»[(١)(٢)].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، تم هذا البحث بعون الله، وقد توصل الباحث من خلاله إلى العديد من النتائج، وقدم بعض المقترحات.

أولاً– نتائج البحث:

١– التزم كلٌ من ابن عطية والبيضاوي في تفسيريهما بعلوم القرآن.

٢– كان تفسير ابن عطية في علوم القرآن أوسع وأشمل من البيضاوي.

٣– لم يكن ابن عطية والبيضاوي مجرد ناقلين وراويين بل كان لهما وجهات نظر في نقد بعض المرويات في علوم القرآن يعتمدا منها ما وافق الكتاب والسنة، ويردا من الأقوال ما خالف ذلك.

ثانياً– المقترحات:

١– إجراء دراسة مشابهة لهذه الدراسة يُقارن فيها بين ابن عطية والبيضاوي في التفسير بالمأثور.

٢– إجراء دراسة مشابهة لهذه الدراسة يُقارن فيها بين ابن عطية والبيضاوي في التفسير بالرأي.

(١) هذا الحديث لا أصل له ولم يرد في كتب الحديث وإنما أورده بعض المفسرين في تفاسيرهم. ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج. ٢، ص. ٤٣٩.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج. ٣، ص. ١٥٣.

المصادر والمراجع

١- ابن أبي حاتم، محمد عبد الرحمن: تفسير القرآن العظيم، ج. ٦، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ط٣.

٢- ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج. ١، دار صادر، بيروت، د.ت، د.ط.

٣- ابن الجزري أبو الخير شمس الدين: النشر في القراءات العشر، ج. ١، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية، د.ت، د.ط.

٤- ابن الجزري، محمد بن محمد: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ط١.

٥- ابن الملقن، عمر بن علي: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري وسيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ط١.

٦- ابن تغري، يوسف بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج. ٧، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، د.ط.

٧- ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسائل الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: أبو عمر محمد بن علي الأزهري، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ط١.

٨- ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج. ١٨، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ط١.

٩- ابن خالويه، الحسين بن أحمد: إعراب القراءات السبع وعللها، ج. ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ ط١.

١٠- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج. ٢، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، د.ط.

١١- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد: حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، د.ن، د.ت، د.ط، ص. ٣٤٠، والسرقسطي، إسماعيل بن خلف: العنوان في القراءات السبع، تحقيق: زهير زاهد وخليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ، د.ط.

١٢- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج. ١٦، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، د.ط.

١٣- ابن عطية، محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج.٥، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ط١.

١٤- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، د.ط.

١٥- ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ج. ١٣، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط١.

١٦- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد: السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ، ط٢.

١٧- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج. ١٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣.

١٨- أبو حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط، ج. ١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ط١.

١٩- الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم: طبقات الشافعية، ج. ١، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ط١.
٢٠- الأصبحي، مالك بن أنس: المدونة، ج. ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ط١.
٢١- الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج. ٢، الحديث رقم: (٨١٥٥)، المكتب الإسلامي، د.ت، د.ط.
٢٢- الأموي، سليمان بن نجاح: مختصر التبيين لهجاء التنزيل، ج. ١، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، د.ط.
٢٣- البروسوي، محمد بن علي: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٧هـ، ط١.
٢٤- البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج. ٤، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط٤.
٢٥- البغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج. ٢، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ط١.
٢٦- البلسني، محمد بن عبد الله: تفسير مبهمات القرآن بصلة الجمع وعائد التذييل لموصل كتابي الأعلام والتكميل، ج. ١، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، د.ط.
٢٧- البلنسي، محمد: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ط١.
٢٨- الترمذي، سنن الترمذي، ج. ١، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ط١.
٢٩- التفسير المقارن دراسة تأصيلية، مجلة الشريعة والقانون، العدد: ٢٦، ربيع الأول، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٣٠- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج. ٦، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ط٤.
٣١- الحاكم، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، ج. ٢، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ— ١٩٩٠م، ط١.
٣٢- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج. ٤، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ط٢.
٣٣- الحنفي، محمد بن أحمد: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ج. ١، تحقيق: محمد صفاء حقي وآخرون، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، الإمارات، ١٤٢٧هـ، ط١.
٣٤- الدار قطني، علي بن عمر: سنن الدار قطني، ج. ١، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ط١.
٣٥- الداني، عثمان بن سعيد: التيسير في القراءات السبع، تحقيق: خلف حمود سالم الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل- السعودية، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م، د.ط.
٣٦- الدمياطي، شهاب الدين أحمد: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م، ط٢.
٣٧- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: العبر في خبر من غبر، ج. ٣، تحقيق: أبو هاجر محمد

السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ط١.
٣٨- الذهبي، شمس الدين أبو عبد: سير أعلام النبلاء، ج. ١٤، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ط٣.
٣٩- الذهبي، محمد بن أحمد عثمان بن قيماز: تذكرة الحافظ، ج. ٤، الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ط١.
٤٠- الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ج. ١١، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م، ط١.
٤١- الرازي، أبو عبد الله محمد: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ط٥.
٤٢- الرازي، أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط١.
٤٣- الزركشي، بدر الدين محمد: البرهان في علوم القرآن، ج. ١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، ط١.
٤٤- الزمخشري، محمود عمرو: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج. ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط٣.
٤٥- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى، ج. ٨، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع١٤١٣هـ، ط٢.
٤٦- السرخسي: المبسوط، ص. ١١، والكاساني، علاء الدين بن مسعود: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج. ٣، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ط٢.
٤٧- السمرقندي، نصر بن محمد: بحر العلوم، ج. ٢، دار الفكر، بيروت، د.ت، د.ط.
٤٨- السيوطي، جلال الدين: لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط.
٤٩- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، ج. ٢، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ط١.
٥٠- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: بغية الوعاة، ج.٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، د.ت، د.ط.
٥١- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ط١.
٥٢- الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ج٣، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، ٢٠٠١م، ط١.
٥٣- الشهبي، أبو بكر بن أحمد: طبقات الشافعية، ج. ٣، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١.
٥٤- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، ج. ١، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، د.ط.

٥٥- الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، ج. ٢، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ، ط١.
٥٦- الشيباني، محمد بن الحسن: الأصل، ج. ٤، تحقيق: محمد بوينوكالن، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٣هـ ، ط١.
٥٧- الشيرازي، الجنيد بن محمود: شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار، تحقيق: محمد القزويني وعباس إقبال، مطبعة المجلس، طهران، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م، د.ط.
٥٨- صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.د.ت. د.ط.
٥٩- الصفدي، صلاح الدين خليل: أعيان العصر وأعوان النصر، ج. ٥، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ط١.
٦٠- الضبي، أحمد بن يحيى: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، د.ط، ص. ٣٨٩، والذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج. ١١.
٦١- الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج. ١٥، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ط١.
٦٢- الفارسي، الحسن بن أحمد: الحجة للقراء السبعة، ج. ٤، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ط٢.
٦٣- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ط١.
٦٤- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ط٨.
٦٥- القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج. ١، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، د.ط.
٦٦- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، د.ط.
٦٧- القِنَّوجي، محمد صديق: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج. ١٤، عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، د.ط.
٦٨- القيسي، مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج. ١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤ هـ- ١٩٧٤م، ط١.
٦٩- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ج. ٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، د.ط، ص. ٩٤-٩٥، والقيسي، شمس الدين محمد: الرد الوافر، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت١٣٩٣هـ، ط١.
٧٠- الكومي، أحمد السيد: التفسير الموضوعي، القاهرة، ١٩٨٢م، د.ط.
٧١- المالكي، عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ط٢.
٧٢- المجَاشِعِي، علي بن فضال: النِكت في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ط١.

٧٣- المراكشي، محمد بن محمد: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج. ٤، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ط١.

٧٤- المروزي، عبد الكريم بن محمد: الأنساب، ج. ٢، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م، ط١.

٧٥- مسند أحمد بن حنبل، ج. ٢، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ط١.

٧٦- المقريزي، أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج. ٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط١.

٧٧- الموسوي، الشريف المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد، ج. ١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م، ط١.

٧٨- النيسابوريّ، أحمد بن الحسين: المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م، د.ط.

٧٩- الهِجراني، الطيب بن عبد الله: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج. ٤، عُني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج – جدة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م، ط١.

٨٠- اليافعي، عفيف الدين عبد الله: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج. ٤، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ط١.

٨١- اليشكري، أبو القاسم: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ط١.

نقل الحديث بغير السماع –دراسة حديثية –الوجادة نموذجاً–

أ. عبد السلام حزام مسعد اللهبي[١]

الملخص

يهدف هذا البحث إلى التعرف على إحدى طرق نقل الحديث بغير سماع، وهي طريق الخط، أو ما يسمى: بالوجادة، وذلك من خلال ما يتعلق بها من حيث تعريفها، وبيان أهميتها، وصيغها، وأنواعها، وأشهر الرواة بها، وحكم العلماء عليها، ثم بيان العلل المؤثرة فيها، وتوصل الباحث إلى نتائج أهمها:

١- حكم جمهور العلماء على رواية الوجادة بالانقطاع، وعدم قبولها، وصحح الرواية بها جمع من العلماء إذا جاءت بشروطها المعتبرة.

٢- الانقطاع الحاصل في رواية الوجادة انقطاع خاص، ولا صلة له بالسَقْط الذي يحصل في الإسناد.

٣- من العلل المؤثرة في رواية الوجادة انقطاع الإسناد، والتدليس، والإرسال الخفي، والتصحيف.

Abstract:

This research aims to identify one of the ways of transmitting hadith without listening, which is the so-called wajada, and that is what is related to it in terms of its definition, its importance, its forms, its types, the most famous narrators it, the scholars of hadith ruled on it, then explained the reasons for which the narration of al-Wajada was rejected.

The researcher reached the most important results

1 - The majority of scholars ruled on the narration of Al-Wajada with the discontinuity, and not accepted. The narration was corrected by a group of scholars if it came with its considered conditions.

2 - the discontinuity that occurs in the narration of Al-Wajada is a special discontinuity, and it has no connection with the omission that occurs in the isnad

3 - one of the affected reasons for the narration of Al-Wajada are the discontinuity of the chain of transmission of isnad, fraud, transmission, and distorion.

(١) طالب دكتوراه –قسم الدراسات الإسلامية– كلية الآداب– جامعة صنعاء، تخصص الحديث وعلوم السنة.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين،

أما بعد:

فالسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولا غنى عنها لمعرفة دين الله ومقاصده في كتابه الكريم، وقد ظلت السنة منهلاً عذباً، يرده الواردون، وقبلة وارفة يتجه إليها السالكون في دروب التيه طلباً للخلاص والأمان، فقد نهل علماء الإسلام منذ نزول الوحي على النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام حتى اليوم من هذا المعين، وجنوا من ثماره، ولا يزال عطاؤه يتدفق إلى ما شاء الله تعالى، ولا غرو فقد هيأ الله له حفاظاً أثباتاً، ونقاداً أفذاذاً، اهتموا به اهتماماً كبيراً، تجلى في حرصهم على حفظه، ونقله، وتبليغه منذ الصدر الأول للإسلام، منتهجين في ذلك منهجاً علمياً يتسم بالموضوعية، هادفين منه خدمة السنة، والحفاظ على معينها الصافي من أن تكدره الدِّلاء، فنشأ من ذلكم الحرص، وذلكم المنهج علوم كثيرة على رأسها علم الإسناد، ثم ما تلاه من علوم أخرى كعلم غريب الحديث، وعلله، والجرح والتعديل، وتاريخ الرواة، وتحمّل الحديث، وكيفية أدائه، وبهذا تمكنوا من حفظ السنة النبوية وتمييز صحيحها من سقيمها، فيطمئن المسلم، ويعبد ربه على بصيرة.

وقد خدمت السنة النبوية دراسات عديدة متنوعة، قديماً وحديثاً، ولا يزال الباب مفتوحاً لمن أراد المشاركة، فمن هذا المنطلق أحببت أن أكتب حول موضوع: (طرق تحمّل الحديث وأدائه)، فاخترت (الوجادة)، وهي إحدى الطرق التي لا تعتمد على السماع وإنما العمدة فيها الكتب.

وعنونت البحث بـ

- الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث وقف الباحث على بحث له صلة بهذا الموضوع، بعنوان: طرق تحمّل الحديث وصيغ الأداء، دراسة نظرية تطبيقية، للباحث/ عبد القادر أسامة نمر عبد الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان السودان، دار المنظومة، ٢٠٠٣م، تناول فيه الباحث طرق تحمل الحديث وأدائه، وما يتعلق بها بشكل عام.

وتختلف دراستي عنه في أني تناولت طريق الوجادة خاصة بكل تفصيلاتها وتفريعاتها، وحكم العلماء عليها قديماً وحديثاً، والعلل التي تردّ بها روية الوجادة.

- أسباب اختيار البحث وأهميته، إن ما دفعني لاختيار هذا الموضوع هو ما يلي:

١- قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع تفصيلاً، وتبييناً.

٢- خدمة لسنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بتقريب مفاهيمها للخاصة والعامة.

٣- اعتماد الناس على الرواية بالوجادة، خاصة في هذه الأزمان.

-أهداف البحث، لهذا البحث أهداف أهمها ما يأتي:

١- بيان مفهوم رواية الوجادة عند المحدثين والأصوليين.

٢- تتبع من اشتهر برواية الحديث بالوجادة في كتب الحديث، والتراجم.

٣- تجلية العلل التي تؤثر في رواية الوجادة.

٤- إبراز موقف العلماء قديماً وحديثاً من مرويات الوجادة.

- منهج البحث:

سلكت في بحثي هذا المناهج الآتية: الاستقرائي في البحث، والاستنباطي لبيان متعلقات الوجادة، والتاريخي في ترجمة الأعلام. وتم السير حسب الخطوات الآتية:

١- بيان مفهوم الرواية بالوجادة، وأقسامها، وشروطها، وأهميتها، ومنزلتها.

٢- جمع أسماء من اشتهر بالرواية بالوجادة.

٣- بيان العلل التي من أجلها ردت رواية الوجادة.

٤- إظهار موقف العلماء من رواية الوجادة قديماً وحديثاً.

– **خطة البحث**: يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وأهدافه، ومنهجه...

التمهيد: وفيه بيان ما يتعلق بطرق تحمّل الحديث وأدائه.

المبحث الأول: تعريف الرواية بالوجادة وصيغ أدائها وأنواعها وأقسام المحدثين فيها وشروطها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرواية بالوجادة وصيغ أدائها.

المطلب الثاني: شروط الرواية بالوجادة وأنواعها.

المطلب الثالث: أقسام العلماء في الرواية بالوجادة.

المبحث الثاني: منزلة الرواية بالوجادة في طرق التحمل والأداء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الرواية بالوجادة.

المطلب الثاني: مرتبة الرواية بالوجادة.

المبحث الثالث: العلل المؤثرة في الوجادة.

التمهيد: طرق تحمل الحديث وأدائه.

المقصود بتحمّل الحديث وأدائه: رواية الحديث ونقله للغير، سواء حدَّث الراوي من حفظه أو من كتابه[١]. ويتم هذا بثمان طرق منها ما يعتمد على السماع، سواء سمع الطالب من الشيخ أم قرأ الطالب والشيخ يسمع ويصوّب قراءته، فهتان طريقتان، الأولى السماع، والثانية القراءة على الشيخ[٢]، وبقية الطرق لا تعتمد على السماع وهي:

١- الإجازة: وهي أن يقول الشيخ للراوي شفاهاً، أو كتابة: أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني[٣].

٢- المناولة: وهي أن يدفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه، ويقول: هذا سماعي، أو روايتي عن فلان، فاروه عني، أو أجزت لك روايته عني، ثم يملّكه إياه[٤].

٣- المكاتبة: وهي أن يكتب الشيخ إلى الطالب شيئاً من حديثه، أو يأمر غيره بأن يكتب ذلك[٥].

٤- الإعلام: وهو إعلام الشيخ الطالب بأن هذا الحديث أو الكتاب سماعه من فلان مقتصراً على ذلك، من غير أن يقول: اروه عني، أو أذنت لك في روايته [٦].

٥- الوصية: وهي أن يوصي الشيخ عند موته، أو سفره لشخص بكتاب من كتبه التي يرويها[٧]. ولكل طريقة أحكام تخصها ليس هذا مكان بسطها. وآخرها الوجادة، وهي موضوع بحثنا.

(١) ينظر: السخاوي، محمد: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ج.٢. مكتبة السنة مصر، ١٤٢٤هـ، ط١، ص: ١٥٧، وسويلم، محمد: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، ص: ٩٤.

(٢) ينظر: اليحصبي، عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، دار التراث -القاهرة، ١٣٧٩هـ، ط١، ص: ٦٩، وابن الصلاح، عثمان: معرفة أنواع علوم الحديث، دار الفكر- سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص: ١٣٢.

(٣) ينظر: ابن الأثير، المبارك: جامع الأصول، ج.١. مكتبة الحلواني، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م، ط١، ص: ٨١، وشاكر، أحمد: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أصل الكتاب لابن كثير، دار الغد الجديد، ٢٠٠٥م، ص: ١١٩، والأبناسي، إبراهيم: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، ج.١. مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ط١، ص:٢٩٦.

(٤) ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٦٥.

(٥) النووي، يحيى: التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط١، ص: ٦٤، ورسوم التحديث في علوم الحديث، برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبريّ ت ٧٣٢هـ، تحقيق: إبراهيم بن شريف الميلي، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

(٦) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٥، والطيبي، الخلاصة في معرفة الحديث، ص: ١٣٣، وابن الملقن، عمر: المقنع في علوم الحديث، ج.١. دار فواز للنشر - السعودية، ١٤١٣هـ، ط١، ص:٣٣٣.

(٧) ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ١١٥.

المبحث الأول

تعريف الرواية بالوجادة وصيغ أدائها وأنواعها وأقسام رواتها

وفيه ثلاثة مطالب كما يأتي:

المطلب الأول: تعريف الرواية بالوجادة وصيغ أدائها.

الوجادة لغةً: من وَجَدَ الواو والجيم والدال، يدل على أصل واحد، وهو الشي يُلْفِيهِ، وَوَجَدْتُ الضَّالَّةَ وِجْدَانًا[١]، ووُجِدَ الشيء عن عدم فهو موجود،...، وتوجدت لفلان، أي حزنت له[٢].

واصطلاحاً: سمَّاها القاضي عياض [٣] في كتابه الإلماع (بالخط)، وعرفها بأنها: "وقوف شخص على كتاب راوٍ فيه أحاديث يرويها بخطه، ولم يلقه، أو لقيه، ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه، ولا له منه إجازة، ولا نحوه[٤] ، وعلى هذا التعريف لا على التسمية كل من: النووي، وابن جماعة، والسيوطي، وغيرهم[٥].

وقال المعافى النهرواني[٦]: لفظ الوجادة مُولَّد غير مسموع من العرب، وهي: اسم لما أُخِذَ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة، فيرويها بأي صيغة من الصيغ المعتمدة في الوجادة[٧]، ومضى

(١) ابن فارس، أحمد: مقاييس اللغة، ج.٦، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة (وجد) ص:٨٦.

(٢) الجوهري، إسماعيل: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج.٢، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ط٤، مادة (وجد) ص:٥٤٧.

(٣) هو: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، القاضي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، وصنف التصانيف المفيدة، منها: الإلماع، توفي أربع وأربعين وخمس مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ط الحديث (١٥/ ٤٩)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣).

(٤) عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ١١٦، وينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث ص: ١٧٨، وابن جماعة، محمد: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٦هـ، ط٢، ص: ٩١، والسيوطي، عبد الرحمن: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج.١. دار طيبة، ص: ٤٨٧.

(٥) ينظر: النووي، التقريب والتيسير ص: ٦٥، وابن جماعة، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث ص: ٩١، والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٨٧، والطيبي، الخلاصة في معرفة الحديث، ص: ١٣٤.

(٦) هو: المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد النهرواني، القاضي، ثقة، فقيه، توفي سنة ٣٩٠هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، أحمد: تاريخ بغداد وذيوله، ج.١٣. دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٧ هـ، ط١، ص:٢٣٠، والذهبي، محمد: سير أعلام النبلاء، ج.١٦. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ط٣، ص: ٥٤٤.

(٧) ينظر: النهرواني، المعافى: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ط١، ص: ٣٢٤، وقال الصنعاني: "في القاموس: المولدة المحدث من كل شيء ومن الشعراء لحدوثهم. انتهى فعلى هذا مولدين بفتح اللام. ينظر الصنعاني، محمد: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج.٢. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ط١، ص: ٢١٠.

على هذا التعريف ابن الصلاح، والعراقي، والسخاوي، وغيرهم[١]، والمعنيان متقاربان.

– صيغ التحديث بالرواية بالوجادة.

● **من حيث الوثوق بخط الراوي من عدمه تنقسم إلى قسمين:**

١– أن يثق بأنها من خط مؤلفها فحينئذ يقول: "وجدت بخط فلان"، أو" بخط فلان وجدت" ونحو ذلك: ك " قرأت بخط فلان"، أو " قرأت في كتاب فلان بخطه"، ثم يذكر شيخ صاحب الخط ويسوق سائر الإسناد والمتن[٢]، وتسمى ألفاظ الجزم بالوجادة.

٢– أن لا يثق بنسبة الخط لصاحبه فحينئذ يقول: "بلغني عن فلان"، أو "وجدت عنه"، أو "وجدت بخط قيل إنه خط فلان"، أو "قال لي فلان إنه خط فلان"، أو"ظننت أنه خط فلان"، أو "ذكر صفته أنه فلان بن فلان"، ونحو ذلك من العبارات[٣].

● **من حيث الإجازة من عدمها تنقسم إلى قسمين:**

أ– أن يكون معه إجازة من صاحب المرويات بروايتها عنه فيقول: "وجدت بخط فلان وأجازه لي"[٤].

ب– أن لا تكون له إجازة برواية تلك المرويات عن صاحبها فحينئذ لا يذكر لفظ الإجازة، ويجعل اللفظ مجرداً فيقول: "وجدت بخط فلان" ونحو ذلك[٥].

● لا يجوز للراوي استخدام صيغ التحديث الصريحة بالسماع، فلفظ الوجادة يدل على عدم حصول السماع بين الشيخ وتلميذه؛ لذا فلا تستعمل صيغ الأداء الصريحة بالسماع فيها: (سمعت)، أو

(١) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث ص: ١٧٨، والعراقي، عبد الرحيم: شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي، ج.١. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٣ هـ، ط١، ص: ٤٥٦، والأنصاري، زكريا: فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، ج.٣. دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م، ط١، ص: ٢٣.

(٢) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث ص: ١٧٩، والسخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.٣. ص:٢٣، والعراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٨، والصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ج.٢. ص:٢١١.

(٣) ينظر: ابن جماعة، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ص: ٩١، والعراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٨، والسخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.٣. ص:٢٣، والصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ج.٢. ص:٢١١.

(٤) العراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٨، وينظر: السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.٣. ص:٢٣، والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٨٩.

(٥) ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ١١٧، وابن الصلاح، المعرفة، ص: ١٧٨.

(حدثني)...وغيرها،

قال القاضي عياض: "لا أعلم من يقتدى به أجاز النقل فيه بـ (حدثنا) و(أخبرنا)[١]، وسمَّى هذا ابن الصلاح مجازفة، وأن فعله مُنْتَقد عند المحدثين [٢]، بل جعله بعضهم من قبيل الكذب[٣].

● لا يستخدم الراوي صيغ التحديث غير الصريحة بالسماع، مثل (قال) و(ذكر) و (عن) و (أن) وغيرها إلا إذا أمن التدليس؛ لأنها تحتمل الاتصال وعدمه[٤].

قال ابن الصلاح: "وربما دلَّس بعضهم، فذكر الذي وجد خطه، وقال فيه: (عن فلان)، أو (قال فلان)، وذلك تدليس قبيح، إذا كان بحيث يوهم سماعه منه"[٥].

المطلب الثاني: شروط الرواية بالوجادة وأنواعها.

أولاً: شروط الرواية بالوجادة.

- ما يشترط عند التحمل:

١- حصول الثقة بنسبة الكتاب لصاحبه[٦] .

٢- أن يكون صاحب الكتاب الذي سيتحمل منه قد اشتهر بضبط كتابه، ويعرف ضبطه بأمور:

أ - التنصيص من إمام على أن فلانًا صحيح الكتاب، أو أن كتابه هو الحَكَم بين المحدثين، أو أن كتابه كثير العجم والتنقيط، ونحو ذلك مما يدل على ضبطه لكتابه[٧].

ب - أن يصرح الراوي الثقة بضبطه كتابه، كأن يقول: إذا كان كتابي معي فلا أبالي أن يكون فلان من الأئمة عن يميني، والآخر عن شمالي[٨].

(١) عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ١١٧، وينظر: العراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٩، والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٨٨.

(٢) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٩.

(٣) ذكر هذا القول نجم الدين الطوفي. ينظر: الطوفي، سليمان: شرح مختصر الروضة، ج.٢. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م، ط١، ص: ٢١١.

(٤) ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية، ص: ١١٩، وابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٩.

(٥) ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٩.

(٦) ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ١٢٠.

(٧) ينظر: المنياوي، محمود: شرح الموقظة للذهبي، المكتبة الشاملة، مصر، ١٤٣٢ هـ-٢٠١١م، ط١، ص: ٦٩.

(٨)المنياوي، محمود: شرح الموقظة للذهبي، المكتبة الشاملة، مصر، ١٤٣٢ هـ-٢٠١١م، ط١، ص: ٦٩.

ج – أن يوافق حديثُهُ الذي يرويه من كتابه حديثَ الثقات[١].

٣– الثقة بعدم حصول السقط أو التحريف في النسخة، إذا أراد الناقل بالوجادة أن يعلم سلامة النسخة من السقط أو التحريف في النسخة التي بين يديه قابلها بنسخ أخرى معتمدة[٢].

– ما يشترط عند الأداء:

١– سلامة حاسة البصر لدى الراوي؛ حيث إن اعتماده في الرواية على القراءة من الكتاب الذي وجده، وليس له أن يعتمد على من يلقنه أيضاً، فقد طعن العلماء في مرويات المحدثين من كتبهم، (أصحاب الكتب) في حال طرأ عليهم العمى، فمن باب أولى صاحب الوجادة الذي هو فرع عن ذلك الأصل[٣] .

٢– أن يؤدي الناقل ما وجده بصيغة من صيغ الأداء المعتمدة في الوجادة فيقول: "وجدت بخط فلان"، أو"بخط فلان وجدت" ونحو ذلك: كـ "قرأت بخط فلان"، أو "قرأت في كتاب فلان بخطه"، ثم يذكر شيخ صاحب الخط ويسوق سائر الإسناد والمتن(٤)، ويتجنب الألفاظ التي توهم السماع والتي تعد نوعاً من أنواع التدليس.

٣– ثبوت صحة الخبر من صاحب الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال ابن الصلاح: "ثم إنه يجب عليه العمل بما ذكره له إذا صح إسناده"[٥].

أنواع الرواية بالوجادة. تنقسم الوجادة إلى ثلاثة أنواع:

الأول: أن يكون للراوي بالوجادة سماع من صاحب الكتاب، أو: لا، وهذا النوع يحتاج صاحبه إلى دقة في تمييز مروياته؛ إذ إنه قد سمع بعضها ولم يسمع البعض الآخر، فعليه أن يستخدم صيغ الوجادة في نقل

(١) ينظر: المصدر نفسه ص: ٦٩.

(٢) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٩، والعراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٦٠، وابن جماعة، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ص: ٩١، والسخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.٣. ص:٣٠، والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١ ج.١. ص:٤٩٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج.٩. ص:٥٦٨.

(٤) ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ١١٩، وابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٩، والسخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.٣. ص:٢٣، والعراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٨، والصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ج.٢. ص:٢١٢.

(٥) ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٦.

ما لم يسمع وإلا وقع في التدليس[١]، فيقول: "وجدت بخط فلان" وما شابه ذلك[٢] .

الثاني: "أن يحصل الراوي بالوجادة على إجازة من صاحب الكتاب، أو: لا"[٣].

فيقول الشيخ للراوي شفاهاً، أو كتابة، أو رسالة: أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني، أو ما صح عندك من مسموعاتي، وقد سبق هذا في تعريف الإجازة في التمهيد.

فإذا اقترنت رواية الوجادة بالإجازة فإنها تزيدها قوة، مما لو كنت وجادة مجردة، ولذا كانت رواية عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه وجادة وإجازة أقوى من غيرها من الوجادات المجردة[٤].

الثالث: أن تحصل الثقة عند الراوي بنسبة الموجود إلى صاحبه أو لا[٥].

المطلب الثالث: أقسام العلماء في الرواية بالوجادة، وهم على قسمين:

القسم الأول: الرواة بالوجادة عن الأقارب، واشتهر من هؤلاء الآتي:

١- مخرمة بن بكير[٦]، روايته عن أبيه وجادة، قال أبو بكر بن أبي خيثمة: "سمعت يحيى بن معين يقول: مخرمة بن بكير يقال وقع إليه كتاب أبيه ولم يسمعه"[٧]، وقال سعيد بن أبي مريم عن خاله موسى بن سلمة: "أتيت مخرمة، فقلت: حدثك أبوك؟ قال: لم أدرك أبي، ولكن هذه كتبه"[٨].

(١) التدليس وهو أن يروي عمن لقيه ما لم يسمع منه، موهما أنه سمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه موهما أنه قد لقيه وسمعه منه، ثم قد يكون بينهما راو واحد وقد يكون أكثر. ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ٧٣.

(٢) ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص: ١١٧، والعراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٩، والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٨٨.

(٣) العراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٨، وينظر: السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.٣. ص:٢٣، والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٨٩.

(٤) ينظر: السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ٣ ج.٣. ص:٢٤.

(٥) ينظر: العراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٨، والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٨٩.

(٦) هو: مخرمة بن بكير بن عبد الله الأشج، أبو المسور المدني، صدوق وروايته عن أبيه وجادة من كتابه قاله أحمد وابن معين وغيرهما، وقال ابن المديني سمع من أبيه قليلاً، مات سنة تسع وخمسين ومائة. ينظر: المزي، يوسف: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج.٢٧. مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م، ط١، ص: ٣٢٥، وابن حجر، أحمد: تقريب التهذيب، دار الرشيد – سوريا، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، ط١، ص: ٥٢٣.

(٧) ينظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٢٧. ص:٣٢٦.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ج.٢٧. ص:٣٢٦.

٢- معاذ بن هشام[(١)]، قال علي بن المديني: "سمعت معاذ بن هشام بمكة، وقيل له: ما عندك؟ قال: عندي عشرة آلاف، فأنكرنا عليه، وسخرنا منه، فلما جئنا إلى البصرة أخرج إلينا من الكتب نحواً مما قال، يعني عن أبيه، فقال: هذا سمعته، وهذا لم أسمعه، فجعل يميزها، وهذه وجادة"[(٢)].

٣- أحمد بن عمرو[(٣)]، ذكر ابن حجر أنه حدَّث عن خاله عبد الرحمن بن عبد الحميد سماعاً ووجادة[(٤)].

٤- عبد الله بن الإمام أحمد، ذكر ابن المنادي أنه لم يكن أحد أروى في الدنيا عن أبيه منه عن أبيه، لأنه سمع منه (المسند) وهو ثلاثون ألفا، و(التفسير) وهو مائة ألف وعشرون ألفا سمع منه ثمانين ألفا، والباقي وجادة[(٥)].

٥ - يعقوب بن مسدد[(٦)]، قال الخطيب في تاريخه: "حدَّث ببغداد عن كتاب جده أبي يوسف القلوسي وجادة، وعن أبي يعلى الموصلي سماعا"[(٧)] .

٦- حمزة بن يوسف السهمي [(٨)]، قال وهو يتحدث عن عمه أسهم بن إبراهيم: "وقد سمعت منه إلا أني

(١) هو: معاذ بن هشام الدَّستوائي، البصري، أبو عبد الله، ثقة، مات سنة مائتين للهجرة. ينظر: البخاري، محمد: التاريخ الكبير، ج.٧. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، ص:٣٦٦، وابن حبان، محمد: الثقات، ج.٩. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م، ط١، ص: ١٧٦، والقشيري، مسلم: الكنى والأسماء، ج.١. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ط١، ص:٥٠٠، وابن أبي حاتم، عبد الرحمن: الجرح والتعديل، ج.٨. طبعة بمجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٢٧١هـ، ط١، ص:٢٤٩.

(٢) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٢٨. ص:١٤٢.

(٣) هو: أحمد بن عمرو بن السرح، أبو الطاهر المصري، قال النسائي: ثقة مات آخر سنة ٢٤٩هـ. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٣٣. ص:٤٣٥، وابن حجر، أحمد: تهذيب التهذيب، ج.١٢. مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ، ط١، ص:٣٦٢.

(٤) ينظر: تهذيب التهذيب ج.١٢. ص:٣٦٢.

(٥) ينظر: ابن كثير، إسماعيل: البداية والنهاية، ج.١٤. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ط١، ص: ٧٢١، والذهبي، محمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج.٢١. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ط٢، ص: ١٩٩.

(٦) هو: يعقوب بن مسدد ابن زياد، أبو يوسف القلوسي، بصري الأصل، قال الذهبي: مات قبل ثلاثمائة وستين بقليل. ينظر: تاريخ الإسلام ج.٢٦. ص:٢٤٠، وتاريخ بغداد وذيوله ج.١١. ص:٢٣١، وابن عساكر، علي: تاريخ دمشق، ج.٧٤. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص: ١٧٩.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج.١٤. ص:٢٩٦.

(٨) هو: حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني، أبو القاسم الحافظ، شيخ جليل، مشهور في الآفاق، كتب الكثير وصنف المشايخ والأبواب، وجمع التصانيف الحسان، أشهرها تاريخ جرجان وتوفي بنيسابور في رجب سنة سبع وعشرين وأربع مائة. ينظر: الصَّيْفُبْني، إبراهيم: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، ١٤١٤هـ، ص: ٢٢٠.

لم أجد شيئاً من مسموعاتي عنه، لكني رويت عنه عَلَى سبيل الوجادة والإجازة"[١].

القسم الثاني: الرواة بالوجادة عن غير الأقارب، واشتهر من هؤلاء الآتي:

١- الحكم بن عتيبة[٢]، قال أحمد ويحيى بن سعيد: "لم يسمع الحكم حديث مقسم، إنما هو كتاب إلا خمسة أحاديث: الوتر، والقنوت، وعزمة الطلاق، وجزاء الصيد، والرجل يأتي امرأته وهي حائض"[٣].

٢- عطاء بن دينار[٤]، قال أبو حاتم: صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه فوجده

عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير[٥].

٣- يحيى بن أبي كثير[٦]، قال عبد الصمد بن عبد الوارث، عن حرب بن شداد: قال لي يحيى بن أبي كثير: كل شيء عن أبي سلام[٧] فإنما هو كتاب، يعني يرويه وجادةً[٨].

(١) الجرجاني، حمزة: تاريخ جرجان، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٧ هـ، ط١، ص: ١٦٨.

(٢) هو: الحكم بن عتيبة الكندي، أبو محمد الكوفي، ثقة عابد، قيل: إنه مات سنة ثلاث عشرة ومئة. ينظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٧. ص:١٢٠، وابن حجر، تهذيب التهذيب ج.٢. ص:٤٣٤.

(٣) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٧. ص:١٢٠، وينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب ج.٢. ص:٤٣٤.

(٤) هو: عطاء بن دينار الهذلي، أبو الريان، ثقة، مات سنة خمس أو ست وعشرين ومئة. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير ج. ٦. ص: ٤٧٣، والدارقطني، علي: المؤتَلِف والمختَلِف، ج.٢. دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٦هـ، ط١، ص: ١٠٧٤.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج.٦. ص:٣٣٢، والمزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٢٠. ص:٦٨.

(٦) هو: يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي، ثقة، قال أحمد بن حنبل: يحيى من أثبت الناس، مات سنة تسع وعشرين ومائة. ينظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٣١. ص:٤٩٩، وابن حجر، تهذيب التهذيب ج.١١. ص:٢٦٨.

(٧) ممطور الأسود الحبشي، ويقال: النوبي، ويقال: الباهلي الأعرج الدمشقي. قيل: إن الحبشي نسبة إلى حي من حمير لا إلى الحبشة. ينظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٢٨. ص:٤٨٥، وابن حجر، تقريب التهذيب ص: ٥٤٥.

(٨) ينظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.٢٨. ص:٤٨٧.

٤- سلامة بن روح[١]، حديث من كتب عقيل ولم يسمع عقيلاً[٢]، وقال الهيثمي: "روايته عن عقيل وجادة"[٣].

٥- عبد الله بن قريش[٤]، قال الحاكم: قال الدارقطني: "لا بأس به عنده الوجادات"[٥].

٦- إسحاق بن راشد[٦]، قال أبو الوليد الطيالسي: "حدثني صاحب لي يقال له: أشرس قال: قدم علينا محمد بن إسحاق فكان يحدثنا عن إسحاق بن راشد، فقدم علينا إسحاق ابن راشد فجعل يقول: حدثنا الزهري، حدثنا الزهري، قال: فقلت له: أين لقيت ابن شهاب، قال: "لم ألقه مررت ببيت المقدس فوجدت كتاباً له"[٧].

(١) هو: سلامة بن روح، ابن أخي عقيل الأيلي الأموي، أبو روح قال ابن أبي حاتم: ضعيف يكتب حديثه للاعتبار، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة. ينظر: ابن ماكولا، علي: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج.١. دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ١٤١١هـ، ص: ١٢٨، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج.٤. ص:٣٠١، والمزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.١٢. ص:٣٠٤.

(٢) ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج.٤. ص:٣٠١، والمزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.١٢. ص:٣٠٤.

(٣) الهيثمي، علي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج.٨. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ص: ٧٩.

(٤) هو: عبد الله بن قريش بن إسحاق، أبو أحمد الأسدي، حدث عن كتاب الفرج بن اليمان الكردلي وجادة، مات سنة ٢٨١هـ. ينظر: تاريخ بغداد ج.١١. ص:٢٣١، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ج.٤. ص:١٨٧٩.

(٥) ابن قُطْلُوْبَغَا، قاسم: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ج.٦. مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ط١، ص: ٩٤.

(٦) هو: إسحاق بن راشد الجزري، أبو سليمان الحراني، صدوق. ينظر: الذهبي، محمد: الكاشف، ج.١. دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ط١، ص:٢٣٥، وابن حجر، تهذيب التهذيب ج.١. ص:٢٣٠.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب ج.١. ص:٢٣٠.

المبحث الثاني

منزلة الرواية بالوجادة في طرق التحمل والأداء، وفيه ثلاثة مطالب كالآتي:

المطلب الأول: أهمية الرواية بالوجادة.

للرواية بالوجادة أهمية عند العلماء، وهي أهمية تناسب منزلتها ومرتبتها في طرق التحمل والأداء، وعندما نتتبع كلام العلماء عن الوجادة يمكن أن نقف على ما يأتي:

١- وجود الحاجة للرواية بها، وهي التي تسع الناس، فجميع ما ننقله اليوم من كتب الحديث الصحيحة ضرب من الوجادة؛ لأن حُفَّاظَ الحديث عن طريق التلقين والسماع أصبحوا نادرين جِدًّا في حياتنا[١].

قال ابن الصلاح: "فإنه لو توقف العمل فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول؛ لتعذر شرط الرواية فيها[٢]، ووافقه على هذا العراقي[٣] والنووي[٤].

وقال ابن الأمير الصنعاني رحمه الله[٥] :

قد أردنا السماع لكن فقدنا من يفيد الأسماع بالإسماع
فرجعنا إلى الوجادة لما لم تجد عارفاً به في البقاع
فلسان الأسفار تملي ومنها نتلقى سراً سماع البراع

٢- ورد ما يستنبط منه امتداح الرواية بها، جاء في حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة، قال: الملائكة كيف لا يؤمنون؟ قال: النبيون، قال: النبيون يوحى إليهم فكيف لا يؤمنون؟ قالوا: الصحابة، قال: الصحابة يكونون مع الأنبياء، فكيف لا يؤمنون، ولكن أعجب الناس إيمانا: قوم يجيؤون من بعدكم، فيجدون كتاباً من الوحي، فيؤمنون به، ويتبعونه، فهم أعجب الناس،

(١) الصالح، صبحي: علوم الحديث ومصطلحه، ج.١. دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٨٤ م، ط١٥، ص: ١٠٢.

(٢) ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٨١.

(٣) ينظر: العراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٦٠.

(٤) ينظر: السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٨٧.

(٥) الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ج.٢. ص:٢١٥.

أو الخلق، إيماناً[١]، قال ابن كثير: "فيؤخذ منه مدح من عمل بالكتب المتقدمة بمجرد الوجادة لها"[٢].

٣- رجوعهم إلى بعض كتب الوجادة، والأخذ منها، واعتمادها مصدراً صحيحاً، قال يعقوب بن سفيان: ولا أعلم في جميع الكتب كتاباً أصح من كتاب عمرو بن حزم[٣]، وقال كان أصحاب النبي ﷺ والتابعون يرجعون إليه ويدعون آراءهم[٤]، ورجوعهم إليه هو من قبيل الوجادة.

المطلب الثاني: مرتبة الرواية بالوجادة في طرق التحمل والأداء.

جعل العلماء رحمهم الله الرواية بالوجادة آخر طرق تحمل الحديث وأدائه؛ وذلك للتباعد الظاهر بين الشيخ وتلميذه، قال القاضي عياض رحمه الله في الإلماع: "اعلم أن طريق النقل ووجوه الأخذ وأصول الرواية على أنواع كثيرة ويجمعها ثمانية ضروب وكل ضرب منها له فروع وشعوب، ومنها ما يتفق عليه في الرواية والعمل، ومنها ما يختلف فيه فيهما جميعاً أو في أحدها، وهي: السماع من لفظ الشيخ، والقراءة عليه، والمناولة، والكتابة، والإجازة، والإعلام للطالب بأن هذه الكتب روايته، ووصيته بكتبه له، والوقوف على خط الراوي فقط"[٥]، وهذا التقسيم مضى عليه ابن الصلاح[٦]، ولكنه أطلق على القسم الثامن (الوجادة)، وكل من جاء بعدهما مضى على مثل هذا.

ومع أن الوجادة من طرق التحمل فإن العلماء متفقون على أنه لا يُصار إليها إلا عند تعذّر الرواية بطرق التحمل المعتبرة.

(١) البزار، أحمد: المسند = البحر الزخار، ج١٣. مكتبة العلوم والحكم – المدينة النبوية، ١٩٨٨م، ط١، ص: ٤٨٧. وصححه الألباني بمجموع طرقه. ينظر: الألباني، محمد: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج.٧. مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، ط١، ص: ٦٥٦.

(٢) شاكر، الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث ص: ١٢٩.

(٣) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي، أبو الضحاك وأول مشاهده الخندق، واستعمله رسول الله ﷺ على أهل نجران، وهم بنو الحارث بن كعب، وهو ابن سبع عشرة سنة، وكتب لهم كتاباً فيه الفرائض، والسنن، والصدقات، والديات أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن حبان، والدارميّ، وغير واحد، مات سنة أربع وخمسين هجرية. ينظر: ابن الأثير، علي: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج.٤. دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤، ط١، ص:٢٠٢، ابن حجر، أحمد: الإصابة في تمييز الصحابة، ج.٤. دار الكتب العلمية – بيروت،١٤١٥هـ، ط١، ص:٥١١.

(٤) تاريخ دمشق، لابن عساكر ج.٢٢. ص:٣١٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ج.١١. ص:٤١٩، والخضير، عبد الكريم: شرح الموطأ، الكتاب الأصل للإمام مالك دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، المكتبة الشاملة، ج.٧. ص: ١٦٠.

(٥) ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ٦٨.

(٦) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٢٨.

هذا من حيث الرواية بالوجادة، وأما العمل بها فمن العلماء من أجازه؛ للحاجة الملحة إليه، ومنهم من منعه[١]، والقول بالجواز متجه قوي.

قال ابن الصلاح: " وما قطع به هو الذي لا يتجه غيره في الأعصار المتأخرة، فإنه لو توقف العمل فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول، لتعذر شرط الرواية فيها [٢].

المطلب الثالث: حكم العلماء على رواية الوجادة.

رواية الوجادة جعلها العلماء من باب المنقطع أو المرسل، وفيها شوب اتصال، وقد نُقل هذا عن القاضي عياض[٣]، وابن الصلاح[٤]، والنووي[٥]، وغيرهم. ولكن عندما نتتبع مرويات الوجادة في كتب الحديث نجد بعضهم يصحح الرواية بها كابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، فإنهم قد احتجوا ببعض مرويات الوجادة في كتبهم، ومن العلماء المعاصرين من يصحح الرواية بها إذا جاءت بشروطها المعتبرة[٦]، وهي:

١- أن يكون الواجد ثقةً، وغير معروف بالتدليس.

٢- أن يكون الموجود أصلاً لثقة، قد اشتهر بضبط كتابه.

٣- أن يكون الواجد ممن له معرفة بخط شيخه، ووثق بذلك.

٤- صحة باقي السند، إلى رسول الله ﷺ.

قال أحمد شاكر في الباعث: "والوجادة الجيدة التي يطمئن إليها قلب الناظر لا تقل في الثقة عن الإجازة بأنواعها، والكتب الأصول الأمهات في السنة وغيرها تواترت روايتها إلى مؤلفيها بالوجادة، واختلاف الأصول العتيقة الخطية الموثوق بها؛ ولا يتشكك في هذا إلا غافل عن دقة المعنى في الرواية والوجادة، أو

(١) ينظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ١٢٠، ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨١.

ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض ص: ١١٧(٣)

ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٨.(٤)

ينظر: النووي، التقريب والتيسير، ص: ٦٦. (٥)

(٦) هذه الشروط استنبطها من كلام العلماء المعاصرين أثناء تناولهم لمرويات الوجادة والحكم عليها.

متعنت لا تُقنعه حجة" [١] ،

وكذلك الألباني يقول فيها أيضاً: "وهي حجة على الراجح من أقوال علماء أصول الحديث، ولا قائل باشتراط اللقاء مع صاحب الكتاب، وإنما يشترط الثقة بالكتاب، وأنه غير مدخول فيه"[٢].

وعلى كلٍ فلا غنى للناس عن رواية الوجادة، وهي التي تسعهم هذه الأزمان، فقد انقضى عهد السماع وما بقي إلا الوجادات[٣].

(١) شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص:١٧٥.

(٢) الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج.٣. ص:٢٧٧.

(٣) ينظر: عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: ١١٧، وابن الصلاح، المعرفة، ص: ١٧٨

المبحث الثالث: العلل المؤثرة في رواية بالوجادة.

العلة: هي سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة(١).

وعند تتبع العلل المؤثرة في رواية الوجادة يمكن أن نقف على العلل الآتية:

أولاً: انقطاع الإسناد(٢)، فالعلماء رحمهم الله جعلوا شروطاً خمسة لقبول الرواية، وهي: العدالة، والضبط، واتصال الإسناد، والسلامة من الشذوذ، والسلامة من العلة(٣).

وعلى هذا فرواية الوجادة قد اختل فيها شرط من تلك الشروط، وهو: اتصال الإسناد الذي يعني: تلقى كل راوٍ ممن روى عنه مباشرة أو حكماً(٤).

فالمباشرة: أن يلاقي من روى عنه فيسمع منه، أو يرى، ويقول: حدثني، أو سمعت، أو رأيت فلاناً، ونحوه.

والحكم: أن يروي عمن عاصره بلفظ يحتمل السماع والرؤية، مثل: قال فلان، أو عن فلان، ونحوه(٥).

- فإذا حصل انقطاع في الإسناد لم يكن متصلاً، وهو على أربعة أنواع:

١- المنقطع: وهو ما سقط منه راوٍ أو أكثر من راوٍ من إسناده لا على التوالي(٦).

٢- المعلّق: ما سقط منه راوٍ أو أكثر من راوٍ من مبتدأ إسناده(٧).

٣- المعضل: ما سقط منه راوٍ أو أكثر من راوٍ من أثناء إسناده على التوالي(٨).

٤- المرسل: أجمع تعريف له أنه: ما قال فيه التابعي قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم(٩).

(١) ينظر: السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٩٤.

(٢) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٨.

(٣) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٠٤، وابن حجر، أحمد: النكت على كتاب ابن الصلاح، ج.١. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ط١، ص: ٤٩٣، والسخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.١. ص:١٢٦.

(٤) ينظر: العثيمين، محمد: مصطلح الحديث، مكتبة العلم، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ط١، ص: ١١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص: ١١.

(٦) ينظر: السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.١. ص:١٩٥، والنووي، التقريب والتيسير ص: ٣٥، والعثيمين، مصطلح الحديث، ص: ١٤.

(٧) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث ص: ٢٤، والجعبري، إبراهيم: رسوم التحديث في علوم الحديث، دار ابن حزم - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط١، ص: ٦٠، وابن جماعة، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ص: ٤٩.

(٨) ينظر: ابن دقيق العيد، محمد: الاقتراح في بيان الاصطلاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ١٦، وشاكر، الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث ص: ٥١.

(٩) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ٥١، وابن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح ج.٢. ص:٥٤٠، والخضير، عبد الكريم: شرح ألفية العراقي، دروس مفرغة =

ورتَّب العلماء طرق التحمل والأداء حسب القرب والاتصال بين الشيخ والطالب، فكلما كان الاتصال بينهما مباشراً كانت درجة التحمل أعلى، ولذلك فالسماع من الشيخ أعلى مرتبة؛ لأن الاتصال مباشر والقرب ظاهر.

وهكذا كلما ضعفت وسيلة الاتصال بين الشيخ وطلابه، نزلت مرتبة طريق التحمل، وعليه فرواي الوجادة لم يتلقَ الراوية عمن روى عنه لا حقيقة ولا حكماً، فبدا فيها الانقطاع ظاهراً فكانت من قبيل المنقطع.

لكنهم اختلفوا في انقطاع رواية الوجادة أهي من هذا القبيل، أم إنه انقطاع آخر ناشئ عن عدم تحمّل الحديث بطريقة صحيحة، ولا يوجد حذف في الإسناد، على قولين[١]:

الأول: إن الانقطاع انقطاع خاص وليس في الإسناد أي حذف[٢].

الثاني: إن الانقطاع في الوجادة من قبيل حذف في الإسناد[٣].

ثم اختلفوا في هذا الحذف: فقال ابن الصلاح: "هي من باب المنقطع، والمرسل"[٤].

وقال بعضهم: هي من باب التعليق أولى من المرسل والمنقطع[٥].

ولعل القول الأول أولى؛ فالانقطاع فيها انقطاع خاص ليس فيه أي حذف في الإسناد.

ثانياً: ورود العلل فيها، كالتدليس والإرسال الخفي وغيرهما، أكثر من غيرها من طرق التحمل الأخرى[٦].

فالتدليس: أن يروي الراوي عمن لقيه ما لم يسمعه منه موهماً أنه سمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه، موهما أنه قد لقيه وسمعه منه[٧].

من موقع الشيخ الخضير، المكتبة الشاملة، ج.٨. ص:٢٦.

(١) ينظر: عبد الكريم، أسامة: طرق تحمل الحديث وصيغ الأداء، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان السودان، دار المنظومة، ٢٠٠٣م، ص٤٤٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص٤٤٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٤٤٢.

(٤) ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٨.

(٥) ينظر: الزركشي، محمد: النكت على مقدمة ابن الصلاح، ج.٣. أضواء السلف، الرياض، ١٤١٩هـ، ط١، ص: ٥٥٣.

(٦) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٩.

(٧) ينظر: ابن عبد البر، يوسف: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج.١. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ، ص:١٥، والخطيب البغدادي، أحمد: الكفاية في علم الرواية، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، ص: ٣٥٧، والفحل، ماهر: محاضرات في علوم الحديث، دروس مفرغة، المكتبة الشاملة، ص: ٣٠، وعبد الغفار، محمد: شرح

وقد وقع الخلاف بين العلماء هل تدخل المعاصرة في التعريف، أو يقتصر على الُّلقيا فقط؟ فالخطيب يرى: أن المعاصرة والإرسال يدخلان في التدليس[١].

وأما ابن حجر فرد هذا الكلام ورجَّح أن اللّقيّ يختص في التدليس والمعاصرة تختص في الإرسال الخفي[٢]، وقد ذم العلماء التدليس بأشد الذم: قال شعبة بن الحجاج[٣]: "التدليس أخو الكذب"[٤]،

وقال ابن الصلاح: "وهذا من شعبة إفراط محمول على المبالغة في الزجر عنه والتنفير"[٥] .

أقسام التدليس: قسم العلماء التدليس إلى أنواع، أشهرها ثلاثة[٦]:

١- تدليس الإسناد: وهو أن يروي الراوي عمن لقيه وسمع منه ما لم يسمع، موهماً أنه سمع منه.

٢- تدليس الشيوخ: وهو أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه، فيسميه أو يكنيه، أو ينسبه، أو يصفه بما لا يعرف به، كي لا يعرف.

٣- تدليس التسوية: وهو أن يروي عن شيخه، ثم يسقط ضعيفاً بين ثقتين قد سمع أحدهما من الآخر أو لقيه، ويرويه بصيغة محتملة بين الثقتين.

والتدليس في الوجادة من النوع الأول، فإذا استخدم الراوي صيغة تحتمل السماع عمن لقيه ما لم يسمع منه وقع في التدليس، فراوي الوجادة قد يستخدم صيغة تحتمل السماع عن راوٍ عاصره ولم يسمع منه؛ فيكون قد وقع في الإرسال الخفي وهو من العلل التي تقدح في الرواية أيضاً، وإنما كان هذا وذاك

كتاب التدليس في الحديث للدميني، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net ج.٤. ص: ٢.

(١) ينظر: الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص: ٣٥٧.

(٢) ابن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح ج.٢. ص:٦١٤.

(٣) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري، أمير المؤمنين في الحديث، وأول من وسّع علم الجرح والتعديل في العراق، مات سنة ١٦٠هـ. ينظر: الذهبي، الكاشف ج.١. ص:٤٨٥، وابن حجر، تهذيب التهذيب ج.٤. ص:٣٣٨.

(٤) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص: ٣٥٥.

(٥) ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ٧٤.

(٦) ينظر: الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية ص: ٣٥٧، وابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث ص: ٧٤، وابن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح ج.٢. ص:٦١٦، والسخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.١. ص:٢٢١، والأنصاري، فتح الباقي بشرح ألفية العراقي ج.١. ص:٢٣١، والفحل، محاضرات في علوم الحديث، ص: ٣٠، وعبد الغفار، شرح كتاب التدليس في الحديث للدميني ج.٥. ص:٦.

(التدليس، والإرسال الخفي) مذمومين في رواية الوجادة؛ لأن الأصل في رواية الوجادة اعتماد الراوي على الكتاب الذي وجده، ولا سماع له، فانقطاعها ظاهر،

ولذلك ذم العلماء من دلَّس فيها، وقالوا عنه: "تدليس قبيح"[١]. وقال الطوفي [٢]: "هذا كذب" [٣].

ثالثاً: عدم التزام الراوي بالصيغ الخاصة بالوجادة يؤثر على روايته، فقد ذكرنا أن راوي الوجادة لو استخدم صيغاً توهم السماع لكان هذا مذموماً، فمن باب أولى لو استخدم صيغاً صريحة بالسماع كحدثنا وما شابهها فيكون قد وقع بذم أشدّ، قال القاضي عياض: "لا أعلم من يُقتدي به أجاز النقل فيه بـ (حدثنا) و(أخبرنا) ولا من يعده معد المسند"[٤]، وسمَّى هذا ابن الصلاح مجازفة، وفعله مُنْتَقد عند المحدثين[٥]، فينبغي على الراوي التزام صيغ الوجادة المعتمدة لئلا يقع في هذا.

رابعاً: النقل بالوجادة مظنة التصحيف، والتصحيف: هو تحويل الكلمة من الهيئة المتعارفة إلى غيرها[٦]، أي: الخطأ في القراءة سواء كان بتغيير النقط أو بالشكل، وقد يكون في المتن وقد يكون في الإسناد[٧]، قال الذهبي: "قال أبو عبد الله الحاكم: إسحاق، وابن المبارك، ومحمد بن يحيى هؤلاء دفنوا كتبهم"[٨]، ثم عقب بقوله: "هذا فعله عدة من الأئمة، وهو دال أنهم لا يرون نقل العلم وجادة، فإن الخط قد يتصحف

(١) ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٩.

(٢) سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الصفى المعروف بابن أبي عباس الحنبلي نجم الدين الطوفى من طوف قرية ببغداد، كان فقيهاً حنبلياً، عارفاً بفروع مذهبه ملياً، شاعراً أديباً، فاضلاً لبيباً، مات سنة ٧١٦هـ. ينظر: ابن رجب، عبد الرحمن: ذيل طبقات الحنابلة، ج.٤. مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م ط١، ص:٤٠٤، والصفدي، خليل: أعيان العصر وأعوان النصر، ج.٢. دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ص: ٤٤٥، وابن حجر، أحمد: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج.٢. مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، الهند، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ط٢، ص:٢٩٥.

(٣) الطوفي، شرح مختصر الروضة ج.٢. ص:٢١١.

(٤) عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص: ١١٧، وينظر: العراقي، شرح التبصرة والتذكرة ج.١. ص:٤٥٩، والسيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج.١. ص:٤٨٨.

(٥) ينظر: ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص: ١٧٩.

(٦) ينظر: السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج.٤. ص:٥٧.

(٧) ينظر المصدر نفسه ج.٤. ص:٦٥.

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج.١١. ص:٣٧٧.

على الناقل، وقد يمكن أن يزاد في الخط حرف، فيغير المعنى، ونحو ذلك"[١]. وراوي الوجادة أكثر عرضة لهذا؛ لانعدام التلقي عن الرواة بالمشافهة، فيقرأ ما وجده على حاله فيقع في ذلك بتغيير الكلام عن معناه، وتحميله ما لا يحتمله؛ بسبب تغيّر لفظه، إلا أن يجد كتاباً منقوطاً مشكولاً فقد يتجاوز هذه العلة.

خامساً: بُعد الكتاب عن الراوي[٢]، كأن يسافر الراوي إلى بلد ما ولا يحمل كتابه معه، فيحدّث من حفظه فيقع في الوهم، وذكر أبو الوليد الطيالسي أنه قدم الري مع أبي داود الطيالسي فطلبا من جرير[٣] أن يحدثهم فقال: "لست أحفظ، كتبي غائبة عني وأنا أرجو أن أوتي بها، قد كتبت فِي ذاك"[٤]. فإذا كان جرير بن عبد الحميد الذي هو صاحب كتاب يخاف أن يحدّث بغير كتابه فمن باب أولى راوي الوجادة الذي لا علاقة له بكتاب الراوي إلا من طريق الوجادة، ولذلك ضُعّف بعض الرواة بسبب هذه العلة كرواية معمر بن راشد[٥] عن أهل البصرة[٦].

ساساً: احتراق الكتب أو تلفها أو ضياعها[٧]، فقد ضُعف بعض الرواة بسبب هذه العلة كرواية عبد الله بن لهيعة[٨] قاضي مصر، فهو ممن أجمع العلماء على خفة ضبطه قبل موته بسنين، والأكثر على أن هذا راجع إلى احتراق كتبه، روى العقيلي من طريق البخاري عن أبي بكير، قال: "احترقت كتب ابن لهيعة سنة

(١) المصدر نفسه ج.١١. ص:٣٧٧.

(٢) ابن رجب، عبد الرحمن: شرح علل الترمذي، ج.٢. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ط١، ص: ٧٥٦، وعمر، بشير: منهج الإمام أحمد في إعلال الأحاديث، ج.١. وقف السلام، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م، ط١، ص:٥٣٠.

(٣) هو: جرير بن عبد الحميد، أبو عبد الله الضبي الكوفي، الإمام، الحافظ، القاضي، توفي سنة سبع وثمانين ومائة بالري. ينظر: ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة – الطبقة الخامسة، ج. ١. مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، ط١، ص: ٤٠٩، والثقات لابن حبان ج.٦. ص:١٤٥.

(٤) المزي، تهذيب الكمال ج.٤. ص:٥٤٥.

(٥) معمر بن راشد أبو عروة الأزدي مولاهم، البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، مات سنة أربع وخمسين ومائة. ينظر: الذهبيسير أعلام النبلاء ج.٧. ص:٥، وابن حجر، تقريب التهذيب ص: ٥٤١.

(٦) ابن رجب، شرح علل الترمذي ج.٢. ص:٧٦٦.

(٧) ابن رجب، شرح علل الترمذي ج.٢. ص:٧٥٦، وعمر، منهج الإمام أحمد في إعلال الأحاديث ج.١. ص:٥٣٠.

(٨) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، محدّث ديار مصر مع الليث، احترقت كتبه فحدّث من حفظه فوهم وضُعّف، مات سنة أربع وسبعين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ج.٨. ص:١١، وابن حجر، تهذيب التهذيب ج.٥. ص:٣٧٣.

سبعين ومائة"[١]. فإذا كانت هذه العلة قد تلازم أصحاب الكتب فمن باب أولى أنها ستلازم راوي الوجادة الذي هو فرع عن الأصل.

سابعاً: فَقْد البصر، البصر حاسة مهمة لتلقي العلم حفظاً وكتابة، فإذا طرأ العمى على الراوي وهو يعتمد على كتابه في التحديث، ولا يحفظ ما فيه حصل الخلل في مروياته. قال ابن رجب [٢]: "ومن الثقات من فقد بصره، وكان يعتمد على كتبه، فخف ضبطه ووهم فيما حدث به بعد ذلك، وهؤلاء كثيرون".

ومع ذلك يمكن القول: إن راوي الوجادة إذا أتقن حفظ الكتاب الذي بين يديه، فلا يضيره إذا فقده أو فقد بصره.

ثامناً: جعلها بعض العلماء[٣] من باب الحكاية وليس من باب الرواية، وإنما هي حكاية عمّا وجده في الكتاب[٤]، ونقل الحديث يعتمد على الرواية المسندة لا على الحكاية التي تفتقر إلى الإسناد.

تاسعاً: جانب الظن هو الغالب فيها، حيث إن اعتمادها على الخط المكتوب والخطوط تتشابه، ولا يفيد الخط العلم بأن الكتاب كتاب المحدّث[٥]، ويمكن القول: إن راوي الوجادة قد يحصل له اليقين بنسبة الخط لصاحبه كأن يكون قريباً لصاحب الكتاب كابنه أو أخيه وما شابههما وله معرفة بخطه، أو يكون صاحب الكتاب شيخاً له قد سمع منه بعض المرويات ووجد بعضها، أو كاتبه بها، فيكون على معرفة بخطه، أو يشهد له ثقة بأن هذا الخط خط فلان فهذه الشهادة تفيد غالب الظن.

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وأخيراً وبكرة وأصيلاً، والصلاة والسلام على النبي الخاتم وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد: فقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- الوجادة لا تعتمد على السماع، وتأتي في المرتبة الأخيرة من طرق نقل الحديث، وقد عدّها العلماء من باب المنقطع أو المرسل.

(١) العقيلي، محمد: الضعفاء الكبير، ج.٢. دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ط١، ص:٢٩٤.

(٢) ابن رجب، شرح علل الترمذي ج.١. ص:١١٢.

(٣) هو ابن كثير رحمه الله. ينظر: شاكر، الباعث الحثيث، ص: ١٧١

(٤) ينظر: شاكر، الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، ص: ١٧١.

(٥) ينظر: الدّبوسيّ، عبد الله: تقويم الأدلة في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط١، ص: ١٩٣.

٢- الانقطاع الحاصل في رواية الوجادة انقطاع خاص، ولا صلة له بالسَقْط الذي يحصل في الإسناد.

٣- تعتري رواية الوجادة علل منها: الانقطاع والتدليس والتصحيف، ويمكن لراوي الوجادة أن يسلم من هذه العلل إلا الانقطاع فإنه يلازمه.

٤- فرَّق العلماء بين وُثُوق الراوي بالوجادة بنسبة الكتاب إلى صاحبه، وعدم وُثُوقه من ذلك، فإذا وَثِق بنسبة الخط إلى صاحبه يستخدم صيغ الجزم بالرواية، وإلا فلا.

٥- اعتماد راوي الوجادة في روايته على الكتاب الذي وجده، فلو فقده أو أعاره أو فقد بصره لم يكن لروايته أي معنى، إلا أن يكون قد حفظ ما في الكتاب، وضبطه، واشتهر بذلك.

٦- إذا اقترنت رواية الوجادة برواية الإجازة فإنها تزداد قوة.

٧- رواة الوجادة ليسوا على درجة واحدة، فهم كغيرهم من الرواة، فمنهم الثقات الأثبات، ومنهم الضعفاء، ومنهم المتوسطون.

٨- حكم جمهور العلماء على رواية الوجادة بالانقطاع، وعدم قبولها، وصحح الرواية بها جمع من العلماء إذا جاءت بشروطها المعتبرة، وأما العمل بها فالراجح من أقوال العلماء هو جواز ذلك.

المصادر والمراجع:

١) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أبي علي الثعلبي الآمدي (ت ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.

٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي معوض – عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٤) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥) الأعلام، خير الدين بن محمود، الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م.

٦) أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: علي أبو زيد، ونبيل أبو عشمة، وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ.

٧) الاقتراح في بيان الاصطلاح، محمد بن علي القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، علي بن هبة الله ابن ماكولا ت ٤٧٥هـ، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

٩) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، عياض بن موسى اليحصبي، (ت ٥٤٤هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، دار التراث، المكتبة العتيقة – القاهرة، ط١، ١٣٧٩هـ – ١٩٧٠م.

١٠) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، أحمد شاكر، دار الغد الجديد، ٢٠٠٥م.

١١) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

١٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

١٣) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، صحح هذه النسخة الإلكترونية ووضع حواشيها: الشيخ محمود محمد خليل.

١٤) تاريخ بغداد وذيوله، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة

وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧ هـ.

١٥) تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي الجرجاني (ت ٤٢٧هـ)، المحقق: تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ.

١٦) تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

١٧) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

١٨) تقريب التهذيب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

١٩) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٢٠) تقويم الأدلة في أصول الفقه، عبد الله بن عمر الدّبوسيّ الحنفي (ت ٤٣٠هـ)، المحقق: خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ.

٢٢) تهذيب التهذيب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

٢٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠ – ١٩٨٠م.

٢٤) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: صلاح ابن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٥) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، قاسم بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْنِي الجمالي الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، تحقيق: شادي آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية صنعاء، ط١، ١٤٣٢هـ.

٢٦) الثقات، محمد بن حبان التميمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م.

٢٧) جامع الأصول، المبارك بن محمد الشيباني ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني –

مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩ م.

٢٨) الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٢٧١هـ.

٢٩) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المعافى بن زكريا النهرواني (ت ٣٩٠هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ.

٣٠) الخلاصة في معرفة الحديث، الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع – الرواد للإعلام والنشر، ط١، ١٤٣٠ هـ.

٣١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣٢) ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٣) رسوم التحديث في علوم الحديث، برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبريّ (ت ٧٣٢هـ)، تحقيق: إبراهيم بن شريف الميلي، دار ابن حزم – لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٣٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، لمكتبة المعارف، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٣٥) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٣٦) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي الشافعي (ت ٨٠٢هـ)، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٣٧) شرح ألفية العراقي، عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، المكتبة الشاملة.

٣٨) شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي، عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت ٨٠٦هـ، تحقيق: عبد اللطيف الهميم – ماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٣٩) شرح علل الترمذي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، المحقق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٤٠) شرح كتاب التدليس في الحديث للدميني – محمد حسن عبد الغفار، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة

الإسلامية http://www.islamweb.net المكتبة الشاملة.

٤١) شرح الموطأ، مؤلف الأصل: مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، الشارح: عبد الكريم الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، المكتبة الشاملة.

٤٢) شرح الموقظة للذهبي، محمود بن محمد المنياوي، المكتبة الشاملة، مصر، ط١، ١٤٣٢ هـ.

٤٣) شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري، (ت ٧١٦هـ)، المحقق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٤٥) الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المكي (ت ٣٢٢هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٦) لطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٧) طرق تحمل الحديث وصيغ الأداء، دراسة نظرية تطبيقية، عبد القادر أسامة نمر عبد الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان السودان، دار المنظومة، ٢٠٠٣م.

٤٨) علوم الحديث ومصطلحه - عرضٌ ودراسة، صبحي إبراهيم الصالح (ت ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١٥، ١٩٨٤ م.

٤٩) فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي (ت ٩٢٦ هـ)، المحقق: عبد اللطيف هميم - ماهر الفحل، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٥٠) فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، المحقق: علي حسين علي، مكتبة السنة – مصر، ط١، ١٤٢٤هـ.

٥١) الكاشف، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد عوامة الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٥٢) الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٥٣) الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: عبد الرحيم محمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي،

القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٥٥) محاضرات في علوم الحديث، ماهر ياسين الفحل، دروس مفرغة، المكتبة الشاملة.

٥٦) مسند البزار = البحر الزخار، أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط١، ١٩٨٨م.

٥٧) مصطلح الحديث، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، مكتبة العلم، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

٥٨) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، المحقق: نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٩) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٠) المقنع في علوم الحديث، عمر بن علي ابن الملقن الشافعي (ت ٨٠٤هـ)، المحقق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر – السعودية، ط١، ١٤١٣هـ.

٦١) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، إبراهيم بن محمد الصَّرِيْفِيْنِيُّ، الحَنْبَلِيُّ (ت ٦٤١هـ)، المحقق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، ١٤١٤هـ.

٦٢) منهج الإمام أحمد في إعلال الأحاديث، بشير علي عمر، وقف السلام، ط١، ١٤٢٥ هـ.

٦٣) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، محمد بن إبراهيم ابن جماعة الشافعي (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر – دمشق، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٦٤) المؤتَلِف والمختَلِف، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٦٥) النكت على كتاب ابن الصلاح، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: ربيع بن هادي المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦٦) النكت على مقدمة ابن الصلاح، محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف –الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.